الفصل
في
الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع أسيوط

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



مقدمـــة

نحمد الله سبحانه وتعالى حمد الشاكرين ، الذى وفقنا وأعاننا بفيض من عنده ، ومدد من تأييده فى تقديم الجزء الأول والثانى من كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لقراء وباحثى الأمة الإسلامية والعربية .

وهانحن أولاء الآن نقدم بين يدى القارىء الجزء الثالث من هذه « الموسوعة » الكبيرة التى أراد بها ابن حزم رضى الله عنه ، أن يضع فيها كل ما يهم الباحث المشتغل بالدراسة المقارنة للأديان ، والكتب المنزلة ، والفرق الإسلامية وغيرها من الملل والنحل .

ولقد قلنا عند تقديم الجزء الأول إن ابن حزم استعرض فيه أقوال القائلين بقدم العالم ، والمنكرين لمدبِّره سبحانه وتعالى ، ولجماعة الرسل والأنبياء ، والقائلين بأن للعالم أكثر من فاعل ، ووضحنا كيف استطاع هذا العالم الجليل أن يفند أقوال المنكرين ، ويبطل حجج المبطلين .

وأسلحته فى ذلك : عقل ألمعى ، وذهن وقّاد ، وخبرة ودراية شاملة بكتاب الله تعالى وهدى نبيه ﷺ .

ثم استعرض تخبط النصارى فى التثليث ، وهوس بعض الصابئة بالكواكب ، وختل القائلين بتناسخ الأرواح ، وغير ذلك من الإفك البواح الذى تردى فيه بعض أفراد البشرية ردحًا من الزمن .

فإذا خلص من ذلك . تناول التوراة المحرفة بأيدى اليهود بالنقض والتفنيد ، وخلص فى النهاية إلى أن التوراة المتداولة الآن والتى تعتبر مصدر الديانة عند اليهود ، هى من وضع أفّاك جاهل خلط عليهم دينهم ، وأوقعهم فى هوَّة عميقة من الضلال .

وقلنا فى مقدمة الجزء الثانى : إن ابن حزم استعرض فيه الإنجيل وكتب النصارى المتداولة بين أيديهم . وبيَّن ما فيها من تناقض ووضع ، وأثبت أن الحواريين أتباع عيسى عليه السلام الذين آووا ونصروا – يختلفون كل الاختلاف عمن اتخذهم النصارى حواريين وأتباعًا للمسيح عليه السلام .

فإذا خلص من ذلك . تناول الفرق الإسلامية موضحًا أفكارها ، مفصِّلًا آراءها ، مبينًا ما تردت فيه من غلو وتخبط عندما ابتعدت عن مائدة القرآن ، وتتلمذت على آراء اليونان تارة ، والفرس تارة أخرى ، وإفك اليهود ، وضلال النصارى مرة ثالثة .

وبعد هذا العرض المفصل الذى وضحه ابن حزم عن التصورات والاعتقادات السابقة ، يقدم بين يدى القارىء صورة مجملة عن التوحيد ، ونفى التشبيه والتمثيل » ليخلص من ذلك إلى تقديم صورة دقيقة مركزة عن أسماء الله تعالى وصفاته ، مع مناقشة المعطّلين ، والمجسّمين ، والمشبّهين ، ومن ران الله على قلوبهم ، أو وضع على عيونهم غشاوة .

أمّا فى هذا الجزء الذى بين أيدينا وهو الجزء الثالث : فإنه يتناول فيه موضوعات محددة ، تكاد تكون مقصورة – على رؤية الله سبحانه وتعالى وكلامه ، والجبر والاختيار أو القضاء والقدر ، وما يتبع ذلك من أمور ترتبط بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد .

ففى موضوع الرؤية يقدم بين يدى القارىء آراء بعض المعتزلة والجهمية القائلين بنفى رؤية الله سبحانه وتعالى .

وأراء المجسِّمة القائلين بإمكانها فى الدنيا والآخرة .

وآراء أهل السنة ، وبعض رجال المعتزلة القائلين برؤية الله تعالى فى الآخرة ثم يتناول الكثير من هذه الأراء بالقدح تارة ، والتفنيد تارة أخرى ، حتى يصل فى النهاية إلى القول الفصل فى هذه القضية فيقول :

« إنما قلنا : إنه تعالى يُرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن [فهى] قوة موهوبة من الله عز وجل ، وقد سمَّاها بعض القائلين : بالحاسة السادسة ، بمعنى أن الله تعالى يضع يوم القيامة فى الأبصار قوة يشاهَد الله تعالى بها ويُرى[1]» .

ويعتقد أن ذلك له سوابق ، ومشاهد فى حياتنا كالتى يضعها الله فى الدنيا فى قلب العبد المؤمن [وتسمى البصيرة] .

وكالتى وضع الله تعالى فى أذن موسى عليه السلام حتى شاهد الله تعالى وسمعه مكلمًا ، (وَكَلَّم الله مُوسى تكليما) .

* * *

(١) الجزء الثالث من كتاب الفصل : ٢ . وهذا الذى ذكرناه نص قول ابن حزم .

وما فعله فى الرؤية : فعله فى القرآن الكريم الذى هو كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه محمد ﷺ ، فهو يقدم بين موضوع الكلام تمهيدًا يوضح فيه أن جميع أهل الإسلام متفقون على أن لله كلامًا ثم يختلفون بعد ذلك فى حقيقة الكلام وهويته .

فهو عند المعتزلة : صفة فعل مخلوق .

وعند جماعة الأشاعرة : صفة ذات .

وعند أهل السنة : كلام الله هو علمه لم يزل وهو غير مخلوق ، وهو قول الإمام أحمد ابن حنبل – رحمه الله – وغيره من أئمة السلف .

ويقدم لنا فى هذا المبحث . حجج أهل السنة والجماعة القائمة على كتاب الله تعالى وهدى النبى ﷺ ثم يناقش بعدها آراء المخالفين ، والمتزيدين والقائلين بالهوى والغرض ، فيفحم أشخاصهم ، ويفسد أقوالهم ، ويبطل حججهم . فإذا فرغ من ذلك عرض لقضية الجبر والاختيار ، ولقد استحوزت هذه القضية على قدر كبير من هذا الجزء ، وكعادة ابن حزم يقدم بين يدى كلامه ثبتًا بأقوال الفرق الأخرى .

فهناك الجبرية التى تقول : إن الإنسان مجبر غير مختار ، وهو فى أفعاله كالريشة فى مهب الريح تتحرك بغير حركتها ، وتنتقل مع الريح أنى انتقلت .

وهناك الأشاعرة : فقد قالوا : إن الإنسان له استطاعة ، وهى ليست الإنشاء والتكوين ، بل الفعل من الله تعالى ، ولا فاعل إلا الله تعالى ، ولكن تكون استطاعة يخلقها الله تعالى عند الفعل تسمى الكسب وبها تكون المسئولية والجزاء عن الفعل .

والطائفة الثالثة أكثر المعتزلة والشيعة – وهم يرون أن الإنسان مختار مريد باستطاعته أن يفعل الفعل ، وهى قوة أودعها الله نفس العبد ، وبها يكون الفعل خيرًا أو شرًا ويزيدون فى قولهم : إن الله يشاء الخير ويريده ، ولا يريد الشر ، فإرادته وأمره متلازمان ، وإذا كان لا يأمر بالشر فهو لا يريده .

وقد انقسم أصحاب هذا الرأى الأخير إلى فرق ، فقال بعضهم : إن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضًا ، وأن فى وسع الإنسان أن يقبل على فعله أو أن يتركه ، وهو قول بشر ابن المعتمر . بينما ذهب أبو الهذيل العلاف إلى أن الاستطاعة لا تكون مع الفعل ألبتة ، ولا تكون إلا قبله ، ثم تفنى مع أول وجود الفعل .

على حين ذهب آخرون وعلى رأسهم النظام إلى أن الاستطاعة ليست شيئا آخر غير نفس المستطيع .

لقذ استعرض ابن حزم هذه الآراء مجتمعة ، وسخر من بعضها ، وهاجم بعضها الآخر ، وسكت عن نوع ثالث . فما موقفه فى أفعال العباد .. ؟ وما الرأى الذى ارتآه فى هذه القضية .. ؟

إن ابن حزم يقرر أن أفعال الإنسان تكون باستطاعة الإنسان – وتستمر هذه الاستطاعة حتى يقع الفعل .

وهو بهذا يقرر مبدأ الاختيار ، لأن الجبر فى رأيه يخالف النص ، والحس واللغة ، فالنّص قوله تعالى : « جزاءً بما كنتم تعملون » . فنص الله تعالى على العمل وأسنده إلى المكلف .

وأما الحس ، فبالحواس وبضرورة العقل وبدهياته علمنا علمًا لا يخالجه الشك أن بين الصحيح الجوارح ، وبين ما لا صحة لجوارحه فرقًا لائحًا لجوارحه ، لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارًا دون مانع ، والذى لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا .

وأما اللغة : فالمجبر : هو الذى يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده ، فأما من وقع فعله وقصده ، فلا يسمى فى اللغة مجبرًا .

ويقرر أيضًا أن الفعل لا يكون نتيجة للاستطاعة وحدها ، بل لابد من زوال كل الموانع الحاجزة التى تحول بين الاستطاعة وظهور أثرها فى الأفعال فهو يقول : « نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل أصلًا ، فعلمنا أن هاهنا شيئًا آخر به تتم الاستطاعة وبه يوجد الفعل ، فصح ضرورة أن الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع ، وهذا الوجهان قبل الفعل [وهما] قوة أخرى من عند الله عز وجل » .

ونتساءل هل استطاع ابن حزم بذلك أن يحل هذه المشكلة .. ؟ إننا نحب أن نقول : إن ما قام به ابن حزم هو خطوة فى طريق الحل ، ولكنه ليس الحلَّ الشامل الكامل الذى يرضى النفوس الطلعة الباحثة عن الحقيقة . المتطلعة إلى العلم اليقينى والرأى الأمثل فى هذه القضية .

ونحب أن نقول إن هذا الجزء احتوى غير الموضوعات السابقة – حديثًا مفصلًا عن قضايا التجوير والتعديل ، وحقيقة الإيمان والكفر ، والوعد والوعيد ، وفى تعبد الملائكة ، والخَلْق المستأنف .

وبعد فإن العمل فى المخطوطات ، وإحياء التراث الذى أفنى السلف فيه أعمارهم مهمة إنسانية ، وواجب دينى على الأمة الإسلامية ، ويقتضيها هذا الواجب أن تجمع عزمها ورجالها لإخراج هذا التراث إلى النور حتى يكون لهذا الجيل ، وما بعده من أجيال ، الأرض الصلبة

التى يقفون عليها ، لصد هجمات المهاجمين ، وغارات المغيرين الذين يأتون إلى بلادنا ويريدون غزونا ، بالكلمة الفجة ، والرأى السفيه ، والفكرة الضالة الملحدة ، وللأسف يجدون آذنًا صاغية لضلالهم ، وقلوبًا مستعدة لقبول إفكهم وأوهامهم .

فهل تستجيب الأمة الإسلامية لهذه الدعوة .. حتى يعود لها سابق مجدها وقوتها .. ؟ ويعود لها قيادة العالم كما كان سابقًا ، نرجو من الله ذلك .

« ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

المحققان

الكلام فى الرؤية ..

قال أبو محمد : ذهبت المعتزلة ، وجهم بن صفوان[1]، أن الله تعالى لا يُرى فى الآخرة ، وقد روينا هذا القول عن مجاهد[2]، [وعذره فى ذلك أن الخبر لم يبلغ إليه[3]، وروينا هذا القول أيضًا عن] الحسن البصرى[4]، وعكرمة[5]، وقد روى عن الحسن وعكرمة إيجاب الرؤية له تعالى ، وذهبت المجسمة إلى أن الله تعالى يُرى فى الدنيا والآخرة . وذهب جمهور أهل السنة ، والمرجئة ، وضرار ابن عمرو[6] من المعتزلة إلى أن الله تعالى يُرى فى الآخرة ، ولا يرى فى الدنيا ، وقال الحسين[7] ابن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به .

قال أبو محمد : أما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا فى هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وأيضًا[8] فإن الرؤية المعهودة عندنا لا تقع إلا على الألوان لا على ما عداها ألبتة وهذا

---

(١) فى (أ) زاد : (إلى) وترجم لجهم صـ ٤٢٥ .

(٢) هو : مجاهد بن جبير المكى أبو الحجاج المخزومى المقرى ، مولى السائب بن أبى السائب . روى عن كثير من الصحابة . قال عبد السلام بن حرب : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد . وقال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدًا يقول : عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرة . قال الذّهبى : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد ، والاحتجاج به . قال ابن حبّان : مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد . ومولده كان سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر رحمه الله . (تهذيب التهذيب : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ بتصرف) .

(٣) فى (خ) : سقط من (وعذره إلى أيضا عن) .

(٤) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد تابعى كان إمام أهل البصرة ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء ، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ . وشب فى كنف على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية . وسكن البصرة . وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم . لا يخاف فى الحق لومة لائم . وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف . توفى بالبصرة عام ١١٠ هـ . وللدكتور إحسان عباس كتاب : « الحسن البصرى » . (الإعلام : ٢٤٢/٣) .

(٥) هو عكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عباس . روى عن مولاه ، وعلى بن أبى طالب وأبى هريرة ، وروى عنه : إبراهيم النخعى ، وجابر بن زيد ، والشعبى ، وآخرون . قال عثمان الدارمى : قلت لأبى معين : عكرمة أحب إليك أم عبيد الله ؟ فقال : كلاهما . وأخرج عنه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى . مات بالمدينة سنة ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب : ٢٦٥/٧ - ٢٧٢ بتصرف) .

(٦) هو ضرار بن عمرو القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة . شهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب وأخفاه يحيى ابن خالد ، ويعد من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان / ٢٠٣/٣) .

(٧) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله . كان من كبار المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظام مجالس ومناظرات . وله كتب : الاستطاعة والإرجاء ، والقضاء والقدر . وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه (الفهرست للنديم . لأبى الفرج ابن على الورّاق . وفى تسمية هذا الكتاب خطأ مشهور حيث يطلق عليه الباحثون (الفهرست لابن نديم) وحقيقته الفهرست للنديم .

(٨) فى (أ) : وعمدة من أنكر .. أنّ) .

مبعد عن البارى عز وجل [وقد احتج من أنكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها وهذا سوء وضع منه لأننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على البارى عز وجل[٩]] وإنما قلنا إنه تعالى يرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله عز وجل وقد سماها بعض القائلين بهذا القول : الحاسة السادسة . وبيان ذلك أننا نعلم الله تعالى بقلوبنا علما صحيحا هذا[١٠] لا شك فيه ، فيضع الله تعالى يوم القيامة فى الأبصار قوة يُشَاهَد الله تعالى بها ويرى كالتى وضعها فى الدنيا فى القلب ، وكالتى وضعها الله تعالى فى أذن موسى عليه السلام حتى شاهد الله تعالى وسمعه مكلِّما له . واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ[١١]» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا فى اللغَة معنى زائِد على النظر والرؤية ، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال فى الدنيا والآخرة ، لأن فى الإدراك معنى من الإحاطة ليس فى الرؤية[١٢]، برهان ذلك قول الله عز وجل « فَلَمَّا تَرَا أَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ[١٣]» .

ففرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقا جليا لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله « فلما ترا أى الجمعان » وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبنى إسرائيل ، ونفى الله الإدراك بقول موسى[١٤] عليه السلام : « كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » .

فأخبر تعالى أنه رأى أصحابُ فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم ، وشك أن ما نفاه الله عز وجل فهو غير الذى أثبته ، فالإدراك غير الرؤية والحجة لقولنا هو قول الله عز وجل « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[١٥]» .

واعترض بعض المعتزلة وهو أبو على محمد[١٦] بن عبد الوهاب الجبائى فقال : إن « إلى »

---

(٩) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : وقد احتج إلى (عز وجل) .
(١٠) فى (أ) : (مالا) .
(١١) الأنعام : ١٠٣
(١٢) فى (أ) : تقديم وتأخير حيث قدم قوله (وهو معنى الاحاطة وليس ذلك فى الرؤية) .
(١٣) الشعراء : ٦١ .
(١٤) موسى اسم معرب أصله موشا ، وموٌ بالعبرية الماء وشا الشجر ، سمى به لأنه وجد فى الماء والشجر الذى كان حول قصر فرعون فى عين شمس ، وهى موضع معروف بمصر لا ينبت شجر البلسان إلا فيه قيل سئل النبى ﷺ ما بال الله أكثر ذكر موسى فى القرآن .. ؟ فقال : لان الله يحبه ، ومن أحب شيئا اكثر ذكره . قال كعب : سمع موسى كلام الله يوم الطور غير ما سمعه قبل ذلك فقال موسى : يا رب وكيف هذا .. ؟ قال الله تعالى : إنما كلمتك على قدر طاقتك ولو كلمتك أشد من ذلك لذبت . (بصائر ذوى التميز حـ ٦ صـ ٦١) .
(١٥) القيامة : ٢٢
(١٦) هو أحد أئمة المعتزلة ، كان إمامًا فى علم الكلام ، أخذ هذا العلم عن يعقوب الشَّحَّام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة . توفى سنة ٣٠٣ هـ . (وفيات الوفيات : ٦٠٨/١) .

ههنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم وهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة ، وهذا بعيد لوجهين أحدهما : الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة ، فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن تنتظر لما قد حصل لها ، وإنما تنتظر ما لم يقع بعد . والثانى تواتر الأخبار عن النبى ﷺ ببيان أن المراد بالنظر : هو الرؤية ، لما تأوله المتأولون . وقال بعضهم إنَّ معناها إلى ثواب ربها (أى منتظرة ناظرة) .

قال أبو محمد[١٧]: وهذا فاسد جدا لأنه لا يقال فى اللغة نظرت[١٨] إلى فلان بمعنى انتظرته .

* * *

قال أبو محمد : وحمل الكلام على ظاهره الذى وضع له فى اللغة فرض لا يجوز تعديه إلا بنصّ أو إجماع ، لأن من فعل ذلك فقد أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله[١٩]. فإن قالوا إنَّ حمل الكلام على المعهود أولى من حمله على غير المعهود . قيل لهم[٢٠] الأولى فى ذلك حمل الأمور على معهودها فى اللغة ، ما لم يمنع من ذلك نصٌّ أو إجماع أو ضرورة ، ولم يأت نصٌّ ولا إجماع ولا ضرورة تمنع مما ذكرنا فى معنى النظر فقد[٢١] وافقنا المعتزلة على أنه لا عالم عندنا إلا بضمير[٢٢] ولا فعَّال إلا بمعاناة . ولا رحيم[٢٣] إلا برقة . ثم أجمعوا معنا على أن الله تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير ، وأنه عزَّ وجلَّ فعَّال بلا معاناة ، ورحيم بلا رقة . فأىُّ فرق بين تجويزهم ما ذكرنا وبين عدم[٢٤] تجويزهم رؤية ونظرًا ، بقوة غير القوة المعهودة لولا[٢٥] الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك .

وقد قال بعض المعتزلة أخبرونا إذا رؤى البارى تعالى أكلُّه يرى أم بعضه . ؟

* * *

قال أبو محمد : وهذا سؤال تعلموه من الملحدين إذا[٢٦] سألونا نحن والمعتزلة فقالوا : إذا علمتم الله تعالى أَكُلَّه تعلمونه أم بعضه .. ؟

---

(١٧) سقط ما بين القوسين فى (خ) .
(١٨) فى (خ) : (انتظرت) .
(١٩) فى (خ) : لم يذكر (كله) .
(٢٠) فى (أ) : (وله) .
(٢١) فى (أ) : (وقد) .
(٢٢) فى (أ) : زاد (وأنه) .
(٢٣) فى (خ) : (ولا رحمة) .
(٢٤) فى (أ) : وبين تجويزهم بدون (عدم) .
(٢٥) فى الأصل (ولولا) .
(٢٦) فى (أ) : (إذ) .

قال أبو محمد : هذا[٢٧] سؤال فاسد مغالط به لأنهم أثبتوا كلًّا وبعضا حيث لا كلَّ ولا بعض . والبعض والكل لا يقعان إلا فى ذى نهاية ، والبارى تعالى خالق النهاية والمتناهى فهو تعالى لا متناهٍ ولا نهاية فلا كلَّ له ولا بعض .

قال أبو محمد : الآية[٢٨] المذكورة والأحاديث الصحاح المأثورة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة للقبول . لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ، ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمنا ذلك الله من فضله ، ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم ، وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك . فإن قال قائل إنما أخبر الله تعالى بالرؤية عن الوجه . قيل له وبالله تعالى التوفيق : معروف فى اللغة التى خوطبنا بها أن تنسب الرؤية إلى الوجه والمراد بها العين . قال بعض الأعراب .

أنافس من ناجاك مقدار لفظة ... وتعتادُ نفسى إن نأت عنك عينها

وإنَّ وجوها يصطحبن بنظرة ... إليك لمحسودٌ عليك عيونُها

---

(٢٧) فى (أ) : (وهذا) .

(٢٨) فى (أ) : والآية) .

« الكلام فى القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى »

قال أبو محمد : واختلفوا فى كلام الله عزَّ وجل بعد أن أجمع جميع أهل الإسلام كلهم على أن لله تعالى كلامًا ، وعلى أن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام ، وعلى أن القرآن[1] كلام الله عز وجل وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف وكل هذا لا خلاف[2] فيه بين أحد من أهل الإسلام .

فقالت المعتزلة : إن كلام الله عز وجل صفة فعل مخلوق . وقالوا إن الله تعالى كلَّم موسى عليه السلام بكلام أحدثه فى الشجرة .

وقال أهل السنة : إن كلام الله تعالى هو علمه لم يزل ، وهو غير مخلوق ، وهو قول الإمام أحمد[3] بن حنبل وغيره وقالت الأشعرية . كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى ، وأنه ليس لله تعالى إلا كلام واحد . واحتج أهل السنة بحجج منها :

أن قالوا إن كلام الله عز وجل لو كان غير الله تعالى لكان لا يخلو من أن يكون جسما أو عرضا ، فلو كان جسما لكان فى مكان واحد ، ولو كان ذلك لكان لم يبلغنا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعا عندنا ، فى كل بلد كذلك . وهذا كفر . ولو كان عرضا لاقتضى حاملا ولكان كلام الله الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا وهذا محال . ولكان أيضا يفنى[4] بفناء حامله ، وهذا لا يقولونه .

---

(١) فى (أ) سقط قوله (وعلى أن القرآن كلام الله) .

(٢) فى (أ) : (لا اختلاف) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل الذُّهلى الشَّيبانى ، أحد الأعلام ، كان إمامًا فى الحديث وضروبه ، إمامًا فى الفقه ودقائقه ، إمامًا فى السنة ودقائقها ، إمامًا فى الورع وغوامضه . إمامًا فى الزهد وحقائقه . توفى سنة ٢٤١ هـ . (شذرات الذهب : ٩٦/٢) .

(٤) فى (أ) : (يغنى بغناء) بالغين فيهما وهو تحريف .

قالوا : ولو سمع موسى كلام الله عز وجل من غيره تعالى لما كان لموسى عليه السلام فى ذلك فضل علينا لأننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره ، فصحَّ أن لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو أنه عليه السلام سمع الله تعالى[٥] مكلِّما له بلا خلاف من سواه .

وأيضًا فقد قامت الدلائل على أن الله تعالى لا يشبهه شئْء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعانى ، فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة أن يكون كلام الله عزَّ وجلَّ ليس مخلوقا ، وليس غير الله تعالى كما قلنا فى العلم سواء بسواء .

* * *

قال أبو محمد : وأمَّا الأشعرية فيلزمهم فى قولهم إن كلام الله تعالى غير الله ما ألزمناهم فى العلم والقدرة سواء ، مما قد[٦] تقصّيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم إنه [٧] ليس لله تعالى إلا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع أهل الإسلام ، لأن الله عز وجل يقول : « لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَدا[٨]».

وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَا فى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والْبَحْرَ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله[٩]» .

* * *

قال أبو محمد : ولا ضلال أضلّ ، ولا حياء أعدم ، ولا مجاهرة أطمّ ، ولا تكذيب لله تعالى أعظم[١٠] ممن سمع هذا الكلام الذى لا يشك مسلم أنه خبر الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بأن لله تعالى كلمات لا تنفد .

ثم يَقول هو من رأيه الخسيس إنه ليس لله تعالى إلا كلاما واحداً فإن ادَّعَوْا بأنهم فروا بأن يكثروا مع الله تعالى أكذبهم قولهم إن ههنا خمسة عشر شيئا كلها متغايرة ، وكلها غير الله تعالى

(٥) فى (أ) : (سمع كلام الله) .
(٦) فى (خ) : لم يذكر (قد) .
(٧) فى (أ) : سقطت (إنه) .
(٨) الكهف : ١٠٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (نفذ) بالذال .
(٩) لقمان : ٢٧ .
(١٠) فى (خ) : (أطم) .

وخلاف الله . وكلها لم تزل مع الله – تعالى الله[١١] عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

* * *

قال أبو محمد : وقالت أيضا هذه الطائفة المنتمية إلى الأشعرى[١٢] إن كلام الله لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد عليه السلام وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى ، وأن الذى نقرأ فى المصاحف ونكتب[١٣] فيها ليس شيء منه كلام الله عز وجل ، وأن كلام الله تعالى الذى لم يكن ثم كان ، ولا يحلّ لأحد أن يقول : إنَّ ما قلنا لله تعالى[١٤] لا يزايل البارى تعالى ، ولا يقوم بغيره ، ولا يحل فى الأماكن ، ولا ينتقل ولا هو حروف موصولة ، ولا بعضه خيرا من بعض ، ولا أفضل ولا أعظم من بعض . وقالوا لم يزل الله تعالى قائلا لجهنم هل امتلأت . وقائلا للكفار[١٥] « اخْسَئُوا فيها وَلَا تُكَلّمون[١٦]» . وقائلا للكفار « فسحقاً لِأَصْحَابِ السَّعِير[١٧]» . ولم يزل قائلا لكل ما إذا أراد تكوينه كن .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد بلا تأويل . وذلك أننا نسألهم عن القرآن أهو كلام الله عز وجل أم لا ؟ . فإن قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا بإجماع الأمة . وإن قالوا هو كلام الله عز وجل تركوا قولهم الفاسد[١٨].

ونسألهم أيضًا عن القرآن الذى يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ، ويحفظ فى الصدور أهو كلام[١٩] الله تعالى أم لا ؟. فإن قالوا لا . كفروا أيضا بإجماع الأمة . وإن قالوا هو كلام الله تعالى تركوا قولهم . وأقروا أن كلام الله مكتوب[٢٠] فى المصاحف ومسموع من القراء ، ومحفوظ فى الصدور كما يقول جميع أهل الإسلام .

* * *

---

(١١) فى (أ) : سقط لفظ (الله) .

(١٢) فى (أ) : (الأشعرية) .

(١٣) فى (أ) : (ويُكتب) بالبناء المجهول .

(١٤) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (الذى لم يكن ثم كان إلى تعالى) . وفى (أ) : جاء هذا القول محرفا على النحو التالى (ولا يحل لأحد أن يقول انما قلنا إنّ لله تعالى) وهو مفسد للمعنى ولا يصح إلّا على أن (ما) اسم موصول ، والعائد محذوف تقديره (قلناه) . « لله تعالى » خبر إنَّ والمعنى إنه لا يحل لأحد أن يقول : إن الذى قلناه منسوب لله تعالى .

(١٥) فى (خ) : لم يذكر (للكفار) .

(١٦) المؤمنون : ١٠٨ .

(١٧) الملك : ١١ .

(١٨) فى (أ) : سقط قوله (تركوا قولهم الفاسد) .

(١٩) فى (أ) : سقط قوله (أهو كلام الله) مما أدى إلى اضطراب المعنى .

(٢٠) فى (أ) : سقط قوله (مكتوب) .

قال أبو محمد : وقد قال قوم فى اللفظ بالقرآن ونسبوا إلى أهل السنة : إنهم يقولون إن الصوت غير مخلوق ، وأن[٢١] الخط غير مخلوق .

قال أبو محمد : وهذا باطل ، وما قال قط مسلم إن الصوت الذى هو الهواء غير مخلوق ، وإن الخط غير مخلوق[٢٢].

قال أبو محمد : والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق : فهو ما قاله الله عز وجل ونبينا محمد ﷺ لا نزيد على ذلك شيئا وهو أن قول القائل القرآن ، وقوله كلام الله تعالى كلاهما[٢٣] معنى واحد واللفظان مختلفان ، والقرآن هو كلام الله تعالى على الحقيقة لا على[٢٤] المجاز ، ويكفر[٢٥] من لم يقل بذلك . ونقول إن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى علي الحقيقة[٢٦] على قلب محمد ﷺ كما قال تعالى « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتكونَ من المنذرين[٢٧] » .

ثم نقول إن قولنا القرآن . وقولنا كلام الله تعالى لفظ مشترك يعبر به عن خمسة أشياء فنسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ، ونقول إنَّه كلام الله تعالى على الحقيقة ، وبرهان ذلك قول الله عز وجل « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ[٢٨] » وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الله ثم يُحَرِّفُونَه مِنْ بَعْدِمَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٢٩] » .

وقوله تعالى « فَاقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ[٣٠] » . وأنكر على الكفار ، وصدّق مؤمنى الجن فى قولهم : « إنا سَمِعْنَا قُرْآنًا عجبًا يَهْدِي إلى الرُّشْدِ[٣١] » . فصحَّ أن المسموع وهو الصوت الملفوظ به : هو القرآن حقيقة ، وهو كلام الله تعالى حقيقة ، ومن خالف هذا فقد عاند القرآن ، ويسمِّى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا ، وكلام الله تعالى على الحقيقة[٣٢] فإذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا : فى كل هذا : هذا كلام الله وهو القرآن ويسمى القرآن

---

(٢١) لم يذكر (وأن) .
(٢٢) فى (خ) : لم يذكر الكلام من قوله (قال أبو محمد إلى قال أبو محمد) .
(٢٣) فى (خ) : لم يذكر (كلاهما) .
(٢٤) فى (أ) : (بلا مجاز) .
(٢٥) فى (أ) : (ونكفر .. ذلك) .
(٢٦) فى (خ) : لم يذكر (الله تعالى على الحقيقة) .
(٢٧) الشعراء : ١٩٤ .
(٢٨) التوبة : ٦
(٢٩) البقرة : ٧٥ وقد جاءت محرفة فى (خ) .
(٣٠) المزمل : ٢٠
(٣١) الجن : ٠١ وقد سقط الكلام من قوله (وأنكر على الكفار إلى الرشد) .
(٣٢) فى (خ) : لم يذكر (على الحقيقة) .

المصحف كله قرآنا وكلام الله ، وبرهاننا على ذلك قول الله تعالى « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ[٣٣]» .

وقول رسول الله ﷺ إذ نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو[٣٤] لئلا يناله العدو وقوله تعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةَ رَسُولٌ مِنَ الله يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَة فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ[٣٥]» .

وكتاب الله تعالى هو القرآن بإجماع الأمة ، وقد سمى رسول الله ﷺ المصحف قرآنا والقرآن كلام الله تعالى بإجماع الأمة ، فالمصحف كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً ويسمى المستقر فى الصدور قرآنا ونقول إنه كلام الله تعالى ، برهاننا على ذلك قول رسول الله ﷺ إذ أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام إنه أشدُّ تَفَصِّيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها[٣٦]. وقال تعالى « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[٣٧]» فالذى فى صدور الرجال هو القرآن وهو كلام الله عز وجل حقيقة لا مجازا ، ونقول كما قال رسول الله ﷺ : « إن آية الكرسى أعظم آية فى القرآن[٣٨] وإنَّ أم القرآن فاتحة الكتاب المنزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الإنجيل مثلها[٣٩]. وأن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن[٤٠]. وقال الله عز وجل « مَانَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِنها أَوْ مِثْلِهَا[٤١]» .

فإن قالوا إنما يتفاضل الأجر على قراءة كل ذلك[٤٢]. قلنا لهم نعم ولا شك فى ذلك ولا يكون التفاضل فى شىء مما فيه التفاضل إلا فى الصفات التى هى أعراض فى الموصوف بها وأما

---

(٣٣) الواقعة : ٧٨

(٣٤) فى (أ) : (الحرب) .

(٣٥) البينة : (١ – ٣) .

(٣٦) وفى رواية مسلم : « استذكروا القرآن . فلهو أشدُّ تفصيا من صدور الرجال من النَّعم بعُقلُها » . والتفصّى التفلت » .

(٣٧) العنكبوت : ٤٩

(٣٨) نص الحديث كما أخرجه مسلم : « قال رسول الله ﷺ يا أبا المنذر (يعنى أبىّ بن كعب) أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلّا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى وقال : لهينك العلم أبا المنذر » .

(٣٩) أخرج الترمذى فى ثواب القرآن باب ما جاء فى فضل فاتحة الكتاب : أن رسول الله ﷺ خرج على أبى بن كعب وهو يصلى ، فقال له رسول الله ﷺ : يا أبىّ فالتفت أبىّ فلم يجبه ، وصلّى وخفف ثم انصرف فقال : السلام عليك يا رسول الله . قال وعليك السلام : ما منعك أن تجيبنى إذ دعوتك . قال : كنت فى صلاة . قال : أفلم تجد فيما أوحىّ إلى أن استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . قال : لا أعود أن شاء الله . قال : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ، ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها . قال : نعم . قال : كيف تقرأ فى الصلاة . فقرأ أم القرآن فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده ، ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته .

(٤٠) الحديث : رواه البخارى فى فضائل القرآن . باب فضل قل هو الله أحد . وأخرجه أبو داود والنسائى . ونصه عن النبى ﷺ قال لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ أثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم . وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال : الله أحد ، الله الصمد ثلث القرآن . وفى رواية . والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن .

(٤١) البقرة : ١٠٦

(٤٢) فى (أ) : سقط (كل) .

فى الذوات فلا نقول[٤٣] أيضا إن القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس هو شيئا غير البارى تعالى ، برهان ذلك قول الله عز وجل « وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ[٤٤] » .

وقال تعالى « وَتَمَّتْ كَلمةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ[٤٥] » .

وباليقين يدرى كل ذى حس[٤٦] سليم إنما عنى سابق علمه الذى سلف فيما[٤٧] ينفذه ويقضيه .

قال أبو محمد : فهذه خمسة معان يُعبَّر عن كل معنى منها بأنه قرآن ، وبأنه كلام الله تعالى ، ويُخبر عن كل واحد منها أخبارًا صحيحة[٤٨] بأنه قرآن ، وبأنه كلام الله تعالى بنص القرآن والسنة اللذين أجمع عليهما جميع الأمة ، وأما الصَّوْت فهو هواء يندفع[٤٩] من الحلق والصدر والحنك واللسان والأسنان والشفتين إلى آذان السامع . وهو حروف الهجاء ، والهواء وحروف الهجاء[٥٠] وكل ذلك مخلوق بلا خلاف . وقال تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[٥١] » .

وقال تعالى « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٥٢] » .

ولسان العربى ، ولسان كل قوم هى لغتهم ، واللسان[٥٣] واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعانى المعبَّر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة إنما هى الله تعالى والملائكة والمؤمنون[٥٤] وسموات وأرضون وما فيهما من الأشياء وصلاة وزكاة ، وذكر أمم خالية ، والجنّة والنار ، وسائر الطاعات والمعاصى ، كل ذلك مخلوق حاشى الله تعالى وحده لا شريك له ، خالق كل ما دونه ، وأمّا[٥٥] المصحف ، فإنّما هو ورق من جلود الحيوان ، ومركب منها ومن مداد مؤلف من صمغ ، وزاج ، وعفص وماء ، وكل ذلك مخلوق بلا شك ، وكذلك حركة اليد فى خطه ، وحركة اللسان فى قراءته ، واستقرار كل ذلك فى النفوس ، هذه كلها أعراض مْخلوق ، وكذلك عيسى عليه السلام

---

(٤٣) فى (خ) : (فلا نقول) .
(٤٤) يونس : ١٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (ولو كلمة) .
(٤٥) الأنعام : ١١٥
(٤٦) فى (أ) : (كل ذى فهم أنه تعالى إنما) .
(٤٧) فى (أ) : (بما) .
(٤٨) فى الأصل : (صحاحا) .
(٤٩) فى (أ) : (مندفع) .
(٥٠) فى (أ) : تكررت كلمة الهواء بعد حروف الهجاء) فأدت إلى اضطراب المعنى .
(٥١) إبراهيم : ٤
(٥٢) الشعراء : ١٩٥
(٥٣) فى (أ) : (وللسان) وهو تحريف .
(٥٤) فى (أ) : (والنبيون) بدلًا من (والمؤمنون) .
(٥٥) فى (خ) : لم يذكر (أما) .

كلمة الله ، وهو مخلوق بلا شك ، قال الله تعالى « بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمه الْمَسِيحُ عيسى بْنُ مَرْيَمَ[٥٦]» .

وأما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى أصلا . ومن قال إن شيئا غير الله تعالى لم يزل مع الله تعالى فقد جعل لله تعالى شريكا ونقول إن لله تعالى كلاما حقيقة وأنه تعالى كلَّم موسى ، ومن كلم من الملائكة والأنبياء عليهم السلام تكليما حقيقة لا مجازا ، ولا يجوز أن يقال ألبتة إن الله تعالى متكلم ، لأنه لم يسم بذلك نفسه ومن قال إن الله تعالى مكلم موسى لم[٥٧] ننكره لأنه يخبر عن فعله تعالى الذى لم يكن ثم كان . ولا يحل لأحد أن يقول إنما قلنا إن لله تعالى كلاما لنفى الخرس عنه كما[٥٨] ذكرنا قبل من أنه إن كان يعنى الخرس المعهود فإنه لا ينتفى إلا بالكلام المعهود الذى هو حركة اللسان والشفتين . وإن كان إنما ينفى[٥٩] خرسا غير معهود فهذا لا يعقل ، أصلاً ولا يفهم . وأيضا فيلزمه أن نسميه تعالى شَمَّاما لنفى الخشم ومتحركا لنفى الخدر عنه ، وهذا إلحادٌ فى أسمائه تعالى ، لكن لما قال تعالى إن كلامًا ما قلناه وأقررنا به ولو لم يقله تعالى لم نقله ولم يحل لأحد أن يقوله وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعا مستويا[٦٠] صحيحا ، منها أربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق ، لم يجز لأحد ألبتة أن يقول القرآن مخلوق . ولا أن يقول إن كلام الله تعالى مخلوق ، لأن قائل هذا كاذب ، إذا أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن ، واسم كلام الله عز وجل ، ووجب ضرورة أن يقال إن القرآن لا خالق ولا مخلوق ، وإن كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق[٦١]، منه ليست خالقه فلا يجوز[٦٢] أن يطلق على القرآن ، ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ، ولأن المعنى الخامس غير مخلوق ، ولا يجوز أن يطلق صفة البعض على الكل الذى لا تَعمُّه تلك الصفة ، بل واجب أن يطلق بغير[٦٣] تلك الصفة التى

(٥٦) آل عمران : ٤٥
(٥٧) فى (خ) : (فلم) .
(٥٨) فى (أ) : (لما) .
(٥٩) فى (خ) : (يعنى) .
(٦٠) فى (خ) : لم يذكر (مستويا) .
(٦١) فى (خ) : لم يذكر (وإن كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق) .
(٦٢) فى (أ) : (ولا يجوز) .
(٦٣) فى (أ) : (نفى) .

للبعض عن[٦٤] الكل ، وكذلك لو قال قائل إن الأشياء كلها مخلوقة ، أو قال الحق مخلوق أو قال كل موجود مخلوق ، لقال الباطل لأن الله عز وجل شيء موجود وحق[٦٥] وليس مخلوقا ، لكنه إذا قال : الله خالق كل شيء جاز ذلك لأنه قد أخرج بذكره الله تعالى أنه الخالق[٦٦]، كلامه عن الإشكال ، ومثل ذلك فيما بيننا أن ثيابا خمسة ، أربعة منها حمر والخامس غير أحمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا ، ولكان من قال هذه الثياب ليست حمرًا صادقا[٦٧]. وكذلك من قال ، الإنسان طبيب يعنى كل إنسان لكان كاذبا ، ولو قال ، ليس الإنسان طبيبًا يعنى كل إنسان لكان صادقا ، وكذلك لا يجوز أن يطلق أن الحق مخلوق ، ولا أن العلم مخلوق ، لأن[٦٨]اسم الحق يقع على الله تعالى ، وعلى كل موجود ، واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله تعالى ، وهو غير مخلوق ، لكن يقال : الحق غير مخلوق ، والعلم غير مخلوق هكذا جملة ، فإذا بيِّن فقيل : كل حقٍّ دون الله تعالى فهو مخلوق[٦٩]، وكل علم غير علم[٧٠] الله تعالى فهو مخلوق ، فهو كلام صحيح[٧١] وهكذا لا يجوز أن يقال : كلام الله تعالى مخلوق ، ولا أن القرآن مخلوق ، لكن يقال علم الله تعالى غير مخلوق ، وكلام الله تعالى غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ، ولو أن قائلا قال إن الله غير مخلوق[٧٢] وهو يعنى صوته المسموع الألف واللام واللام والهاء أو الحبر الذى كتب هذه الكلمة لكان فى ظاهر قوله عند جميع الأمة كافرا ما لم يبين ، فيقول صوتى أو هذا المكتوب[٧٣] مخلوق .

* * *

قال أبو محمد : فهذه حقيقة البيان فى هذه المسألة الذى لم نتعدَّ فيه ما قاله الله عز وجل ولا ما قاله رسوله ﷺ . وأجمعت الأمة كلها على جملته ، وأوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين . فإن سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضى أن اللفظ المسموع هو

---

(٦٤) فى (أ) : (على) .
(٦٥) فى (أ) : (موجود حق) .
(٦٦) فى (أ) : (أن المخلوق فى كلامه الإشكال) وهو كلام مضطرب .
(٦٧) لأنه فى حالة الإثبات يقع الحكم على الكل . أما فى حالة النفى فإنه فى هذا المثال يقع النفى عن البعض دون البعض الآخر .
(٦٨) فى (خ) : (ولا أن) .
(٦٩) فى (خ) : الكلام من قوله : (والعلم غير مخلوق إلى فهو مخلوق) لم يذكر فيها .
(٧٠) فى (أ) : (دون الله) .
(٧١) فى (خ) : لم يذكر (فهو كلام صحيح) .
(٧٢) فى (أ) : (إن الله مخلوق ... الخ) .
(٧٣) فى (أ) : (الخط) .

غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه ، وهو كلام الله عز وجل نفسه ، كما قال الله تعالى : حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ[٧٤].

وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا ، وأمّا من أفرد السؤال عن الصوت ، وحروف الهجاء ، والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك .

قال أبو محمد : ونقول إن الله تعالى قد قال : ما أتى[٧٥] أنه قاله ، وأنه تعالى لم يقل بعد ما أتى[٧٦] أنه سيقوله ، فى المستأنف لكنه سيقوله ومن تعدَّى هذا فقد أكذب[٧٧] الله تعالى جهارا[٧٨]. وأما من قال إن الله تعالى لم يزل قائلًا « كن » لكل ما كونه أو[٧٩] لما يريد تكوينه ، فإن هذا قول فاحش موجب أن العالم لم يزل ، لأن الله تعالى أخبرنا[٨٠] أنه إذا أراد شيئا فإنّما « أَمْرُه إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون[٨١]» فصح أن كل مكون[٨٢] فإنه أثر قول الله تعالى له « كن » بلا مهلة ، فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا « كن » لكان كل ما يكون لم يزل ، وهذا قول من قال إن العالم لم يزل ، وله مدبر خالق لم يزل ، وهذا كفر مجرد نعوذ بالله . منه . وقول الله تعالى هو غير تكليمه ، لأن تكليم الله تعالى من كلّم[٨٣] فضيلة عظيمة .

قال أبو محمد : قال تعالى « منهم من كلم الله[٨٤]» .

وأما قوله فقد يكون سخطا قال تعالى إنه قال لأهل النار : « أَخْسَئُوا فيها وَلَا تُكَلِّمونِ[٨٥]» .

وقال لإبليس : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدىَّ[٨٦]» .

قَالَ : « فاخْرُجْ مِنْها فإِنَّكَ رَجِيم[٨٧]» .

ولا يجوز أن يقال إبليس كليم الله تعالى ، ولا أن أهل النار كلماء الله تعالى ، وقول الله تعالى

---

(٧٤) التوبة : ٦
(٧٥) فى (أ) : (أخبرنا) بدلًا من (أتى) .
(٧٦) فى (أ) : (أخبرنا) .
(٧٧) فى (أ) : كذَّب
(٧٨) فى (أ) : جهلا .
(٧٩) فى (خ) : لم يذكر (لكل ما كوَّنه أو) .
(٨٠) فى (خ) : (أتى) .
(٨١) يس : ٨٢ والنص : « إنما أمره » .
(٨٢) فى (أ) : فهو كائن إثر قول الله تعالى .
(٨٣) فى (خ) : لم يذكر (من كلم) .
(٨٤) البقرة : ٢٥٣
(٨٥) المؤمنون : ١٠٨
(٨٦) ص : ٧٥
(٨٧) ص : ٧٧ وقد جاءت محرفة فى (أ) : حيث قال : (اخرج منها) .

محدث بالنص ، وبرهان ذلك قول الله تعالى « إِنَّ الَّذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأَيْمَانِهِم ثَمنَاً قَليلًا ، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فى الآخِرةِ وَلَا يُكَلِّمهم الله وَلَا يَنْظُر إِلَيْهِم يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم[٨٨]» .

ثم قال تعالى إنه قال لهم : « إِخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمونِ » .

وقال تعالى « إِنَّهُمْ قَالُوا : « رَبَّنَا هؤلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلِكنْ لَا تَعْلَمُونَ[٨٩]» .

فنص الله تعالى على أنه لا يكلمهم وأنه يقول لهم ، فثبت يقينا أن قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه ، لكن نقول كُلّ كلامٍ وتكليم قولٌ وليس كل قول منه تعالى كلامًا ولا تكليما بنص القرآن . ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إن الله تعالى أخبرنا أنه كلَّم موسى عليه السلام وكلم الملائكة عليهم السلام ، وثبت يقينا أنه كلم محمدا عليه السلام ليلة الإسراء وقال تعالى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّم الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ[٩٠]» .

فخصَّ تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى . وقال تعالى « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءَ[٩١]» .

ففى هذه الآية والحمد لله رب العالمين[٩٢] كثيرًا نصٌّ على تصحيح ما قلناه فى هذه المسألة وما توفيقنا إلا بالله .

فأتى[٩٣] تعالى فى هذه الآية أنه لا يكلم بشرا إلا بأحد هذه الوجوه الثلاثة[٩٤] فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل تكليما[٩٥] منه للبشر ، فصحَّ أن الذى أتتنا به الرسل عليهم السلام هو كلام الله تعالى ، وأنه تعالى قد كلمنا بوحيه الذى أتتنا به رسله عليهم السلام ، وأننا قد سمعنا كلام الله تعالى الذى هو القرآن الموحى إلى النبى بلا شك والحمد لله رب العالمين . ووجدناه تعالى قد سمَّى وحيه إلى أنبيائه عليهم السلام تكليمًا لهم ، ووجدناه تعالى قد ذكر وجها ثالثا وهو التكليم الذى يكون من وراء حجاب وهو الذى فضَّل به بعض النبيين على بعض ، وهذا

---

(٨٨) آل عمران : ٧٧
(٨٩) الأعراف : ٣٨
(٩٠) البقرة : ٢٥٣
(٩١) الشورى : ٥١
(٩٢) فى (أ) : (والحمد O أكبر) وهو تحريف .
(٩٣) فى (أ) : (وأخبرنا) .
(٩٤) فى (أ) : زاد (فقط) .
(٩٥) فى (أ) : زاد (انتقل) .

التكليم يطلق عليه تكليم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام « من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة[٩٦]» .

وأما القسمان الأولان فإنما يطلق عليهما تكليم الله تعالى بصلة لا مجرَّدا فنقول كلَّم الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالوحى إليهم ، ونقول فى القسم الثانى كلمنا الله تعالى به فى القرآن على لسان نبيه ﷺ بوحيه إليه . ونقول قال لنا « وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ[٩٧]» .

ونقول أخبرنا الله تعالى عن موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وعن الجنة والنار فى القرآن وفيما أوحى إلى رسوله ﷺ ، ولو قال قائل : حدثنا الله تعالى عن الأمم السالفة وعن الجنة والنار فى القرآن ، وعلى لسان رسوله ﷺ لكان قولا صحيحا لا مدفع له ، لأن الله تعالى يقول : « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا[٩٨]» .

كذلك نقول : فقص الله تعالى علينا أخبار الأمم فى القرآن . وقال تعالى « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ[٩٩]» ونقول سمعنا كلام الله تعالى فى القرآن حقيقة لا مجازا ، وفضل علينا الملائكة والأنبياء عليهم السلام فى هذا بالوجه الثانى الذى هو تكليمهم بالوحى إليهم فى النوم واليقظة دون وسيطة ، وبتوسط الملك أيضًا ، وفضل بعض الملائكة وبعض الرسل على جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذى هو تكليم فى اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالآذان ، ومعلوم بالقلب زائد على الوحى الذى (هو معلوم بالقلب فقط ، أو مسموع من الملك عن الله تعالى ، وهذا هو الوجه الذى)[١٠٠] خصَّ به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد ﷺ ليلة الإسراء من المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام وسائر من كلمه الله تعالى من النبيين والملائكة عليهم السلام . وقال تعالى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ » .

وقال تعالى « وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلَ فيها[١٠١]» الآية . ولا يجوز أن يكون شيء من هذا بصوت أصلا لأنه كان يكون حينئذ بوسيطة ملك[١٠٢] مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت حينئذ بمنزلة الرعد الحادث فى الجوّ والفزع الحادث فى الأجسام ، والوحى أعلى من هذه منزلة ، والتكليم من وراء حجاب أعلى من سائر الوحى بنصٍّ

(٩٦) القصص : ٣٠
(٩٧) المزمل : ٢٠
(٩٨) النساء : ٨٧
(٩٩) يوسف : ٣
(١٠٠) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .
(١٠١) البقرة : ٣٠
(١٠٢) فى (أ) : سقطت كلمة (ملك) .

القرآن لأن الله تعالى سمى ذلك تفضيلا كما تلونا وكل ما ذكرنا وإن كان يُسمى تكليما فإن التكليم المطلق أعلى فى الفضيلة من التكليم الموصول كما أن كل روح فهو روح الله تعالى على الملك ، ولكن إذ قلنا روح الله تعالى على الإطلاق نعنى جبريل وعيسى عليهما السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما .

قال أبو محمد[١٠٣]: وكذلك إذا قرأنا فى القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازا ، ولا يَحلُّ حينئذ لأحد أن يقول ليس كلامى هذا كلام الله تعالى . وقد أنكر الله تعالى هذا على من قاله إذ يقول تعالى « سَأُرْهِقُه صَعُودًا إِنَّه فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر[١٠٤]» .

* * *

قال أبو محمد : وكذلك يقول أحدنا : دينى هو دين محمد ﷺ ، وإذا عمل عملا أوجبته سنة ، قال عملى هذا هو عمل رسول الله ﷺ ، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يقول : دينى غير دين رسول الله ﷺ ، ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة ، وكذلك ليس له أن يقول إذا عمل عملا جاءت به السنة عن رسول الله ﷺ : هذا غير عمل رسول الله ﷺ ، ولو قاله لأُدّب ولكان كاذبا وكذلك يقول أحدنا دينى هو دين الله عز وجل يريد الذى أمر به عز وجل ، ولو قال دينى هو غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالرِّدة ، وكذلك نقول إذا حدث أحدنا حديثا عن رسول الله ﷺ صحيحا : كلامى هذا هو نفس كلام رسول الله ﷺ ، ولو قال كلامى هذا هو غير كلام رسول الله ﷺ لكان كاذبا ، وهذه أسماء أوجبتها ملة الله عز وجل وأجمع عليها أهل الاسلام ، ولم يخف علينا ولا على أحد من المسلمين أن حركة لسان رسول الله ﷺ غير حركة ألسنتنا ، وكذلك حركات أجسامنا فى العمل ، وكذلك ما توصف النفوس به من العلم ولكن التسمية فى الشريعة ليست إلينا إنما هى لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فمن خالف هذا كان كمن قال : فرعون[١٠٥]

---

(١٠٣) فى (أ) : جاءت هذه العبارة هكذا (وإذا قرأنا القرآن ..) .

(١٠٤) المدثر : ١٧ - ٢٤

(١٠٥) فرعون اسم أعجمى ممنوع من الصرف ، والجمع فراعنة ، وهو اسم لكل من ملك مصر (قديما) فإذا أضيفت إليها الإسكندرية سمى عزيزًا واختلف فى اسمه فقيل : مصعب بن الوليد ، وقيل ريان بن الوليد وقيل الوليد بن ريان وكان أصله من خراسان من مدينة بسورمان ، وقيل من قرية مجهولة تسمى نوشخ ، ولما قعد على سرير الملك قال : أين عجائز نوشخ ، وقد صدر منه ما لم يصدر من أحد من الكفار والمتمردين ولا من قائدهم إبليس منها انكار العبودية ودعوى الربوبية بقوله : أنا ربكم الأعلى ومنها نكال زوجته وقتلها أشد قتله بسبب إيمانها بالله ، ومنها جمع السحرة لمعارضة الأنبياء . (بصائر ذوى التميز حـ ٦ ص ٦٩) .

وأبو جهل[١٠٦] مؤمنان ، وموسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم كافران . فإذا قيل له فى ذلك ، قال أو ليس فرعون وأبو جهل مؤمنين بالكفر وموسى ومحمد كافرين بالطاغوت ، فهذا وإن كان لكلامه مخرج صحيح فهو عند أهل الإسلام كافر بتعديه ما أوجبته الشريعة من التسمية ، وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عندما أوجبه الله تعالى فى دينه ، فمن تعَدَّى ذلك وزعم أنه اتبع دليل عقله فى خلاف ذلك فليعلم أنه قد فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة ، وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال الله تعالى « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِين نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصْلِه جَهَنَّم وَسَاءَتْ مَصِيرًا[١٠٧]» .

ونعوذ بالله من ذلك .

قال أبو محمد : وقال بعضهم فإذا سمعنا كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام ، فأى فرق بيننا وبينه . قلنا أعظم فرق : هو أن موسى عليه السلام والملائكة سمعوا الله تعالى يكلمهم ، ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن مسعود[١٠٨] رضى الله عنه إذ أمره أن يقرأ القرآن فقال ابن مسعود يا رسول الله أقرؤه عليك وعليك أنزل ، قال إنى أحب أن أسمعه من غيرى[١٠٩]. فصح يقينا أن القرآن الذى أنزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره .

وقالوا فكلام الله تعالى إذن يحلّ فينا ؟ قلنا هذا تهويل بارد . ونعم إذا سمى الله تعالى كلامنا إذا قرأنا كلاما له تعالى فنحن نقول بذلك ، ونقول إن كلام الله تعالى فى صدورنا وجارٍ على ألسنتنا ومستقر فى مصاحفنا ، ونبرأ ممن أنكر ذلك بعقله[١١٠] الفاسد ، المخرج له من الإسلام ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٠٦) أبو جهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى ، أشد الناس عداوة للنبى ﷺ فى صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها فى الجاهلية ، أدرك الإسلام وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون « أبا جهل » شهد وقعة بدر مع المشركين فقتل عام ٢ هـ . (الأعلام ح ٥ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢) .

(١٠٧) النساء : ١١٥

(١٠٨) عبد الله بن مسعود : هو بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى من أكابرهم فضلًا وعقلًا وقربًا من الرسول ﷺ وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادم الرسول الأمين ، وصاحب سره ورفيقه فى حله وترحاله وغزواته ، وولى بعد وفاة الرسول بيت المال الكوفة له ٨٤٨ حديثا توفى عام ٣٢ هـ . الأعلام حـ ٤ صـ ٢٨٠

(١٠٩) الحديث رواه البخارى فى التفسير فى سورة النساء ، وفى فضائل القرآن ٣٢ ، ٣٥ ورواه الإمام مسلم فى المسافرين ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ورواه أبو داود فى العلم ١٣ والترمذى فى تفسير سورة النساء .

(١١٠) فى (أ) : بقوله .

« الكلام فى إعجاز القرآن »

قال أبو محمد : قد ذكرنا قيام البرهان على[1] أن القرآن معجز لا يقدر أحد على مثله قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله ﷺ الناس[2] أن يأتوا بمثله ، وتبكيتهم بذلك فى محافلهم ، وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر ، وأجمع المسلمون على ذلك . ثم اختلف أهل الكلام[3] على خمسة أنحاء من هذه المسألة . فالنحو الأول . قول روى عن الأشعرى : وهو أن المعجز الذى يتحدى[4] الناس بالمجىء بمثله هو الأول[5] الذى لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ، ولا أنزل[6] إلينا ولا سمعناه وهذا كلام فى غاية النقصان والبطلان ، إذ من المحال أن يكلف أحد أن يجىء بمثل ما لم يعرفه قط ولا سمعه ، فيلزمه ولابدّ بل هو نفس قوله إنه اذا لم يكن المعجز إلا ذلك فإن المسموع المتلوّ عندنا ليس معجزا بل مقدورًا عليه[7]، أو على مثله ، وهذا كفر مجرد ولا خلاف فيه ، وأيضًا فإنه خلاف[8] القرآن لأن الله تعالى ألزمهم بسورة أو بعشر سور منه . وكذلك[9] الكلام ليس هو عند الأشعرية سورا ولا هو كثيرا بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين . وله قول آخر كقول المسلمين . إن المتلو هو المعجز .

والنحو الثانى : هل الإعجاز متمادٍ أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة به فى حياة رسول الله ﷺ ؟ فقال بعض أهل الكلام إن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ، ولو عورض

---

(١) فى (أ) : عن .
(٢) فى (أ) : (كل من ذكرنا) بدلًا من (الناس) .
(٣) فى (أ) : (فى) .
(٤) فى (أ) : (تحدّى) .
(٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الأول) .
(٦) فى (أ) : نزل .
(٧) فى (أ) : لم يذكر (عليه أو) .
(٨) فى (أ) : (خلاف للقرآن) .
(٩) فى (أ) : وذلك الكلام الذى هو عند الأشعرى هو المعجز ليس له سورًا ولا كثيرًا .

لم تبطل بذلك الحجة التى قد صحت ، كما أن عصا موسى عليه السلام إذا[١٠] قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ، ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت . وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت . وكذلك سائر الآيات . وقال جمهور أهل الإسلام إن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة ، والآية بذلك باقية إلى يوم[١١] القيامة كما كانت ، وهذا هو الحق الذى لا يحل القول بغيره لأنه نص قول الله عز وجل إذ يقول : « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأنْسُ وَالجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرَآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا[١٢] ».

فهذا نص جلى[١٣] على أنهم لا يأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقينا أن ذلك على الأبد[١٤] وفى المستأنف أبدا . ومن ادَّعى بأن المراد بذلك الماضى فقد كذب ، لأنه لا يجوز أن تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل إلى معنى الماضى إلا بنص آخر جلى وارد بذلك أو بإجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره ، أو ضرورة ولا سبيل فى هذه المسألة إلى أحد هذه[١٥] الوجوه . وكذلك قوله تعالى « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَّعَتِ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ عَلَى اَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقرْآنِ » عموم كل إنس وجن أبدًا ، لا يجوز تخصيص شئٍ من ذلك بغير نص[١٦] ولا إجماع .

قال أبو محمد : ومن قال بالوقف وأنه ليس للعموم صيغة ، ولا للظاهر فلا حجة ههنا تقوم على الطائفة المذكورة . فصح أن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .

والنحو الثالث : مالمعجز منه ؟ أنظمه ؟ أم نصه[١٧] من الإنذار بالغيوب ؟ فقال بعض أهل الكلام ، ان نظمه ليس معجزا وإنما إعجازه ما فيه من الإخبار بالغيوب ، وقال سائر أهل الإسلام : بل كلا الأمرين ؛ نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب ، وهذا هو الحق الذى ما خالفه فهو باطل[١٨]. برهان ذلك قول الله عز وجل « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ[١٩] » فنص تعالى على أنهم لا يأتون بمثل سورة من سوره وأكثر سوره ليس فيها إخبار بغيب فكان من جعل المعجز فيه الإخبار بالغيوب مخالفا نص الله تعالى على أنه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العالمين .

---

(١٠) فى (أ) : (إذ) .
(١١) فى (أ) : (أبدًا) .
(١٢) الاسراء : ٨٨
(١٣) فى (أ) : (جرى) وهو تحريف .
(١٤) فى (أ) : (التأبيد) .
(١٥) فى (أ) : (إلى شئ) .
(١٦) فى (أ) : (وبغير ضرورة) .
(١٧) فى (أ) : (فى نصه) .
(١٨) فى (أ) : (ضلال) .
(١٩) البقرة : ٢٣

والنحو الرابع ما وجه إعجازه : فقالت طائفة : وجه إعجازه كونه فى أعلى مراتب البلاغة .

وقالت طوائف إنما وجب[٢٠] إعجازه لأن الله تعالى منع الخلق من القدرة على معارضته فقط . فأما الطائفة التى قالت إنما إعجازه لأنه فى أعلى رتب[٢١] البلاغة فإنهم شغبوا فى ذلك ، بأن ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى « وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[٢٢]» ونحو هذا ، وموّه بعضهم بأن قال لو كان ما تقولون من أن الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ .

قال أبو محمد : ما نعلم لهم شغبا غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه ، أما قولهم لو كان كما قلنا لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام ، وكانت الحجة بذلك أبلغ فهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه :

أحدها : أنه قول بلا برهان لأنه يعكس عليه قوله نفسه ، فيقال له بل لو كان إعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه . لأن هكذا[٢٣] كان يكون كل من كان فى أعلى طبقة . وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم .

وثانيها : أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل . ولا يقال له لم عجزّت بهذا النظم دون غيره ، ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره ؟ ولم قلبت عصا موسى عليه السلام حية دون أن تقلبها أسدا ؟ وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية أن تكون خارجة عن المعهود فقط .

وثالثها : أنهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم أن يقولوا هلّا كان هذا الإعجاز فى كلام بجميع اللغات فيستوى فى معرفة إعجازه العرب والعجم لأن العجمْ لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بإخبار العرب فقط ، فبطل هذا الغث الفث والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وأما ذكرهم « ولكم فى القصاص حياة » . وما كان وما نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم إن كان ما تقولون ومعاذ الله تعالى من ذلك فإنما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة ، وأما سائره فلا . وهذا كفر لا يقول به مسلم . فإن قالوا جميع القرآن مثل هذه الآيات فى الإعجاز ، قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها إذن ؟ وهل هذا منكم إلا إيهام لأهل الجهل أن من القرآن معجزًا وغير معجز .. ؟ ونقول لهم قول الله تبارك

---

(٢٠) فى (أ) : وجه .
(٢١) فى (أ) : (درج) .
(٢٢) البقرة : ١٧٩ .
(٢٣) فى (أ) : (لأن هذا يكون) .

وتعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا[٢٤] » .

أمعجز هو على شروطكم فى كونه فى أعلى درجات البلاغة أم ليس معجزا ؟ فإن قالوا ليس معجزا كفروا ، وإن قالوا : هو معجز صدقوا . وسئلوا : هل على شروطكم فى أعلى درج البلاغة ؟ فإن قالوا نعم . كابروا وكفوا مؤنتهم لأنها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم فى البلاغة . وأيضا فلو كان إعجاز القرآن لأنه فى أعلى درجات البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسَهْل بن هارُون[٢٥] والجاحظ ، وشعر امرىء القيس[٢٦] ومعاذ الله من هذا لأن كل ما سبق فى طبقته فما يؤمن[٢٧] أن يأتى[٢٨] من مماثل بمثله ضرورة فلابد لهم من هذه الخطة أو من المصير إلى قولنا إن الله تعالى منع من معارضته فقط ، وأيضا فلو كان إعجازه من أنه فى أعلى درج البلاغة المعهودة لوجب أن يكون ذلك للآية[٢٩] ولما هو أقل من الآية ، وهذا ينقض قولهم إن المعجز منه ثلاث آيات لا أقل ، فإن قالوا فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بأنه فى أعلى درج البلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن كنتم تريدون أن الله تعالى قد بلغ به ما أراد به ، فنعم هو بهذا المعنى فى الغاية التى لا شئ . وأبلغ منها . وإن كنتم تريدون هل هو فى أعلى درج بلاغة المخلوقين فلا ، لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أن إنسانًا لو أدخل فى رسالة أو خطة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك . فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله تعالى تولّى[٣٠] منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق .

برهان ذلك أن الله تعالى حكى عن قوم من أهل النار أنهم يقولون إذا سئلوا عن سبب

---

(٢٤) النساء : ١٦٣

(٢٥) هو : سَهْل بن هارُون بن راهبون أبو عمر الدّستميانى ، يلقب « بزر جمهر » الإسلام ، فارس الأصل اشتهر بالبصرة ، واتصل بخدمة هارون الرشيد ، ثم خدم المأمون فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد ، وكان شعوبيًا يتعصب للعجم على العرب ، والجاحظ كثير الإعجاب به . له كتاب « ثعلة وغفرة » على نسق كتاب « كليلة ودمنة » ألفه للمأمون ، وكتاب الاخوان و« الرسائل » ولا نعلم شيئًا عن مصير كتبه إلا رسالة فى البخل أوردها ابن عبد ربه فى العقد توفى عام ٢١٥ هـ . (الأعرم صـ ٢٢١ حـ ٣) .

(٢٦) امرىء القيس : هو امرؤ القيس بن عانس بن المنذر امرؤ القيس بن السمط بن عمر وبن معاوية ، من كنده ، شاعر مخضرم ، من أهل حضرموت ولد بها فى مدينة « تريخ » وأسلم عند ظهور الإسلام ، ووصول الدعوة إلى بلاده ، ووفد على النبى ﷺ . تم لما ارتدت حضرموت ، ثبت على إسلامه ، وشهد فتح حصن البخير . وانتقل فى أواخر عمره إلى الكوفة فتوفى بها ٢٥ هـ وهو صاحب القصيدة :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد

وفى الرواية من ينسبها إلى امرىء القيس بن حجر ، والصحيح أنها لابن عانس كما حققه العينى (الأعلام) . وليس ثمة مانع من أنه ربما قصد امرأ القيس بن حجر ، والشاعر الجاهلى لأنه من أصحاب المعلقات . وهو شاعر معروف .

(٢٧) فى (أ) : لم يؤمن .

(٢٨) فى (أ) : أن يأتى من يماثله .

(٢٩) فى (أ) : (الآية) .

(٣٠) فى (أ) : لم يذكر (تولى) .

دخولهم النار : « قالوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّين ، ولم نَكُ نُطْعِمُ المِسْكين ، وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين . وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيوْمِ الدِّين . حَتَّى أَتَانَا الْيَقين[٣١].

وحكى تعالى عن كافر قال : « إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبِشَرِ سَأُصْلِيه سَقَر[٣٢]» .

وحكى عن آخرين أنهم قالوا : « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعا . أَو تكُونَ لك جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَها تَفْجيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَينا كِسَفًا . أَوْ تَأْتِي بالله والملائكةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ ترقِي فى السَّماء ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ . قُلْ سُبْحانَ رَبى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رسُولًا[٣٣]» .

وكان هذا كله إذ قاله غير الله تعالى غير معجز بلا خلاف ، إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام إن كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلامًا له أصاره معجزا ، ومنع من مماثلته . وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره والحمد لله .

النحو الخامس : ما مقدار المعجز منه ؟ فقالت الأشعرية ومن وافقهم إن المعجز إنما هو مقدار أقل سورة منه وهو « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر[٣٤]» . فصاعدا وأن ما دون ذلك ليس معجزا . واحتجوا لذلك بقول الله تعالى « قل فَأْتُوا بِسُورة منْ مِثْلِه » . قالوا ولم يتحدَّ تعالى بأقل من ذلك . وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز ، وهذا هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا حجة لهم فى قول الله تعالى « قُلْ فَأْتُوا بِسُورَة من مِثْلِهِ » لأنه تعالى لم يقل إن ما دون السورة ليس معجزا ، بل قد قال تعالى « علَى أَنْ يَأْتُوا بِمَثْلِ هَذَا القرُآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِه[٣٥]» .

ولا يختلف اثنان فى أنَ كل شيْء من القرآن وكل شيْء من القرآن معجز ، ثم نعارضهم فى تحديدهم[٣٦] المعجز بسورة فصاعدًا . أخبرونا : ماذا تعنون بقولكم إن المعجز مقدار سورة ؟ أسورة كاملة لا أقل ؟ أم مقدار الكوثر من[٣٧] الآيات . مقدارها فى الكلمات ؟ أم مقدارها فى الحروف ؟

(٣١) المدثر : ٤٣ - ٤٧
(٣٢) المدثر : ٢٤ - ٢٦
(٣٣) الإسراء : ٩٠ - ٩٣
(٣٤) سورة الكوثر : ١
(٣٥) الإسراء : ٨٨
(٣٦) فى (خ) : فى تحديهم
(٣٧) فى (أ) : (فى) .

ولا سبيل إلى وجه خامس . فإن قالوا المعجز سورة تامة لا أقل ، لزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرها أو من ثلثها أو من[٣٨] نصفها أو من أولها ليست معجزة . وهكذا كل سورة . وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة فى القرآن سوى كلمة من أولها أو من وسطها أو من آخرها مقدورًا على مثلها ، وإن قالوا بل مقدارها فى الآيات لزمهم أن آية الدَّيْن ليست معجزة ، لأنها ليست ثلاث آيات ، وأن آية الكرسى ليست معجزة لأنها ليست ثلاث آيات[٣٩]، ولزمهم مع ذلك أن « وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ وَالْوَتْرِ » . معجز كآية الكرسى وآيتان لأنها ثلاث آيات . وهذا غير قولهم ، ومكابرة ظاهرة أن تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غير معجز ، ولزمهم أيضا أن « والضُّحَى والْفَجْر والعصر » . هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لأنهن ثلاث آيات . فإن قالوا هى مفترقات غير متصلات لزمهم إسقاط الإعجاز عن ألف آية مفترقة وإمكان المجىء بمثلها . ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الإسلام وأبطل الإعجاز عن القرآن ، وفى هذا كفاية لمن نصح نفسه ، ولزمهم أيضا أن قوله تعالى « ولَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » ليس معجزا ، وهذا نقض لقولهم : إنه فى أعلى درج البلاغة . وكذلك كل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الإسلام وعن المعقول . وإن قالوا بل فى عدد الكلمات ، أو قالوا عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم .

أحدهما إبطال احتجاجهم[٤٠] بقوله[٤١] تعالى « بسورة من مثله » لأنهم جعلوا معجزا ما ليس بسورة ، ولم يقل تعالى بمقدار سورة فلاح تمويههم . والثانى : أن سورة الكوثر عشر كلمات اثنان وأربعون حرفا وقد قال تعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإسمـٰعيل واسْحَق وَيَعْقُوبَ والْأَسْبَاطِ وعِيسَى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وَهارون وسُلَيْمانَ وآتَيْنَا دَاودَ زَبُورًا[٤٢]» .

أثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا وإن اقتصرنا على الأسماء فقط كانت عشرة كلمات ، اثنين وستين حرفا هذا أكثر كلمات وحروفًا من سورة الكوثر فينبغى أن يكون هذا معجزا عندكم ويكون : « ولَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ » غير معجز فإن قالوا إن هذا غير معجز تركوا قولهم فى مقدار إعجاز أقل سورة فى القرآن ، فى عدد الكلمات وعدد الحروف ، وإن قالوا بل هو معجز تركوا قولهم فى أنه فى أعلى درج البلاغة ويلزمهم أيضا أننا إن أسقطنا من هذه الأسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمة[٤٣] ألّا يكون شىء من ذلك معجزا فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده .

---

(٣٨) فى (أ) : لا يوجد (من ثلثها أو من نصفها) .
(٣٩) فى (أ) : لم يذكر (وأن آية الكرسى ليست معجزة لأنها ليست ثلاث آيات) .
(٤٠) فى (أ) : (احتياجهم) وهو تحريف .
(٤١) فى (أ) : (بقولهم) وهو تحريف ظاهر .
(٤٢) سورة النساء آية رقم ١٦٣ .
(٤٣) فى (أ) : (كلمات) .

وأيضا فإذا كانت الآية والآيتان منه غير معجزة وكان مقدورًا على مثلها فكل آية على انفرادها مقدور على مثلها . وإذا كان كذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر . فإن قالوا إذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها . قيل لهم هذا غير قولكم إن اعجازه إنما هو من طريق البلاغة فى الآية كهو فى الثلاث ولا فرق . والحق فى هذا هو ما قاله الله تعالى « قل لئن اجتمعت الإِنسِ والجن عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآن لَايَأْتُونَ بِمِثْله[٤٤]» وإن كل كلمة قائمة المعنى نعلم أنها إن تليت أنها من القرآن فإنها معجزة لا يقدر أحد على المجىء بمثلها أبدا ، لأن الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك كمن قال إن آية نبوتى أن الله تعالى يطلقنى على المشى فى هذا الطريق الواضح ثم لا يمشى فيه أحد غيرى أبدا أو مدة يسميها[٤٥] فهذا أعظم ما يكون من الآيات وأن الكلمة المذكورة[٤٦] إذا ذكرت فى خير على أنها ليست قرآنا فهى غير معجزة ، وهذا هو الذى جاء به النص والذى عجز عنه أهل الأرض منذ أربعمائة عام وأربعين عاما وإلى أن يرث الله[٤٧] الأرض ومن عليها ونحن نجد فى القرآن الكريم إدخال معنى بين معنيين ليس منهما كقوله تعالى « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَابَيْنَ ذَلِكَ[٤٨]» وليس هذا من بلاغة الناس فى ورد ولا صدر ومثل هذا فى القرآن كثير والحمد لله رب العالمين . تم الكلام فى التوحيد ونحمد الله تعالى .

---

(٤٤) الإسراء : ٨٨
(٤٥) فى (خ) : لم يذكر (أو مدة يسميها) .
(٤٦) فى (أ) : زاد (أنها منى) .
(٤٧) فى (أ) : لم يذكر (وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) .
(٤٨) مريم : ٦٤

« الكلام فى القدر »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الباب . فذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة أصلا له وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة[1]، وذهبت طائفة أخرى . إلى أن الإنسان ليس مجبرا وأثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل ما اختار فعله . ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت إحداهما : الاستطاعة التى يكون الفعل بها لا يكون إلا مع الفعل ولا تَتقدمه ألبتة ، وهذا قول طوائف من أهل السنة[2] ومن وافقهم كالنجار[3] والأشعرى وأصحابهما ومحمد بن عيسى[4] برغوث الكاتب ، وبشر بن غَيَّاث[5] المريسى ، وأبى عبد الرحمن العطوى[6] وجماعة من المرجئة والخوارج ، وهشام[7] بن الحكم وسليمان[8] بن جرير وأصحابهما . والقول الأول

---

(١) الأزارقة : طائفة أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها فى أيام عبد الله بن الزبير ، وقتلوا اعماله بهذه النواحى ، وقد تغلب عليهم المهلب بن أبى صفرة فى أيام الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقد كفَّروا على بن أبى طالب لقبوله التحكيم (الملل والنحل للشهرستانى : ١٧٩/١ وما بعدها بتصرف) .

(٢) فى (أ) : من أهل الكلام .

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار أبو عبد الله . كان من جملة المجبرة ومتكلميهم ، واختير رئيسا لفرقة النخارية ، وله مع النظام مجالس ومناظرات وله كتب الاستطاعة ، والإرجاء ، والقضاء والقدر ، وقد أخذ عن بشر المريسى مذهبه . (فهرست النديم : ٢٥٤) .

(٤) هو محمد بن عيسى الملقب ببرغوث الكاتب . رأس البرغوثية . ورد فى مختصر الفرق بين الفرق (١٢٦) وجاء فى اعتقادات الرازى برغوسية بالسين وهو خطأ . (هامش الملل والنحل حـ ١ ص ١١٦) .

(٥) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غَيّاث المريسى الفقيه الحنفى المتكلم ، وهو من موالى زيد بن الخطاب ، أخذ الفقه عن أبى يوسف إلّا أنه اشتغل بالكلام ، وصرح بالقول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة ، تنسب إليه الفرقة المريسيّة ، وناظر الإمام الشافعى توفى سنة ٢١٨ هـ . (وفاة الوفيات : ١١٣/١) .

(٦) أبو عبد الرحمن العطوى : محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية أبو عبد الرحمن العطوى ، الكنانى بالولاء مولى بنى ليث بن بكر من كنانه من شعراء الدولة العباسية ، مولده ومنشأه بالبصرة كان معتزليًا ، يعد من المتكلمين الحذاق ، يذهب مذهب الحسين بن محمد النجار اشتهر فى أيام المتوكل ، واتصل بابن أبى داود وحظى عنده وكان منهومًا بالنبيذ ، وله فيه أشعار كثيرة . (الأعلام حـ ٧ ص ٦١) .

(٧) هو : هشام بن الحكم أبو محمد الشيبانى من أهل الكوفة سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ومشهوريهم ، وكان مجسِّمًا ، من الغلاة ، يقول بالجبر الشديد ، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد ، له مصنفات كثيرة ، وخبرة بصناعة علم الكلام ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . مات بعد نكبة البرامكة مستترا ، وقيل عاش إلى خلافة المأمون (لسان الميزان : ١٩٤/٦) .

(٨) هو : سليمان بن جرير أحد الشيعة ، كان يقول إن الصحابة تركوا الأصلح بترك مبايعة على لأنه كان أولاهم بها ، وكفر عثمان بما ارتكب من الأحداث فكفره أهل السنة بتكفير عثمان ، وقد ظهر أيام الخليفة المنصور (لسان الميزان : ٨٠/٣) .

قول جهم ابن صفوان وجماعة من الأزارقة . وقالت الأخرى إن الاستطاعة التى بها يكون الفعل هى قبل الفعل موجودة فى الإنسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب[٩] ويونس ابن عون[١٠] وصالح[١١] قبه والناشيء[١٢] وجماعة من الخوارج والشيعة . ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة : إن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضا للفعل ولتركه وهو قول بشر[١٣] ابن المعتمر البغدادى ، وضرار[١٤] بن عمرو الكوفى ، وعبد الله بن غطفان ، ومعمر بن عمرو العطار[١٥] البصرى ، وغيرهم من المعتزلة ، وقال أبو الهذيل[١٦] محمد بن الهذيل العبدى البصرى العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل ألبتة ولا تكون قبله ولابد وتفنى مع أول وجود الفعل . وقال أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام وعلى[١٧] الأسوارى وأبو بكر[١٨] بن عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، ليست الاستطاعة شيئا غير نفس المستطيع ، وكذلك أيضا قالوا فى العجز إنه ليس شيئا غير العاجز ، إلا النظام فإنه قال هو آفة دخلت على المستطيع .

قال أبو محمد : فأما من قال بالإجبار فإنهم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعّالا ، وكان

---

(٩) هو : محمد بن شبيب الدمشقى . وهو غير محمد بن شبيب الزهرانى البصرى الذى روى عن الشعبى والحسن ، فإنه محدث ثقة . أما الدمشقى فهو من أصحاب النظام ، وممن جمع فى القول بالإرجاء والقدر (تهذيب التهذيب : ٢١٨/٩) .

(١٠) هو : يونس بن عون النميرى ، وأتباعه اليونسية : وهم غير اليونسية أتباع يونس ابن عبد الرحمن القنى الذين يزعمون أن النصف الأعلى لله مجوّف ، والأدنى مسمط ، وهؤلاء من الإمامية ، أما أتباع ابن عون فمن المرجئة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن . (اعتقادات فرق المسلمين : ٧٤ والملل والنحل : ٢٢٣/١) .

(١١) هو : أبو جعفر صالح بن محمد بن قبه من متكلمى الشيعة ، وهو من الطبقة السابعة خالف الجمهور فى أمور منها : كون المتولّدات فعل الله ابتداء ، وكون الإدراك معنى وله كتب كثيرة . (فرق وطبقات المعتزلة : ٧٨ تحقيق على سامى النشار) .

(١٢) الناشيء : هو على بن عبد الله بن وصيف ، أبو الحسن الحلاء المعروف بالناشيء الأصغر ، كان إماميًا له قصائد فى أهل البيت ، أخذ علم الكلام عن ابن نوبخت وغيره ، وصنف كتبًا توفى ببغداد عام ٣٦٦ هـ وكان جده « وصيف » مملوكًا ، وأبوه عبد الله عطارًا .

(١٣) هو : أبو سهل : بشر بن المعتمر الهلالى من أهل بغداد ، وقيل بل من أهل الكوفة ولعله كان كوفيا ثم انتقل إلى بغداد ، وهو رئيس معتزلة بغداد ، وله قصيدة من ٤٠ أربعين ألف بيت ، ردّ فيها على جميع المخالفين . حبسه هارون الرشيد عندما قيل له إنه رافضى توفى فى حلول سنة ٢١٠ هـ وكان زعيما للبشرية ، وقد كفره إخوانه من القدرية فى أمور (فرق وطبقات المعتزلة : ٦٢ ، ٦٣ بتصرف) .

(١٤) هو : ضرار بن عمرو القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة . ذكره صاحب كتاب الفهرست وذكر له ثلاثين كتابا فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج ، والروافض . شهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب . وأخفاه يحى بن خالد ، يعدّ من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان : ٢٠٣/٣) .

(١٥) معمر بن عمرو العطار : أحد شيوخ المعتزلة : قال ابن حزم كان يقول : النفس جوهر ، وليس جسمًا ، ولا عرضًا ولا لها طول ولا عرض ، ولا عمر ولا هى فى مكان ، وهى الفاعلة المدبرة . (لسان الميزان حـ ٦ ص ٦٨) .

(١٦) هو : أبو الهذيل : محمد بن الهذيل العبدى . كان مولى لعبد القيس ، وكان يلقب بالعلّاف لأن داره بالبصرة كانت فى العلّافين . له ستون كتابًا فى الرد على المخالفين فى دقيق الكلام وجليله . انصرف إلى الكوفة ، والتقى بهشام بن الحكم وجماعة من المخالفين فناظرهم فقطعهم . توفى سنة ٢٣٥ هـ . (فرق وطبقات المعتزلة : ٥٤ ، ٥٥ بتصرف) .

(١٧) على الاسوارى : هو من أصحاب أبى الهذيل وأعلمهم ثم انتقل إلى النظام . وروى أنه صعد بغداد لفاقة لحقته فلقى النظام فسأله ما جاء بك ؟ فقال : الحاجة . فأعطاه ألف دينار وقال له : ارجع من ساعتك . فيقال : إن النظام خاف أن يراه الناس فيفضلونه عليه . (فرق وطبقات المعتزلة : ٧٧) .

(١٨) هو : أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم . كان من أفصح الناس وأفقههم فى زمانه . حكى عنه أنه كان يخطيء عليا عليه السلام فى كثير من أفعاله ويصوّب معاوية فى بعض أفعاله . قال القاضى عبد الجبار وكان يجر منه حيف عظيم على أمير المؤمنين . وكان بعض أصحابه يعتذر عنه وله تفسير عجيب ، وكاتبه السلطان ، ولأبى الهذيل معه مناظرات . (فرق وطبقات المعتزلة : ٦٥ ، ٦٦ بتصرف) .

لا يشبهه شئ من خلقة وجب أن لا يكون أحد فعّالا غيره ، وقالوا أيضا معنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنما كما نقول مات زيد ، وإنما الله تعالى أماته وقام البناء وإنما أقامه الله تعالى .

قال أبو محمد : خطأ هذه المقالة ظاهر بالحس وبالنص وباللغة التى بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم . فأما النص فإن الله عزَّ وجل قال فى غير موضع من القرآن « جَزَاءً بِما كَانُوا يَعْمَلُون[١٩] » وقال تعالى « يَا أَيُّهاَ الَّذينَ آمَنُوا لِم تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُون[٢٠] » وقال تعالى « إِنَّ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[٢١] » فنص على أن لنا[٢٢] عملا وفعلًا . وأما الحس فإن الحواس وبضرورة العقل وبديهته علمنا يقينا عملا لا يخالج فيه الشك أن بين الصحيح الجوارح وبين من لا صحة لجوارحه فرقا لائحًا لجوارحه ، لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لهادون مانع ، وأن الذى لا صحه لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا ، ولا بيان أبين من هذا الفرق والمجبر فى اللغة هو الذى يقع منه الفعل بخلاف اختياره وقصده ، فأما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى فى اللغة مجبرا[٢٣]. وإجماع الأمة كلها على لا حول ولا قوة إلا بالله مبطل قول المجبرة وموجب أن لنا حولا وقوة ولكن لم يَكن لنا ذلك إلا بالله تعالى ولو كان ما ذهبت إليه الجهمية لكان القول « لا حول ولا قوة إلا بالله » لا معنى له ، وكذلك قوله تعالى « لِمَنْ شَاءَ مِنْكَمْ أَنْ يَسْتَقِيم وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمين[٢٤] » فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منّا إلا أن يشاء الله تعالى كونها وهذا نص قولنا والحمد لله .

* * *

قال أبو محمد : ومن عرف عناصر الأشياء من الواجب والممكن والممتنع أيقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها ، لأن الحركة الاختيارية بأول الحس هى غير الاضطرارية ، وأن الفعل الاختيارى من ذى الجوارح المعوقة ممتنع وهو من ذى الجوارح الصحيحة ممكن ، وإننا بالضرورة ندرى أن المقعد لو رام القيام جهده لما أمكنه ونقطع يقينا أنه لا يقوم ، وأن الصحيح الجوارح لا ندرى إذا رأيناه قاعدا أيقوم[٢٥] أم يتكئ أم يتمادى على قعوده ، وكل ذلك

---

(١٩) الأحقاف : ١٤
(٢٠) الصف : ٢
(٢١) الكهف : ٣٠ ، ١٠٧
(٢٢) فى (أ) : فنص على أننا نعمل ونفعل ونصنع .
(٢٣) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (وقصده .. إلى اللغة) .
(٢٤) التكوير : ٢٨ ، ٢٩
(٢٥) فى (أ) : (يقوم) .

ممكن منه . وأمّا من طريق اللغة فإن الإجبار والإكراه والاضطرار والغلبة أسماء مترادفة ولكنها واقع على معنى واحد لا يختلف وقوع الفعل ممن لا يؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلافه ألبتة . وأما من آثر ما يظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل إليه هواه فلا يقع عليه إسم إجبار ولا اضطرار ، لكنه مختار والفعل منه مراد متعمَّد مقصود ونحو هذه العبارات فى هذا المعنى فى اللغة العربية التى بها نتفاهم ، فإن قال قائل فلم أبيتم ههنا من إطلاق لفظة الاضطرار وأطلقتموها فى المعارف فقلتم إنها باضطرار ، وكل ذلك عندكم خلق الله فى الإنسان فالجواب أن بين الأمرين فرقا بينا وهو أن الفاعل متوهم منه ترك فعله ، وممكن ذلك منه وليس كذلك الذى عرفه ببرهان ، لأنه لا يتوهم ألبتة إنصرافه عنه ، ولا يمكنه فى ذلك أصلا فصح أنه مضطر إليها . وأيضا فقد أثنى الله تعالى على قوم دعوه فقالوا « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ[٢٦] »، وقد علمنا أن الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة فى اللغة العربية ألفاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد ، وهو صفة ما يمكن منه الفعل باختياره أو تركه باختياره ، ولا شك فى أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيئا من الطاعات والأعمال ، واجتناب المعاصى ، فلولا أن هاهنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقا لأنهم كانوا يصيرون داعين إلى الله تعالى فى أن لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به ، وهم لا طاقة لهم بشئ من الأشياء ، فيصير دعاؤهم فى أن لا يكلفوا ما قد كلفوه وهذا محال من الكلام ، والله تعالى غنى عن أن يثنى على المحال فصح بهذا يقينا أن ههنا طاقة موجودة على الأفعال وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بأن الله تعالى لما كان فعالا وجب أن لا يكون فعّال غيره ، فخطأ من القول لوجوه .

أحدها أن النص قد ورد بأن للإنسان أفعالا وأعمالا قال تعالى « كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُون[٢٧] » .

فأثبت تعالى لهم الفعل وكذلك نقول إن الإنسان يصنع لأن النص قد جاء بذلك ولولا النص ما أطلقنا شيئا من هذا وكذلك لما قال الله تعالى « وَفَاكِهَةٍ مِمَّاَ يَتَخَيَّرون[٢٨] » علمنا أن للإنسان اختيارًا ، لأن أهل الجنة وأهل الدنيا سواء فى أنه تعالى خالق أعمال الجميع ، على أن الله تعالى قال « وَرَبُّكَ يخلُق مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ما كان لَهُمْ الخِيرَة » ، فعلمنا أن الاختيار الذى هو فعل الله تعالى وهو منفى عن من سواه هو غير الاختيار الذى أضافه إلى خلقه ووصفهم به ،

---

(٢٦) البقرة : ٢٨٦
(٢٧) المائدة : ٧٩
(٢٨) الواقعة : ٢٠

ووجدنا هذا أيضا حسّا لأن الاختيار الذى تَوَحد الله تعالى به ، وهو أن يفعل ما يشاء كيف شاء وإذا شاء وليس هذه صفة شيء من خلقه . وأما الاختيار الذى أضافه إلى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل إلى شيء مّا ، والإيثار له على غيره فقط وهذا هو غاية البيان وبالله تعالى التوفيق .

ومنها أن الاشتراك فى الأسماء لا يقع من أجله التشابه ، ألا ترى أننا نقول الله الحى والإنسان حيّ والإنسان حليم عليم كريم حكيم ، والله تعالى حليم عليم كريم حكيم ، فليس هذا يوجب اشتباهاً بلا خلاف وإنما يقع الاشتباه بالصّفات الموجودة فى الموصوفين ، والفرق بينهما لأن الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منّا هو أن الله تعالى إمّا أنه اخترعه وجعله جسما أو عرضا أو حركة أو سكونا أو معرفة أو إرادة أو كراهية أو فكرة وجعل[٢٩] الله تعالى ذلك فينا بغير معاناة منه ، وفَعَلَ تعالى لغير علمه وإنما نحن : فإنما كان فعلا لنا لأنه عز وجل خلقه فينا ، وخلق اختيارنا له وأظهره عزّ وجل فينا محمولًا لاكتساب منفعة أو لدفع مضرّة ولم نخترعه نحن .

وأما من قال بالاستطاعة قبل الفعل : فعمدة حجتهم أن قالوا لا يخلو الكافر من أحد وجهين . إما أن يكون مأمورا بالإيمان : أو لا يكون مأمورا به فإن قلتم إنه غير مأمور بالإيمان فهذا كفر مجرد ، وخلاف القرآن والإجماع ، وإن قلتم هو مأمور به وهكذا تقولون ، فلا يخلو من أحد وجهين ، إما أن يكون أمِر وهو يستطيع ما أمر به . فهذا قولنا لا قولكم ، أو يكون أمر وهو لا يستطيع ما أمر به ، فقد نسبتم إلى الله تعالى تكليف ما لا يستطيع ، ويلزمكم[٣٠] تكليف الأعمى أن يرى ، والمقعد أن يجرى ، أو يطلع إلى السماء ، وهذا كله جور وظلم ، والجوْر والظلم منفيان عن الله عز وجل ، وقالوا : إذ لا يفعل المرء فعلًا إلا بالاستطاعة[٣١] الموهوبة من الله عز وجل ، فلا تخلو[٣٢] تلك الاستطاعة من أن يكون المرء أعطيها والفعل موجود ، أو أعطيها والفعل غير موجود ، فإن كان أعطيها والفعل موجود فلا حاجة[٣٣] إليها ، إذ قد وُجِد الفعل منه الذى يحتاج إلى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بها .

وإن أعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا : إن الاستطاعة قبل الفعل ؛ والله تعالى يقول : « وَلله علَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَن اسْتَطاعَ إلَيْه سَبِيلًا[٣٤]» .

قالوا : فلو لم تتقدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لا يلزم أحدًا قبل أن يحج .

---

(٢٩) القصص : ٦٨
(٣٠) فى (أ) : وفعل عزّ وجل كذلك فينا .
(٣١) فى (أ) : لزمكم أن تجيزوا .
(٣٢) فى (أ) : باستطاعة موهوبة .
(٣٣) فى (أ) : لا تخلو .

وقال تعالى : « وَعَلَى الَّذين يُطيقُونه فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكين[٣٥] » .

وقال تعالى : « فَمنْ لَم يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا[٣٦] » .

فلو كانت الاستطاعة للصوم لا تتقدم الصوم ما لزمت أحدًا الكفارة به .

وقال تعالى : « وسَيَحْلفُونَ بالله لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهلِكُونَ أَنْفُسَهم والله يعلَمُ إنَّهم لَكَاذِبُون[٣٧] » .

فصح أن استطاعة الخروج موجودة مع عدم الخروج .

وقال تعالى : « فاتَّقُوا الله ما استَطَعْتُم[٣٨] » .

ولهم أيضًا فى خلق الأفعال اعتراض نذكره إن شاء الله تعالى[٣٩].

---

(٣٤) فى (أ) : حاجة به .
(٣٥) سورة آل عمران : ٩٧ .
(٣٦) البقرة : ١٨٤
(٣٧) المجادلة : ٤
(٣٨) التوبة : ٤٢
(٣٩) التغابن : ١٦
(٤٠) فى (أ) : زاد : « وبالله التوفيق ، والحمد لله رب العالمين » .

« باب ما الاستطاعة ؟ »

قال أبو محمد : إن الكلام على حكم لفظ[1] الاستطاعة قبل تحقيق معناها ، ومعرفة ما المراد بها ؟ وعن أى شيء يعبر بذكرها ؟ طمس للوقوف على حقيقتها ، فينبغى أولا أن يوقف على معنى الاستطاعة ، فإذا تكلمنا عليه وقربناه[2] بحول الله وقوته سهل الإشراف على صواب هذه الأقولا من خطئها بعون الله وتأييده ؛ فنقول : (وبالله تعالى التوفيق[3]) .

إن قول[4] من قال إن الاستطاعة هى المستطيع قول فى غاية الفساد ، ولو كان لقائله أقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الأسماء والمسميات ، ثم بماهية الجواهر والأعراض لم يقل هذا السخف .

أما اللغة : فإن الاستطاعة فيها[5] إنما هى مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب[6] هو فعل الضارب ، والحمرة التى هى صفة الأحمر ؛ والاحمرار هو صفة المحمر وما أشبه هذا ، والصفة والفعل عرضان بلا شك فى الفاعل منا وفى الموصوف ، والمصادر هى أفعال[7] المسمين ، فالأسماء بإجماع من أهل كل لسان .

فإذا كانت الاستطاعة فى اللغة التى بها نتكلم نحن وهم ، إنما هى صفة فى المستطيع ، فبالضرورة نعلم أن الصفة غير الموصوف ، لأن الصفات تتعاقب عليه ، فتمضى صفة وتأتى أخرى ، فلو كانت الصفة هى الموصوف ، لكان الماضى من الصفات هو الموصوف الباق ، ولا سبيل إلى غير هذا ألبتة . فإذ لا شك فى أن الماضى هو غير الباق ، فالصفات هى غير

---

(١) فى (أ) : سقط لفظ (الاستطاعة) .
(٢) فى (أ) : (وقررناه) .
(٣) فى (أ) : نتأيد بدلا من التوفيق .
(٤) فى (أ) : لم تذكر كلمة (قول) .
(٥) فى (أ) : سقطت كلمة (فيها) .
(٦) فى (أ) : الذى هو .
(٧) فى (أ) : (أحداث) .

الموصوف بها ، وما عدا هذا هو عين[٨] المحال والتخليط ، فإن قالوا : إن الاستطاعة ليست مصدر استطاع ، ولا صفة المستطيع ، كابروا ؛ وأتوا بلغة جديدة غير[٩] التى بها نزل القرآن والتى هى لفظة الاستطاعة التى فيها منازعة[١٠] ، إنما هى كلمة من تلك اللغة ومن أحال شيئًا من الألفاظ اللغوية عن موضوعها فى اللغة بغير نص محتمل لها ولا إجماع[١١] من الشريعة ، فقد فارق حكم أهل العقول والحياء وصار فى نصاب من لا يتكلم معه ، ولا يعجز أحد أن يقول : إن الصلاة ليست ما تعنون بها وإنما هى أمر كذا وكذا[١٢]، والماء هو الخمر ، وفى هذا بطلان الحقائق كلها ، وأيضًا فإنا نجد المرء مستطيعًا ثم نراه غير مستطيع لخدر[١٣] عرض فى أعضائه ، وبتكسف[١٤] أو ضبط أو إغماء ، وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شىء ، فصح[١٥] بالضرورة .

أن الذى عدم من الاستطاعة هو غير المستطيع الذى كان ولم يعدم منه[١٦] شىء ، هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس ، وبهذا أيقنا أن الاستطاعة عرض[١٧] يقبل الأشد والأضعف ، فنقول : استطاعة أشد من استطاعة ، واستطاعة أخف من استطاعة ، وأيضا فإن الاستطاعة لها ضد وهو العجز ، والأعراض لا تكون إلا أعراضًا تقسم طرفى البعد ، كالخضرة والبياض ، والعلم والجهل ، والذكر والنسيان ، وما أشبه هذا .

وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولا ينكره إلا أعمى القلب والحواس ، ومعاند مكابر الضرورة[١٨]، والمستطيع جوهر ، والجوهر لا ضدّ له ، فصح بالضرورة أن الاستطاعة هى غير المستطيع بلا شك ، وأيضا فلو كانت الاستطاعة هى غير المستطيع[١٩] لكان العجز أيضًا هو العاجز اليوم وهو المستطيع بالأمس ، فعلى هذا يجب أن العجز هو المستطيع ، فإن لا ذوا عن هذا ، لزمهم أن العجز عن الأمر هو الاستطاعة عليه ، وهذا محال ظاهر ، فإن قالوا إن العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت على المستطيع ، سئلوا : ما[٢٠] الفرق الذى من أجله قالوا إن

---

(٨) فى (أ) : (فهو من المحال) .
(٩) فى (أ) : (غير اللغة) .
(١٠) فى (أ) : (نتنازع) .
(١١) فى (أ) : (بإجماع) .
(١٢) فى (أ) : لم يذكر (وكذا) .
(١٣) فى (خ) : (بخدر) . وفيها (من أعضائه) .
(١٤) فى (أ) : وبتكتيف .
(١٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فصح) .
(١٦) فى (أ) : لم يذكر (منه شىء) .
(١٧) فى (أ) : عرض من الأعراض .
(١٨) فى (أ) : (للضرورة) .
(١٩) فى (خ) : سقط الكلام من قوله (بلا شك حتى – غير المستطيع) .
(٢٠) فى (أ) : (عن الفرق) .

الاستطاعة غير[٢١] المستطيع ؛ ومنعوا أن يكون العجز هو العاجز ولا سبيل إلى وجود فرق فى ذلك ، وبهذا نفسه يبطل قول من قال : ان الاستطاعة هى بعض المستطيع سواء[٢٢] سواءً لأن العرض لا يكون بعضًا للجسم وأما من قال إن الاستطاعة هى[٢٣] كل ما يوصل[٢٤] به إلى الفعل كالإبرة والدلو ، والحبل ، وما أشبه هذا[٢٥] فقول فاسد تبطله المشاهدة لأنه قد توجد هذه الآلات وتعدم صحة الجوارح فلا يمكن الفعل .

فإن قالوا : وقد[٢٦] تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح فلا يمكن[٢٧] الفعل ؛ قلنا : صدقتم ، وبوجود هذه الآلات يتم[٢٨] الفعل إلا أن لفظة الاستطاعة التى فى معناها نتنازع : هى لفظة قد وضعت فى اللغة التى بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض فى المستطيع ، فليس لأحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها فى اللغة[٢٩] برأيه من غير نص ولا إجماع ، ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ، ولم يصح تفاهم أبدًا . وقد علمنا يقينًا أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط فى اللغة التى بها نتفاهم على حبل ولا مِهْماز ولا على إبرة .

فإن قالوا : قد صح عن أئمة اللسان كابن عمر ، وابن عباس رضى الله عنهما أن الاستطاعة زاد وراحلة . قيل : نعم قد صح هذا ولا خلاف من أحد له فهم باللغة العربية[٣٠] فى أنهما إنما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة ، وبرهان ذلك أن الزاد والرواحل كثير فى العالم ؛ وليس كونهما فى العالم موجبًا عندهما فرض الحج على من لا يجدهما .

فصح ضرورة أنهما إنما عنيا بذلك[٣١] قوة على إحضار زاد وراحلة ، والقوة على ذلك عرض كما قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

وهكذا القول إن ذكروا قول الله عز وجل : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيلِ تُرهِبُون بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ[٣٢] » .

---

(٢١) فى (أ) : (هى) بدلا من (غير) .
(٢٢) فى (أ) : (سواء بسواء) .
(٢٣) فى (أ) : سقطت كلمة (هى) .
(٢٤) فى (أ) : (توصل) .
(٢٥) فى (أ) : (ذلك) .
(٢٦) فى (أ) : (قد) بحذف الواو .
(٢٧) فى (أ) : ولا يمكن .
(٢٨) فى (أ) : (تم) .
(٢٩) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فى اللغة) .
(٣٠) فى (أ) : سقطت كلمة (العربية) .
(٣١) فى (خ) : لم تذكر كلمة (بذلك) .
(٣٢) سورة الأنفال : ٦٠

لأن هذا نص قولنا لأن القوة عرض ، ورباط الخيل عرض ، فسقط هذا القول أيضًا . فإذ قد سقطت هذه الأقوال كلها وصح أن الاستطاعة عرض من الأعراض ، فواجب علينا معرفة ما تلك الأعراض ؟ فنظرنا فى ذلك بعون الله وتأييده ؛ فوجدنا بالضرورة الفعل لا يقع منه باختيار إلا من صحيح[٣٣] الجوارح التى بها يكون ذلك الفعل[٣٤]، فصح يقينًا أن سلامة الجوارح ، وارتفاع الموانع استطاعة ، ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختارًا إلا حتى يستضيف إلى ذلك إرادة الفعل ، فعلمنا أن الإرادة أيضًا محركة للاستطاعة ولا نقول : إن الإرادة استطاعة ، لأن كل عاجز من الحركة فهو مريدها وهو[٣٥] غير مستطيع ، وقد علمنا ضرورة أن العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لأنهما ضدان ، والضدان لا يجتمعان معًا ، ولا يمكن أيضًا أن تكون الإرادة بعض الاستطاعة لأنه كان يلزم من ذلك أن فى العاجز المريد استطاعة مًا ، لأن بعض الاستطاعة استطاعة ، وبعض العجز عجز ؛ ومحال أن يكون فى العاجز عن الفعل استطاعة له ألبتة .

والاستطاعة ليست عجزًا فإن من استطاع على[٣٦] شيء وعجز عن أكثر منه ففيه استطاعة على ما يستطيع عليه ، وفيه عجز أيضًا عما لا يستطيع عليه ، هو غير الاستطاعة فيه على ما استطاع عليه ، ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل أصلًا ، فعلمنا أن هاهنا شيئًا آخر به تتم الاستطاعة ولابّد ، وبه يوجد الفعل ، فعلمنا ضرورة أن هذا الشيء هو تمام الاستطاعة ولابد[٣٧]، فلا تصح الاستطاعة إلا به . فهو بالضرورة قوة[٣٨]، إذ الاستطاعة قوة وإذًا ذلك الشيء قوة ولابد ، فقد علمنا أنه ما أتى به من عند الله تعالى لأنه تعالى مؤتى القوى ، إذ لا يمكن ذلك لأحد دونه عز وجل ، فصح ضرورة أن الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع ، وهذان الوجهان قبل الفعل قوة أخرى ، من عند الله عز وجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعها يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على صحة هذا القول : إجماع الأمة كلها على سؤال الله عز وجل التوفيق والاستعانة[٣٩] والاستعاذة من الخذلان ، فالقوة التى ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها الخير تسمى توفيقًا وتأييدًا وعصمة ، والقوة التى ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها الشر تسمى بالإجماع خذلانًا ، والقوة التى ترد من الله تعالى فيفعل بها العبد ما ليس طاعة ولا معصية تسمى

---

(٣٣) فى (خ) : (صحح) وهو تحريف .
(٣٤) فى (خ) : سقط قوله (ذلك الفعل) .
(٣٥) فى (خ) : سقط قوله : (مريد له وهو) .
(٣٦) فى (خ) : (كل شيء) .
(٣٧) فى (أ) : سقطت (ولابد) .
(٣٨) فى (خ) : لم تذكر كلمة (قوة) .
(٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (الاستعانة) .

عونًا أو قوة أو حولًا ، وتبين من صحة[٤٠] هذا قول المسلمين لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم[٤١].

والقوة لا يكون لأحد ألبتة فعل إلا بها ، فصح أنه لا قوة لأحد إلا بالله تعالى ، ذلك يسمى تيسيرًا ، قال رسول الله ﷺ : « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه[٤٢] » . وقد وافقنا جميع المعتزلة على أن الاستطاعة فعل الله تعالى وأنه لا يفعل أحد خيرًا ولا شرًا إلا بقوة أعطاها الله تعالى إياها ، إلا أنهم قالوا : إنما يصلح بها الخير والشر معًا .

قال أبو محمد : فجملة القول فى هذا أن عناصر الأخبار ثلاثة وهى ممتنع ، أو واجب ، أو ممكن بينهما . هذا أمر يعلم بضرورة العقل[٤٣] والحس والتمييز ، فإذ[٤٤] الأمر كذلك فإن صحة الجوارح ، وارتفاع الموانع ، استطاعة بها يمكن وجود الفعل ويكون لا واجبا ولا ممتنعًا ، وبعده يكون الفعل ممتنعًا ، إذ لا سبيل لعادم صحة الجوارح[٤٥] أو من له مانع إلى الفعل ، وأما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون فيه الفعل وقد لا يكون ، فهذه الاستطاعة الموجودة قبل الفعل ، برهان ذلك قوله تعالى حكاية عن القائلين « لَوِ اسْتَطَعْنَا لخَرَجْنا مَعَكُم يُهلِكُون أَنْفُسَهم والله يُعلَمُ إنَّهم لكاذِبُون[٤٦] » فأكذبهم الله تعالى فى إمكان[٤٧] استطاعة الخروج قبل الخروج ، وقوله تعالى : « ولله عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَن اسْتَطاعَ إليه سَبِيلًا[٤٨] » .

فلو لم يكن[٤٩] هاهنا قبل الفعل الذى هو[٥٠] فعل المرء الحج لما لزم الحج إلا لمن[٥١] حج فقط ، ولما كان أحد عاصيًا بترك الحج لأنه إن لم يكن مستطيعًا الحج حتى يحج فلا حج عليه ، ولا هو مخاطب بالحج ، وقوله تعالى : « فمنْ لَمْ يجد فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْن فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا[٥٢] » .

---

(٤٠) فى (خ) : سقطت كلمة (من صحة) .
(٤١) فى (أ) : سقطت كلمة (العلى العظيم) .
(٤٢) رواه البخارى فى التفسير وفى التوحيد – ورواه مسلم فى القدر : ٧ ، ٩ ، ورواه أبو داود فى السنة : ١٦ ، ورواه الترمذى فى القدر : ٣ ، ورواه ابن ماجه فى المقدمة : ١٠ . وهو متفق عليه .
(٤٣) فى (أ) : سقطت كلمة (العقل) .
(٤٤) فى (أ) : (فإذا) .
(٤٥) فى (أ) : سقطت ما بين القوسين [ ] .
(٤٦) سورة التوبة : ٤٢
(٤٧) فى (أ) : (فى إنكارهم) .
(٤٨) آل عمران : ٩٧
(٤٩) فى (أ) : فلو لم تكن هنا استطاعة .
(٥٠) فى (أ) : لم يذكر (الفعل الذى هو) .
(٥١) فى (أ) : (إلا من) .
(٥٢) سورة النساء : ٩٢

فلو لم يكن على المظاهر العائد لقوله استطاعة على الصيام قبل أن يصوم لما كان مخاطبًا بوجوب الصوم عليه ، إذا لم يجد الرقبة أبدًا[٥٣] ولكان[٥٤] حكمه مع عدم الرقبة وجوب الإطعام فقط ، وهذا باطل .

وقول رسول الله ﷺ لمن تابعه[٥٥].

من أصحابه رضى الله عنهم : فيما استطعتم ، وأمره ﷺ أن يصلوا قيامًا[٥٦].

فمن لم يستطع فقاعدًا ، فمن لم يستطع فعلى جنب ، فى هذا إجماع متفق على صحبته[٥٧] لا شك فيه ، فلو لم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان أحد مأمورًا بالصلاة قائمًا[٥٨] قبل أن يصليها كذلك ، ولكان معذورًا إن صلى[٥٩] قاعدًا[٦٠] أو على جنب بكل وجه ، لأنه إذا صلى كذلك لم يكن مستطيعًا للقيام وهذا باطل ، وقوله ﷺ فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم[٦١] فلو لم تكن هاهنا استطاعة لشيء مما أمرنا به[٦٢] قبل أن نفعل لما أمرنا به ولما لزمنا شيء من ذلك ، ولكنا غير عصاة بالترك ؛ لأننا لم نكلف بالنص إلا ما استطعنا .

وقوله ﷺ : « أتستطيع أن تصوم شهرين ؟ قال : لا[٦٣].

فلو لم يكن أحدٌ مستطيعًا للصوم إلا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه محالًا وحاشا له من ذلك .

ومما يبين صحة هذا وأن[٦٤] المراد بكل[٦٥] ما ذكرنا سلامة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله عز وجل : « وَيُدْعَوْن إلى السُّجود فلا يَسْتَطيعون خَاشعة أبْصَارُهم تَرْهَقُهم ذِلَّة ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْن إلى السُّجود وهُمْ سَالمون[٦٦]» .

(٥٣) فى (أ) : أصلا .
(٥٤) فى (خ) : (ولكن) .
(٥٥) فى (أ) : (بايعه) .
(٥٦) فى (أ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .
(٥٧) فى (أ) : وهذا إجماع متيقن لا شك فيه (وسقطت كلمة على صحته) .
(٥٨) فى (أ) : سقطت كلمة (قائما) .
(٥٩) فى (خ) : أن يصلى .
(٦٠) فى (أ) : (وعلى) بدلا من (أو) .
(٦١) أخرجه البخارى فى الاعتصام : ٣ ، ومسلم فى الحج : ٤١٣ ، والنسائى فى المناسك ، وابن ماجه فى المقدمة .
(٦٢) جاءت العبارة فى (أ) : مضطربة هكذا (أن نفعله لما لزمنا شيء مما أمرنا به مما لم نفعله ...) .
(٦٣) متفق عليه بلفظ (هل تستطيع) رواه البخارى فى الحدود /٣٦ ومسلم فى الصيام : ٨٣ .
(٦٤) فى (خ) : « أنّ » بحذف الواو .
(٦٥) فى (أ) : (فى كل) .
(٦٦) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

فنص تعالى على أن فى[٦٧] عدم السلامة بطلان الاستطاعة وأن وجود السلامة بخلاف ذلك ، فصح أن سلامة الجوارح[٦٨] استطاعة ، وإذ قد صح هذا فبيقين ندرى أن سلامة الجوارح يكون بها الفعل ، وضده ، والعمل وتركه ، والطاعة والمعصية ، لأن كل هذا يكون بصحة الجوارح .

فإن قال قائل : فإن[٦٩] سلامة الجوارح عرض ، والعرض لا يبقى وقتين قيل له ، هذه دعوى بلا برهان ، والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة أن هذه الاستطاعة من سلامة صحة الجوارح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ، ثم لو كان ما ذكرنا لما كان فيه دفع لما قاله الله تعالى من ذلك ، ثم وجدنا الله تعالى قد قال : « وكانوا لا يستطيعون سمعًا[٧٠]» .

وقال تعالى حاكيا قول الخضر[٧١] لموسى عليهما السلام : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا[٧٢]» . وقال : « ذَلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيه صَبْرًا[٧٣]» .

وعلمنا أن كلام الله عز وجل لا يتعارض ولا يختلف .

قال الله تعالى : « ولوْ كانَ مِنْ عند غَيْر الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[٧٤]» .

فأيقنا أن الاستطاعة التى نفاها الله عز وجل هى غير الاستطاعة التى أثبتها[٧٥]، لا يجوز غير ذلك ألبتة .

فإذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان ؛ أحدهما قبل الفعل ؛ وهو سلامة الجوارح ، وارتفاع الموانع .

والثانى : لا يكون إلا مع الفعل ، وهو القوة الواردة من الله عز وجل بالعون أو الخذلان[٧٦]،

---

(٦٧) فى (خ) : لم يذكر كلمة (فى) .

(٦٨) فى (خ) : سقطت عبارة : « وأن وجود السلامة بخلاف ذلك » فصح أن سلامة الجوارح استطاعة .

(٦٩) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .

(٧٠) الكهف : ١٠١ .

(٧١) الخضر : هو لقب له ، واسمه : بليا بفتح الباء وسكون الكلام ، ابن مَلْكان ابن فالغ بن عابر بن سالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح ، وكان أبوه من الملوك واختلفوا فى سبب تلقيبه بالخضر فقال الاكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء ، والفروة وجه الأرض ، وقيل الأرض ، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله ، والصحيح الأول لما فى الحديث الصحيح : إنما سمى الخضر خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز تحته خضراء .. وهو صاحب موسى عليه السلام واختلف العلماء فى حياة الخضر وفى نبوته فقال الأكثرون هو حى موجود . قال الثعلبى : الخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار . (بصائر ذوى التمييز جـ ٦ ص ٧٦) .

(٧٢) سورة الكهف آية رقم ٦٧ .

(٧٣) سورة الكهف آية رقم ٨٢ وهذه الآية سقطت من (خ) .

(٧٤) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٧٥) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا : « فيقينا أن الاستطاعة التى أثبتها الله تعالى قبل الفعل هى غير الاستطاعة التى نفاها مع الفعل .

(٧٦) فى (أ) : والخذلان بدلًا من (أو) .

وهذا[٧٧] خلق الله تعالى للفعل فيما[٧٨] ظهر منه ، وسمى من أجل ذلك فاعلًا ، لما ظهر منه[٧٩] إذ لا سبيل إلى وجود معنى غير هذا ألبتة[٨٠]، فهذا هو حقيقة الكلام فى الاستطاعة ، بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والإجماع ، وضرورة الحس ، وبديهة العقل فعلى[٨١] هذا التقسيم بيّنا[٨٢] الكلام فى هذا الباب ، فإذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فإنما نعنى بذلك الاستطاعة التى بها يقع الفعل ويوجد واجبًا ولابد ، وهى خلق الله تعالى للفعل فى فاعله ، فإذا[٨٣] أثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فإنما نعنى بها صحة الجوارح ، وارتفاع الموانع التى بها يكون الفعل ممكنًا متوهمًا[٨٤]، لا واجبًا ولا ممتنعًا ، وبهذا[٨٥] يكون المرء مخاطبًا مكلفًا ، مأمورًا ، منهيًا ، وبعدمها يسقط[٨٦] عنه الخطاب ، والتكليف ، ويصير الفعل منه ممتنعًا ، ويكون عاجزًا عن الفعل .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : فإذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل ما[٨٧] اعترضت به المعتزلة ، الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولابد .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنهم أيضًا[٨٨] أخبرونا عن الكافر المأمور بالإيمان ؛ أهو مأمور بما لا يستطيع ؟ أم بما يستطيع ؟

فجوابنا وبالله تعالى نتأيد إننا قد بينا آنفًا أن صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ، وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه ، وغير مستطيع لما[٨٩] لم يفعل الله تعالى فيه ، ما به يكون تمام استطاعة ، ووجود الفعل ، فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه[٩٠]

---

(٧٧) فى (أ) : وهو .
(٧٨) فى (أ) : فيمن .
(٧٩) فى (خ) : لم يذكر (لما ظهر منه) .
(٨٠) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ألبتة) .
(٨١) فى (خ) : (على هذا) .
(٨٢) فى (خ) : سقطت كلمة (بينا) .
(٨٣) فى (أ) : (وإذا) .
(٨٤) فى (خ) : بزيادة (أو) .
(٨٥) فى (أ) : (وبها) .
(٨٦) فى (خ) : سقط .
(٨٧) فى (أ) : (فيما) .
(٨٨) فى (أ) : (قالوا) ولم يذكر كلمة (أيضاً) .
(٨٩) فى (أ) : (مالم) .
(٩٠) فى (خ) : سقط قوله (غير مستطيع من وجه) .

آخر ، وهذا مع أنه نص القرآن كما أوردنا فهو أيضًا مشاهد كالبنَّاء المجيد ، فهو مستطيع بظاهر حاله ، ومعرفته بالبناء غير مستطيع بعدم[٩١] الآلات التى لا يوجد البناء إلا بها .

وهكذا فى جميع الأعمال ، وأيضًا فقد يكون المرء عاصيًا لله تعالى فى وجهٍ ، مطيعًا له فى وجهٍ[٩٢] آخر ، مؤمنًا بالله كافرًا بالطاغوت .

فإن قالوا : قد نسبتم إلى الله تعالى تكليف ما لا يستطاع .

قلنا : هذا باطل بل[٩٣] ما نسبنا إليه تعالى إلا ما أخبر به عن نفسه أنه لا يكلف أحدًا إلا ما يستطيع بسلامة جوارحه ، وقد يكلفه ما لا يستطيع[٩٤] فى علم الله تعالى ، لأن الاستطاعة التى يكون بها الفعل ليست فيه بعد ، فلا[٩٥] يجوز أن يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الآخر .

وأما قولهم : هذا[٩٦] كتكليف المقعد الجرى ، و[٩٧] الأعمى النظر ، وإدراك الألوان ، والارتفاع إلى السماء فإن هذا باطل ، فإن[٩٨] هؤلاء ليس فيهم شىء من قسمى الاستطاعة ، فلا استطاعة لهم أصلًا ، وأما الصحيح الجوارح ففيه أحد قسمى الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ، فلولا[٩٩] أن الله عز وجل أمننا بقوله : « مَا جَعَلَ عَلَيْكُم فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ[١٠٠] » .

لكان غير منكر أن يكلف الله عز وجل الأعمى إدراك الألوان ، والمقعد الجرى والطلوع إلى السماء ، ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ، ولله تعالى أن يعذب من شاء دون أن يكلفه وأن ينعم من شاء دون أن يكلفه[١٠١] كما رزق من يشاء العقل وحرمه الجماد والحجارة[١٠٢] وسائر الحيوان ، وجعل عيسى بن مريم عليهما السلام نبيًا فى المهد عند ولادته ، وشدّ على قلب فرعون فلم يؤمن ، قال تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[١٠٣] » .

---

(٩١) فى (أ) : (للآلات) ولم يذكر كلمة (بعدم) .
(٩٢) فى (أ) : لم يذكر كلمة (وجه) .
(٩٣) فى (أ) : سقطت كلمة (بل) .
(٩٤) لم يذكر كلمة (يستطيع) .
(٩٥) فى (أ) : (ولا) .
(٩٦) فى (أ) : (إن هذا) .
(٩٧) فى (أ) : (أو) .
(٩٨) فى (أ) : « لأن » .
(٩٩) فى (أ) : « ولولا » .
(١٠٠) سورة الحج : ٧٨ .
(١٠١) فى (خ) : لم يذكر : « وأن ينعم شاء دون أن يكلفه » .
(١٠٢) فى (خ) : سقطت كلمة (العقل وحرمه الجماد والحجارة) وذكر ، « ومنعه الحمير والدواب » .
(١٠٣) سورة الأنبياء : ٢٣ .

وليس فى بداية العقل[١٠٤] حسن ولا قبيح بعينه[١٠٥] ألبتة .

وقالت المعتزلة : متى أعطى الإنسان الاستطاعة قبل[١٠٦] وجود الفعل فإن كان قبل وجود الفعل قالوا : فهذا قولنا ، وإن كان حين[١٠٧] وجود الفعل ، فما حاجتنا إليه ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إن الاستطاعة قسمان كما قلنا :

فأحدهما : قبل الفعل ، ومع الفعل[١٠٨]، وهو صحة[١٠٩] الجوارح وارتفاع الموانع .

والآخر : مع الفعل : وهو العون والخذلان اللذان بهما يقع الفعل[١١٠]، ولولاهما لم يقع كما قال الله تعالى ، ولو كانت الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل[١١١] ولابد ، ولا تكون مع الفعل أصلا[١١٢] كما زعم أبو الهذيل[١١٣] لكان الفاعل إذا فعل عديم الاستطاعة ، وفاعلًا فعلًا لا استطاعة له على فعله حين فعله ، وإذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه ، فهو فاعل عاجز عما يفعل معًا ، وهذا تناقض ومحال بين .

قال أبو محمد :

ولهم إلزامات سخيفة هى لازمة[١١٤] لهم ، كما تلزم غيرهم سواء سواء[١١٥]، منها قولهم : متى أحرقت النار العود أفى حال سلامته وهو محرق[١١٦] ؟ فإن كانت أحرقته فى حالة سلامته فهو إذن محرق غير محرق .

وإن كانت أحرقته وهو محروق فما الذى أحرقت[١١٧] فيه ، وسؤالهم[١١٨] متى كسر المرء[١١٩] العود ؟ أكسره وهو صحيح ؟ فهو إذن مكسور صحيح ؟ أو كسره وهو مكسور ؟ فما الذى

---

(١٠٤) فى (أ) : العقول .
(١٠٥) فى (أ) : لعينه .
(١٠٦) فى (أ) : (أقبل) وهو تحريف .
(١٠٧) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] .
(١٠٨) فى (أ) : سقط (ومع الفعل) .
(١٠٩) فى (أ) : (سلامة) .
(١١٠) فى (أ) : (وهو خلق الله للفعل فى فاعله) .
(١١١) فى (خ) : سقطت كلمة (العقل) .
(١١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (أصلًا) .
(١١٣) سبقت ترجمته ص ٣٧ .
(١١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (لازمة) .
(١١٥) فى (أ) : سواء بسواء .
(١١٦) فى (أ) : (غير محترق) وهذا تحريف .
(١١٧) فى (أ) : (وفعلت) .
(١١٨) فى (أ) : وكسؤالهم .
(١١٩) فى (خ) : لم يذكر كلمة (المرء) .

حدث فيه ؟ وكسؤالهم : متى أعتق المرء عبده فى حال رقه فهو حر عبد معاً ، أو فى حال عتقه ، فأى معنى لعتقه إياه ؟ ومتى طلق المرء زوجته ؟ أطلقها وهى غير مطلقة ؟ فهى مطلقة(١٢٠) غير مطلقة معاً ؟ أم طلقها وهى مطلقة ، فما الذى أثر فيها طلاقه ؟ ومتى مات المرء أفى حياته أم مات وهو ميت ؟ ومثل هذا كثير .

قال أبو محمد :

وهذه كلها سفسطة مجردة ، وسؤالات سخيفة مموهة ، والحق فيها أن تفريق النار أجزاء العود(١٢١) هو المسمى إحراقاً ، وليس الإحراق شيئاً غير ذلك ، وقولهم هل أحرقته وهو محرق تخليط ، لأن [ابتداء الإحراق هو(١٢٢) ابتداء زوال ، لأن لا إحراق ولا كسر ثم كذلك فى سائر ما قلنا . وهذه الأسئلة] فيها إيهام أن الاحراق غير الإحراق ، وهذه سخافة .

وكذلك كسر العود إنما هو إخراجه عن حال الصحة ، والكسر نفسه ، هو حال العود حينئذٍ ، وكذلك إخراج العبد من الرق إلى العتق هو عتقه ولا مزيد ، ليست له حال أخرى .

وكذلك خروج المرأة من الزوجية إلى الطلاق : هو تطليقها نفسه .

وكذلك فراق الروح الجسد هو الإماتة ، وهو الموت نفسه ولا مزيد ليست ها هنا حالة أخرى وقع فيها ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٢٠) فى (أ) : لا مطلقة .
(١٢١) فى (أ) : أجزاء ما عملت فيه .
(١٢٢) فى (أ) : سقط ما بين القوسين [ ]

الكلام فى أن تمام الاستطاعة لا يكون إلا مع الفعل لا قبله

قال أبو محمد :

يقال لمن قال : إن الاستطاعة كلها ليست إلا قبل الفعل ، أو[1] أنها قبل الفعل بتمامها ، وتكون أيضاً مع الفعل ، أخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل أن يؤمن فى حال[2] كفره على الإيمان قدرة تامة أم لا ؟ وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة فى حال تركه لها[3]، وعن الزانى هل يقدر عليه[4] فى حال زناه على ترك الزنى بأن لا يكون منه الزنا أصلًا أم لا .. ؟

وبالجملة فالأوامر كلها إنما هى أمر بحركة أو أمر بسكون ، أو أمر باعتقاد إثبات شىء ما أو أمر باعتقاد إبطال شىء ، وهذا كله يجمعه فعل أو ترك ، فأخبرونا هل يقدر الساكن المأمور بالحركة على الحركة[5] فى حال السكون .. ؟ وهل[6] يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون فى حال الحركة .. ؟

وهو مأمور باعتقادات إثباته هل يقدر فى حال اعتقاد إثباته على[7] على اعتقاد ابطاله أو بالعكس ، وعن معتقد إثبات شىء ما وهو مأمور باعتقاد إبطاله ، هل يقدر فى حال اعتقاده إثباته على اعتقاد إبطاله أم لا[8].. ؟

وعن المأمور بالترك وهو فاعل ما أمر بتركه ، أيقدر على تركه فى حال فعله ..؟ فيكون فاعلًا لشىء تاركاً لذلك الشىء معاً أم لا .. ؟

---

(١) فى (أ) : (وأنها) .
(٢) فى (خ) : سقطت كلمة (حال) .
(٣) فى (أ) : سقطت كلمة : لها .
(٤) فى (أ) : سقطت كلمة : عليه .
(٥) فى (أ) : سقطت كلمة : فى .
(٦) فى (أ) : (أو) بدلًا من (وهل) .
(٧) فى (أ) : سقطت كلمة (ثباته على اعتقاد) فأدى هذا إلى اضطراب المعنى وتفكك العبارة .
(٨) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : وعن معتقد إثبات شىء ما وهو مأمور باعتقاد إبطاله إلى أم لا .. ؟

فإن قالوا : نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان ، وخالفوا المعقول والحس ، وأجازوا كل طامّة من كون المرء قائماً قاعداً مؤمناً[٩] كافراً معاً وهذا أعظم ما يكون من المحال الممتنع .

وإن قالوا : إنه لا يقدر على ذلك[١٠] قدرة تامة يكون بها الفاعل[١١] لشىء هو فاعل لخلافه[١٢]، قالوا الحق ورجعوا إلى أنه لا يستطيع أحد استطاعة تامة يقع بها الفعل إلا حتى يفعله ، وكل هذا[١٣] حق ، وكل جواب أجابوا به[١٤] ها هنا فإنما هو إيهام ، ولَواذٌ ومدافعه بالراح ، لأنه إلزام ضرورى حسى متيقن لا محيد عنه ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

فإن قالوا : لسنا نقول إنه يقدر على أن يجمع بين الفعلين المتضادين معاً ، ولكنا قلنا إنه قادر على أن يترك ما هو فيه ويفعل ما أمر به .

قيل لهم : هذا هو[١٦] نفسه الذى أردنا منكم وهو أنه لا يقدر قدرة تامة ، ولا يستطيع استطاعة تامة على فعلٍ ما دام فاعلًا لما يمانعه ، فإذا ترك[١٧] كل ذلك وشرع فيما أمر به ، فحينئذٍ تمت قدرته واستطاعته ، لابد من ذلك ، وهذا هو نفسه ما موَّهوا به فى سؤالهم لنا : هل أمر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل أن يفعله أم بما لا يستطيع حتى يفعله .. ؟

وهذا لازم لهم ؛ لأنهم شنعوه وعظموه فلما ألزموه[١٨] أنكروه ، ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك إلزاماً صحيحاً فقبحه[١٩] عائد عليهم ، وإنما يلزم الشىء لمن صححه[٢٠] ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وقد أجاب فى هذه المسألة عبد الله بن أحمد بن محمود الكَعْبِىّ البَلْخِى ؛

---

(٩) فى (أ) : (ومؤمنا بالله كافرا به معا) .
(١٠) فى (أ) : سقط قوله (على ذلك) .
(١١) فى (خ) : (الفعل على شىء) .
(١٢) فى (خ) : (بخلافه) .
(١٣) فى (أ) : سقط قوله : (وكل هذا حق) .
(١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (به) .
(١٥) فى (خ) : (بين النقيضين) .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (هو) .
(١٧) فى (خ) : (أدرك) .
(١٨) فى (أ) : سقط قوله (فلما ألزموه) .
(١٩) فى (خ) : (بقبحه) .
(٢٠) فى (أ) : (من يصححه) .

أحد رؤساء المعتزلة القائلين بالأصلح ، بأن قال : إنا لا نختلف بأن الله تعالى قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن ، وليس يوصف بالقدرة على أنه[٢٢] يجعله ساكنا متحركاً معاً .

قال أبو محمد : وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف به الله تعالى ، بل هو قادر على أن يجعل الشيء ساكناً متحركاً معاً في وقت واحد من وجهٍ واحد ، ولكن كلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء[٢٣]، من أن الله عز وجل لا يوصف بالقدرة على المحال ، [وهذه طائفة مُعَجِّزة لله تعالى ، إلا أنها أدغمت قبيح قولها بأن قالت : لا يوصف بالقدرة على المحال[٢٤]] .

ويقال لهم : لمَ لا يوصف بالقدرة على ذلك[٢٥] ألأن له قدرة على ذلك ؟ ولا يوصف بها ، أم لأنه[٢٦] لا قدرة له على ذلك ؟ ولا محيد لهم عن هذا[٢٧]. وهذه طائفة جعلت قدرة ربها تعالى متناهية ، بل قطعوا بأنه تعالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله ، وهذا كفر مجرد لا خفاء به ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : ويقال للمعتزلة أيضاً أنتم تقرون[٢٨] معنا بأن الله عز وجل لم يزل عليماً بأن كل[٢٩] كائن فإنه سيكون على ما هو عليه إذا كان ولم يزل الله تعالى عليماً[٣٠]، بأن فلاناً سيطأ فلانة في وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيّهما الخارج منهما عند جماعه إياها ، وأنه يعيش ثمانين سنة ، ويملك ويفعل ويصنع ، فإذا قلتم : إن ذلك الفلان يقدر قدرة[٣١] تامة على ترك[٣٢] الوطء الذي لم يزل الله تعالى يعلم أنه سيكون ، وأنه يخلق منه ذلك الولد ، فقد قطعتم بأنه قادر على أن يمنع الله تعالى من خلق ما قد علم أنه سيخلقه ، وأنه قادر قدرة تامة على إبطال علم الله تعالى وهذا كفر ممن أجازه .

---

(٢١) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي من بني كعب البلخي الخرساني ، أبو القاسم أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى الكعبية ، وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها ، أقام ببغداد مدة طويلة ، وتوفي ببلخ . قال الخطيب البغدادي : صنف كتبا كثيرة ، وانتشرت في بغداد ، وقال السمعاني : من مقالته « إن الله تعالى ليس له إرادة ، وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة » (الأعلام : ٢٤٩/٣) .

(٢٢) في (أ) : (أن تجعله) .

(٢٣) في (خ) : (المصلعا) وهو تحريف .

(٢٤) في (أ) : سقط ما بين القوسين [ ] .

(٢٥) في (خ) : (لأن) بدون همزة الاستفهام .

(٢٦) في (ح) : سقطت كلمة (لأنه) .

(٢٧) في (خ) : سقطت كلمة (لأنه) .

(٢٨) في (خ) : سقذت كلمة (ولا محيد لهم عن هذا) .

(٢٨) في (أ) : بزيادة (أيضاً) .

(٢٩) في (خ) : (بائن) بدلًا من (بأن يأكل) .

(٣٠) في (أ) : (يعلم) .

(٣١) في (خ) : (قوة) .

(٣٢) في (أ) : (ذلك الوطء) .

فإن قال قائل فإنكم أنتم تطلقون أن المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم . قلنا : هذا[٣٣] لا يلزمنا لأننا لم نطلق أن له قدرة تامة على ذلك أصلاً ، بل قلنا إنه لا يقدر على ذلك قدرة تامة ألبتة[٣٤]، ومعنى قولنا إنه مستطيع بصحة جوارحه أى أنه[٣٥] متوهَّم منه ذلك لو كان ، ونحن لم نطلق الاستطاعة إلا على هذا الوجه حيث أطلقها الله تعالى .

فإن قالوا : إن الله تعالى قادر على كل[٣٦] ذلك ، ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذى لم يزل ، قلنا : وهذا أيضاً[٣٧] مما تكلمنا فيه آنفاً بل الله تعالى قادر على كل[٣٨] ذلك ، بخلاف خلقه . على ما قد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق .

وقد نص الله تعالى على ما قلنا بقوله عز وجل : « وَسَيَحْلِفُون بالله لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهم والله يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ »[٣٩].

إلى قوله : « وَلَوْ أَرَادُوا الْخُروجَ لأَعدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِين »[٤٠].

فأكذبهم الله عز وجل في نفيهم عن أنفسهم الاستطاعة التى هى صحة الجوارح وارتفاع الموانع ، ثم نص تعالى على أنه قادر « اقعدوا مع القاعدين » .

ولا يكون هذا إلا[٤١] أمر تكوين لا أمراً بالقعود ، لأنه تعالى ساخط عليهم لقعودهم ، وقد نص الله تعالى على أنه « إنَّمَا أَمْرُه إذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقولَ له كُنْ فيكُون »[٤٢].

فقد ثبت يقيناً أنهم مستطيعون بظاهر الأمر بالصحة فى االجوارح ، وارتفاع الموانع ، وأن الله تعالى كوّن فيهم قعودهم فبطل أن تتم استطاعتهم ، بخلاف فعلهم الذى ظهر منهم ، وقال عز وجل : « مَنْ يَهْدِ الله فَهُو الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ له وَلِيّاً مُرْشِداً »[٤٣].

فبين عزّ وجل بياناً جلياً أن من أعطاه الهدى اهتدى ، ومن أضله فلا يهتدى ، فصح يقينا

---

(٣٣) فى (خ) : سقطت كلمة (هذا) .
(٣٤) فى (خ) : سقط : (على ذلك أصلًا ، بل قلنا : إنه لا يقدر على ذلك قدرة تامة) .
(٣٥) فى (خ) : سقطت كلمة (أنه) .
(٣٦) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(٣٧) فى (خ) : سقطت كلمة (أيضاً) .
(٣٨) فى (خ) : سقطت كلمة (كل) .
(٣٩) سورة التوبة : ٤٢ .
(٤٠) سورة التوبة : ٤٦ .
(٤١) فى (أ) : (وهذا أمر تكوين) وقد حذف النفى والاستثناء .
(٤٢) سورة يس : ٨٢ .
(٤٣) سورة الكهف : ١٧

أن بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد مايكون به مهتدياً ، وأنّ بوقوع الإضلال من الله تعالى ، وهو الخذلان ، وخلق ضلال العبد يفعل المرء ما يكون به[٤٤] ضلالًا .

فإن قال قائل : معنى هذا أن[٤٥] من سماه الله تعالى مهتدياً ، ومن سماه ضلالًا[٤٦] قيل له هذا . قلنا له هذا باطل لأن الله تعالى نص على أن من أضلّه الله فلن تجد له وليا مرشداً فلو أراد الله عز وجل التسمية[٤٧] كما زعمتم ، لكان هذا القول منه عز وجل كذباً ، لأن كل ضال فله أولياء على ضلاله يُسمونه مهتدياً وراشداً ، وحاشا لله من هذا[٤٨] الكذب ، فبطل تأويلهم الفاسد ، وصح قولنا والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد :

وقال تعالى مخبراً عن الخضر عليه السلام الذى آتاه الله عز وجل العلم والحكم والنبوة ، حاكياً عن موسى ﷺ وفتاه : « فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاه مِنْ لَدُنَّا عِلْماً »[٤٩] .

وقال تعالى : مخبرا عنه ومصدق له[٥٠]: « وَمَا فَعَلْتُه عَنْ أَمْرِي »[٥١].

فصحّ أن كل ما قال الخضر عليه السلام فمن وحى الله تعالى ، ثم أخبر عز وجل بأن الخضر قال لموسى ﷺ : « إنَّكَ لَنْ تَستَطِيعَ مَعَىَ صَبْرًا[٥٢]» .

فلم ينكر الله عز وجل على كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام ولكن أجابه بأن قال : « سَتَجِدُنى إنْ شَاءَ الله صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا[٥٣]» .

فلم يقّل له موسى عليه السلام : إنى مستطيع للصبر ، بل صدق قوله فى ذلك إذ أقره ولم ينكره ، ورجا أن يحدث[٥٤] الله تعالى له استطاعة على الصبر فيصبر ، فلم ينكر ذلك موسى عليه

---

(٤٤) فى (أ) : (به ضلالا) .
(٤٥) فى (أ) : سقط كلمة (أن) .
(٤٦) فى (أ) : ضلالًا .
(٤٧) فى (أ) : (تسميته) .
(٤٨) فى (أ) : سقط كلمة (هذا) .
(٤٩) سورة الكهف : ٦٥ .
(٥٠) فى (أ) : (ومصدقا عنه) .
(٥١) سورة الكهف : ٨٢ .
(٥٢) سورة الكهف : ٦٧ ، ٧٢ .
(٥٣) سورة الكهف : ٦٩ .
(٥٤) فى (أ) : (يجد) .

السلام(٥٥) ، ولم يوجب موسى عليه السلام أيضًا لنفسه إلا أن يشاء الله ثم كرره الخضر عليه السلام بعد ذلك مرات أنه غير مستطيع للصبر إذْ لم يصبر ، فهذه شهادة ثلاثة أنبياء محمد وموسى والخضر صلوات الله عليهم ، وأكبر من شهادتهم شهادة الله تعالى بتصديقهم فى ذلك إذ قصه(٥٦) تعالى غير منكر له ، بل مصدقًا لهم وهذا لا يرده إلا مخذول .

وقال عز وجل : « وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذينَ كَانَتْ أَعْيُنُهـمْ فى غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُون سَمْعًا(٥٧)» .

فنص تعالى نصًا جليًا على أنهم ما كانوا(٥٨) يستطيعون السمع الذى أمروا به ، وأنهم مع ذلك كانت أعينهم فى غطاء عن ذكر الله عز وجل ، ومع ذلك استحقوا عليه(٥٩) جهنم ، وكانوا فى ظاهر الأمر مستطيعين بصحة جوارحهم ، وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد لله رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه إيانا ، لا إله إلا هو إذ يقول تعالى : وقال الظالمون « إنْ تَتَّبعونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فلا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا(٦٠)» .

فنفى الله عز وجل عنهم استطاعة شىء من السبل غير سبيل الضلال وحده ، وهذا كفاية لمن عقل .

وقال الله تعالى « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بإِذْنِ الله(٦١)» .

فنص الله تعالى على أن من لم يأذن له فى الإيمان لم يؤمن ، وأن من أذن له فى الإيمان آمن ، وهذا الإذن هو التوفيق الذى ذكرنا ، فيكون به الإيمان ولابدّ ، وعدم الإذن هو الخذلان الذى ذكرنا نعوذ بالله تعالى منه .

وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ومصدقا(٦٢): « وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِن الْجَاهِلِين فاسْتَجابَ له رَبُّه فَصَرَفَ عَنْه كَيْدَهُنَّ إِنَّه هُو السَّميعُ العَلِيم(٦٣)» .

---

(٥٥) جاءت هذه الجملة فى (أ) بعد أن كرر الخضر عليه السلام ذلك مرات ...
(٥٦) فى (أ) : (إذ قد نصه) .
(٥٧) سورة الكهف : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٥٨) فى (أ) : كانوا لا يستطيعون .
(٥٩) فى (أ) : على ذلك .
(٦٠) سورة الفرقان : ٨ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٦١) سورة يونس : ١٠٠ .
(٦٢) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ومصدقا له) .
(٦٣) سورة يوسف : ٣٣ ، ٣٤ .

فنص على أن رسوله ﷺ ، إن لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا ، وجهل ، وأنه تعالى صرف عنه الكيد فسلم ، وهذا نص جليّ على أنه إذا وفقه اعتصم واهتدى .

وقال تعالى حاكيًا عن إبراهيم خليله ورسوله ﷺ ومصدقا له :
« لَئِنْ لم يَهْدِنى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِن الْقَوْمِ الضَّالِّين[٦٤] » .

فهذا نص جليّ على أن من أعطاه الله تعالى قوة الإيمان آمن واهتدى ، ومن[٦٥] منعه تلك القوة كان من الضالّين ، وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

وقال تعالى : « واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بالله[٦٦] » .

فنص تعالى على أنه أمره بالصبر ثم أخبره أنه لا صبر له إلا بعون الله عز وجل ، وإذا أعانه بالصَّبر صبر .

وقال تعالى : « إنْ تَحْرِص عَلَى هُداهُم فإنَّ الله لَا يَهْدِى مَنْ يُضِل[٦٧] » .

وهذا نص جلى على أن من أضلَّه الله تعالى بالخذلان[٦٨] فلا يكون مهتديًا .

وقال تعالى : « وَإذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَك وبَيْنَ الَّذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وجَعَلْنَا عَلى قُلوبهم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وفى آذَانِهم وَقْرًا[٦٩] » .

فهذا نص جليّ[٧٠] لا إشكال فيه على أن الله تعالى خذلهم[٧١] ومنعهم أن يفقهوه .

فإن قال قائل : إنما قال تعالى إنه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ، وكذلك[٧٢] قال تعالى « وَمَا يُضلُّ بِه إلا الفَاسِقين[٧٣] » و« كذلك يَطْبَعُ الله عَلَى قُلوبِ الكَافِرين[٧٤] » .

قيل له وبالله تعالى التوفيق ، لو صح لك هذا التأويل لكان حجة عليك لأنه تعالى قد منعهم التوفيق وسلَّط عليهم الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم ، فاجعله كيف شئت فكيف وليس

---

(٦٤) سورة الأنعام : ٧٧ .
(٦٥) فى (أ) : (وأن من) .
(٦٦) سورة النحل : ١٢٧ .
(٦٧) سورة النحل : ٣٧ .
(٦٨) فى (أ) : بالخذلان له .
(٦٩) سورة الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ .
(٧٠) فى (خ) : (على ألا) .
(٧١) فى (أ) : لم يذكر كلمة (خذلهم) .
(٧٢) فى (أ) : ولذلك .
(٧٣) سورة البقرة : ٢٦ .
(٧٤) سورة الأعراف : ١٠١ .

ذلك على ما تأولت ، ولكن الآيات على[٧٥] ظواهرها وعلى ما يقتضيه لفظها دون تكلف ، وهو أن الله تعالى : لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لا قبل أن يضلهم ، وكذلك إنما صاروا[٧٦] لا يؤمنون حين جعل بينهم وبين نبيهم ﷺ حجابًا[٧٧] مستورًا ، وحين جعل على قلوبهم الأكنة[٧٨]، وفى آذانهم الوقر ، لا قبل ذلك ، وإنما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم لا قبل ذلك ، وقال تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا[٧٩]» .

فنص تعالى على أنه لولا أن[٨٠] ثبت نبيه ﷺ بالتوفيق لركن إليهم ، فإنما ثبت[٨١] رسول الله ﷺ ، حين ثبته ربه تعالى[٨٢] لا قبل ذلك ، ولو لم يعطه التثبت وخذله لركن إليهم ، وضلّ واستحق العذاب على ذلك ، ضعف الحياة وضعف الممات ، فتبًّا لكل مخذول يظن فى نفسه أنه مستغن عن ما افتقر إليه محمد ﷺ ، من توفيق الله تعالى وتثبته وأنه قد استوفى من الهدى ما لا مزيد فيه[٨٣]، وأنه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر ، وقد أمرنا تعالى أن نقول : « إياكَ نَعْبدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين ، اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعمتَ عَلَيْهِم غير الْمغَضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين » .

فنص على أمرنا بطلب العون منه ، وهذا نصّ قولنا والحمد لله رب العالمين ، فلو لم يكن هاهنا عون خاص ، من آتاه الله تعالى[٨٤] اهتدى ومن حرمه إياه وخذله[٨٥] ضل ، لما كان لهذا الدعاء معنىً ، لأن الناس كانوا كلهم يكونون معانين منعما[٨٦] عليهم ، مهديين[٨٧] غير معذبين[٨٨]، وهذا خلاف[٨٩] النص المذكور ، وقال تعالى : « خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم[٩٠]» .

---

(٧٥) فى (أ) : سقطت كلمة (على) .
(٧٦) فى (خ) : سقط الكلام من : (ضالين إلى صاروا) .
(٧٧) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا : (حين جعل بينهم وبينه حجابا) .
(٧٨) فى (أ) : (أكنة) .
(٧٩) سورة الإسراء : ٧٤ .
(٨٠) فى (خ) : لم يذكر (أن) .
(٨١) فى (أ) : (يثبت) .
(٨٢) فى (أ) : الله عز وجل .
(٨٣) فى (أ) : (عليه) .
(٨٤) فى (أ) : (إياه) .
(٨٥) فى (خ) : لم يذكر (وخذله) .
(٨٦) فى (خ) : لم يذكر (منعما) .
(٨٧) فى (خ) : لم يذكر (مهديين) .
(٨٨) فى (أ) : لم يذكر (غير معذبين) .
(٨٩) فى (أ) : (بخلاف) .
(٩٠) سورة البقرة : ٧ .

فنص على أنه ختم على قلوب الكافرين ، وأن على سمعهم وعلى[٩١] أبصارهم غشاوة جائلة بينهم وبين قبول[٩٢] الحق ، فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم إلا الذى ختم على قلوبهم جلَّ وعلا ، وهذا هو الخذلان الذى ذكرنا . نعوذ[٩٣] بالله منه ، وهذا نص جلى[٩٤] أنهم لا يستطيعون الإيمان مادام ذلك الختم على قلوبهم ، والغشاوة على سمعهم وأبصارهم ، فلو أزالها تعالى لآمنوا إلا أن يعجزوا ربهم تعالى عن إزالة ذلك فهذا خروج عن الإسلام ، وقال تعالى : « وَلَوْلَا فَضْلُ الله عليكم وَرَحْمَتُه لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا[٩٥]» .

فنص تعالى كما ترى على أنه من لم يتفضل عليه ، ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة ، فصح أن التوفيق به يكون الإيمان ، وأن الخذلان به يكون الكفر والعصيان ، وهو اتّباع الشيطان ، ومعنى قوله : « إلا قليلًا » إنما هو على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمته تعالى عليهم[٩٦]، أى لا اتبعتم الشيطان إلا قليلًا لم يرحمهم الله تعالى ، فاتبعوا الشيطان ، فَلِمَ تَتبعون إذ رحمكم الله[٩٧]؟ وهذا نص ما قلنا[٩٨] ولله الحمد .

وقال تعالى : « فَما لكُمْ فى المنافِقِينَ فِئَتَيْنِ والله أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُو أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ الله وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِد لَه سَبِيلًا[٩٩]» .

وهذا نص ما قلنا : إن من أضله الله تعالى[١٠٠] فلا سبيل له إلى الهدى ، وأن الضلال وقع مع الإضلال من الله تعالى للكافر والفاسق .

وقال تعالى : « ذَلِكَ هُدَى الله يهدى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[١٠١]» .

فأخبر تعالى أنَّ عنده هدى يهدى به من يشاء من عباده فيكون مهتديًا ، وهذا تخصيص ظاهر كما ترى ، وقال تعالى : « فَمنْ يُرِد الله أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَه للإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْرَهَ ضَيِّقًا حَرَجًا كأَنَّما يَصَّعَّدُ فى السَّماءِ[١٠٢]» .

---

(٩١) فى (أ) : سقطت (على) .
(٩٢) فى (أ) : (قول) .
(٩٣) فى (أ) : (ونعوذ) .
(٩٤) فى (أ) : لم يذكر كلمة (جلى) .
(٩٥) سورة النساء : ٨٣ .
(٩٦) فى (أ) : (لهم) .
(٩٧) جاءت العبارة مضطربة فى (أ) هكذا « فاتبعوا الشيطان إذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه ؟ » .
(٩٨) فى (أ) : (فى قولنا) .
(٩٩) سورة السناء : ٨٨ .
(١٠٠) فى (أ) : (لا سبيل) .
(١٠١) سورة الأنعام : ٨٨ .
(١٠٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .

فهذا نص على[١٠٣] ما قلناه وأن الله تعالى قد نص لنا على أن من أراد هداه شرح صدره للإسلام ؛ فآمن بلا شك ، وأن من أراد إضلاله[١٠٤] ولم يرد هداه ضيَّق صدره وأحرجه ، حتى يكون كمريد الصعود إلى السماء ، فهذا لا يؤمن ألبتة ، ولا يستطيع[١٠٥] الإيمان ، وأنه فى حقيقة أمره كمن كلف الصعود إلى السماء ، فهذا لا يؤمن ألبتة ، وهو فى ظاهر أمره[١٠٦] مستطيع بصحة جوارحه .

* * *

قال أبو محمد : إن الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التى لا تحتمل تأويلًا ، ومن شهادة خمسة من الأنبياء عليهم السلام : إبراهيم[١٠٧] وموسى ويوسف[١٠٨] والخضر ومحمد[١٠٩] عليهم الصلاة والسلام ، لأنهم لا يستطيعون فعلًا لشيءٍ من الخير إلا بتوفيق الله تعالى لهم ، وأنهم إن لم يوفقهم ضلوا جميعًا مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل ، ومن علم تراكيب الأخلاق الحميدة[١١٠] والمذمومة علم أنه لا يستطيع أحد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه ، فتجد الحافظ لا يقدر على تأخير الحفظ ، والبليد لا يقدر على الحفظ ، والفَهِم لا يقدر على الغباوة ، والغبى لا يستطيع ذكاء الفهم ، والحسود لا يقدر على ترك الحسد ، والنزيه النفس لا يقدر على الحسد ، والحريص لا يقدر على ترك الحرص ، والبخيل لا يقدر على البذل ، والجبان لا يقدر على الشجاعة ، والكذَّاب لا يقدر على ضبط نفسه من الكذب ، كذلك يوجدون من طفولتهم ، والسيء الخلق لا يقدر على الحلم ، والحيى لا يقدر على القِحَة ،

---

(١٠٣) فى (أ) : حذفت (على) .

(١٠٤) فى (أ) : (ضلاله) .

(١٠٥) فى (أ) : سقطت كلمة (الإيمان) .

(١٠٦) فى (أ) : سقط الكلام من قوله « وأنه فى حقيقة أمره إلى البته .

(١٠٧) فى (أ) : سقطت كلمة (أمره) .

(١٠٨) إبراهيم اسم أعجمى وفيه لغات : ابراهام ، وابراهوم ، وابراهيم ، وابراهيم والجنع أباره وأبارية وأبارهة ، وأكثر المحققين على هذا أنه اسم جامد غير مشتق وقال بعض المتكلفين : إنه اسم مركب من البراء والبُرء ، والبراءة ، وفى تاريخ دمشق ولد إبراهيم بغوطه دمشق بقرية يقال لها برزة ، والصحيح أنه ولد بكوثى من أرض العراق باقليم بابل ، إنما نسب إليه هذا لأنه أقام ببرزة ولأنه صلى فيه لما جاء معيناً للوط عليه السلام ، قال المؤرخون : هاجر إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام وبلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة ، وقيل مائتى سنة ودفن بالأرض المقدسة .
بصائر ذوى التمييز جـ ٦ ص ٣٥

(١٠٩) يوسف اسم أعجمى غير منصرف لعلتين ، وقيل مشتق من الأسف ، وفى قصص الأنبياء للثعلبى قال كعب : قسم الجمال عشرة أجزاء ، تسعة منها ليوسف وواحد لجميع أولاد آدم ، وقال النبى – ﷺ – رأيت يوسف عليه السلام ليلة أسرى بى فى السماء الرابعة . فقيل : كيف رأيته .. ؟ قال : كالقمر ليلة البدر ، ولما قرأ ﷺ قوله : رب السجن أحب إلىَّ مما يدعوننى إليه قال : رحم الله أخى يوسف هلا سأل الله العفو والعافية ، ولما قرأ قوله : (فاسأله ما بال النسوة اللاتى) قال « رحم الله يوسف لو كنت أنا لبادرت الباب » . بصائر ذوى التمييز جـ ٦

(١١٠) فى (خ) : لم يذكر (محمد) .

والوقاح[١١١] لا يقدر على الحياء ، والعيى لا يقدر على البيان ، والطيوش لا يقدر على الصبر والغضوب لا يقدر على الحلم[١١٢] والصبور لا يقدر على الطيش ، والحليم لا يقدر على الغضب ، والعزيز النفس لا يقدر على المهانة ، والمهين لا يقدر على عزة النفس ، وهكذا فى كل شيءٍ ، فصحَّ أنه لا يقدر أحد إلا على ما يقدر[١١٣]، مما جعل[١١٤] الله تعالى فيه من القوة على فعله ، وإن كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع[١١٥] حكمنا على الطبع لا على ما يتطبع[١١٦].

* * *

قال أبو محمد : والملائكة والحور العين ، والجن والإنس[١١٧] وجميع الحيوان فى الاستطاعة سواء كما ذكرنا ، ولا فرق بين شيء من[١١٨] ذلك كله[١١٩]، فقد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعة الظاهرة لصحة[١٢٠] الجوارح فيهم[١٢١]، ولا يكون منهم فعل إلا بعونٍ وارد من الله عز وجل ، إذا ورد كان الفعل منه[١٢٢] ولابد ، فقد خلق الله تعالى فيهم اختيارًا وإرادة ، وحركة ، وسكونًا ، هى أفعالهم لا غيرها[١٢٣]، فالملائكة وحور العين معصومون ، لم يخلق الله تعالى فيهم معصية أصلًا[١٢٤].

وأما الجن فكبنى آدم عليه السلام فى التوفيق والخذلان سواء سواء ، وأما سائر الحيوان فلا عبادة عليه ؛ لا طاعة ولا معصية[١٢٥].

وأما الذى يقدر على كل ما يفعل[١٢٦] ولم يزل قادرًا على كل ما يخطر على[١٢٧] القلب ؛ فهو

---

(١١١) فى (أ) : المحمودة .
(١١٢) فى (أ) : والوقح .
(١١٣) فى (خ) : سقط قوله (والغضوب لا يقدر على الحلم) .
(١١٤) فى (أ) : (يفعل) .
(١١٥) فى (ا) : (بما يتم) .
(١١٦) فى (خ) : لم يذكر (متوهما منهم بصحة النبية وعدم المانع) .
(١١٧) فى (أ) : لم يذكر (حكمنا على الطبع لا على ما يتطبع) .
(١١٨) فى (أ) : لم يذكر (والإنس) .
(١١٩) (فى) .
(١٢٠) فى (أ) : (وكلهم) .
(١٢١) فى (أ) : (بصحة) .
(١٢٢) فى (أ) : لم يذكر (فيهم) .
(١٢٣) فى (أ) : (معه) .
(١٢٤) فى (أ) : (على غيرها) .
(١٢٥) فى (أ) : (لا طاعة ولا معصية) .
(١٢٦) فى (أ) : سقط ما بين القوسين [ ] .
(١٢٧) لم يذكر (وما لايفعل) .

واحد لا شريك له وهو الله عز وجل ، « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِير[١٢٨]» « وَلَمْ يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدْ[١٢٩]» .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢٨) فى (أ) : (بالقلب) .
(١٢٩) سورة الشورى : ١١ .
(١٣٠) سورة الصمد : ٤ .

« الكلام فى الهدى والتوفيق »

قال أبو محمد : وهو متصل بالكلام فى الاستطاعة[1]– :

احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل : « وأَمَّا ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى[2]» .

وبقوله « إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وإِمَّا كَفورًا ، إنا أعتدنا لِلكافرين سلاسل وأَغْلَالًا وَسَعِيرًا[3]» .

* * *

قال أبو محمد : وهذا حق وقد قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَن اعْبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهَمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَليه الضَّلالَةُ[4]» .

فأخبر تعالى أن الذى هدى[5] بعض الناس لا كلهم ، وقال تعالى « إِنْ تَحْرِصْ عِلَىَ هُدَاهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَهْدى مَن يُضل[6]» .

وهى قراءة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من « يهدى » وكسر الدال . فأخبر تعالى أن فى الناس من لم يهده .

---

(١) فى (أ) : لم يذكر (وهو متصل بالكلام فى الاستطاعة) .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) سورة الإنسان : ٢ – ٤ .

(٤) سورة النحل : ٣٦

(٥) فى (خ) : سقطت كلمة (هدى) .

(٦) النحل : ٣٧

وقال تعالى « يُضِلُّ بِه كَثيرًا وَيَهْدِى به كَثِيرًا[٧] » .

فأخبر تعالى أن الذى هدى غير الذى أضل فلم يهد . وقال تعالى : « مَنْ يَضْلِلِ الله فَلَا هَادىَ له[٨] » . فأخبر تعالى أن الذين أضل لم يهدهم وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسْلام وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّه يَجْعِلْ صَدْرَه ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصَّعَدُ فى السَّماء[٩] » .

فأخبر تعالى أن الذين هدى غير الذين[١٠] أضل ، ومثل هذا كثيرا[١١] وكل هذا كلام الله عز وجل وكله حق ؛ ولا يتعارض[١٢]، ولا يبطل بعضه بعضًا .

وقال تعالى : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ الله لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلَافًا كَثيرًا[١٣] » .

فصح يقينًا أن كلَّ ما أوردنا من الآيات فكلها متفق لا يختلف[١٤]، فنظرنا فى الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة ، وهو أن الله تعالى أخبر أنه هدى ثمود فلم يهتدوا ، وهدى الناس كلَّهم السبيل ثم هم[١٥] بعد هذا « إما شَاكِرًا وإمَّا كَفُورًا » .

وأخبر تعالى فى الآيات[١٦] الأخر أنه هدى قومًا فاهتدوا ، ولم يهد آخرين . فلم يهتدوا ، فعلمنا ضرورة أن الهدى الذى أعطاه الله تعالى جميع الناس هو غير الذى أعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم إياه ، هذا أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته ، فإذ لا شك فى ذلك فقد لاح الأمر وهو أن الهدى فى اللغة العربية من الأسماء المشتركة ، فهى[١٧] التى يقع الاسم منها[١٨] على مسميين مختلفين[١٩] بنوعهما فصاعدًا ، فالهدى يكون بمعنى الدلالة ؛ تقول هديت فلانًا الطريق ، بمعنى أريته إياه ، وأوقفته[٢٠] عليه ، وأعلمته إياه ، سواء سلكه أو تركه ، وتقول : فلان هادٍ

---

(٧) البقرة : ٢٦ . وهذه الآية سقطت من (أ) ، وكذلك سقط الكلام بعدها إلى قوله (وقال تعالى) .
(٨) الأعراف : ١٨٦
(٩) الأنعام : ١٢٥
(١٠) فى (أ) : الذى .
(١١) فى (خ) : سقطت كلمة (كثير) .
(١٢) فى (ح) : سقطت كلمة (كثير) .
(١٢) فى (أ) : (لا يتعارض) .
(١٣) النساء : ٨٢
(١٤) فى (أ) : (لا مختلف) .
(١٥) فى (ح) : (ثم هداهم) وهو تحريف .
(١٦) فى (خ) : سقطت كلمة (الآيات)
(١٧) فى (أ) : (وهى) .
(١٨) فى (خ) : لم تذكر كلمة (منها) .
(١٩) فى (خ) : (مسمين) ولم يذكر (مختلفين) .
(٢٠) فى (أ) : (ووقفته) .

للطريق[٢١]؛ أى هو[٢٢] دليل فيه ، فهذا هو الهدى الذى هدى الله تعالى ثمود وجميع الجن والملائكة ، وجميع الإنس كافرهم ومؤمنهم لأنه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصى وعرفهم ما يسخط مما يرضى .

فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير ، والتيسير له ، وخلقه لقبول الخير فى النفوس[٢٣]، فهذا هو[٢٤] الذى أعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم ، والمهتدين من الإنس والجن ، ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ، ولو أعطاهم إياه تعالى لما كفروا ولا فسقوا ، وبالله تعالى التوفيق .

ومما يبين قوله فى الآيات المذكورة : « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وإِمَّا كَفُورًا[٢٥]

فيبين أن الذى هداهم له هو[٢٦] الطريق فقط ، وكذلك أيضًا قوله تعالى : « أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَين وَلِسَانًا وشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن[٢٧]» .

فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

وكذلك قوله تعالى : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ولكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنىِّ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّم مِنَ الْجِنَّة والنَّاسِ أَجْمَعِين[٢٨]» .

وقوله « وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى[٢٩]» .

وهذا بلا شك غير ما هدى جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل[٣٠] .

قال أبو محمد : وقوله تعالى « إِنَّ الّذينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهُمْ طَرِيقًا إلا طَرِيق جَهَنَّم[٣١]» .

قال أبو محمد : وهذا[٣٢] نص جلى على ما قلنا ، وبيان جلى[٣٣] أن الدلالة لهم على طريق

---

(٢١) فى (أ) : (بالطريق) .
(٢٢) فى (أ) : سقطت كلمة (هو) .
(٢٣) فى (خ) : سقطت (فى النفوس) .
(٢٤) فى (خ) : سقطت كلمة (هو) .
(٢٥) سورة الإنسان : ٣
(٢٦) فى (أ) : (فهو) .
(٢٧) سورة البلد : ٨ - ١٠
(٢٨) السجدة : ١٣
(٢٩) الأنعام : ٣٥
(٣٠) جاءت هذه العبارة فى (خ) هكذا : (غير ما هدى جميعهم عليه من الملائكة والنبيين للحق ..) .
(٣١) النساء : ١٦٨
(٣٢) فى (أ) : (فهذا) .
(٣٣) فى (أ) : لم يذكر (جلى) .

جهنم يحملون[٣٤] إليها ، فهذا هو الهدى لهم إلى تلك الطريق ، ونفى عنهم فى الآخرة هدى إلى شيء من الطرق[٣٥] إلا طريق جهنم نعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وقال بعض من يتعسف القول بغير[٣٦] علم : إن قول الله عز وجل : « وَأَمَّا ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الهُدَى » .

وقوله « إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبيلَ » .

وقوله تعالى « وَهَدَيْنَاه النَّجدْيْنَ » .

إنما أراد تعالى بكلِّ ذلك المؤمنين خاصة .

قال أبو محمد : وهذا باطل لوجهين :

أحدهما : تخصيص الآيات بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل .

والثانى : أن نص الآيات يمنع من التخصيص ولابد ، وهو أن الله تعالى قال : « وأما ثَمودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدى » .

فرد تعالى الضمير فى « فاستحبوا العمى على الهدى » إلى المهديين أنفسهم ، فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا[٣٧]، وأيضًا فإن الله تعالى قال لرسوله ﷺ : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاء[٣٨]» .

وقال تعالى : وإنَّكَ لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله[٣٩] .

فصح يقينا أن الهدى الواجب على النبى ﷺ هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذى ليس هو[٤٠] عليه ، وإنما هو لله تعالى وحده فإن ذكر ذاكر قول الله عزّ وجل : « وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْاوَهُمْ مُعْرِضُونَ[٤١]» .

فليس هذا على ما ظنه من لا ينعم النظر ، من أن الله وحده : لو أسمعهم لم يسمعوا

---

(٣٤) فى (أ) : (يحملون فيه إليها هدى لهم) وهى عبارة مضطربة .
(٣٥) فى (خ) : (الطريق) .
(٣٦) فى (أ) : (بلا علم) .
(٣٧) فى (خ) : سقط (فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا) .
(٣٨) البقرة آية رقم ٢٧٢
(٣٩) الشورة آية : ٥٢ ، ٥٣
(٤٠) فى (خ) : لم يذكر (هو) .
(٤١) الأنفال : ٢٣

بذلك ، بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن ، لأن الله تعالى قال : « وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِم خيرًا لَأَسْمَعَهُمْ » .

فصح يقينا أن من علم الله فيهم خيرًا أسمعه ، وثبت أن فيه خيرًا ، ثم قال تعالى : « ولو أسْمَعَهُم لَتُوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون » .

فصح يقينا أنه أراد بلا شك : أنه لو أسمعهم لتولّوا عن الكفر ، وهم معرضون عنه . لا يجوز غير هذا أصلًا لأنه تعالى قد نص على أن إسماعه لا يكون إلا لمن علم فيه خيرًا ، ومن المحال الباطل أن يكون : من علم الله فيه خيرًا يتولى عن الخير ، ويعرض عنه[٤٢] فبطل ما حرفوا بظنونهم[٤٣] من كلام الله عز وجل ، وكذلك قوله تعالى : إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا » .

فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين : كفورًا وشاكرًا[٤٤] .

فصح أن الكفور أيضًا هُدِى السبيل ، فبطل ما توهموه من الباطل ، ولله تعالى الحمد . وصح ما قلنا

---

(٤٢) الكلام الذى بين القوسين [ ] سقط من (خ) .

(٤٣) ف (خ) : لم يذكر (بظنونهم) .

(٤٤) ف (خ) : سقط ما بين القوسين [ ] .

« الكلام فى الإضلال »

قال أبو محمد : قد[1] تلونا من كلام الله تعالى فى هذا الباب الذى قبل هذا ؛ والباب الذى قبله متصلًا به نصوصًا كثيرة بأن الله تعالى أضل من شاء من خلقه ، وجعل صدورهم ضيقة حرجة ، فإن اعترضوا بقول الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا[2]: « وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمجرِمُونَ[3]» .

فلا حجة لهم فى هذا[4] لوجوه :

أحدها : أنه قول الكفار[5] قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى أنهم يقولون[6] حينئذ « والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[7]» .

وقال تعالى : « انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ[8]» .

فإن أبوا إلا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه إلى جنب قول إبليس : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهم فى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهم أَجْمَعِينَ[9]» .

والوجه الثانى : أنا لا ننكر ضلال[10] المجرمين وإضلال إبليس لهم ، لكنه إضلال آخر غير[11] إضلال الله عز وجل لهم .

---

(١) فى (أ) : (وقد) .
(٢) فى (خ) : لم يذكر (أنهم قالوا) .
(٣) الشعراء : ٩٩
(٤) فى (أ) : (فى هذه الوجوه) وهو تحريف .
(٥) فى (أ) : (كنا) .
(٦) فى (أ) : سقط (أنهم يقولون) .
(٧) الأنعام : ٢٣ .
(٨) الأنعام : ٢٤ .
(٩) الحجر : ٣٩
(١٠) فى (أ) : (إضلال) .
(١١) فى (أ) : (ليس) .

والثالث : أنه لا عذر لأحد فى أن الله تعالى أضلَّه ، ولا لوم على الخالق تعالى فى ذلك ، وأما من أضل آخر ممن[١٢] دون الله تعالى فملوم ، وقد فسر الله تعالى إضلاله لمن يضل كيف هو وتفسيره[١٣] تعالى ذلك الإضلال أغنانا به عن تفسير الخلعاء العيّارين كالنظام[١٤] والعلاف وثمامة[١٥] وبشر بن المعتمر والجاحظ[١٦] والناشىء ، ومن[١٧] هنالك من الأحزاب ، ومن تبعهم من الجهال فبيّن تعالى فى نص القرآن أن إضلاله لمن أضل من عباده إنما هو أن يضيِّق صدره عن قبول الإيمان وأن يحْرجه حتى لا يرغب فى تفهمه والجنوح إليه ، ولا يصبر عليه ، ويُوَعِّر عليه الرجوع إلى الحق حتى يكون كأنه يكلف[١٨] فى ذلك الصعود إلى السماء .

وفسر ذلك أيضًا عز وجل فى آية أخرى قد تلوناها آنفًا بأنه يجعل اكنة على قلوب الكافرين ، تحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والإصاغة إلى بيانه وهداه ، وأن يفقهوه ، وأنه تعالى جعل بينهم وبين قول[١٩] الرسول حجابًا مانعًا لهم من الهدى ، وفسَّره أيضًا بأنه ختم على قلوبهم وطبع عليها ، فامتنعوا بذلك عن[٢٠] وصول الهدى إليها .

وفسر تعالى إضلال من دونه[٢١]: إنه جعلهم أئمة يدعون إلى النار ، وفسر تعالى أيضا القوة التى أعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بأنها تثبت[٢٢] على قبول الحق ، وأنه تعالى شرح[٢٣] صدورهم لفهم الحق واعتقاده ، والعمل به ، وأنه صارف[٢٤] لكيد الشيطان وفتنته عنهم ، نسأل الله تعالى أن يمدنا بهذه العطية ؛ وأن يصرف عنا الإضلال بمنه[٢٥]، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، فقد خاب وخسر

---

(١٢) (من) .

(١٣) فى (أ) : وفسر ... تفسيرًا أغنانا .

(١٤) هو : إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى ، أبو اسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة واضطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين ، وانفرد بآراء خاصة ، فاتبعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه ، أمّا شهرته بالنظام فأشياعه يقولون : إنها من إجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون : إنه كان ينظم الخرز فى سوق البصرة . توفى عام ٢٣١ هـ (الأعلام : ٣٦/١) .

(١٥) هو : ثمامة بن أشرس أبو معن النميرى ، البصرى ، من كبار المعتزلة ، ومن رءوس الضلالة ، كان له اتصال بالرشيد ، ثم بالمأمون ، وكان ذانوادر وملح ، وأراد المأمون أن يستوزره ، فاستعفاه مات سنة ٢١٣ هـ (لسان الميزان : ٨٣/٢) .

(١٦) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الليثى أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد عام ١٦٣ هـ ، وكان مولده بالبصرة ، فلج فى آخر عمره ، وكان مشوه الخلقه ، ومات والكتاب على صدره قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، له تصانيف كثيرة ، منها : البخلاء ، والمحاسن والأضواء ، والبيان والتبين ، وكتاب الحيوان . وقد ألف أبو حيان التوحيدى كتابا فى أخباره أسماه تقريظ الجاحظ ، ولشفيق جبرى : الجاحظ معلم العقل والأدب . توفى بالبصرة عام ٢٥٥ هـ . (الأعلام : ٢٣٩/٥) .

(١٧) فى (أ) : (وما هنالك) .

(١٨) فى (أ) : يتكلف .

(١٩) فى (خ) : (قبُول) .

(٢٠) فى (أ) : (من) .

(٢١) فى (أ) : (فقال تعالى) .

(٢٢) فى (أ) : (تثبيت) .

(٢٣) فى (أ) : (يشرح) .

(٢٤) فى (أ) : (صرف) .

(٢٥) فى (خ) : لم يذكر (بمنه) .

من ظنَّ فى نفسه أنه قد استكمل الهدى[٢٦] حتى استغنى أن يزيده ربه توفيقًا وعصمة ، ولم يحتج إلى خالقه فى أن يصرف عنه فتنته ولا كيده ، لاسيما من جعل نفسه أقوى على ذلك من خالقه تعالى[٢٧]، ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ، ونبرأ إلى الله خالقنا من الحول والقوة كلها إلا ما أتانا منها متفضـلًا علينا ، وأن[٢٨] كلَّ ما فى[٢٩] القرآن من إضلال الشيطان[٣٠] للناس وإنسائه إياهم ذكر الله تعالى ، وتزيينه لهم ، ووسوسته ، وفعل بعض الناس ببعض فصحيح كما جاء فى القرآن دون تكلف ، وهذا كله إلقاء لما ذكرنا فى قلوب الناس ، وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك فى القلوب ، وخلق[٣١] الأفعال لهؤلاء المضلين من الجن والإنس ، وكذلك قوله تعالى « حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم[٣٢]» لأنه فعل أضيف إلى النفس لظهوره منها ، وهو خلق الله تعالى فيها ، فإن ذكروا قول الله تعالى « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ[٣٣]» .

فهو كما قال تعالى ، وهو حجة على المعتزلة لأن الله تعالى أخبر أنه لا يضل قومًا حتى يبين لهم ما يتقون[٣٤] وما يلزمهم وصدق عز وجل ؛ لأن المرء قبل أن يأتيه خبر الرسول غير ضال بشىء مما يفعل أصلا فإنما سمى الله تعالى فعله فى العبد[٣٥] إضلالًا بعد بلوغ البيان إليه لا قبل ذلك وبالله تعالى التوفيق .

فصح بهذه الآيات أنه تعالى يُضلهم بعد أن يبين لهم وقد فسر بعضهم الإضلال بأنه منع اللطف الذى يقع به الإيمان فقط .

* * *

قال أبو محمد : ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب أن الإضلال معنى زائد أعطاه الله تعالى الكفار والعصاة ، وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحرجها والختم على القلوب ، والطبع عليها ، وإكنانها عن أن يفقهوا الحق ، فإن قالوا إن هذا فعل النفوس

(٢٦) فى (أ) : القوى .
(٢٧) سقط الكلام الذى بين القوسين [ ] من (خ) .
(٢٨) فى (أ) : (وأما) .
(٢٩) فى (أ) : بزيادة (جاء) .
(٣٠) فى (أ) : الشياطين .
(٣١) فى (أ) : وخالق .
(٣٢) البقرة : ١٠٩
(٣٣) التوبة : ١١٥
(٣٤) فى (خ) : لم يذكر (ما يتقون) .
(٣٥) فى (خ) : سقطت كلمة (العبد) .

كلها إن لم يهدها الله تعالى بالتوفيق . قلنا لهم فمن خالق[٣٧] هذه الخلقة المفسدة إن لم يؤيدها بالتوفيق ؟

فإن قالوا : الله تعالى هو الذى[٣٨] خلقها كذلك ، أقروا بأن الله تعالى أعطاها هذه البلية ، وركب فيها هذه القوة[٣٩] المهلكة لها ، فإن فروا إلى قول معمر والجاحظ إن هذا كله فعل االطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا ، وقلنا لهم : فمن خلق النفس وخلق لها[٤٠] هذه الطبيعة الموجبة لهذه الأفاعيل ؟ فإن قالوا الله تعالى . أقروا بأن الله تعالى أعطاها هذه الصفة المهلكة لها إن لم يهدها[٤١] بلطف وتوفيق ، وكذلك إن قالوا إن النفس هى التى[٤٢] فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كان مع خروجهم من الإسلام بهذا القول مجلين أيضًا محالًا ظاهرًا ، لأن النفس لو فعلت هى[٤٣] طبيعتها لكانت إما مختارة لعملها ، وإما كارهة[٤٤] مضطرة إلى فعلها على ما هى عليه ، فإن كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مرارًا بخلاف ما توجد[٤٥] الآن عليه ، وإن كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة إلى هذا[٤٦] الفعل ؟ فلابد من أنه الله تعالى فرجعوا ضرورة إلى أن الله تعالى هو الذى[٤٧] أعطاها هذه الصفة المهلكة التى بها كانت المعصية مع أنه لم يقل أحد من المسلمين أن النفس أحدثت طبيعتها مع أنه أيضًا قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل .

قال أبو محمد : وأما القائلون بالأصلح من المعتزلة فإنهم انقطعوا هاهنا وقالوا ما[٤٨] ندرى ما معنى الإضلال ؟ ولا ما[٤٩] معنى الختم على قلوبهم ، ولا الطبع عليها ؟ وقال بعضهم معنى ذلك أن الله تعالى سماهم ضالين ، وحكم[٥٠] أنهم ضالون ، وقال بعضهم معنى أضلهم أتلفهم كما تقول : أضللت[٥١] بعيرى .

---

(٣٦) فى (أ) : (الآية) .
(٣٧) فى (أ) : من خلقها .
(٣٨) فى (أ) : سقطت كلمة (الذى) .
(٣٩) فى (أ) : الصفة .
(٤٠) فى (أ) : (فيها) .
(٤١) فى (أ) : (يمدّها) .
(٤٢) فى (أ) : سقطت (التى) .
(٤٣) فى (خ) : سقطت (هى) .
(٤٤) فى (أ) : سقطت (كارهة) .
(٤٥) فى (أ) : (ما لا توجد إلا عليه) .
(٤٦) فى (خ) : سقطت (هذا) .
(٤٧) فى (خ) : سقطت (الذى) .
(٤٨) فى (أ) : (لا) .
(٤٩) فى (أ) : سقطت (ما) .
(٥٠) فى (خ) : وحكى .
(٥١) فى (أ) : ضللت .

قال أبو محمد : ولم نجد لهم تأويلًا أصلًا فى قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام أنه قال : « إِنْ هى إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاء[٥٢]»

* * *

قال أبو محمد : وهذا هو الضلال حقًا وهو أن يحملهم اللجاج والعمى فى لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من أسلافهم ، على أن يدعوا أنهم لا يعرفون ما معنى الإضلال والختم والطبع والأكنة على القلوب[٥٣]، وقد فسر الله تعالى ذلك تفسيرًا جليًا ، فإنها[٥٤] ألفاظ عربية معروفة المعانى فى اللغة التى بها نزل القرآن فلا يحلُّ لأحد أن يصرف لفظة معروفة المعنى فى اللغة عن معناها الذى وضعت له فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى فى القرآن إلى معنى غير ما وضعت له إلا أن يأتى قرآن أو كلام عن رسول الله ﷺ ، أو إجماع من علماء الأمة كلها على أنها مصروفة عن ذلك المعنى إلى غيره ، أو يوجب ذلك[٥٥] ضرورة حسٍ أو بديهه عقل فيوقف حينئذٍ عندما جاء عن ذلك . ولم يأت فى هذه الألفاظ التى أضلهم الله تعالى فيها وحيّرهم الشيطان عن فهمها نص ولا إجماع ولا ضرورة بأنها مصروفة عن موضوعها فى اللغة بل قد قال رسول الله ﷺ : « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه[٥٦]» فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى المؤمن للخير الذى له خلقه ، وأن الخذلان[٥٧]: تيسيره الفاسق للشر الذى له خلقه ، وهذا موافق للغه والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ، ولما عليه الفقهاء وللأئمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء[٥٨] المسلمين ، حاشا من أضله الله تعالى على علم من أتباع العيارين الخلعاء ، كالنظام والعلاف وثمامة والجاحظ .

قال أبو محمد : ونبين هذا أيضًا بيانًا طبيعيًا ضروريًا لا خفاء به بعون الله الله تعالى وتأييده على من له أدنى بصر بالنفس وأخلاقها ، وقدرة الله تعالى فى إبداعها[٥٩] وتصويرها فنقول – وبالله تعالى التوفيق – : إن الله تعالى خلق نفس الإنسان ميسرة[٦٠] مميزة عاقلة عارفة بالأشياء على ما هى

---

(٥٢) الأعراف : ١٥٥

(٥٣) فى (خ) : سقط (والأكنه على القلوب) .

(٥٤) فى (أ) : (وأيضا) .

(٥٥) فى (أ) : ويوجب صرفها .

(٥٦) رواه البخارى فى تفسير سورة ٩٢ ، وفى القدر رقم ٢ ، وفى التوحيد /٥٤ ، ورواه مسلم فى القدر : ٧ ، ٩ ، وابن ماجه فى المقدمة ، وأبو داود فى السنة .

(٥٧) فى (خ) : سقط : (وأن الخذلان) .

(٥٨) فى (أ) : (وعامة المسلمين) .

(٥٩) فى (أ) : فى اختراعها ، وسقط (وتصويرها) .

(٦٠) فى (أ) : سقطت (ميسرة) .

عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها مأمورة منهية ، فعّالة معذبة ملتذة آلة حساسة ، وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين فى التأثير ، وهما التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على آفاق النفس

فالتميز هو الذى خصت به نفس الإنسان[٦١]، والجن والملائكة دون الحيوان الذى لا يكلف ، والذى ليس ناطقًا .

والهوى هو الذى يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان ، الذى ليس ناطقًا من حب اللذات والغلبة .

قال أبو محمد : وهذه القوة فى كل الحيوان حاشا الملائكة فإنما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية أصلًا بوجه من الوجوه ، فإذا عصم الله تعالى العبد[٦٢] غلب[٦٣] التمييز بقوة من عنده هى له مدد وعون . فجرت أفعال النفس على ما رتّب الله تعالى فيها[٦٤] تمييزها[٦٥] من فعل الطاعات ، وهذا هو الذى يسمى العقل ، وإذا خذل الله تعالى النفس أمدَّ الهوى بقوة هى الإضلال ، فجرت أفعال النفس على ما رتب الله تعالى فى هواها من الشهوات وحب الغلبة ، والحرص والبغى[٦٦] والحسد ، وسائر الأخلاق الرذيلة ، والمعاصى ، وقد قامت البراهين على أن النفس مخلوقة ، وكذلك جميع قواها المنتجة عن قوتيها الأوليين : التمييز والهوى ، وكل[٦٧] ذلك مخلوق مركب فى النفس على ما هو عليه فيها ، كل جار على طبيعته المخلوقة مجرى كيفياته بها على ما هى عليه .

فإذ قد صح أن كلَّ ذلك خلق الله عز وجل فلا مغلب لبعض ذلك على بعض ، إلا خالق الكل وحده لا شريك له ، وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة ، إلا من رحمها الله تعالى وعصمها .

قال تعالى : « وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى[٦٩]»

---

(٦١) فى (خ) : سقط (نفس الإنسان) .
(٦٢) فى (أ) : النفس .
(٦٣) فى (خ) : (عصم) .
(٦٤) فى (أ) : (فى) .
(٦٥) فى (خ) : اضطراب حيث جاءت العبارة هكذا (فيها تمييزها لما رتبه الله تعالى فيها من الطاعات) .
(٦٦) فى (خ) : (والغنى) .
(٦٧) فى (أ) : (كل) بغير واو العطف .
(٦٨) فى (أ) : (لجرى) .
(٦٩) يوسف : ٥٣ . وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرها (إلا من رحم ربى) .

فأخبر عزّ وجل بنص ما قلنا أن المرحومة[٧٠] المستثناه لا تأمر بسوء وبالله تعالى التوفيق .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىَ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى[٧١] » .

وذم الله تعالى الهوى فى غير موضع[٧٢] من كتابه ، وهذا نص ما قلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٧٠) فى (خ) : (المرحومة هى) .
(٧١) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .
(٧٢) فى (أ) : (ما وضع) .

« الكلام فى القضاء والقدر »

قال أبو محمد : ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين إلى أن ظنوا أن فيهما معنى الإكراه والإجبار ، وليس كما ظنوا وإنما معنى القضاء ، فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا أنه الحكم فقط ، لذلك يقولون : القاضى : بمعنى الحاكم ، وقضى الله عز وجل بكذا أى حكم به[1]، ويكون أيضا بمعنى أمر ، قال الله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه[2].

إنما معناه بلا خوف أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ، ويكون أيضًا بمعنى أخبر ، قال تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِين[3]» .

بمعنى أخبرناه[4] أن دابرهم مقطوع بالصباح ، وقال تعالى « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيل فى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا[5]» .

أى أخبرناهم بذلك ، ويكون أيضًا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم . قال تعالى : « إذا قَضَى أَمْرًا فإِنَّما يَقُول له كن فَيَكُون[6] ومعنى ذلك حكم بكونه فكوَّنهْ .

ومعنى القدر فى اللغة العربية الترتيب والحد الذى ينتهى إليه الشىء ، تقول : قدرت البناء تقديرًا[7]: رتبته وحددته ، وقال تعالى : « وقدَّر فيها أقواتها[8]» بِمعنى رتِب أقواتها وحدَّدها ، وقال

---

(١) فى (خ) : (أى أمر به) .
(٢) الإسراء : ٢٣
(٣) الحجر : ٦٦
(٤) فى (خ) : (إياه) .
(٥) الإسراء : ٤
(٦) آل عمران : ٤٧
(٧) فى (أ) : (إذا رتبته) .
(٨) فصلت : ١٠

تعالى : « إِنَّا كُلَّ شىء خَلَقْنَاهُ بِقَدَر[٩]» . يريد تعالى[١٠]: برتبةٍ وحدٍ ، فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ، ومعنى القضاء والقدر : حكم الله تعالى فى شىء بحمده أو ذمه ، أو تكوينه[١١] أو ترتيبه على صفة كذا إلى وقت كذا[١٢]. وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٩) القمر : ٤٩
(١٠) فى (خ) : سقطت (يريد تعالى) .
(١١) فى (أ) : (وبكونه) .
(١٢) فى (أ) : بزيادة (فقط) .

« الكلام فى البدل »

قال أبو محمد : قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل إذ[1] سئل هل يستطيع الكافر ما أُمِرَ به من الإيمان أم لا يستطيع ؟ فأجاب إن الكافر مستطيع للإيمان على البدل ، بمعنى أنه لا يتمادى[2] على الكفر ، لكن يقطعه ويبدل منه الإيمان .

قال أبو محمد : وهذا الذى[3] يجيب به هو الجواب الذى بينا صحته ، بحول الله تعالى وقوته فى كلامنا فى الاستطاعة ، وهو[4] أن نقول : هو مستطيع فى ظاهر الأمر بسلامة جوارحه ، وارتفاع موانعه ، غير[5] مستطيع للجمع بين الإيمان والكفر مادام كافرًا أو[6] ما دام لا يؤتيه الله تعالى العون ، فإذا أتاه إياه وتمت استطاعته فعل[7] ولابد ، فإن قيل هو مكلف مأمور قلنا : نعم ، فإن قيل أهو عاجز عن ما هو مأمور به ومكلف أن يفعله .. ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق : هو غير عاجز بظاهر نيته[8] وسلامة جوارحه ، وارتفاع الموانع ، وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ، ما[9] لم يؤته[10] الله عز وجل العون فيتم ارتفاع العجز عنه ، ويوجد الفعل ولابد ، ونقول إن العجز فى اللغة إنما يقع على الممنوع بآفةٍ من[11] الجوارح أو بمانع ظاهرٍ إلى الحواس ، والمأمور بالفعل ليس

---

(١) فى (أ) : (إذا) .

(٢) فى (أ) : (أن لا يتمادى فى الكفر) .

(٣) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا (والذى يجب أن نجيب به) .

(٤) فى (ح) : (هو) .

(٥) فى (ح) : سقط الكلام من قوله (هو مستطيع فى ظاهر الأمر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير) .

(٦) فى (أ) : (ومادام) .

(٧) فى (أ) : (وفعل) .

(٨) فى (أ) : (بنيته) .

(٩) فى (خ) : (وما لم) .

(١٠) فى (أ) : (ينزل) بدلا من (يؤته) .

(١١) فى (أ) : (على) بدلا من (من) .

فى ظاهر أمره عاجزًا إذ لا آفة فى جوارحه ، ولا مانع له ظاهرًا ، وهو فى الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ، وبين الفعل وتركه ، وعن فعل ما لم يؤته الله عز وجل عونًا عليه ، وعن تكذيب علم الله عز وجل الذى لم يزل بأنه لا يفعل إلا ما سبق فيه علمه ، هذا(١٢) حقيقة الجواب فى هذا الباب والحمد لله رب العالمين .

* * *

فإن قيل : فهو(١٣) مختار لما يفعل قلنا : نعم اختيارًا صحيحًا لا مجازًا ، لأنه مريد لكونه منه ، محبٌّ له ، مؤثر له على تركه ، وهذا معنى لفظة الاختيار على الحقيقة ، وليس مضطرًا ولا مجبرًا ولا مكْرَهًا لأن هذه ألفاظ فى اللغة لا تقع إلَّا على الكاره لما يكون منه فى هذه الحال ، وقد يكون المرء مضطرا ، مختارا ، مكرها(١٥) فى حالةٍ واحدةٍ ، كإنسانٍ فى رجله أكلة لا دواء له إلا يقطعها ، فيأمر أعوانه مختارًا لأمره إياهم بقطعها ، وبحَسمها بالنار بعد القطع ، ويأمرهم بإمساكه وضبطه ، وأن لا يلتفتوا إلى صياحه ولا إلى أمره لهم بتركه إذا أحس الألم ويتوعدهم على التقصير فى ذلك بالضرب والنكال الشديد ، فيفعلون به ذلك ، فهو مختار لقطع رجله ، إذ لو كره ذلك كراهية تامة لم يكرهه أحد على ذلك ، وهو بلا شك كاره لقطعها مضطرا إليه ، إذ لو وجد سبيلًا بوجه من الوجوه دون الموت إلى ترك قطعها لم يقطها ، فهو مكره مجبر بالضبط من أعوانه له(١٦) حتى يتم القطع والحسم ، إذ لو لم يضبطوه ويقسروه يضبطوه ويكرهوه . لم يمكن قطعها ألبتة ، وإنما أتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون أن يوجد أحد مختارًا(١٧) من وجه ، ومكرهًا من وجه آخر مستطيعًا من وجه ، عاجزًا من آخر ، قادرًا من وجه ، ممنوعًا من آخر ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٢) فى (أ) : (هذه) .
(١٣) فى (خ) : لم يذكر (فهو) .
(١٤) فى (أ) : (مكروها) وهو تحريف .
(١٥) فى (خ) : سقط الكلام من الذى بين القوسين [ ] .
(١٦) فى (أ) : سقط (له) .
(١٧) فى (أ) : (مجبرا) .

« الكلام فى خلق الله تعالى لأفعال خلقه »

قال أبو محمد : اختلفوا فى خلق الله عز وجل لأفعال عباده ، فذهب أهل السنه كلهم ، وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل ، كالمَرِّيسيِّ[١] وبرغوث[٢] والنجارية[٣] والأشعرية[٤] والجهمية[٥]، وطوائف من الخوارج[٦]، والمرجئة[٧] والشيعة[٨] إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة قد خلقها الله عز وجل فى الفاعلين لها ، ووافقهم على هذا من المعتزلة موافقة صحيحة ضرار[٩] بن عمرو وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد[١٠].

---

(١) المريسى : هو أبو عبد الرحمن ، بشر عتاب المريسى (سبقت ترجمته ص ٣٣) .

(٢) هو : محمد بن عيسى الملقب ببرغوث . (سبقت ترجمته ص ٣٣) .

(٣) هم : أصحاب الحسين بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الرى وما حواليها كانوا على مذهبه ، وهم إن اختلفوا أصنافا إلَّا أنهم لم يختلفوا فى الأصول ، وهم برغوثية ، وزعفرانيه ، ومستدركه ، وقد وافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والإرادة ، والحياة والسمع ، ووافقوا الصفاقية فى خلق الأعمال (الملل والنحل : ١ ٦ ١١) .

(٤) هم : أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، المنتسب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما ، يقول صاحب الملل والنحل : « من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعرى كان يقرر ما يقرره الأشعرى فى مذهبه » (الملل والنحل : ١٢٧/١) .

(٥) هم : أصحاب جهم بن صفوان : وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سَلْمُ بن أحوذ المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية ، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء منها قوله : لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيها . (الملل والنحل : ١١٣/١) .

(٦) هم : مجموعة كانت مع الإمام على فى حرب صفين فحرجوا عليه بزعامة الأشعث بن قيس ، ومسعر بن فتكى التميمى ، وكبار فرق الخوارج ستة هم : الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية والعجاردة ، والأباضية ، والثعالبة ، يجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلى ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا . (الملل والنحل : ١٧٠/١ - ١٧٢ بتصرف) .

(٧) الإرجاء على معنيين : إحدهما التأخير كقوله تعالى : « قالوا أرجه وأخاه » أى أمهله وأخره ، والثانى : إعطاء الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا : يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر لأنهم كانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء : تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو النار . والمرجئة أصناف أربعة : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة (المرجع السابق ٢٢٢/١) بتصرف .

(٨) هم : الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ، ووصية إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، وهم خمس فرق : كيسانية ، وزيديه ، وإماميه ، وغلاة ، وإسماعيلية . فبعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه . (المرجع السابق : ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ بتصرف) .

(٩) هو : ضرار بن عمرو القاضى . (سبقت ترجمته ص ٧) .

(١٠) هو : أبو يحيى حفص الفرد . مبتدع ، قال النسائى : صاحب كلام ، لا يكتب حديثه ، وكفّره الشافعى فى مناظراته (لسان الميزان : ٣٣٠/٢) .

وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة إلى أن جميع أفعال العباد محدثة ، فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل ، على تخليط منهم فى ماهية أفعال النفس ، إلا بشر بن المعتمر عطف فقال : إنه ليس شيء من أفعال العباد إلا ولله عز وجل فيه فعل من طريق الإسم والحكم ، يريد بذلك أنه ليس للناس فعل إلا ولله تعالى فيه حكم ، بأنه صواب أو خطأ ، وتسميته بأنه حسن أو قبيح طاعة أو معصية .

* * *

قال أبو محمد : وقد أدى هذا القول الفاحش الملعون رجل من كبار المعتزلة ، وهو عَبَّادُ ابنُ سليمان[١١] تلميذ هِشَام[١٢] بن عمرو.الفُوطِىّ إلى أن قال : إن الله تعالى لم يخلق الكفار لأنهم ناس وكفر معًا ، لكن خلق أجسامهم دون كفرهم .

* * *

قال أبو محمد : ويلزمه هذا بعينه فى المؤمنين وجميع الملائكة والجن لأنه ليس إلا مؤمن أو كافر ، والمؤمن إنسان وإيمان ، أو ملك وإيمانه ، أو جنى وإيمانه أو كفره .

فعلى قول هذا البائس السخيف : لا يجوز أن يقال : إنّ الله عزَّ وجل خلق من الناس ولا الجن[١٣]، ولا الملائكة سعيدًا[١٤]، بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافا للقرآن ، وللمسلمين .

وقال معمّر والجاحظ : إن أفعال العباد كلَّها لا فعل لهم فيها وإنما نسبت[١٥] إليهم مجازًا لظهورها منهم ، وإنها فِعْل الطبيعة حاشا الإدارة فقط ، فإنه : لا فعل للإنسان غيرها ألبتة .

قال أبو محمد : ومن تدبَّر هذا القول علم أنه[١٦] أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لأنهم جعلوا أفعال العباد اضطرارية طبيعية كفعل النار للإحراق بطبعها ، وفعل الثلج[١٧] التبريد بطبعه

---

(١١) هو : عباد بن سليمان الصُّمَرى من كبار المعتزلة ، أقيمت بينه وبين عبد الله بن سعيد مناظرة وكان فى أيام المأمون ، وقد زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة ، فردوا عليه ذلك وقد أخذ عن هشام الفوطى ، وكان الجبائى يصفه بالحذق ، وقد ملأ الأرض كتبا وخلافا ، وخرج عن حدّ الاعتزال إلى الكفر والزندقة . (لسان الميزان : ٢٢٩/٣) .

(١٢) هو : هشام بن عمر والفُوطى بضم الفاء وإسكان الواو ، كان من أصحاب أبى الهذيل العلّاف ، وكان داعية إلى الاعتزال (لسان الميزان ١٩٥/٦) .

(١٣) فى (خ) : لم يذكر (من الناس ولا) .

(١٤) فى (ح) : لم يذكر (سعيد) .

(١٥) فى (أ) : نسب .

(١٦) فى (خ) : (فهو) بدلا من (علم أنه) .

(١٧) فى (ح) : (البلح) وهو تحريف .

وفعل السقمنيا[١٨] فى إحداثها الصفراء بطبعها ، وهذه صفة الأموات لا صفة الأحياء المختارين ، وإذا لم يبق على قول هذين الرجلين للإنسان فعل إلا الإرادة فقد وجدنا الإرادة لا يقدر الإنسان على صرفها ولا على[١٩] إحالتها ولا على تبدلها بوجه من الوجوه ، وإنما يظهر من المرء تبديل كل[٢٠] كل حركاته وسكونه .

وأما إرادته فلا حيلة له فيها ، ونحن نجد كل قَوِيِّ الآلة من الرجال يحب وطء كلِّ جميلة يسمع[٢١] بها ، لولا التقوى ، ويحب النوم عن الصلوات فى الليالى القارة والهواجر الحارّة ، ويحب الأكل فى أيام الصوم . ويحب إمساك ماله عن الزكاة ، وإنما يأتى خلاف ذلك[٢٢] مغالبة لإرادته وقهرًا لها .

وإما صرفًا لها ولا[٢٣] سبيل إليه فقد تم الإجْبار صحيحًا على قول هذين الرجلين . وحسبنا الله ونعم الوكيل[٢٤].

قال أبو محمد : والبرهان على صحة قول من قال : إن الله تعالى خلق أفعال[٢٥] العباد كلها نصوص من القرآن وبراهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحواس ، لا يغيب عنها إلا جاهل وبالله تعالى التوفيق .

فمن النّصوص : قول الله عزّ وجل « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ[٢٦] » .

قال أبو محمد : هذا كاف لمن عقل واتقى ربه[٢٧].

وقال[٢٨] لى بعضهم ، إنما أنكر الله عز وجل أن يكون ههنا خالق غيره ، يرزقنا كما فى نص الآية .

قال أبو محمد : وجواب هذا أنه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت فى قول الله تعالى (غير الله) ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا ، فأخبرنا أنه يرزقنا من السماء والأرض .

---

(١٨) فى (ب) : سقطت العبارة (وفعل السقمينا فى إحداثها الصفراء بطبعها) .
(١٩) فى (أ) : سقطت (على) .
(٢٠) فى (أ) : سقطت (كل) .
(٢١) فى (أ) : (يستمتع) .
(٢٢) فى (أ) : (خلاف ما يريد) .
(٢٣) فى (أ) : (فلا سبيل له) .
(٢٤) فى (خ) : لم يذكر (وحسبنا الله ونعم الوكيل) .
(٢٥) فى (أ) : (أعمال) .
(٢٦) فاطر : ٣
(٢٧) فى (أ) : (واتقى الله) .
(٢٨) فى (أ) : (وقد) .

وقال تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيل لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ[29] » .

وهذا نص[30] جلى على أن الدين مخلوق لله تعالى .

وقال تعالى : « واتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقون شيئًا وهُمْ يُخلقون وَلَا يَمْلكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يمْلكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا[31] » .

قال أبو محمد : ومنهم من يعبد المسيح ، وقالت الملائكة : كذبوا[32] بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم[33]. فصحّ أنّ كلّ ما[34] عبدوه وفيهم المسيح والجن[35] لا يخلقون شيئًا ، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ، فثبت يقينًا أنهم مصرَّفون مدبَّرون ، وأن أفعالهم مخلوقة لغيرهم .

وقال تعالى : « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يخْلقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[36] » .

قال أبو محمد : وهذا نص جلى على إبطال أن يخلق أحدٌ دون الله تعالى شيئًا ، لأنه لو كان ههنا أحد غيره يخلق لكان من يخلق موجودًا جنسًا فى حيز ، ومن لا يخلق جنسًا آخر .

وكان الشبه بين من يخلق وبين من[37] لا يخلق موجودًا ، وكان من يخلق لا يشبه من لا يخلق وهذا إلحاد عظيم .

فصحّ بنص هذه الآية أن الله تعالى هو يخلق وحده ، وكلّ من عداه لا يخلق شيئًا ، وليس أحد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه .

وقال تعالى : « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مَولِّيها فاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ[38] » .

وهذا نصٌّ جلى ، من كذبه كفر .

وقد علمنا أنه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهى الله تعالى عنه ، فلم يبق إذ هو مولى كل وجهة إلا أنه خالق كل وجهة لأحد من الناس .

---

(29) الروم : 30
(30) فى (أ) : برهان .
(31) الفرقان : 3 وقد جاءت هده الآية محرفة فى (أ) .
(32) فى (أ) : (وصدقوا) .
(33) فى (أ) : لم يذكر (أكثرهم) .
(34) فى (أ) : (مَنْ عبدوه) .
(35) فى (خ) : لم يذكر (والجن) .
(36) النحل : 17
(37) فى (أ) : سقط قوله : (وبين من لا يخلق) .
(38) البقرة : 148

وهذا كاف لمن عقل ونصح نفسه ومنها :

قول الله عز وجل « هَذَا خَلْقُ الله فأَرُونِى مَاذَا خَلَق الَّذِينَ مِنْ دُونِه[٣٩] » . وهذا إيجاب لأن الله تعالى خلق كل ما فى العالم وأن كل من دونه لا يخلق شيئًا أصلًا ولو كان ههنا خالق لشىء من الأشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المغرورين[٤٠] جوابًا قاطعًا ، ولقالوا : نعم[٤١] نريد[٤٢] أفعالنا خلقها من دونك[٤٣] وههنا خالقون كثير ، وهم نحن لأفعالنا .

وقوله تعالى : « أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقَه فَتَشَابَهَ الْخَلْق عَلَيْهِمْ قُلِ الله خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ[٤٤] »

وهذا بيان جلى[٤٥] أن الخلق كله جواهر وأعراض ولا شك[٤٦] فى أنه لا يفعل الجواهر أحدٍ إلا الله تعالى وإنما يفعلها الله تعالى وحده فلم يبق إلّا الأَعراض فلو كان الله تعالى خالقًا لبعض الأعراض ، ويكون الناس خالقين لبعضها ، لكانوا له[٤٧] شركاء فى الخلق ، ولكانوا قد خلقوا كَخْلقه ، خلق أعراضًا وخلقوا أعراضًا .

وهذا تكذيب لله تعالى وردٌّ للقرآن مجرد ، فصح أنه لا يخلق شيئًا غير الله تعالى وحده والخلق : هو الاختراع فالله تعالى مخترع لأعراضنا كسائر الأعراض ولا فرق ، فإن نفوا خلق الله تعالى لجميع الأعراض لزمهم أن يقولوا إنها أفعال لغير فاعل ، أو أنها فعل لمن ظهرت منه من الأجرام الجمادية وغيرها .

فإن قالوا : هى أفعال لغير فاعل فهذا قول أهل الدهر[٤٨] ويكلَّمُون حينئذٍ بما يكلم به أهل الدهر ، وإن قالوا إنها أفعال الأجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة ، وهذا باطل وهو أيضًا خلاف قولهم ، والطبيعة لا تفعل شيئًا مخترعة ، له وإنما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر[٤٩] منها ما ظهر ، وهو خالق الكل ولابد[٥٠] ولله الحمد .

---

(٣٩) لقمان : ١١

(٤٠) فى (أ) : المقربين .

(٤١) فى (أ) : بزياده (له) .

(٤٢) فى (أ) : (نريك) .

(٤٣) فى (أ) : بزيادة (نعم) .

(٤٤) الرعد : ١٦

(٤٥) فى (أ) : بزيادة (لا خفاء به) .

(٤٦) فى (خ) : (لا شك) .

(٤٧) فى (أ) : لم يذكر (له) .

(٤٨) فى (أ) : بزيادة (نصا) .

(٤٩) فى (ح) : (المظهور) .

(٥٠) فى (ح) : لم يذكر (ولابد) .

ومنها قوله تعالى : « أَتعْبُدونَ مَا تَنْحِتُون والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون[٥١] » .

وهذا نص جلى على أنه تعالى خالق[٥٢] أعمالنا .

وقد فسر بعضهم قول الله تعالى : « والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون » .

أنه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التى تُعمل منها الأوثان .

قال أبو محمد : وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه ، لأنه لا يقول أحد فى اللغة التى بها خوطبنا فى القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا أن الإنسان يعمل العود والحجر ، هذا ما لا يجوز فى اللّغة أصلًا ولا فى المعقول ، وإنما يستعمل ذلك موصولًا فنقول عملت هذا العود صنمًا ، وهذا الحجر وثنًا .

فإنما بيّن الله تعالى أنه خلق الضمية التى هى شكل الصنم .

فنص[٥٣] على ذلك بقوله تعالى : « أَتَعْبُدونَ مَا تَنْحِتُون والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعملُون » .

فإنما النحت بنص الآية وضرورة الحس ، هو الذى عملنا ، وهو الذى أخبر تعالى أنه خلقنا .

قال أبو محمد : وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله[٥٤] الإسكافى أنه كان يقول إنّ الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير .

ولقد يلزم المعتزلة أن توافقه على هذا ، لأن الخشبة لا تسمى عودًا ولا طنبورًا ، ولو حلف إنسان أنه[٥٥] لا يشترى طنبورًا فاشترى خشبًا لم يحنث ، ولو حلف أن لا يشترى خشبًا فاشترى طنبورًا لم يقع عليه حنث لأن الطنبور لا يقع عليه فى اللغة اسم خشبة وقال تعالى : « الله الَّذِى خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ[٥٦] » .

فهى مخلوقة بنص القرآن .

---

(٥١) الصافات : ٩٥ ، ٩٦

(٥٢) فى (أ) : خلق .

(٥٣) فى (أ) : ونص .

(٥٤) هو : محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافى من متكلمى المعتزلة ، وأحد أئمتهم ، تنسب إليه الطائفة الإسكافية ، وهو بغدادى ، أصله من سمرقند ، له مناظرات مع الكرابيسى وغيره . قال ابن النديم : كان المعتصم يعظمه جدًا . وقال المقريزى من قول الإسكافى : إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الأطفال والمجانين ، وأنه لا يقال : إن الله خالق المعازف ، والطنابير ، وإن كان هو الذى خلق أجسامها . توفى عام ٢٤٠ هـ .

(٥٥) فى (أ) : لم يذكر (إنه) .

(٥٦) السجدة : ٤

وقد قال بعضهم : إنما خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام فكانت أعمال العبد[٥٧] مخلوقة فى تلك الستة[٥٨] الأيام .

قال أبو محمد : لم ينف الله تعالى أن يخلق شيئًا بعد الستة الأيام ، بل قال عز وجل « يَخْلقَكُمْ فى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فى ظلماتٍ ثلاثٍ[٥٩] » .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِن سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعلناه نُطْفةً فى قرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فكَسَوْنَا العِظَامَ لحمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقين[٦٠] » .

وكان[٦١] هذا كله فى غير تلك الستة الأيام ، فإذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الأيام أبدًا ، ولا يزال يخلق بعد[٦٢] ناشئة الدنيا ، ثم لا يزال يخلق نِعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبدًا بلا نهاية ، إلا أن عموم خلقه تعالى السموات والأرض وما بينهما باقٍ على كل موجود .

وقال بعضهم لا نقول : إن أعمالنا بين السماء والأرض لأنها غير مماسة للسماء والأرض .

قال أبو محمد : وهذا عين التخليط لأن الله تعالى لم يشترط المماسة فى ذلك ، وقد قال تعالى : « والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْن السَّمَاءِ والأَرْضِ[٦٣] » .

فصح أن السحاب ليست مماسة للسماء ولا للأرض .

فهى إذن على قول هذا الجاهل غير مخلوقة .

ويلزمه أيضا أن يقول بقول معمّر والجاحظ ، فى أن الله تعالى لم يخلق الألوان ولا الطعوم ولا الروائح ، ولا الموت ولا الحياة ، لأن كل هذا غير مماس للسماء ولا للأرض .

قال أبو محمد : فأمّا قول معمر والجاحظ أن كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة ، وجهل بالطبيعة ، ومعنى لفظ الطبيعة ، إنما هو[٦٤] قوة فى الشيء تجرى بها كيفياته على ما هى عليه . وبالضرورة نعلم أن تلك القوة عرض لا تعقل ، وكل ما كان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات .

---

(٥٧) فى (أ) : (الناس) .
(٥٨) فى (أ) : لم يذكر (الستة) .
(٥٩) الزمر : ٦
(٦٠) المؤمنون : ١٢ - ١٤
(٦١) فى (أ) : (فكان) .
(٦٢) فى (خ) : سقطت (بعد) .
(٦٣) البقرة : ١٦٤
(٦٤) فى (أ) : (هى) .

فمن نسب إلى ما يظهر أنها أفعاله وهى[٦٥] مخترعة لها فهو فى غاية الجهل ، فبالضرورة نعلم أن تلك الأفعال خَلْقُ غَيْرِها فيها ولا خالق لها[٦٦] ههنا إلا الله تعالى خالق الكل ، وهو الله لا إله إلا هو .

* * *

قال أبو محمد : ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شأنه لمجاهرته بالجهل العظيم ، والكفر المجرد فى موافقته أهل الدّهر فى تكذيبه[٦٧] للقرآن ، إذ يقول الله تعالى « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[٦٨]» .

وقوله تعالى : « « يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ[٦٩]» . فأخبر تعالى أن تفاضلها فى الطعوم من فعله عز وجل ، نعوذ بالله مما ابتلاهم به ، وأقحمهم فيه .

وقال معمّر معنى قوله تعالى « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ » .

إنما معناه خلق الإماتة والإحياء .

قال أبو محمد : فما زاد على أنه أبدى تمام جهله بوجهين[٧٠]:

أحدهما : إحالته النص من كلام ربه عز وجل بلا دليل .

والثانى : أنه لم يزل عمّا لزمه ، لأن الموت والحياة هما الإحياء والإماته بلا شك .

لأن الإحياء والحياة هو جمع النفس مع الجسد المركب الأرضى ، والموت والإماتة شىء واحد وهو التفريق بين الجسد والنفس المذكورة فقط .

وإذا كان جمع الجسد والنفس وتفريقهما مخلوقين لله عز وجل فقد صح أن الموت والحياة مخلوقان له عز وجل يقينًا ، وبطل تمويه هذا المجنون .

قال أبو محمد : ومن المنصوص القاطعة فى هذا المعنى قول الله عز وجل « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ[٧١]» فلجأ بعضهم إلى عدوى الخصوص وذكروا قول الله تعالى : « تُدَمِّرُ كل شىءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ، فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مساكِنُهم[٧٢]» .

(٦٥) فى (أ) : لم يذكر (وهى) .
(٦٦) فى (أ) : سقطت (لها) .
(٦٧) فى (أ) : (وتكذيبه) .
(٦٨) الملك : ٢
(٦٩) الرعد : ٤ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (تسقى) بالتاء .
(٧٠) فى (أ) : بزيادة (بينين) .
(٧١) القمر : ٤٩
(٧٢) الأحقاف : ٢٥

وقال تعالى : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ[٧٣] » .

وقوله « فِتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِما أُوتُوا[٧٤] » .

* * *

قال أبو محمد وهذا كله لا حجة لهم فيه لأن قوله تعالى « تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها » .

بيان جلى على أنَّها إنما دمرت كل شىءٍ أمرها الله عز وجل بتدميره ، لا ما لم يأمرها ، فهو عمومٌ لكل شىءٍ أمرها به الله عز وجل .

وقوله تعالى : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ » .

فمن للتبعيض : فمن آتاه الله تعالى شيئًا من الأشياء فقد آتاه من كل شىء ، لأنه قد آتاه بعض الأشياء ، وأما قوله تعالى « فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْواب كُلِّ شَىْءٍ » .

فحق ونحن وهم سواء[٧٥] فى أنا لا تدرى كيفية ذلك الفتح إلا أننا ندرى أن الله تعالى صدق فيما قال ، وأنه تعالى إنما آتّاهم بعض الأشياء التى فتح عليهم أبوابها ، ثم لو صح برهان فى بعض هذا العموم أنه ليس على ظاهره وأنه[٧٦] أريد به الخصوص لما وجب من ذلك أن يحمل كل[٧٧] عموم على خلاف ظاهره ، بل كل عموم على ظاهرة حتى يقوم برهان بأنه مخصوص ، أو أنه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص أو بالنسخ إلى ما لم يقم برهان بأنه متسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت حقيقة فى شىء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبدًا .

إذ[٧٨] لا يعجز أحد فى كل[٧٩] أمر من أوامر الله تعالى وفى كل خبر من أخباره عز وجل أن يحمله على غير ظاهره ، وعلى بعض ما يقتضيه عمومه ، وهذا عين السفسطة والكفر والحماقَة ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(٧٣) النمل : ٢٣

(٧٤) الأنعام : ٤٤ . وقد جاءت هذه الآية محرّفة فى (أ) حيث قال (ففتحنا) .

(٧٥) فى (أ) : سقطت : (وهم سواء فى أنا) .

(٧٦) فى (أ) : (وإنما) .

(٧٧) فى (خ) : (على) بدلا من (كل) .

(٧٨) فى (أ) : لأنه .

(٧٩) فى (أ) : سقطت (كل) .

ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »

* * *

قال أبو محمد ومن ذلك قوله تعالى « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الْأَرْضِ وَلَا فى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِما آتاكم[٨٠]» .

* * *

قال أبو محمد : فنص[٨١] على أنه برأ المصائب كلها ، فهو بارىءٌ لها ، والبارىء هو الخالق نفسه بلا شك ، فصح يقينًا أن الله تعالى خالق كل شىء ، إذ هو[٨٢] خلق كل[٨٣] مصيبة فى الأرض وفى النفوس ، ثم زاد تعالى بيانًا برفع الإشكال جملة بقوله « لِكَىْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَافاتكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » .

فبيَّن تعالى أن ما أصاب الأموال والنفوس من المصائِب فهو خالقَها . وقد تكون تلك المصائب أفعال الظالمين بإتلاف الأموال وأذى النفوس ، فنص تعالى على أن كل ذلك خلق له عز وجل ، وبه التوفيق .

وأمَّا من طريق النظر :

فإن الحركة الثقيلة[٨٤] نوع واحد وكل ما يسأل عنه تعالى[٨٥] على جهة النوع فهو[٨٦] منقول على أشخاص ذلك النوع ولابدَّ ، فإن كان النوع مخلوقًا فأشخاصه مخلوقة ، وأيضًا فلو كان فى العالم شىء غير مخلوق لله تعالى لكان من قال : العالم مخلوق والأشياء مخلوقة ، وما دون الله تعالى مخلوق لله[٨٧] كاذبًا ، لأن فى كل ذلك عندهم ما ليس مخلوق ؛ ولكان من قال : من العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى العالم ، أو الأشياء كلها صادقًا ، ونعوذ بالله من قول أدَّى إلى هذا .

---

(٨٠) الحديد : ٢٢ ، ٢٣
(٨١) فى (أ) : فنص الله .
(٨٢) فى (خ) : سقط (خالق كل شىء إذ هو) .
(٨٣) فى (أ) : (خالق كل ما أصاب) .
(٨٤) فى (أ) : لم يذكر (الثقيلة) .
(٨٥) فى (أ) : وكل ما يقال على جملة النوع .
(٨٦) فى (أ) : (فهو يقال مقول) .
(٨٧) فى (أ) : لم يذكر (لله) .

ونسألهم هل الله تعالى إله ما فى[٨٨] العالم ورب كل شىء أم لا ؟ فإن قالوا : نعم ، سئلوا عمومًا أم خصوصًا ، فإن قالوا ، بل عمومًا صدقوا ، ولزمهم ترك قولهم ، فمحال أن يكون إلهاً لم يخلق .

وإن قالوا : بل خصوصًا . قيل لهم ففى العالم إذن ما ليس الله تعالى إلهاً له ، وما لا رب له ، فإن كان هذا فمن قال ، إن الله تعالى رب العالمين كاذب ، ومن قال : ليس الله تعالى إلهاً للعالمين ولا ربًا للعالمين صادقًا .

وهذا خروج عن الإسلام .

وتكذيب لله تعالى فى قوله : إنه رب العالمين وخالق كل شىء . وقد وافقونا على أن الله تعالى خالق حركات المختارين ، من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن ، وبالضرورة ندرى الحركات الاختيارية كلها نوع واحد ، فمن المحال الباطل أن يكون بعض النوع مخلوقاً ، وبعضه غير مخلوق .][٨٩]

قال أبو محمد : واحتجوا[٩٠] بأشياء من القرآن وهى أنهم قالوا قال الله عز وجل « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا »[٩١].

وقال تعالى : لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب وتقولون هو من عند الله وما هو من عند الله »[٩٢] وقوله تعالى : « فتبارك الله أحسنُ الخالقين »[٩٣].

وقوله تعالى : « وَتَخْلُقُونَ إفكاً »[٩٤].

وقوله تعالى : « صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ »[٩٥].

وقوله تعالى : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَه »[٩٦].

وقوله تعالى « مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ »[٩٧].

---

(٨٨) فى (أ) : لم يذكر (ما فى) .
(٨٩) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٩٠) فى (أ) : واعترضوا .
(٩١) البقرة : ٧٩
(٩٢) آل عمران : ٧٨
(٩٣) المؤمنون : ١٤
(٩٤) العنكبوت : ١٧
(٩٥) النمل : ٨٨
(٩٦) السجدة : ٧
(٩٧) الملك : ٣

واعترضوا بأشياء من طريق النظر وهى أن :

قالوا : إن كان الله عزَّ وجل خلق أفعال[٩٨] العباد فهو إذن يغضب مما خلق ، ويكره ما فعل ويسخط فعله ، ولا يرضى ما فعل ولا ما دبَّر .

وقالوا أيضاً : كل من فعل شيئاً فهو مسمّى به[٩٩] ومنسوب إليه ، لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله تعالى الخطأ والكذب والكفر والظلم لنسب كل ذلك إليه ، تعالى الله عن ذلك .

وقالوا أيضاً لا يعقل فعل واحد من فاعلين ، هذا فعله كله ، وهذا فعله كله . وقالوا أيضاً : أنتم تقولون : إن الله عز وجل خلق الفعل ، وأن العبدّ اكتسبه .

فأخبرونا هل هذا الاكتساب الذى انفرد به العبد ، أهو خلق الله تعالى[١٠٠] أم هو غيره .. ؟ فإن قلتم : إنه خلق الله تعالى لزمكم أنكم خالقون له ، وأنه تعالى اكتسبه إذ الخلق هو الكسب ، والكسب هو الخلق .

وإن قلتم : إن الكسب غير الحق ، وليس خلقاً لله تركتم قولكم ، ورجعتم إلى قولنا ، وقالوا أيضاً إذا كانت أفعالكم مخلوقة لله تعالى ، وأنتم تقولون إنكم مستطيعون على فعلها وعلى تلأكها ، فقد أوجدتم أنكم مستطيعون على أن لا يخلق الله بعض خلقه .

وقالوا أيضاً : إذا كان فعلكم خلقاً لله عز وجل ، وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم على ما خلق . [وقالوا أيضاً قد فرض الله علينا الرضى بما خلق فإن كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ، ففرض علينا الرضى بالكفر والظلم والكذب][١٠١].

قال أبو محمد : هذه عمدة اعتراضاتهم ، التى لا يشذ عنها شيء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين إن شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فنقول وبالله تعالى التوفيق أمّا قول الله تعالى : « ثم يقولون هذا من عند الله [١٠٢]. فلا حجة لهم فى هذا لأن أول الآية فى قوم كتبوا كتاباً .

وقالوا هذا من عند الله ، فأكذبهم الله تعالى فى ذلك . وأخبر أنه ليس منزلًا من عنده ولا مما

---

(٩٨) فى (أ) : أعمال .

(٩٩) فى (خ) : (سمى منه) .

(١٠٠) فى (أ) : لم يذكر (الله تعالى) .

(١٠١) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

(١٠٢) سورة البقرة : ٧٩ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .

أمر به تعالى ، ولم يقل هؤلاء القوم إن هذا الكتاب مخلوق ، فأكذبهم الله عز وجل فى ذلك .

وقال تعالى إن هذا(١٠٣) الكتاب ليس مخلوقاً لله ، فبطل تعليقهم بهذه الآية جملة(١٠٤)ولا شك عند المعتزلة ، وعندنا أن ذلك الكتاب مخلوق لله عز وجل ، لأنه قرطاس أو أديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك .

وأما قوله تعالى : « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين »(١٠٥).

فقد علمنا أن كتاب(١٠٦) الله عز وجل لا يتعارض ولا يتدافع .

قال الله تعالى : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً »(١٠٧) .

فإذ لا شك فى هذا فقد وجدناه تعالى أنكر على الكافرين .

فقال تعالى « أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عليهم قُلِ الله خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الْواحِدُ القَهَّار »(١٠٨).

فهذه الآية تثبت(١٠٩) فساد(١١٠) ما تعلقت به المعتزلة وذلك أن قوماً جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه ، فجعلوهم خالقين .

فأنكر(١١١) الله تعالى ذلك ، فعلى هذا خرج قوله تعالى « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينِ »(١١٢).

كما قال تعالى « إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وأَكِيد كَيْداً »(١١٣).

وكما قال « وَمَكَرُوا وَمَكَر الله »(١١٤).

ويبين بطلان ظنون قول المعتزلة فى هذه الآية .

---

(١٠٣) فى (أ) : (ذلك) .
(١٠٤) المؤمنون : ١٤
(١٠٥) النساء : ٨٢
(١٠٦) فى (أ) : (بينت) .
(١٠٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة (جملة) .
(١٠٨) فى (أ) : (كلام) .
(١٠٩) الرّعد : ١٦ .
(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (فساد) .
(١١١) فى (أ) : (فأنكروا الله) .
(١١٢) جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكرت (تبارك) المؤمنون : ١٤
(١١٣) الطارق : ١٥ ، ١٦
(١١٤) آل عمران : ٥٤

قول الله تعالى « وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَامِنَّا مِنْ شَهِيد »[١١٥] أفيكون مسلما من أوجب لله تعالى شركاء من أجل قوله للكفار الذين جعلوا لله شركاء أين شركائى . لا شك أن هذا الخطاب إنما خرج جواباً عن إيجابهم له الشركاء ، تعالى الله عن ذلك .

وكذلك قوله تعالى « ذُقْ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ »[١١٦].

إنما هذا على حكم ذلك المعذّب لنفسه فى الدنيا ، أنه العزيز الكريم وقد علمنا أن كلام الله عز وجل كله على ظاهرة ، إلا أن ينقله عن ظاهره نص آخره ، أو إجماع ، أو ضرورة عقل[١١٧].

وبضرورة العقل وبالنص علمنا أنه ليس لله تعالى شركاء ،وأنه لاخالق غيره عز وجل ، وأنه خلق كل شيء فى العالم من عرض أو جوهر ، وبهذا خرج قوله تعالى « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين ».

مع قوله تعالى « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخلُقُ »[١١٨].

فلو أمكن أن يكون فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئاً لما أنكر ذلك عزَّ وجل إذ هو عزَّ وجل لا ينكر وجود الموجودات ، وإنما ينكر وجود[١١٩] الباطل فصح ضرورة لا شك فيها أنه لا خالق غير الله تعالى .

فإذ لا شك فى هذا فليس فى قوله عز وجل « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين » .

إثبات لأن فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئاً وبالله تعالى التوفيق .

وأما قوله تعالى « وَتَخْلُقُون إفْكاً »[١٢٠].

وقوله تعالى عن المسيح ﷺ « إنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً »[١٢١].

وقول زهير[١٢٢] بن أبى سلمى المزنى شعراً :

وأراك تخلـــق ما فـــريت   وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

---

(١١٥) فصّلت : ٤٧

(١١٦) الدّخان : ٤٩

(١١٧) جاء الكلام الذى بين القوسين [   ] مضطربا فى (أ) وفيه سقط يخل بالمعنى .

(١١٨) النحل : ١٧

(١١٩) فى (أ) : سقط (وجود) .

(١٢٠) العنكبوت : ١٧

(١٢١) آل عمران : ٤٩

(١٢٢) هو : زهير بن أبى سلمى ، ربعة بين رياح المزنى من مضر ، حكيم الشعراء فى الجاهلية ، وفى أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب دقة . قال ابن الأعرابى : كان الزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعرًا ، وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة ولد فى بلاد =

فقد قلنا إن كلام الله عز وجل لا يختلف وقد قال تعالى « أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ » .

وقال تعالى : « واَتَّخَذُوا مِنْ دُونه آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقوم »(١٢٣).

ويتعين على كل ذى(١٢٤) عقل أن من جملة أولئك الآلهة الذين اتخذهم الكفار : الجن والملائكة والمسيح عليهما السلام .

قال الله تعالى « لَقَدْ كَفَرَا الَّذِينَ قَالُوا إنَّ الله هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَم »(١٢٥).

وقال حاكياً عن الملائكة أنهم قالوا عن الكفار :

بَلْ كَانُوا يعبدون الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بهم مؤْمِنُون »(١٢٦).

فقد صح يقيناً بنص الآية أن الملائكة والجنَّ والمسيح لا يخلقون شيئاً أصلًا ، ولا يختَلف إنسانَ(١٢٧) فى أن جميع الإنس فى فعلهم كمن ذكرنا إن كان هؤلاء يخلقون أفعالهم فسائر الناس يخلقون أفعالهم ، وإن كان هؤلاء لا يخلقوم أفعالهم فسائِر هولاء(١٢٨) لا يخلقون شيئا من(١٢٩) أفعالهم فإذ ذلك(١٣٠) كذلك ، وكلام الله عز وجل لا يختلف فإذ لا شك فى هذا(١٣١) فإن الخلق الذى أثبته الله تعالى للمسيح عليه السلام فى الطير ، وللكفار فى الإفك ، هو غير الخلق الَّذى نفاه عنهم وعن جميع الخلق ، لا يجوز ألبته غير هذا .

فإذا هذا هو(١٣٢) الحق بيَقين فالخلق الذى أوجبه الله تعالى لنفسه ، ونفاه عن غيرِه هو الاختراع والإبداع وإحداث الشىء من لا شىء(١٣٣) بمعنى من عدم إلى وجود ، وأمَّا(١٣٤) الخلق الذى أوجبه الله لغيره فإنما هو ظهور الفعل منهم فقط ، وانفرادهم به ، والله خالقه فيهم .

مزينة بنواحى المدينة ، وكان يقيم فى الحاجر من ديار نجد ، وقد ترجم كثير من شعره إلى الالمانية . (الاعلام : ٨٦/٣ ، ٨٧ بتصرف) . وصحة البيت كما ورد فى شرح ديوان زهير :

ولأنـت تفـرى ما خلقـت وبعـ ـض القـوم يخلـق ثـم لا يفـرى

والخالق هنا : الذى يقدّر ويهىء للقطع . يقول : فأنت إذا تهيأت لأمر مضيت له (شرح ديوان زهير : ٩٤) .

(١٢٣) الفرقان : ٣ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث زاد فى أولها (أم) وفى وسطها (دون الله) .

(١٢٤) فى (خ) : (ويقين عند كل عقل) .

(١٢٥) المائدة : ١٧

(١٢٦) سبأ : ٤١

(١٢٧) فى (أ) : (اثنان) .

(١٢٨) فى (أ) : الناس .

(١٢٩) فى (خ) : لم يذكر (شيئا من) .

(١٣٠) فى (أ) : (فإن) .

(١٣١) فى (خ) : سقط (فإذ لا شك فى هذا) .

(١٣٢) فى (خ) : لم يذكر (هو) .

(١٣٣) فى (خ) : (من ليس إلى إيش) .

(١٣٤) فى (خ) : (وإنما) .

وبرهان ذلك أن العرب تُسمّى الكذب اختلافاً ، والقول الكاذب مختلقاً .

وذلك القول بلا شك إنما هو لفظ ومعنى ، واللفظ مركّب من حروف الهجاء ، وقد كان ذلك موجوداً لشيء[١٣٥] قبل وجود أشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عزَّ وجل : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَه أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون »[١٣٦].

وكقوله « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلِكنَّ الله قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتُ ولِكنَّ الله رَمَى »[١٣٧].

وبيقين يدرى كل ذى حس سليم مؤمن بالله تعالى وبالقرآن أن الزرع والرمى والقتل الذى نفاه الله تعالى عن الناس وعن رسوله ﷺ هو غير الزرع والرمى والقتل الذى أضافه إليهم ، لا يمكن ألبته غير ذلك ، لأنه تعالى لا يقول إلا الحق ، فإذ ذلك كذلك .

فإن الذى نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل ذلك[١٣٨] واختراعه ، وإبداعه وتكوينه ، وإخراجه من عدم إلى وجود .

والذى أوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبه ذلك كله إليهم فقط . وبالله تعالى التوفيق .

وقول زهير « ولأنت تخلق[١٣٩] ما فريت » لا يشك من له أقل فهم بالعربية . أنه لم يعن الإبداع ، ولا إخراج الخلق من عدم إلى وجود ، وإنما أراد النفاذ فى الأمر فقط ، فقد[١٤٠] وضح أن لفظة الخلق مشتركة تقع على معينين : أحدهما : لله تعالى لا لأحد دونه ، وهو الإبداع والإخراج[١٤١] من عدم إلى وجود .

والثانى : الكذب فيما لم يكن ، أو ظهور فعل لم يتقدم لغيره ، أو نفاذ فيما يحاول[١٤٢]، وهذا كلّه موجود[١٤٣] فى الحيوان ، والله خالق كل ذلك وبالله تعالى التوفيق .

وبهذا تتالت[١٤٤] الأحاديث كلها ، وأما قوله تعالى : « صُنْعَ الله الَّذِى أَتْقَن كلَّ شَىءٍ »[١٤٥].

---

(١٣٥) ى (أ) : (موجود النوع) .
(١٣٦) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤
(١٣٧) الأنفال : ١٧
(١٣٨) فى (أ) : (شىء) .
(١٣٩) فى (خ) : ورد هذا البيت مضطربًا حيث ذكره : (وأراك تفرى ما خلقت) .
(١٤٠) فى (ح) : لم يذكر (فقد) .
(١٤١) فى (أ) : سقطت (والاخراج) .
(١٤٢) فى (أ) : حاول .
(١٤٣) فى (أ) : مِنْ .
(١٤٤) فى (أ) : تتألف .
(١٤٥) النحل : ٨٨

فهو عليهم لالهم ، لأن الله تعالى أخبر أن بصنعه أتقن كل شيء ، وهذا على عمومه ، وظاهره ، فالله تعالى صانع كل شيء ومتقنه[١٤٦]، وإتقانه له أن خلقه جوهراً أو عرضاً ، جاريين على رتبة واحدة أبداً[١٤٧] وهذا عين الإتقان ، وأما قوله تعالى : « أَحْسَنَ كُلَّ شَىء خَلْقَه »[١٤٨].

فإنهما قراءتان مشهورتان من قرآت المسلمين .

إحداهما : « أحسن كل شيء خَلْقَهُ » بإسكان اللام فيكون خلقه بدلًا من كل شيء ، بدل البيان ، فهذه القراءة عليهم ، لأن معناها أن الله تعالى أحسن خلقه لكل شيء[١٤٩] وصدق الله عز وجل ، وهكذا نقول : إن خلق الله لكل شيّء حسن ، والله تعالى محسن[١٥٠] فى كل شيْء[١٥١] والقراءة الأخرى خلَقه بفتح اللّام .

وهذه أيضا لا حجة لهن فيها : لأنه ليس فيها إيجاب ، لأن ههنا أشياء لم يخلقها الله عز وجل ، ومن ادَّعى أن هذا مقتضى[١٥٢] الآية فقد كذب ، وإنما يقتضى لفظ[١٥٣] الآية : أن كل شيءٍ فالله تعالى خلقه كما فى سائر الآيات ، والله تعالى أحسن كل[١٥٤] شيءٍ إذ خلقه ، وهذا قولنا ، وكذلك[١٥٥] نقول إن الإنسان لا يفعل شيئًا إلا الحركة[١٥٦] أو السكون والاعتقاد والأرادة والفكر ، وكل هذه كيفيات وأعراض حسان[١٥٧] خلقها الله تعالى فقد أحسن رتبتها وإيقاعها فى النفوس والأجسام[١٥٨]، وإنما قبَّح ما قبَّح من ذلك من الإنسان ، لأن الله تعالى سمَّى وقوع ذلك أو بعضه[١٥٩] ممن وقعت منه قبيحًا ، وسمّى بعض ذلك حسنًا ، كما كانت الصلاة إلى بيت المقدس حركة[١٦٠] حسنة إيمانًا ، ثم سماها الله تعالى قبيحة كفرًا وهذه وتلك[١٦١] الحركة نفسها

---

(١٤٦) فى (أ) : سقط (ومتقنه) .
(١٤٧) فى (خ) : لم يذكر (أبدًا) .
(١٤٨) سورة السجدة آية رقم : ٧
(١٤٩) فى (خ) : إن الله تعالى خلق كل شيء حسن .
(١٥٠) فى (خ) : لمحسن .
(١٥١) فى (أ) : شيئًا لم يخلق .
(١٥٢) فى (أ) : فى اقتضاء .
(١٥٣) فى (أ) : لفظة .
(١٥٤) فى (أ) : أحسنه إذ خلقه (ولم يذكر كل شيء) .
(١٥٥) فى (أ) : (وكذا) .
(١٥٦) فى (خ) : (والسكون) .
(١٥٧) فى (أ) : (حسن) .
(١٥٨) فى (خ) : والأجساد .
(١٥٩) فى (خ) : لم يذكر (ذلك أو) .
(١٦٠) فى (خ) : (جولة) .
(١٦١) فى (أ) : (وهذه تلك) .

فصحَّ أنه ليس فى العالم شيء حسن لعيْنِه ، ولا شيء قبيح لعينه ، لكن ما سمّى[١٦٢] الله حسنًا فهو حسنًا وفاعله محسن .

قال تعالى « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أحسنتم لأَنْفُسِكُمْ »[١٦٣].

وقال تعالى « هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانَ »[١٦٤].

وما سماه الله تعالى قبيحا فهو[١٦٥] حركة قبيحة ، وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء فى العالم حسنًا ، فهو كله من الله تعالى حسن ، وسمَّى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء .

فبعض ذلك قبَّحة فَهو قبيح ، وبعض ذلك حَسَّنه فهو حسن ، ، وبعض ذلك قبَّحة ثم حسَّنة . فكان قبيحا ثم حسنًا ، وبعض ذلك حسَّنة ثم قبَّحة فكان حسنًا ثم قبح ، كما صارت الصلاة إلى الكعبة حسنة بعد أن كانت قبيحة ، وكذلك جميع أفعال الناس التى خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده ، وكسبى من نقض الذمة وكسائِر الشريعة كلها .

وقد اتفقت المعتزلة معنا على أن الله تعالى خلق الخمر والخنازير ، والحجارة المعبودة من دونه ، وأن كل ذلك منه تعالى حسن بلا شك ، وهى مسماة قبائح وأرجاسًا وحرامًا ونجسا[١٦٦] وسيئًا وخبيثًا وهكذا القول فى خلقه للأعراض فى عباده ولا فرق ، وكذلك وافقنا أكثرهم على أنه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصم ، والفالج، والحَدَبة[١٦٧] والأُدْرَة[١٦٨] وكل هذا من خلق الله تعالى له حسن ، وكله فيما بيننا قبيح ردىء جداً[١٦٩] يستعاذ بالله تعالى منه .

وقد نص الله تعالى على أنه خلق المصائب كلها .

فقال عز وجل « مَا أُصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ »[١٧٠].

فنص الله تعالى على أنه بَّراء[١٧١] المصائب كلها ، وبرأ : خلق بلا خلاف من أحد ،

---

(١٦٢) فى (أ) : (ما سمّاه) .
(١٦٣) الإسراء : ٧
(١٦٤) الرحمن : ٦٠
(١٦٥) فى (خ) : لم يذكر (قبيحا فهو) .
(١٦٦) فى (خ) : لم يذكر (ونجسا) .
(١٦٧) الحدبة : الحدب : محركة خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .
(١٦٨) فى (ح) : (الإرادة) . والأدرة : بضم الهمزة من أدِرَ : كفرح ، والاسم الأُدرة ، وهى : الفتق فى إحدى الخصيين .
(١٦٩) فى (خ) : لم يذكر (جدًّا) .
(١٧٠) الحديد : ٢٢
(١٧١) فى (أ) : (برأ) .

ولا فرق بين إلزامهم إيانا أن الله تعالى أحسن الكفر والظلمَ ، والجور والكذب والقبائح إذ خلق كل ذلك وبين إقرارهم معَنا ، أن الله قد أحسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وأبليس وكل من[١٧٢] قال : أنا إله من دون الله تعالى والأوثان المعبودة من دون الله تعالى[١٧٣] والمصائب كلها والأمراض والعاهات إذ خلق كل ذلك ، فأى شيء قالوه فى هذه الأشياء هو قولنا فى خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق ، وكل ذلك قد أحسن الله تعالى خلقه ، إذ خلقه[١٧٤] حركة أو سكونًا أو تمييزًا[١٧٥] فى النفس ، وسمَّى ظهوره من العبد قبيحًا ، موصوفًا به الإنسان . وأما قوله تعالى « مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ من تَفَاوُتٍ »[١٧٦].

فلا حجة لهم فيه أصلًا[١٧٧] لأن التفاوت المعهود : ما نافر النفوس أو خرج عن المعهود فنحن نسمى الصورة المضطربة بأن فيها تفاوتًا ، فليس هذا التفاوت الذى نفاه الله تعالى عن خلقه فإذ ليس هو هذا الذى يسميه الناس تفاوتًا ، فلم يبق إلا أن التفاوت الذى نفاه الله تعالى[١٧٨] عما خلق هو شيء غير موجود فيه ألبته ، لأنه لو وجد فى خلق الله تعالى تفاوت لكذب قول الله عز وجل « مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ » .

ولا يُكذِّب الله تعالى إلا كافر ، فبطل ظن المعتزلة أن الكفر والظلم والكذب[١٧٩] والجور تفاوت لأن كل ذلك موجود فى خلق الله تعالى ، مرئى مشاهد بالعيان فيه . فبطل احتجاجهم . والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : فما هذا التفاوت الذى أخبر الله تعالى أنه لا يرى فى خلقه .. ؟

قيل لهم نعم وبالله تعالى التوفيق هو[١٨٠] اسم لا يقع على مسمّى موجود فى العالم أصلًا ، بل هو معدوم جملةً ، إذ لو كان شيئاً وجوداً فى العالم لوجد التفاوت فى خلق الله تعالى ، والله تعالى قد أُكذب هذا وأخبر أنه لا يرى فى خلقه ، ثم نقول وبالله تعالى نتأيد : إن العالم كله ما دون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى ، أجسامه وأعراضه كلها ، لا نحاشى شيئاً منها ثم إذا نظر الناظر فى[١٨١] تقسيم أنواع أعراضه ، وأنواع أجسامه جرت القسمة جرياً مستوياً فى تفصيل أجناسه وأنواعه

---

(١٧٢) فى (أ) : (ما) .
(١٧٣) فى (خ) : لم يذكر (والأوثان المعبودة من دون الله تعالى) .
(١٧٤) فى (أ) : سقطت كلمة (خلقه) .
(١٧٥) فى (أ) : (ضميرًا) .
(١٧٦) الملك : ٣
(١٧٧) فى (أ) : (فى هذا أيضا) .
(١٧٨) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(١٧٩) فى (خ) : لم يذكر (والكذب) .
(١٨٠) الضمير يعود على (التفاوت) .
(١٨١) فى (خ) : سقطت (فى) .

بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة ، وهيئة واحدة ، إلى أن يبلغ الأشخاص التى تلى أنواع الأنواع لا تفاوت فى شىء من ذلك ألبته بوجهٍ من الوجوه ، ولا تخالف من شىء منه أصلًا ، ومن وقف على هذا علم أن الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا[١٨٢] تحت نوع الشكل والتخطيط ، ثم تحت نوع الكيفية ، ثم تحت اسم العرض ، وقوعاً مستوياً لا تفاضل فيه ولا تفاوت ألبتة[١٨٣].

وكذلك أيضاً نعلم أن الكفر والإيمان بالقلب واقعان[١٨٤] تحت نوع الاعتقاد ، ثم تحت نوع[١٨٥] النفس ، ثم تحت نوع[١٨٦] الكيفية والعرض ، وقوعاً مستوياً لا تفاوت[١٨٧] فيه من هذا الوجه من التقسيم ، وكذلك أيضاً نعلم أن الإيمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع[١٨٨] الهواء بآلات الكلام ، ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية ، وتحت نوع[١٨٩] العرض وقوعاً مستوياً لا تفاوت فيه ولا اختلاف ، وهكذا القول فى الظلم وفى الإنصاف وفى العدل وفى الجور وفى الصدق ، وفى الكذب وفى الزنا ، وفى الوطء الحلال ولا فرق ، وكذلك كل ما فى العالم حتى ترجع جميع الموجودات إلى الرءوس الأول التى ليس فوقها رأس يجمعها ، إلا كونها مخلوقة لله عز وجل ، وهى الجوهر والكم والكيف والإضافة على ما بينا فى كتاب : التقريب ، والحمد لله رب العالمين .

فانتفى التفاوت عن كل ما خلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة[١٩٠] حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها ، وهى أنه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجوداً فى خلق الرحمن وقد كَذَّب[١٩١] الله عز وجل ذلك ونفى أن يُرى فى خلقه تفاوت .

وأما اعتراضهم من طريق النظر بأن قالوا : إنه تعالى إن كان خلق الكفر والمعاصى فهو إذن يغضب مما فعل ، ويغضب مما خلق ، ولا يرضى مما صنع ، ويسخط ما فعل ، ويكره ما يفعل ، وأنه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره[١٩٣] فهو تمويه ضعيف ، ونحن لا ننكر ذلك إذ أخبرنا

---

(١٨٢) فى (خ) : لم يذكر (معا) .
(١٨٣) فى (أ) : (فى هذا بوجه من التقسيم) بدلًا من (ألبتة) .
(١٨٤) فى (خ) : لم يذكر (واقعان) .
(١٨٥) فى (أ) : فعل .
(١٨٦) فى (أ) : سقطت كلمة (نوع) .
(١٨٧) فى (أ) : بزيادة (لا تفاضل فيه) .
(١٨٨) فى (أ) : (فرع الهواء) .
(١٨٩) فى (أ) : (اسم العرض) .
(١٩٠) فى (خ) : لم يذكر (المذكورة) .
(١٩١) فى (خ) : (أكذب) .
(١٩٢) فى (أ) : (فهذا) .
(١٩٣) فى (خ) : سقطت كلمة (أخبرنا) .

عز وجل به ، وقد أخبرنا تعالى أنه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه ، وأن كل ذلك[١٩٤] مكروه لديه[١٩٥] ولا يرضاه ، فليس إلا التسليم لله عز وجل[١٩٦]، ثم نعكس[١٩٧] عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم : أليس الله تعالى هو خالق إبليس ، وفرعون والخمر والكفار .. ؟

فلابد من نعم . فنقول لهم : أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم يسخط[١٩٩].. ؟ فلا بد من أنه ساخط عليهم ، كاره لهم غضبان عليهم ، غير راضٍ عنهم .

فنقول لهم : هذا نفس ما أنكرتم من أنه تعالى يسخط[٢٠٠] تدبيره ، ويغضب من فعله ، ويكره ما خلق ويلقيه .

فإن قالوا : لم يكره عين الكفر[٢٠١] ولا سخط شخص إبليس ، ولا كره عين الخمر ، لم نسلم لهم ذلك ، لأنه تعالى قد نص على أنه لعن إبليس والكفار ، وأنهم مسخطون ملعونون ، مكروهون من الله تعالى ، مغضوب عليهم وكذلك الخمر والأوثان . وقال تعالى : « إِنَّما الْخَمْرَ والْمَيْسِرُ والْأَنْصَابُ والْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوه لعلّكُم تَفْلِحُون »[٢٠٢].

وقال تعالى : « أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّه رِجْسٌ »[٢٠٣].

وقد سمى الله تعالى كل[٢٠٤] ذلك رجساً ثم أمر تعالى بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل[٢٠٥] ذلك إلى عمل الشيطان ، ولا خلاف فى أنه عز وجل خالق كل ذلك ، فهو خالق الرجس ، بالنص ولا فرق بين المعقول بين خالق[٢٠٦] الرجس وخالق الكفر والظلم والكذب .

وقال تعالى : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاهَا »[٢٠٧].

فأخبر تعالى أنه هو الذى ألهم التقوى والفجور النفوس[٢٠٨].

---

(١٩٤) فى (أ) : وأنه يكره كل ذلك .
(١٩٥) فى (أ) : بزيادة (ويغضب منه) .
(١٩٦) فى (أ) : لقول الله تعالى .
(١٩٧) فى (أ) : (نعم نعكس) بدلًا من (ثم نعكس) .
(١٩٨) فى (أ) : خلق .
(١٩٩) فى (أ) : أم هو ساخط عليهم .
(٢٠٠) فى (أ) : سخط .
(٢٠١) فى (أ) : (الكافر) .
(٢٠٢) سورة المائدة آية رقم : ٩٠
(٢٠٣) الأنعام : ٤٥ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (ولحم خنزير) .
(٢٠٤) فى (خ) : لم يذكر كلمة (كل) .
(٢٠٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (كل) .
(٢٠٦) فى (أ) : (خلق) .
(٢٠٧) فى الشمس : ٨
(٢٠٨) فى (أ) : سقط الكلام من قوله (فأخبر تعالى إلى النفوس) .

فعلى قول هؤلاء المخاذيل أنه مما ألهم ويكرهه ، وإلهامه فعله بلا شك ضرورة ، فَقَد صحَّ عليهم ما شنَّعوا به من أنه تعالى يغضب من فعله أيضا .

فيقال لهم : هل الله تعالى قادر على منح الظالم من ظلم المظلوم[٢٠٨] ..؟ وعلى منع الذين قتلوا رسل الله ﷺ على أن يحول بين الكافر وكفره بأن[٢٠٩] يميته قبل أن يبلغ وبين الزانى وزناه بإضعاف جارحته ، أو بشغل يشغله به ، أو تيسير إنسان يطلّ عليهما ، أم هو عاجز عن ذلك كله غير[٢١٠] قادر على شيء منه ..؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن قالوا : هو غير قادر على شيء من ذلك عجزّوا ربهم ، وكفروا وبطلت أدلتهم على إحداث العالم ، إذا أضعفوا قدرة ربهم عن هذا اليسير السهل ، وإن قالوا : بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا أيضاً على أنه رأى المنكر والكفر والزنى والظلم وأقره ولم يغيره ، وأطلق أيدى الكفار على قتل أنبيائه[٢١١] وضربهم ، ومع إقراره إياهم[٢١٢] على ذلك فلم يكتف به ، حتى قواهم [بجوارحهم وآلاتهم ، وكف كل مانع ، وهذا على قولهم أنه رضا منه تعالى بالكفر][٢١٣] على كل ذلك ، وكل ما ذكر بإرادته واختيارٍ منه تعالى لكل ذلك ، وهذا كفر مجرد . وأما أنه يغضب ممّا أقر ويسخط مما أعان عليه ، ويكره مما فعل من إقرارهم على كل ذلك .

وهذا هو الذى شنَّعوه به ، ولابد من أحد الوجهين ضرورة ، وكلاهما خلاف قوله إلا أن هذا لازم لهم على أصولهم ، ولا يلزمنا نحن شيء منه ، لأننا ما نقبح إلَّا ما قَبَّح الله تعالى ، ولا نحسِّن إلا ما حسَّن الله تعالى ، فإن قالوا إنما أقره لينتقم منه . وإنما كان يكون سفهاً وعبثاً لو أقره أبداً .

قيل لهم : أى فرق بين إقراره عز وجل للكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه ذلك ساعة بعد ساعة ، وهكذا أبداً بلا نهاية أو نهاية فى الحسن والقبح . وإلا فعرفونا الأمر[٢١٤] الذى يكون إقرار الظلم والكفر والكذب إليه حكمة وحسناً ، وإذا تجاوزه صار عبثاً وسفهاً ، فإن تكلفوا أن يحدّوا فى ذلك حدًّا أتوا بالجنون والسُّخف والكذب ، والدعوى التى لا يعجز عنها أحدُ .

وإن قالوا: لا ندرى وردّوا العلم فى ذلك إلى الله عزّ وجل صدقوا . وهذا هو قولنا : إن كل ما فعله الله تعالى من تكليفه ما لا يطاق وتعذيبه عليه وخلقه الظلم والكفر فى الظالم والكافر وإقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه وغضبه وسخطه إياه كل ذلك من الله عز وجل حكمه وعدْل

---

(٢٠٩) فى (أ) : سقطت كلمة (ظلم) .
(٢١٠) فى (أ) : (وأن يميته) .
(٢١١) فى (أ) : سقطت كلمة (غير) فاختل المعنى .
(٢١٢) فى (أ) : (رسله) .
(٢١٣) فى (أ) : (بكل ذلك) .
(٢١٤) فى (ح) : لم يذكر ما بين القوسين .

وحقٌّ وممن دونه سفهٌ وظلم وباطل ، لا يسأل عما يفعل تعالى وهم يسألون . وأما قولهم من فعل شيئاً وجب أن ينسب إليه وأنه لا يعقل ولا يوجد غير هذا وإيجابهم هذا الاستدلال إلى أن يسمى الله تعالى ظالما لأنه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين :

أحدهما : أنه تشبيه محض ، لأنهم يريدون أن يحكموا على البارى تعالى بحكم الموجود الجارى على خلقه .

ويقال لهم إذا[٢١٥] لم تجدوا فى الشاهد فاعلًا إلا جسماً [ولا عالما لا بعلم هو غيره ، ولا حيا إلا بحياة هى عرض فيه ، ولا مخبراً عنه إلا جسماً أو عرضا] وما لم يكن كذلك فهو معدوم[٢١٦] ولا يتوهم ، ولا يعقل ثم رأيتم[٢١٧] الله تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم ، فقد وجب ضرورة أن لا يحكم عليه تعالى بالحكم عندنا فى أن يسمى فى أفعاله ولا فى أن ينسب إليه كما ينسب إلينا بخلاف ذلك بالبرهان الضرورى .

وهو أن الله تعالى خلق كل ما خلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة فى غيره ، فهكذا هو فعل الله تعالى فيما خلق .

وأما فعل عباده لما فعلوا فإنما معناه أنه ظهر منهم ذلك الفعل عرضاً محمولًا فى فاعله ، لأن ذلك إما حركة فى متحرك ، وإما سكوناً فى ساكن ، أو اعتقاداً فى معتقد ، أو فكراً فى متفكر ، أو إراده من مزيد ، ولا مزيد ، فبين الأمرين فرق باين لا خفاء به على من له أقل فهم .

وأما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو أنه يستحق أحد مدحاً ولا ذماً إلا من مدحه الله ورسوله[٢١٨] ﷺ أو ذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه ، فهو عز وجل محمود على كل ما فعل[٢١٩] محبوب لكل ذلك .

وأما من دونه عز وجل فمن حمد الله تعالى فعله فهو ممدوح محمود[٢٢٠] وأما من ذم عز وجل فعله الذى أظهره فيه فهو مذموم ولا مرية[٢٢١].

وبرهان ذلك[٢٢٢] إجماع أهل الإسلام على أنه لا يستحق الحمد والمدح[٢٢٣] إلا من أطاع الله

---

(٢١٥) فى (أ) : الأمد .
(٢١٦) فى (أ) : (إذ) .
(٢١٧) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين [ ] .
(٢١٨) فى (خ) : (أثبتم) .
(٢١٩) فى (أ) : لم يذكر (ورسله) .
(٢٢٠) فى (أ) : فعله .
(٢٢١) فى (أ) : زاد (الذى أظهر فيه) .
(٢٢٢) فى (أ) : ولا مزيد .
(٢٢٣) فى (أ) : (هذا) .

عز وجل ، ولا يستحق الذم . إلا من عصاه ، وقد يكون العبد(٢٢٤) محموداً مطيعاً اليوم ممدوحاً بفعله إن فعله اليوم ، وكافراً مذموماً به(٢٢٥) إن فعله غداً ، كالحج فى إشهر الحج ، وفى غير أشهر الحج ، وكصوم(٢٢٦) يوم الفطر والأضحى ، وكصوم رمضان وكالصلاة فى الوقت وقبل الوقت أو بعده وكسائر الشرائع كلها ، وقد وجدنا فاعلًا للكذب قائلًا له ، وفاعلًا للكفر قائلا له(٢٢٨)، وهما غير مذمومين ولا يسمى أحداً منهما كافراً ولا كاذباً ، وهما الحاكى والمكره ، فبطل ما ظنت المعتزلة بأن(٢٢٩) من فعل الكذبِ فهو كاذب ، ومن فعل الكفر فهو كافر ، ومن فعل الظلم فهو ظالم ، فصح(٢٣٠) أنه لا يكون كافراً ولا كاذبًا إلا من سمَّاه الله عز وجل كافرًا أو ظالمًا ، [وأنه لا كفر ولا ظلم ، ولا كذب ، إلّا ماسمّاه الله كفرا ، وكذبا ، وظلما](٢٣١).

فصحّ بالضرورة التى لا محيد عنها أنه ليس فى العالم شيءٍ ممدوح لعينة ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ، ولا ظلم لعينه .

وأما ما لا يقع عليه اسم طاعة ولا معصية ، ولا حكمهما وهو الله تعالى فلا يجوز أن يوقع عليه مدح ولا ذم ولا حمد إلا بنص من قبله ، ونحمده كما أمرنا أن نقول : الحمد لله رب العالمين .

وأما من دونه تعالى ممن ، لا طاعة تلزمه ولا معصية كالحيوان من غير الملائكة والحور العين ، والإنس والجن فكالجمادات فلا تستحق مدحًا ولا ذمًا ، لأن الله تعالى لم يأمرنا بذلك فيها ، فإن وجد له أمر مدح لشىْء منها أو ذمه ، وجب الوقوف عند أمره تعالى ، كأمره بمدح الكعبة ، والمدينة ، والحجر الأسود ، وشهر رمضان ، والصلاة وغير ذلك ، وكأمره تعالى بذم الخمر ، والخنزير ، والميتة ، والكنيسة والكفر ، والكذب ، وما أشبه ذلك ، وأما ما عدا هذين القسمين فلا مدح ولا ذم . وأما اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضًا ولا فرق وليس لأحد أن يسمى شيئًا إلا بما أباحه الله تعالى فى الشريعة ، أو فى اللغة التى أمرنا بالتخاطب بها . وقد وجدناه تعالى أخبر(٢٣٢) أن له كيدًا ومكرًا ، وأنه يكيد ويمكر(٢٣٣) ويستهزىء وينسى ما نسيه(٢٣٤)،

---

(٢٢٤) فى (خ) : لم يذكر (والمدح) .
(٢٢٥) فى (أ) : (المرء) .
(٢٢٦) فى (خ) : لم يذكر (ه) .
(٢٢٧) فى (أ) : (ولصوم) .
(٢٢٨) فى (أ) : (به) .
(٢٢٩) فى (أ) : (من أنه) .
(٢٣٠) فى (أ) : (وصحّ) .
(٢٣١) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين [ ] .
(٢٣٢) فى (أ) : أخبرنا .
(٢٣٣) فى (أ) : سقطت (وأنه) .
(٢٣٤) فى (خ) : لم يذكر (وينسى ما نسيه) .

وهذا كله لا تدفعه المعتزلة ولو دفعته لكفرت لردها نص القرآن ، وهم مجمعون معنا على أنه لا يسمى باسم مشتق[٢٣٥] من ذلك .

فلا يقال له ماكر من أجل أن له مكرًا ، ولا أنه كياد من أجل أنه يكيد ، وأن له كيدًا ، ولا مستهزئًا من أجل أنه يستهزىء[٢٣٦] فقد بطل ما صوروه من أن كل[٢٣٧] من فعل فعلًا فإنه يسمى منه ، وينسب إليه .

ولا يشغب ههنا مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول : إنما قلنا : إنه يكيد ويستهزىء وأنه مكر على[٢٣٨] معنى[٢٣٩] المعارضة[٢٤٠] فإنا نقول[٢٤١]: صدقت ولم نخالفك فى هذا لكن ألزمناك أن تسمِّيَه تعالى كيَّادًا ، وماكرًا ، ومستهزئًا ، وناسيًا ، على معنى المعارضة ، كما يقول فقط ، فإن أبى من ذلك وقال : إن الله عز وجل لم يسمِّ بشىءٍ من ذلك نفسه ، فقد رجع إلى الحق ، ووافقنا فى أن الله تعالى لا يسمَّى ظالمًا ، ولا كاذبًا ، ولا كافرًا ، من أجل خلقه الظلم ، والكفر ، والكذب ، لأنه تعالى لم يسمِّ نفسه بذلك ، فإن[٢٤٣] أنكر ذلك تناقض ، وظهر بطلان قوله[٢٤٤] فى مذهبه .

* * *

قال أبو محمد : وقد وافقونا على أنه تعالى خلق الخمر وحَبَل النّساء[٢٤٥] ولا يجوز أن يسمَّى خمّارًا ، ولا مُحْبلًا ، وأنه تعالى خلق أصباغ القمارى والهداهد[٢٤٦]، والحجل ، وسائر الألوان ، ولا يجوز[٢٤٧] أن يسمَّى صباغًا ، وأنه تعالى بنى السماء[٢٤٨] ولا يسمى بناءً وأنَّه تعالى سقانا الغيثَ ومياه الأرض ولا يسمَّى سقاءً ولا ساقيا .

---

(٢٣٥) فى (ح) : لم يذكر (باسم مشتق) .
(٢٣٦) فى (أ) : زاد بهم .
(٢٣٧) فى (أ) : سقطت (منْ) .
(٢٣٨) فى (أ) : وأنه يمكر وينيس .
(٢٣٩) فى (أ) : سقطت كلمة (معنى) .
(٢٤٠) فى (أ) : بزيادة (بذلك) .
(٢٤١) فى (أ) : زاد (له) .
(٢٤٢) فى (خ) : (ومستهترا) .
(٢٤٣) فى (أ) : (وإن) .
(٢٤٤) فى (أ) : سقط (قوله فى) .
(٢٤٥) فى (خ) : (وجبل الفساد) .
(٢٤٦) فى (خ) : (الهدهد) .
(٢٤٧) فى (أ) : سقط (ويجور أن) .
(٢٤٨) فى (أ) : زاد (والأرض) .

وأنه تعالى خلق الخمر ، والخنزير ، وإبليس ، ومردة الشياطين ، وكذلك[٢٤٩] كل سوء وسيء ، وخبيث ، ورجس ، ونجس[٢٥٠] وشر ، ولا يسمى من أجل ذلك مسيئًا ولا شريرًا فأىُّ فرق بين هذا كله وبين أن يخلق الشر والظلم ، والكذب ، والكفر ، ومعاصى عباده ؟ ولا يسمى بذلك مسيئًا ولا ظالمًا ، ولا كاذبًا ، ولا شريرًا ولا فاحشًا ، والحمد لله على ما منّ به من الهدى والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا إله إلا هو .

* * *

ويقال لهم أيضًا : أنتم تقولون بأنه خلق القوة التى بها يكون الكفر ، والكذب ، والظلم ، ووهبها[٢٥١] لعباده ولا تسمونه من أجل ذلك مقويًا[٢٥٢] على الكفر ، ولا معينًا للكافر فى كفره ، ولا مسببًا الظلم[٢٥٣] ولا واهبًا للكفر ، وهذا بعينه هو الذى عبتم وأنكرتم .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا عن تعذيبه أهل جهنم فى النار[٢٥٤] أمحسنٌ هو بذلك إليهم أم مسيىء ؟ فإن قالوا[٢٥٥]: محسنٌ إليهم ، قالوا : الباطل وخالفوا أصلهم ، وسألناهم[٢٥٦] أن يسألوا لأنفسهم ذلك الإحسان نفسه وإن قالوا : إنه مسىء إليهم كفروا[٢٥٧] وإن قالوا مسيئًا[٢٥٨] قلنا لهم فهم فى إساءة أو إحسان ؟

فإن قالوا : ليسوا فى إساءَة كابروا العيان ، وإن قالوا بل هم فى إساءةٍ ، قلنا لهم : هذا ما[٢٥٩] أنكرتم أن يكون منه تعالى إليهم حال[٢٦٠] هى غاية الإساءة ، ولا يسمى بتلك[٢٦١] مسيئًا .

وأما نحن فنقول : إنهم فى غاية الإساءة والمساءَة والسخط عليهم ، وليس السخط إحسانًا إلى المسخوط عليه ، وكذلك اللعنة فى الملعون وأنه تعالى محسنٌ على الإطلاق ، ولا نقول : إنه مسىٌّ أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

---

(٢٤٩) فى (خ) : لم يذكر (وكذلك) .
(٢٥٠) فى (أ) : سقط (ونجس) .
(٢٥١) فى (أ) : (وهيأها) .
(٢٥٢) فى (أ) : (مغويا) .
(٢٥٣) فى (أ) : (للكفر) بدلًا من (الظلم) .
(٢٥٤) فى (أ) : (النيران) .
(٢٥٥) فى (أ) : (بل) .
(٢٥٦) فى (خ) : (ومنعناهم) .
(٢٥٧) فى (أ) : زاد (به) .
(٢٥٨) فى (أ) : (مسيئا إليهم) .
(٢٥٩) فى (أ) : (هذا الذى) .
(٢٦٠) فى (خ) : حال سيء .
(٢٦١) فى (أ) : (بذلك) .

والأصل فى ذلك ما قلناه من أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به[٢٦٢] عن نفسه ولا مزيد .

فإن قالوا : إذا جوَّزتم أن يخلق[٢٦٣] الله تعالى[٢٦٤] ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالماً ، فجوزوا[٢٦٥] أن يخبرنا بالشيء على خلاف ما هو عليه ولا يكون بذلك كاذباً ، وأن لا يعلم ما يكون ، ولا يكون بذلك جاهلًا ، وأن لا يقدر على شيءٍ ولا يكون عاجزاً .

قيل لهم – وبالله تعالى التوفيق – هذا محال من وجهين :

أحدهما : أنه[٢٦٦] قد أوضحنا أنه ليس فى العالم ظلم لعينه ، ولا بذاته ألبتة ، وإنما الظلم بالإضافة ، فيكون قتل زيد إذا نهاى الله تعالى – عنه ظلماً ، وقتله إذا أمر الله – تعالى – به عدلًا ، وأمَّا الكذب فهو كذب لعينه وبذاته ، فكل من أخبر بخبر بخلاف ما هو عليه[٢٦٧] فهو كاذب ، إلا أنه لا يكون بذلك[٢٦٧] آثماً ولا مذموماً إلا من حيث أوجب الله – تعالى – فيه الإثم والذم فقط ، وكذلك القول فى الجهل والعجز أنهما جهلٌ[٢٦٨] لعينه وعجزٌ لعينه ، وكل من لم يعلم شيئاً فهو جاهل به ولابدَّ ، وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولابد .

والوجه الثانى :[٢٦٩] بالضرورة التى علمنا أن نواة التمر لا تخرج زيتونةً ، وأن الفرس لا ينتج جملًا[٢٧٠]، عرفنا أن الله تعالى لا يكذب ، ولا يجهل ، ولا يعجز ، لأن[٢٧١] هذه صفات المخلوقين ، وجميع صفات[٢٧٢] المخلوقين عنه تعالى منتفية إلا ما جاء به نص[٢٧٣] بأن يُطِلَق اسم من أسمائها عليه خاصة فنقف عليه وأيضًا[٢٧٤]، فإن أكثر المعتزلة يحقق قدرة البارىِ – تعالى – على الظلم ، والكذب ، ولا يجيزون وقوعهما منه – تعالى] وليس وصفهم إياه عزّ وجل بالقدرة على ذلك ،

---

(٢٦٢) ف (ح) : سقطت (به) .
(٢٦٣) ف (أ) : (يفعل) .
(٢٦٤) ف (أ) : زاد (فعلا) .
(٢٦٥) ف (أ) : (فجوزنا) .
(٢٦٦) ف (أ) : (أننا) .
(٢٦٧) ف (أ) : سقطت (عليه) .
(٢٦٧) ف (أ) : (ذلك) وهو تحريف .
(٢٦٨) ف (أ) : (جعل) .
(٢٦٩) ف (أ) : (أن بالضرورة) .
(٢٧٠) ف (أ) : زاد (بها) .
(٢٧١) ف (أ) : زاد (كله) .
(٢٧٢) ف (أ) : سقط (وجميع صفات المخلوقين) .
(٢٧٣) ف (خ) : لم يذكر كلمة (نص) .
(٢٧٤) ف (أ) : (عنده) .

بموجب إمكان وقوعه منه تعالى][٢٧٥]، ولا ينكرون علينا أن نقول إن الله – تعالى – فعل أفعالًا هى منه – تعالى – عدلٌ وحكمة ، وهى مِنَّا ظلم وعبث ، وليس يلزمنا مع ذلك أن نقول إنه يقول الكذب ، ويجهل ، فبطل هذا الإلزام – والحمد لله رب العالمين .

وأيضاً فإننا لم نقل إنه – تعالى – يظلم ولا يكون ظالماً ، ولا قلنا إنه يكفر ، ولا يسمى كافراً ، ولا قلنا إنه يكذب ولا يسمى كاذباً ، فيلزمنا ما أرادوا إلزامنا إياه ، وإنما قلنا إنه خلق الظلم والكذب والكفر[٢٧٦] والشرّ والحركة[٢٧٧] والطول ، والعرض ، والسكون ، أعراضاً فى خلقه ، فوجب أن يسمى لكل ذلك خالقاً ، كما خلق الجوع، والعطش ، والشبع ، والرى ، والهزال ، واللغات ، ولم يجز أن يسمى ظالماً ، ولا كاذباً ، ولا كافراً ، ولا شريراً ، كما لم يجز عندنا وعندهم أن يسمى من أجل خلقه لكل ما ذكرناه : متحركاً ، ولا ساكناً ولا طويلًا ، ولا عريضاً ، ولا عطشان ، ولا ريان ، ولا جائعاً ، ولا شابعاً ، ولا سميناً ، ولا هزيلًا ، ولا لغوياً ، وهكذا كل[٢٧٨] ما خلق الله تعالى – ومنه كل ما خلق[٢٧٩] فإنه يخبر بأنه خالقٌ له فقط ولا يوصف بشيء مما ذكرنا إلا من خلقه تعالى – عرضاً فيه ، وأما قولهم : لا يفعل فعل ، من فاعلين هذا فعله كله ، وهذا فعله فإن هذا تحكم ونقصان من الحكمة[٢٨٠] فى القسمة أوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم ، وقولهم[٢٨١] إنا نستدل بالشاهد على الغائب ، وهذا قول قد أفسدناه فى كتابنا « الإحكام فى أصول[٢٨٢]الأحكام » بحمد الله – تعالى – ونبين ها هنا فساده بإيجاز .

فنقول : وبالله تعالى التوفيق – إنه ليس عن العقل الذى هو التمييز شيء غائبٌ أصلًا وإنما يغيب بعض الأشياء عن[٢٨٣] الحواس وكل ما فى العالم فهو مشاهد[٢٨٤] بالعقل المذكور لأن العالم كله جوهر حاملٌ وعرضٌ محمولٌ فيه ، وكلاهما يقتضى خالقًا أولًا ، واحدًا لا يشبههُ شيءٌ من خلقه فى وجهٍ من الوجوه ، فإن كانوا يعنون بالغائب البارى – تعالى – فقد لزمهم تشبيهه بخلقه إذ حكموا بتشبيه الغائب بالحضر وفى هذا كفاية . بل ما دل الشاهد كله إلا بأن[٢٨٥] الله

(٢٧٥) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٧٦) فى (خ) : لم يذكر (والكفر) .
(٢٧٧) فى (خ) : لم يذكر (والحركة) .
(٢٧٨) فى (خ) : (وهذا مما) .
(٢٧٩) فى (أ) : لم يذكر (ومنه كل ما خُلق) .
(٢٨٠) فى (أ) : لم يذكر (الحكمة) .
(٢٨١) فى (أ) : (إنما) .
(٢٨٢) هو كتاب مكون من خمسة أجزاء يقع فى حدود ١٢٠٠ ألف ومائتين من الصفحات وقام على تحقيقه وطبعه الشيخ أحمد شاكر فى ثمانية أجزاء صغيرة ، ثم طبعه الشيخ زكريا على يوسف فى مجلدين وتزيد عن الطبعة الأولى بترجمة للمؤلف وفهارس تفصيلية .
(٢٨٣) فى (أ) : (من) .
(٢٨٤) فى (أ) : (مشاهدة) .
(٢٨٥) فى (أ) : (أنَّ) .

– تعالى – بخلاف كل ما[٢٨٦] خلق من جميع الوجوه ، وحاشا الله أن يكون – عز وجل – غائبًا عنا ، بل هو مشاهدٌ بالعقل ، كما نشاهد بالحواس كلَّ حاضر ، ولا فرق بين صحة معرفتنا به – عز وجل – بالمشاهدة بضرورة العقل ، وبين[٢٨٧] معرفتنا بسائر ما نشاهده ، ثم نرجع إن شاء الله – تعالى – إلى إنكارهم فعلًا واحدًا من فاعلين .

فنقول وبالله تعالى التوفيق – إنما[٢٨٨] امتنع ذلك فيما بيننا فى الأكثر على العموم لما شاهدناه من أنه لا تكون حركةٌ واحدةٌ فى الأغلب لمتحركين ، ولا اعتقادٌ واحدٌ لمعتقدين ، ولا إرادةٌ واحدةٌ لمريدين ، ولا فكرةٌ واحدةٌ لمفتكرين ، ولكن لو أخذ إثنان سيفًا واحدًا أو رمحًا واحدًا فضربا به إنسانًا ، أو طعناه[٢٨٩] لكانت حركةً واحدةً غير منقسمة لمتحركين بها ، وفعلًا واحدًا غير[٢٩٠] منقسم لفاعلين ، هذا أمرٌ مشاهدٌ بالحس والضرورة وهذا أمرٌ[٢٩١] منصوصٌ فى القرآن من أنكره كفر ، وهو أن القراءة المشهورة عند المسلمين « إِنَّمَا أَنَا رَسَوُلُ رَبِّكِ لأهب لَكِ غُلامًا زَكِيًّا[٢٩٢]» وَلِيَهَبَ لَكِ » .

كلا القراءتين مشهورة بنقل الكواف عن رسول الله ﷺ عن جبريل ﷺ .

فإذا قرئت بالهمز فهو إخبار جبريل رسول الله ﷺ الروح الأمين أنه الواهب لها عيسى ﷺ .

وإذا قرئت بالياء : فهو من إخبار جبريل عن الله عز وجل بأن الله تعالى هو الواهب لها عيسى عليه السلام[٢٩٣]. فهذا فعل من فاعلين ينسب[٢٩٤] إلى الله عز وجل الهِبَة لأن الله – تعالى – هو الخالق لهذه الهبة ، ونسبت الهبة أيضًا إلى جبريل لأنه منه ظهرت[٢٩٥] إذ أتى بها ، وكذلك قوله – عز وجل – « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى[٢٩٦]» .

فأخبر تعالى أنه رمى[٢٩٧]. وأن نبيه ﷺ رمى .

---

(٢٨٦) فى (أ) : (من) .
(٢٨٧) فى (أ) : زاد : (صحة) .
(٢٨٨) فى (خ) : (لما) .
(٢٨٩) فى (أ) : فقطعاه به .
(٢٩٠) فى (خ) : سقطت (غير) .
(٢٩١) فى (أ) : سقط (أمر) .
(٢٩٢) سورة مريم : ١٩
(٢٩٣) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٩٤) فى (أ) : نسب .
(٢٩٥) فى (خ) : لم يذكر كلمة (ظهرت) .
(٢٩٦) سورة الأنفال : ١٧
(٢٩٧) فى (خ) : لم يذكر (فأخبر تعالى أنه رمى) .

فأثبت – تعالى لنبيه ﷺ – الرمى ونفاه عنه معًا . وبالضرورة ندرى أن كلامه – تعالى – لا يتناقض فعلمنا أن الرمى الذى نفاه – عز وجل – عن نبيه ﷺ هو غير الرمى الذى أثبته له لا يظن غير هذا مسلم ألبتة ، فصحّ ضرورةً أن نسبة الرمى إلى الله – عز وجل – لأنه خلقه وهو – تعالى – خالق الحركة التى هى الرمى ومُمْضى الرَّمية وخالق سائر[٢٩٨] الرمى ، وهذا هو المنفى عن الرامى ، وهو النبى ﷺ .

وصح أن الرمى الذى أثبته لنبيّه عليه السلام هو ظهور حركة الرمى منه فقط وهذا نصّ قولنا دون تكلف وكذلك قوله – تعالى – « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم[٢٩٩] » والقول فى هذا كالقول فى الرمى ولا فرق وكذلك قوله تعالى « كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّة عَمَلَهُمْ[٣٠٠] » .

وقوله – تعالى – « فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمالَهُمْ[٣٠١] » .

فعلمنا[٣٠٢] ضرورةً ان تزيين الله – تعالى – لكل أمة عملها[٣٠٣] إنما هو خلقه لمحبة أعمالهم فى أنفسهم وأن تزيين الشيطان لهم أعمالهم إنما هو ظهور الدعاء إليها بوسوسته ، وقال تعالى حاكيا عن عيسى – عليه السلام – أنه قال : « أَنِّي أَخْلُقُ لكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهيْئَه الطَّيْرِ فِأَنْفُخُ فِيه فَيَكُوُن طَيْراً بِإذْنِ الله وأُبْرِئُ الأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإذْنِ الله[٣٠٤] » .

أفليس هذا فعلًا من الله – تعالى – ومن المسيح – عليه السلام – بنص الآية ..؟؟؟ وهل[٣٠٥] خالق الطير ، ومبرىء الأكمة والأبرص إلا الله لا إله إلا هو[٣٠٦]..؟؟؟ وقد أخبر – عليه السلام – أنه[٣٠٧] يخلق ويبرىء ، فهو فعل من فاعلين بلا شك وقد أخبر – عزَّ وجل – عن نفسه أنه يحى ويميت ، وقال عيسى[٣٠٨] – عليه السلام – عن نفسه « وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإذْنِ الله » .

---

(٢٩٨) فى (أ) : (مسير) .
(٢٩٩) سورة الأنفال : ١٧
(٣٠٠) سورة الأنعام : ١٠٨
(٣٠١) سورة النحل : ٦٣ . وقد جاءت الآية فى (أ) محرفة .
(٣٠٢) فى (أ) : سقطت (فعلمنا) .
(٣٠٣) فى (خ) : لم يذكر (عملها) .
(٣٠٤) سورة آل عمران : ٤٩
(٣٠٥) فى (خ) : (وهو) .
(٣٠٦) فى (أ) : لم يذكر (لا إله إلا الله) .
(٣٠٧) فى (أ) : (إذ) .
(٣٠٨) عيسى عليه السلام : اسم أعجمى غير منصرف للعجمة والعلمية ، قيل اشتقاقه من العَيَس وهو البياض والأعيسُ ، الجمل الأبيض وجمعه عيس وقالوا عيسا لأنه ساس نفسه بالطاعة ، وقلبه بالمحبة ، وأمته بالدعوة إلى رب العزة وثبت فى الصحيحين : ما من بنى آدم من مولود لا يمسه الشيطان حين ولد فيستهل . صارخًا من مسه إياه إلا مريم وابنها . ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

فبالضرورة نعلم(٣٠٩) أن الميت الذى أحياه عيسى – عليه السلام – والطير الذى خلق بنص القرآن ، فإن الله تعالى أحياهُ وخلقه ، وعيسى عليه السلام أحياه وخلقه(٣١٠) بنص القرآن ، وهذا(٣١١) كله فعل من فاعلين بلا شك ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وهكذا القول فى قوله – عز وجل – « وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ(٣١٢) » فقد علمنا يقينًا أن الله – تعالى – هو الذى أحلهم(٣١٣) دار البوار بلا شك لكن لما ظهر منهم السبب الذى حلّوا به دار البوار أضيف ذلك إليهم كما قال تعالى : عن إبليس « كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ(٣١٤) » .

وقد علمنا يقينًا أن الله تعالى هو الذى أخرجهما(٣١٥) وأخرج إبليس معهما ، لكن لما ظهر السبب من إبليس فى خروجهما أضيف ذلك إليه وكما قال تعالى : « لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور بإِذْنِ رَبِّهِمْ(٣١٦) » .

وقال لموسى – عليه السلام – « أن أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ أَلَى النُّورِ(٣١٧) » .

وكذلك أيضًا نقول إن محمدًا ﷺ أخرجنا من الظلمات إلى النور وقد علمنا(٣١٨) أن المخرج لنا وله – عليه السلام – هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب منه – عليه السلام – أضيف الفعل إليه وهذا كله لا يوجب الشركة بينهم وبين الله – تعالى – كما تُموهّ المعتزلة وكل هذا فعل(٣١٩) فاعلين ، وكذلك سائر الأفعال الظاهرة من الناس ولا فرق .

وعنه قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة ، ليس بينى وبينه نبى ، الأنبياء إخوة ، أبناء علات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » رواه الشيخان فى الصحيحين . بصائر دوى التمييز حـ ٦ ص ١١١ وما بعدها

(٣٠٩) فى (خ) : لم يذكر (نعلم) .
(٣١٠) فى (خ) : لم يذكر (وعيسى عليه السلام أحياه وخلقه) .
(٣١١) فى (خ) : (وهكذا كل) .
(٣١٢) سورة إبراهيم : ٢٨
(٣١٣) فى (أ) : (أحلهم فيها) .
(٣١٤) سورة الأعراف : ٢٧
(٣١٥) فى (أ) : لم يذكر (الذى) .
(٣١٦) سورة إبراهيم : ١
(٣١٧) فى (أ) : سقط ما بين القوسين . سورة إبراهيم : ٥
(٣١٨) فى (خ) : لم يذكر (وقد علمنا) .
(٣١٩) فى (أ) : فعل من .

وقال تعالى « إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا[٣٢٠] » .

« وأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِين[٣٢١] » .

وقال تعالى « الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَمْلى لَهُمْ[٣٢٢] » .

فعلمنا ضرورةً أن إملاء الله تعالى إنما هو تركه إياهم دون تعجيل عقاب ، بل بسط لهم فى الدنيا ومدّ لهم من أنعمة[٣٢٣] ما كان لهم عونًا على الكفر والمعاصى ، وعلمنا أن إملاء الشيطان إنما هو بالوسوسة ، وإنساء العقاب ، والحض على المعاصى وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَه أَمْ نَحنُ الزَّارِعُون[٣٢٤] » .

فهذا فعل من فاعلين ضرورة[٣٢٥] نسب إلى الله تعالى لأنه اخترعه وخلقه وأنماه ، ونسب إلينا لأننا تحركنا فى زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا ، فهذه كلها أفعال خلقها الله تعالى وأظهرها فى عباده فقط ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وتحقيق القول فى الأفعال هو أن الله تعالى خلق كل ما خلق قسمين فقط جوهرًا حاملًا وعرضًا محمولًا (فى ذلك الجوهر فهو خلق الجوهر الكامل قسمين فقط حيًا وغير حى ، ثم خلق الحى قسمين[٣٢٦]) ناطق وغير ناطق ، فغير الحى هو الجماد كله ، والناطق هو الملائكة والحور العين[٣٢٧] والإنس والجن ، وغير الناطق هو كل ما عدا ما ذكرنا من الحيوان ، ثم خلق تعالى فى الجمادات وفى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق حركةً وسكونًا وتأثيرًا ، قد ذكرنا آنفا[٣٢٨] كما تقول[٣٢٩]: الفلك يتحرك والمطر ينزل والوادى يسيل ، والجبل يسكن ، والنار تحرق ، والثلج يبرد ، وهكذا فى كل شىءٍ ، بهذا جاء القرآن وجميع اللغات ، قال تعالى « تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فيها كَالِحُون[٣٣٠] » .

وقال تعالى « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا[٣٣١] » .

---

(٣٢٠) سورة آل عمران : ١٧٨
(٣٢١) سورة القلم : ٤٥
(٣٢٢) سورة محمد : ٢٥
(٣٢٣) فى (أ) : (من العمر) .
(٣٢٤) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤
(٣٢٥) فى (خ) : لم يذكر (فاعلين ضرورة) .
(٣٢٦) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٣٢٧) فى (خ) : لم يذكر (والحور العين) .
(٣٢٨) فى (خ) : لم يذكر (قد ذكرناه آنفا) .
(٣٢٩) فى (أ) : لم يذكر (كما نقول) .
(٣٣٠) سورة المؤمنون : ١٠٤
(٣٣١) سورة الرعد : ١٧

وقال تعالى « فأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ[٣٣٢] » .

وقال « والفُلْكَ الَّتى تَجْرِى فى الْبَحْرِ بما يَنْفَعُ النَّاسَ[٣٣٣] » .

ومثل هذا كثير جدًا ، وبهذا جاءت اللغات فى نسبة الأفعال الظاهرة فى الجمادات إليها لظهورها فيها فقط لا تختلف لغة فى ذلك .. وقال تعالى : حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام انه قال (واجْنُبنى وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تبِعَنِى فَإِنَّهُ منّى[٣٣٤] » .

فأخبر أن الأصنام تضل . وقال تعالى « تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ[٣٣٥] » .

وهذا أكثر من أن يحصى ، والأعراض أيضًا تفعل كما ذكرنا ، وقال عز وجل « وَالْعَمَلُ الصَّالِح يُرْفَعُهُ[٣٣٦] » .

وقال تعالى « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ[٣٣٧] » .

فالظن يردى ، والعمل يرفع ، ولم تختلف أمةٌ فى صحة[٣٣٨] القول « أعجبنى عمل فلان » وسرنى خلق فلان[٣٣٩] ومثل هذا كثير جدًا ، وقد وجدنا الحر يحلل ويُصعد ، والبرد يجمد ، ومثل هذا كثير جدًّا[٣٤٠] كما بينّا ، والكل خلق الله – تعالى – وأما حركة الحى غير الناطق والحى الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهرٌ أيضًا ، ثم خلق – تعالى – فى الحى غير الناطق قصدًا ومشيئةً لم يخلق ذلك فى الجمادات[٣٤١] كإرادة[٣٤٢] الحيوان الرعى وتركه ، والمشى وتركه ، والأكل وتركه ، وما أشبه هذا ، ثم خلق تعالى فى الحى الناطق تمييزًا لم يخلقه فى الحى غير الناطق ولا فى الجماد ، وهو التصرف فى العلوم والمعارف .

هذا كله أمرٌ مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ، ونسب الفعل فى كل ذلك إلى من أظهره الله تعالى منه فقط . فخلق الله تعالى كما ذكرنا فى الحى الناطق الفعل والاختيار ،

(٣٣٢) سورة الرعد : ١٧
(٣٣٣) سورة البقرة : ١٦٤ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ترك (التى) .
(٣٣٤) سورة إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث قال (اجنبنى) .
(٣٣٥) سورة الكهف : ٤٥
(٣٣٦) سورة فاطر : ١٠
(٣٣٧) سورة فصلت : ٢٣
(٣٣٨) فى (خ) : لم يذكر (صحة) .
(٣٣٩) فى (خ) : لم يذكر (وسرنى خلق فلان) .
(٣٤٠) فى (خ) : لم يذكر (جدًّا) .
(٣٤١) فى (أ) : (الجماد) .
(٣٤٢) فى (خ) : (كما يشاء) .

والتمييز ، وخلق فى الحى غير الناطق الفعل والاختيار فقط ، وخلق فى الجماد الفعل فقط ، وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا ، وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر[٣٤٣] فأنكر فعل المطبوع بطبعه ، وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله – تعالى – فيه فقط ، وبين آخر كابر وجاهر فأنكر فعل المختار باختياره ، وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله – تعالى – فيه فقط ، وكلا الأمرين محسوس بالحس معلوم بأول العقل ضرورةً[٣٤٤]، أنه فعل لما ظهر منه ، ومعلوم ذلك كله بالبرهان الضرورى أنه خلق الله تعالى فى المطبوع والمختار ، فإن فرّوا إلى القول بأن الله تعالى لم يخلق فعل المختار وأنه تعالى[٣٤٥] المختار فقط .

قلنا : قد بينا بطلان هذا قبل ، ولكن نعارضكم ههنا بأن منكم من يقول لم يخلق الله تعالى أيضًا فعل المطبوع ، وأنه فعل المطبوع فقط ، كمعمّر وغيره من كبار المعتزلة .

فإن قالوا : أخطأ من قال هذا وكفر .

قلنا لهم : صدقتم[٣٤٦] وكفر من قال إن أفعال المختار لم يخلقها الله عز وجل ولا فرق .

فإن قالوا : إن الله تعالى هو خالق الطبيعة والمطبوع الذيْن ينسبون الفعل إليهما فهو خالق ذلك الفعل .

قلنا لهم : والله عز وجل هو خالق المختار ، وخالق اختياره ، وخالق قوته وهم[٣٤٧] الذين ينسبون الفعل إليهم فهو الله عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق .

قال أبو محمد : وهذا[٣٤٨] الذى ذكرنا من إضافة التأثير وجميع الأفعال إلى كل من ظهرت منه من جماد أو عرض أو حى[٣٤٩] ناطق أو غير ناطق ، فهو الذى به تشهد الشريعة ، وبه يشهد[٣٥٠] القرآن والسنن كلها ، وبه تشهد البينة ، لأنه أمْر محسوس مشاهد ، وبه تشهد اللغات ، من جميع أهل الأرض قاطبةً لا نقول لغة العَرب فقط ، بل كل لغةٍ لا نحاشى منها شيئًا وما كان هكذا فلا شيء أصح منه .

فإن قيل[٣٥١]: فأنتم إذًا تسمّون الجماد والعرض كاسبًا .

---

(٣٤٣) فى (خ) : لم يذكر (وجاهر) .
(٣٤٤) فى (أ) : وضرورته .
(٣٤٥) فى (أ) : (فعل) .
(٣٤٦) فى (أ) : وأخطأ أيضًا .
(٣٤٧) فى (خ) : (وهو الذى) .
(٣٤٨) فى (خ) : (هذا) .
(٣٤٩) فى (أ) : بزيادة (أو) .
(٣٥٠) فى (خ) : لم يذكر (وبه جاء القرآن والسنن كلها ، وبه تشهد البينة) .
(٣٥١) فى (أ) : قالوا .

قلنا : لا نتعدى ما جاءت به اللغة ، ومن أحال اللغة التى بها نزل القرآن برأيه فقد دخل فى جملة من قال الله عز وجل : « يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه(٣٥٢) » .

ولحق بالسوفسطائية(٣٥٣) فى إبطالهم التفاهم ولو جاءت اللغة(٣٥٤) بذلك لقلناه(٣٥٥) كما نقول إن الله عز وجل فاعل ولانسميه كاسبًا .

فإن قيل : أنتم تقولون إن الجماد والعرض عوامل(٣٥٦) .

قلنا : نعم . لأن اللغة(٣٥٧) جاءت بذلك ونقول الحديد يعمل فى العود ، والحر يعمل فى الأجسام ، وهكذا فى غير ذلك .

فإن قيل : أتقولون إن للجماد والعرض استطاعةً وقوة وطاقة(٣٥٨) وقدرة ؟

قلنا : إنما نتبع اللغة فقط فنقول : إن للجمادات(٣٥٩) والأعراض قوى يظهر بها ما خلق الله تعالى فيها(٣٦٠) من الأفعال وفيها طاقة لها ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع من يقول فيها(٣٦١) طاقة ، قال الله عز وجل « وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ(٣٦٢) » .

فنقول : الحديد ذو بأس شديد ، وذو قوة(٣٦٣) عظيمة وطاقة مفرطة(٣٦٤)، وقد قلنا لكم إننا لا نتعدى فى التسمية والعبارة جملةً ما جاءت به اللغة ، ولا نتعدى فى تسمية الله تعالى والخبر عنه ما جاء به القرآن ونص عليه رسول الله ﷺ ، وهذا هو الذى صحّ به البرهان ، وما عداه فباطل وضلال وبالله تعالى التوفيق .

وأما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره ؟ فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن ، وكل

---

(٣٥٢) سورة المائدة : ١٣

(٣٥٣) السفسطة : عند الفلاسفة : هى الحكمة المموهة ، وعند لمنطقين هى القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل : إن السفسطة قياس ظاهره الحق ، وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس وتطلق أيضا على القياس الذى تكون مقدماته صحيحة ونتائجه كاذبة لا ينخدع بها أحد والسفسطائى المنسوب إلى السفسطة . المعجم الفلسفى حـ ١ ص ٦٥٨

(٣٥٤) فى (خ) : لغة .

(٣٥٥) فى (خ) : (لقلنا) .

(٣٥٦) فى (أ) : (عامل) .

(٣٥٧) فى (خ) : (اللغات) .

(٣٥٨) فى (خ) : (وطاعة) .

(٣٥٩) فى (أ) : (الجمادات) .

(٣٦٠) فى (خ) : لم يذكر (فيها) .

(٣٦١) فى (أ) : (من أن نقول) .

(٣٦٢) سورة الحديد : ٢٥

(٣٦٣) فى (خ) : لم يذكر (فنقول : الحديد ذو بأس شديد وذو) .

(٣٦٤) فى (أ) : سقطت (مفرطة) .

طبعنا(٣٦٥) وجميع أعمالنا وأفعالنا ، فكل ذلك خلق الله تعالى خلقه فينا كما ذكرنا ، لأن كل ذلك شيء . وقال تعالى « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(٣٦٦) » .

ولكنا لا نتعدى باسم الكسب حيث أوقعه الله تعالى مخبرًا لنا بأننا نجزى بما كسبت أيدينا وبما كسبنا ، فى غير موضع من كتابه ولا يحل أن يقال أنه(٣٦٧) كسبٌ لله تعالى ، لأنه لم يأت بها نص ، ولم يقله تعالى عن نفسه ، ولا أذن فى قوله ، ولكن نقول من(٣٦٨) خلق الله تعالى كما نص على أنه تعالى خالق كل شيءٍ ، ونقول هى كسبٌ(٣٦٩) لنا كما قال تعالى : « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ(٣٧٠) » .

ولا نسميه فى الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله(٣٧١) تعالى لأن الله(٣٧٢) خالق الألسنة الناطقة بالأسماء وخالق الأسماء(٣٧٣) وخالق المسميات – حاشاه – تعالى – وخالق الهواء ، الذى ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منه الأسماء إلا بما سمى به نفسه(٣٧٤) تعالى فإذا كانت الأسماء مخلوقةً له عز وجل ، والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عز وجل(٣٧٥) والمسمون الناطقون بآلاتهم مخلوقين لله عز وجل فليس لأحدٍ إيقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالى عليه(٣٧٦) فى الشريعة أو أباح إيقاعه عليه إباحته(٣٧٧) الكلام باللغة التى بها نزل القرآن(٣٧٨) وأمرنا بالتفاهم بها وبأن نتعلم بها دينه(٣٧٩) ونعلمه بها ، وقد نص عز وجل على هذا القول وقال منكرًا على قوم أوقعوا الأسماء(٣٨٠) على مسميات لم يأذن الله عز وجل على إيقاعها عليها « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوى الْأَنْفُسَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِم الْهُدى ، أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى(٣٨١) » .

---

(٣٦٥) فى (أ) : صنعنا .
(٣٦٦) القمر : ٤٩
(٣٦٧) فى (خ) : أنها .
(٣٦٨) فى (أ) : (هى) .
(٣٦٩) فى (خ) : كسبت .
(٣٧٠) سورة البقرة : ٢٨٦
(٣٧١) فى (خ) : لم يذكر (عن الله) .
(٣٧٢) فى (خ) : لم يذكر (لأن الله) .
(٣٧٣) فى (خ) : لم يذكر وخالق الأسماء) .
(٣٧٤) فى (أ) : لم يذكر (إلا بما سمى به نفسه تعالى) .
(٣٧٥) فى (خ) : لم يذكر (والمسميات دونه تعالى مخلوق لله عز وجل) .
(٣٧٦) فى (خ) : لم يذكر (عليه) .
(٣٧٧) فى (خ) : (بإباحته) .
(٣٧٨) فى (أ) : سقط (التى بها نزل القرآن) .
(٣٧٩) فى (أ) : (ديننا) .
(٣٨٠) فى (أ) : (اسما) .
(٣٨١) سورة النجم : ٢٣ ، ٢٤

فأخبر – تعالى – أن من أوقع اسمًا على مسمًّى لم يأت نصٌ بإباحته[٣٨٢] أو الإذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فإنما يَتبع الظن ، والظن أكذب الحديث ؛ فإنما يتبع هواه وقد حرم الله عز وجل – اتباع الهوى وأخبر – تعالى – أن الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُم الخِيْرَةُ[٣٨٣]» .

فليس لأحد أن يتعدى القرآن والسنة اللَذْين هما هدى الله تعالى وبالله تعالى التوفيق .

فصح بالضرورة أنه ليس لأحد أن يقول : إن أفعالنا خلق لنا ولا أنها كسبٌ لله عز وجل لكن الحق الذى لا يجوز خلافه هو أنها خلق لله – تعالى – كسبٌ[٣٨٤] لنا ، كما جاء فى هُديَ الله تعالى الذى هو القرآن ؛ وقد بينا أيضًا أن الخلق هو الإبداع والاختراع وليس هذا لنا أصلًا فأفعالنا ليست هى خلقنا[٣٨٥]، والكسب إنما هو استضافة الشىء إلى حامله[٣٨٦] أو جامعه بمشيئة[٣٨٧] الله – تعالى – وليس يوصف الله – تعالى – بهذا فى أفعالنا فلا يجوز أن يقال هى كسبٌ لله عز وجل وبه نتأيد .

وأيضًا فقد وافقونا كلهم على تسمية البارى – تعالى – خالق الأجسام وكلهم – حاش – معمرًا وعمرو بن بحر الجاحظ ، موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بأنه خالق الأعراض كلها ، حاش أفعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ أيضًا موافقون لنا[٣٨٨] بأنه خالق الإماته والإحياء ، وكلهم موافقون لنا على أنه تعالى إنما يسمى خالقًا لكل[٣٨٩] خلق لإبداعه إياه من ليس[٣٩٠] ولم يكن قبل ذلك .

فإذا ثبت بالبرهان اختراعه لسائر الأعراض التى خالفونا فيها وجب أن يسمى ذلك[٣٩١] خلقًا له – تعالى – ويسمى هو تعالى خالقُها[٣٩٢]. وأما اعتراضهم بأنه إذا كانت أفعالنا خلقًا لله – عز وجل – وكان متوهما منا ومستطاعًا عليه فى ظاهر أمرنا بسلامة جوارحنا ألَّا تكون تلك

---

(٣٨٢) فى (أ) : بإيجابه .
(٣٨٣) سورة القصص : ٦٨
(٣٨٤) فى (خ) : (كسبت) .
(٣٨٥) فى (أ) : (خلقنا لنا) .
(٣٨٦) فى (أ) : (جاعله) .
(٣٨٧) فى (أ) : بمشيئة له .
(٣٨٨) فى (أ) : بزيادة (على تسمية البارى تعالى) .
(٣٨٩) فى (أ) : لكل ما خلق .
(٣٩٠) فى (أ) : سقطت (من ليس) .
(٣٩١) فى (أ) : سقطت (ذلك) .
(٣٩٢) فى (أ) : (خالقا لها) .

الأفعال فقد ادعينا أننا مستطيعون فى ظاهر الأمر بسلامة الجوارح ، وأنه متوهم منا منع الله – تعالى – من أن يخلقها وهذا كفر مجرد ممن أجازه .

* * *

قال أبو محمد : هذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لأنَّهَم القائلون أنهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك أفعَالهم وعلى ترك الوطء الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأنه يخلق منه الولد ، وعلى ترك الضرب الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأن[٣٩٣] يكون منه الموت وانقضاء الأجل المسمى عنده ، وعلى ترك الحرث والزرع الذى قد علم الله – عز وجل – أنه لابد أن يكون ، وأن يكون منه النبات الذى منه تكون الأقوات والمعاش فلزمهم[٣٩٤] ولابد أنهم قادرون على منع الله – عز وجل – من خلق[٣٩٥] أبنائهم ومن (أن) يميت من أمات مقتولًا .

* * *

قال أبو محمد : ومن بلغ ههٰنا فلابد أن يرجع إما تائبًا محسنًا إلى نفسه ، وإما[٣٩٦] خاسئًا غاويًا مقلّدًا منقطعًا ، أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ، ولابد مع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة ، وضرورة العقل والقرآن ، وبالله تعالى نعوذ[٣٩٧] من الخذلان .

وأما نحن فجوابنا هاهنا أننا لم نستطع قط على فعل ما لم نعلم[٣٩٨] أننا سنفعله ولا على ترك ما علم الله تعالى أننا نفعله ولا على نسخ[٣٩٩] علم الله عز وجل أصلًا ولا على تكذيبه عز وجل فى فعل ما أمر الله تعالى به[٤٠٠] وإن كنا فى ظاهر الأمر نطلق ما أطلق الله عز وجل من الاستطاعة التى لا يكون بها إلا ما علم الله عز وجل أنه يكون ولا مزيد ، وهى[٤٠١] استطاعة بإضافة لها استطاعة على الإطلاق ، ولكن[٤٠٢] نقول : هو مستطيع بصحة جوارحه ، أى أنه متوهم كون

---

(٣٩٣) فى (أ) : وأنه .
(٣٩٤) فى (أ) : (فيلزمهم) .
(٣٩٥) فى (أ) : (مما قد علم وقال إنه سيفعل) ولم يذكر (من خلق أبنائهم) إلى (مقتولا) .
(٣٩٦) فى (أ) : (أو) .
(٣٩٧) فى (أ) : وبالله تعالى التوفيق .
(٣٩٨) فى (أ) : (يعلم الله) .
(٣٩٩) فى (أ) : فسخ .
(٤٠٠) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .
(٤٠١) فى (خ) : لم يذكر (وهى) .
(٤٠٢) فى (أ) : لكن .

الفعل منه فقط . [فإن قالوا : فأمركم الله تعالى بأن تكذبوا قوله وتبطلوا عمله إذا أمركم بفعل ما علم أنه لا تفعلونه . قلنا : عند تحقيق الأمر ، فإن أمره عز وجل ، لمن علم أنه لا يفعل ما أمر به أمر تعجيز كقوله : قل كونوا حجارة أو حديدًا[٤٠٣]» .

وكقوله : من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فلينظر هَلْ يُذْهِبَّن كَيْدُه ما يَغِيظُ[٤٠٤]][٤٠٥] .

قال أبو محمد : وقد تحيرت المعتزلة هنا حتى قال بعضهم : لو لم يقتل زيد لعاش ، وقال أبو الهذيل : لو لم يقتل زيد لمات ، وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش ، بقول الله عز وجل[٤٠٦] « وَمَا يُعَمَّرُ من معمر وَلَا ينقْصُ من عمره إلا فى كتاب[٤٠٧]» .

ويقول الرسول – ﷺ – « من سره أن ينسأ فى أَجَلِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه[٤٠٨]» .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجةٌ عليهم ، لأن النقص[٤٠٩] فى هذه اللغة التى بها أنزل القرآن إنما هو من باب الإضافة ، وبالضرورة علمنا أن من عَمَّر مائه عامٍ وعمّر آخر ثمانين عامًا ، فإن الذى عمر ثمانين عامًا نقص من عدد عمر الآخر عشرين عامًا فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لا على[٤١٠] ما يظنه من لا عقل من أن الله – عز وجل – جارٍ تحت أحكام عباده إن يضربوا[٤١١] زيدًا أماته ، وإن لم يضربوه لم يمته ، ومن أنّ علمه غير محقق فربما أعاش زيدًا مائة عام ، وربما أعاشه أقل ؛ وهذا هو البداء[٤١٢] بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول ، بل الخلق كله مصرَّف تحت أمره عز وجل وعلمه فلا يقدر أحد على تعدى ما علم الله – تعالى – أنه سيكون[٤١٣] ولا يكون ألبتة ، إلّا ما سبق فى علمه أنّه[٤١٤] يكون والقتل نوعٌ من

(٤٠٣) سورة الاسراء : ٥

(٤٠٤) سورة الحج : ١٥

(٤٠٥) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

(٤٠٦) فى (خ) : لم يذكر : بقول الله عز وجل .

(٤٠٧) سورة فاطر : ١١

(٤٠٨) ونص الحديث : عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَرَّه أَنْ يبسط عليه رزقُه ، أو ينسأ فى أثره فليصل رَحِمَه » . ذكره الامام مسلم فى كتاب البر : ٢٠ ، ٢١ . والبخارى فى البيوع : ١٣ . وفى كتاب الأدب : ١٢ ، وأبو داود فى كتاب الزكاة : ٤٥ . وأحمد بن حنبل حـ ٣ : ١٥٦ .

(٤٠٩) فى (خ) : النص .

(٤١٠) فى (أ) : سقطت (على) .

(٤١١) فى (أ) : ضربوا .

(٤١٢) البداء : هو ظهور الرأى بعد أن لم يكن ، والبدائية هم الذين جوزوا على الله تعالى البداء : بأن يعتقد شيئًا ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده وهذا باطل . لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة ، وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالًا ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا « تفسير الرازى حـ ٥ ص ٢١٦ » .

(٤١٣) فى (أ) : (يكون) .

(٤١٤) فى (أ) : (أن يكون) .

أنواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل أكان[٤١٥] يموت أو يعيش ؟ فسؤاله سخيف لأنه إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أم كان لا يموت ، وهذه حماقة لأن القتل علة الموت[٤١٦] لمن قتل ، كما أن الحمى القاتلة أو البُطن القاتل ، وسائر الأمراض القاتلة ، علل الموت الحادث عنها ولا فرق ، وأما قول رسول الله ﷺ « مَنْ سَرَّه أن يُنْسَأ فى أجلِه فَلْيصَل رَحِمَه » .

فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وإنما معناه أن الله تعالى لم يزل يعلم أن زيدًا سيصل رحمه ، وأن ذلك سببٌ إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا ، وهكذا كل أجلٍ[٤١٧] فى الدنيا لأن من علم الله تعالى انه سيعمر[٤١٨] كذا وكذا من الدهر فإن الله تعالى قد علم وقَدَّر أنه سيغذى بالطعام والشراب ، ويتنفس بالهواء ، وسلم[٤١٩] من الآفات القاتلة تلك المدة ، ويكون سببًا إلى بلوغه تلك المدة التى لابد من استيفائها والسبب والمسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله – تعالى – كما هو لا يبدل قال الله – تعالى – « مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدْ[٤٢٠] » .

ولو كان على غير هذا لوجب البِداء ضرورةً ، ولكان غير عليم بما يكون ، متشكّكًا فيه أيكون[٤٢١] أم لا يكون ؟ أو[٤٢٢] جاهلًا به جملةً وهذه صفة المخلوقين ، لا صفة الخالق – تعالى – وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا .

قال أبو محمد : ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال الله تعالى « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ[٤٢٣] » .

وقال تعالى « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَو الْقَتْلِ[٤٢٤] » .

وقال تعالى « أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُم الْموتُ وَلَو كُنْتُم فى بُروجٍ مُشَيَّدةٍ » .

وقال تعالى « منكرًا على حزب المعتزلة على مذهبهم[٤٢٦] « الَّذِينَ قَالُوا لِاخْوانِهِمْ وَقَعَدُوا

---

(٤١٥) فى (أ) : لكان .
(٤١٦) فى (أ) : (لموت المقتول) ولم يذكر (لمن قتل) .
(٤١٧) فى (أ) : (كل حيٍّ) .
(٤١٨) فى (أ) : (سيعمره) .
(٤١٩) فى (أ) : (ويسلم) .
(٤٢٠) سورة ق : ٢٩
(٤٢١) فى (أ) : (لا يكون) .
(٤٢٢) فى (أ) : (وجاهلا) .
(٤٢٣) سورة آل عمران : ١٥٤
(٤٢٤) سورة الأحزاب : ١٦
(٤٢٥) سورة النساء : ٧٨ وفى (أ) تحريف فى هذه الآية حيث ذكرها (ولو كنتم فى بيوت) .
(٤٢٦) وقد جاءت هذه العبارة مضطربة فى (أ) : حيث ذكرها هكذا : (وقال منكره القول ، قوم جرت المعتزلة فى ميدانهم) .

لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُم المَوْتَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين(٤٢٧)» .

وقال تعالى « يا ايُّها الَّذين آمَنُوا لَا تُكونُوا كَالَّذينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوانِهِم إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ الله ذَلِكَ حَسْرَةً فى قُلُوبِهِمْ والله يُحْيِي وَيَميتُ(٤٢٨)» .

وقال تعالى « وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بإِذْنِ الله وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذينَ لَا يَعْقِلُون(٤٢٩)» .

قال أبو محمد : وهذه نصوصٌ لا يبعد من ردها بعد أن سمعها من الكفر – نعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وموّه بعضهم بأن ذكر قول الله عز وجل « ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وأَجِلٌ مُسَمًّى عِنْدَه(٤٣٠) .

قال أبو محمد : وهذه الآية حجة عليهم لأنه تعالى نص على أنه قضى أجلًا ولم يقل بشىء دون شىء ، لكن على الجملة ثم قال تعالى « وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه » .

فهذا الأجل المسمى عنده هو الذى قضى بلا شك إذ لو كان غيره لكان أحدهما ليس أجلًا للآخر(٤٣١) إذا أمكن التقصير عنه أو مجاوزته ولكان البارى – تعالى – مبطلًا إذ سماه أجلًا وهذا كفر لا يقوله مسلم ، وأجل الشىْء هو ميعاده الذى لا يتعداه أصلًا(٤٣٢) وإلا فليس يسمى أجلًا ألبتة ، ولم يقل الله – عز وجل – إن الأجل المسمى عنده هو غير الأجل الذى قضى فأجل كل شىْءٍ مقتضى(٤٣٣) أمره بالضرورة نعلم ذلك ، ويبين ذلك قوله تعالى « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُون(٤٣٤)» .

وقال تعالى « وَلَنْ يُؤَخِّر الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُها(٤٣٥)» .

---

(٤٢٧) سورة آل عمران : ١٦٨
(٤٢٨) سورة آل عمران : ١٥٦
(٤٢٩) سورة يونس : ١٠٠
(٤٣٠) سورة الأنعام : ٢
(٤٣١) فى (أ) : سقطت (للآخر) .
(٤٣٢) فى (أ) : سقط (أصلًا) .
(٤٣٣) فى (أ) : (منقضى) وهو تحريف .
(٤٣٤) سورة الأعراف : ٣٤
(٤٣٥) سورة المنافقون : ١١

وقد أخبر(٤٣٦) تعالى بذلك أيضًا فقال « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا(٤٣٧) » .

فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك – وبالله تعالى التوفيق .

* * *

وأما الأرزاق فإن الله تعالى أخبرنا فقال عز وجل : « اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ(٤٣٨) » .

وقال تعالى « وخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا(٤٣٩) » .

فكلُّ مالٍ حلال فإنا(٤٤٠) نقول : إن الله تعالى رزقناه وكل امرأةٍ حلال فإنّا نقول : إن الله تعالى زوجنا بها أو ملكنا إياها(٤٤١) وأما من أخذ مالًا بغير حق أو امرأة بغير حق ؛ فلا يجوز أن نقول إن الله – تعالى – رزقنا إياه ولا أن الله تعالى ملكنا إياه ، ولا أن الله تعالى أعطانا إياه ، ولا أن الله تعالى زوجنا إياها ولا أن الله تعالى ملكنا إياها ، ولا أنكحنا إياها لأن الله تعالى لم يطلق لنا أن نقول ذلك . وقد قلنا : إن الله تعالى له التسمية لا لنا ، لكن نقول إن الله – تعالى – ابتلانا بهذا المال ، وبهذه المرأة ، وامتحننّا بهما ، وأضلنا بهما(٤٤٢)، وخلق تملكنا إياهما ، ونكاحنا(٤٤٣) لهما ، واستعمالنا لهما ، ولا نقول : إنه أطعمنا الحرام ولا أباح لنا الحرام(٤٤٤) ولا أعطانا(٤٤٥) الحرام ، كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى نتأيد .

قال أبو محمد : وأمّا قولهم أليس إذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد أوجب(٤٤٦) لكم إنكم شركاؤه فيها ؟

---

(٤٣٦) فى (أ) : أخبرنا .
(٤٣٧) سورة آل عمران : ١٤٥
(٤٣٨) الروم : ٤٠ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) .
(٤٣٩) سورة النبأ : ٨
(٤٤٠) فى (أ) : (فإنما) .
(٤٤١) فى (خ) : لم يذكر (ملكنا إياها) .
(٤٤٢) فى (خ) : لم يذكر (وأضلنا بهما) .
(٤٤٣) فى (أ) : ونكاحها لنا .
(٤٤٤) فى (خ) : لم يذكر (ولا أباح لنا الحرام) .
(٤٤٥) فى (أ) : (ولا أتانا) .
(٤٤٦) فى (أ) : وجب أنكم .

فالجواب – وبالله تعالى التوفيق – إن هذا من أبرد ما موّهوا به وهو عائد عليهم ، لأنهم يقولون إنهم يخترعون أفعالهم ويخلقونها ، وهى بعض الأعراض وأن الله تعالى وأن الله تعالى يفعل سائر الأعراض ويخلقها ويخترعها ، فهذا هو عين الشرك ، والتشبيه فى حقيقة المعنى وهو الاختراع – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وأما نحن فلا يلزمنا إيجاب الشركة لله عز وجل فيما قلنا لأن الاشتراك[٤٤٧] لا يجب بين المشتركين إلّا باتفاقهما فيما اشتركا فيه ؛ وبرهان ذلك أن أموالنا ملك لنا وملك لله تعالى بإجماع منا ومنهم ، وليس ذلك بموجب أن نكون شركاء[٤٤٨] فيها ، لاختلاف جهات الملك (عنا ولأنا قلنا[٤٤٩]) : إن الله عز وجل إنما هو مالك . لها مخلوقةٌ له ، وهو مصرفنا فيها وناقلها[٤٥٠] كيف شاء ، وهى ملكنا لأنها كسب لنا ، وملزمون حكمها[٤٥١] ومُباح لنا التصرف فيها بالوجه[٤٥٢] الذى أباحه الله عز وجل لنا ، وأيضًا نحن عالمون بأن محمدًا رسول الله ﷺ عالم بذلك ، وليس ذلك موجبا لأن نكون شركاءه فى ذلك العلم ، لاختلاف الأمر فى ذلك ، لأن علمنا عرضٌ محمول فينا وهو غيرنا ، وعلم الله تعالى ليس هو غيره ، ومثل هذا كثير جدًا لا يحصى إلا[٤٥٣] فى دهر طويل ، بل[٤٥٤] لا يحصيه مفصلًا إلا الله تعالى وحده لا شريك له ؛ فكيف ولم[٤٥٥] يجب الاشتراك ألبتة بين الله تعالى وبيننا عندهم[٤٥٦] فى هذه الوجوه كلها ؟ ولا[٤٥٧] وجب أن يكون شركاؤه فى شيء ليس للاشتراك ألبتة فيه مدخل ، وهو خلقه تعالى لأفعالنا[٤٥٨] فهو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى أنها ظاهرة[٤٥٩] منّا محمولة فينا ، وهذا خلاف فعل الله تعالى لها .

وقد قال بعض أصحابنا : بإن الأفعال لله تعالى من جهة الخلق ، وهى لنا من جهة الكسب[٤٦٠] .

قال أبو محمد : وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسى يكنى أبا الحسن معتزلى فقال لى :

(٤٤٧) فى (أ) : (الإشراك) .
(٤٤٨) فى (أ) : شركاءه .
(٤٤٩) فى (أ) : سقط (عنا ولأنا قلنا :) .
(٤٥٠) فى (أ) : (وناقلها عنا ، وناقلنا عنها ..) .
(٤٥١) فى (أ) : (أحكامها) .
(٤٥٢) فى (أ) : بالوجوه التى .
(٤٥٣) فى (أ) : سقطت (إلّا) .
(٤٥٤) فى (خ) : لم يذكر (بل) .
(٤٥٥) فى (أ) : (لم) بغير (واو) .
(٤٥٦) فى (خ) : لم يذكر (عندهم) .
(٤٥٧) فى (أ) : ووجب .
(٤٥٨) فى (أ) : لأفعال لنا .
(٤٥٩) فى (أ) : ظهورها .
(٤٦٠) فى (خ) : لم يذكر الكلام من (وقال أصحابنا) .

وللأفعال جهات ، وزاد بعضهم فقال أو ليست[٤٦١] أعراضًا ، والعرض لا يحمل العرض ، والصفة لا تحمل الصفة .

قال أبو محمد : وهذا جهل من قائله ، وقضية فاسدة من أهذار[٤٦٢] المتكلمين ومشاغبهم ، وقول يرده القرآن والمعقول وإجماع من أهل[٤٦٣] اللغة والمشاهدة فأمّا القرآن فإن الله تعالى يقول « عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤٦٤] » و « عَذَابٌ أليم[٤٦٥] » .

« وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ[٤٦٦] » .

وقال تعالى « وجاءَوا بِسِحْرٍ عَظِيم[٤٦٧] » .

وقال تعالى « وأَنْبَتْنَاهَا نَبَاتًا حَسَنًا[٤٦٨] » .

وقال تعالى « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا[٤٦٩] » .

وقال تعالى « وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا[٤٧٠] » .

وقال « إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ[٤٧١] » .

وقال تعالى « صَفْرَاءَ فَاقِعٌ لَوْنُها[٤٧٢] » .

وقال تعالى « قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ[٤٧٣] » .

وقال تعالى « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه[٤٧٤] » .

وقال تعالى « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُم الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ[٤٧٥] » .

---

(٤٦١) فى (خ) : (وليست) .
(٤٦٢) فى (خ) : (إهدار) .
(٤٦٣) فى (أ) : (من جميع اللغات) .
(٤٦٤) سورة النحل : ٩٤
(٤٦٥) سورة الشورى : ٢١
(٤٦٦) سورة السجدة : ٢١
(٤٦٧) سورة الأعراف : ١١٦ – وهذه الآية ليست مذكورة فى (أ) .
(٤٦٨) سورة آل عمران : ٣٧
(٤٦٩) سورة النساء : ٧٦
(٤٧٠) سورة نوح : ٢٢
(٤٧١) سورة يوسف : ٢٨
(٤٧٢) سورة البقرة : ٦٩
(٤٧٣) سورة آل عمران : ١١٨
(٤٧٤) سورة فاطر : ١٠
(٤٧٥) سورة فصلت : ٢٣

وقال تعالى « ذَلِكَ بأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ[٤٧٦] » .

وقال تعالى « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ[٤٧٧] » .

وقال تعالى « تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ[٤٧٨] » .

وقال تعالى « فأَخَذَتْهُم الصَّاعِقَةُ[٤٧٩] » .

وقال تعالى « مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ[٤٨٠] » .

وقال تعالى « لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ[٤٨١] » .

وقال تعالى « فَيَخْرُجُ مِنْه الْمَاءُ[٤٨٢] » .

وقال تعالى « فَسَالَتْ أَوْدِيةٌ بِقدَرِهَا فَاحْتَملَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا[٤٨٣] » .

وقال تعالى « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاس فيمْكُثُ فِى الْأَرْضِ[٤٨٤] » .

وقال تعالى « والْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ[٤٨٥] » .

* * *

قال أبو محمد : فوصف الله تعالى العذاب بالعظيم ، وبالئيلام ، وبأن فيه أكبر وأدنى ، ووصف النبات بالحسن ، وكيد الشيطان بالضعف ، وكيد النساء بالعظيم[٤٨٦]، والمكر بالكبر ، والسحر بالعظيم[٤٨٧]، واللّون بالمفقوع[٤٨٨]، وذكر أن البغضاء تبدو ، وأن الكلم[٤٨٩] الطيب يصعد إلى الله تعالى ، وأن الأعمال الصالحة ترفع الكلم الطيب ، وأن الظن يردى ، وأن العمل الردىء يسخط الله تعالى ، ومثل هذا فى القرآن كثير وسنن رسول الله ﷺ أكثر من أن يجمع إلا فى

(٤٧٦) سورة محمد : ٢٨
(٤٧٧) سورة البقرة : ١٧
(٤٧٨) سورة المؤمنون : ١٠٤
(٤٧٩) سورة النساء : ١٥٣
(٤٨٠) سورة البقرة : ٦١ . يس : ٣٦
(٤٨١) سورة البقرة : ٧٤
(٤٨٢) سورة البقرة : ٧٤
(٤٨٣) سورة الرّعد : ١٧
(٤٨٤) سورة الرعد : ١٧
(٤٨٥) سورة البقرة : ١٦٤
(٤٨٦) فى (خ) : بالعظمة .
(٤٨٧) فى (أ) : بالعِظم .
(٤٨٨) فى (أ) : (بالفقوع) .
(٤٨٩) فى (أ) : (الكلام) .

جزءٍ ضخم فكيف يساعد أمرًا مسلمًا لسانُه على إنكار شيءٍ من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا .

* * *

وأما[٤٩٠] اللغات فكل لغةٍ لا ينكر أحدٌ القول فيها بصورةٍ حسنة وصورةٍ قبيحة ، وحمرة مسرقة وحمرة مصفرة[٤٩١]، وحمرة كَدِرة ، ولا يختلف أحدٌ من أهل الأرض فى أن يقول صف لى عمل فلان ، وهذا عمل موصوف ، وصفة عمل فلان ، كذا وكذا وهذا هو الذى أنكروا بعينه ، وهذا أكثر من أن يحصى ، وأما الحسُّ والعقل[٤٩٢] والمعقول فبيقين يدرى كل ذى فهم أن الكيفيات تقبل الأشدَّ والأضعف ، هذه خاصية الكيفية التى لا توجد[٤٩٣] فى غيرها ، وكل هذا عرضٌ يحمل عرضًا ، وصفة تحمل صفة .

قال أبو محمد : وقد عارضنى بعضهم فى هذا لو كان[٤٩٤] العرض يحَمل العرض لحمل ذلك العرض عرضًا آخر ، وهكذا أبدًا وهذا يوجب وجود أعراضٍ لا نهاية لها وهذا باطل .

* * *

قال أبو محمد : فقلت إن المشاهدات لا تُدْفَع بهذه الدعوة الفاسدة ، وهذا الذى ذكرت لا يلزم لأننا لم نقل إن كل كل عرضٍ يجب[٤٩٥] أن يحمل عرضًا أبدًا لكننا قلنا : إن من الأعراض ما يحمل[٤٩٦] على الأعراض كالذى ذكرنا ومنها ما لا يحمل الأعراض وذلك[٤٩٧] جارٍ على ما رتبه الله تعالى وعلى ما خلقه ، وكل ذلك له نهاية نقف عندها ولا نزيد ، ونحن إذا وجد فيما بيننا جسمٌ يزيد على جسم آخر زيادة مًّا فى طوله أو عرضه ، فليس يجب من ذلك أن الزيادة لا تزال[٤٩٨] موجودةً إلى ما لا نهاية له لكن منتهى[٤٩٩] الزيادة إلى حيث رتبها الله – عز وجل – وتقف ؛ وإنما العلم كله معرفة الأشياء على ما هى عليه فقط .

---

(٤٩٠) فى (أ) : (إجماع اللغات) .
(٤٩١) فى (أ) : (مضيئة) .
(٤٩٢) فى (خ) : سقطت (والعقل) .
(٤٩٣) فى (أ) : التى توجد فى غيرها بغير (لا) النافية وهو تحريف .
(٤٩٤) فى (أ) : (لو أن) .
(٤٩٥) فى (أ) : (فواجب) .
(٤٩٦) فى (أ) : (ما يحمل الأعراض) .
(٤٩٧) فى (أ) : (وكل ذلك) .
(٤٩٨) فى (أ) : سقطت (لا تزال) .
(٤٩٩) فى (أ) : (تنتهى) .

ونقول لهم : أيضًا أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا ؟ فلابد لهم من أن يقروا[٥٠٠] بأنها قد تخالفها فى صفة مّا إلا أن يخالفوا[٥٠١] العيان !

فنقول لهم أتخالف الصفرة الحمرة أم لا ؟ فلابدّ لهم أيضًا من نعم فنسألهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الصفرة للحمرة أم لا[٥٠٢]؟ فلابد من لا . ولو قالوا نعم للزمهم أن الحمرة هى الصفرة إذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة إلا بما تخالف فيه تلك الحمرة حمرةً أخرى ، والخضرة فقد[٥٠٣] صح يقينًا أن الصفرة والحمرة صفتان بهما تختلفان غير الصفة التى بها تخالف الحمرة الحمرة الأخرى ، والخضرة ، فقد صح يقينا أن[٥٠٤] الصفة قد تحمل الصفة ، والعرض قد يحمل[٥٠٥] العرض ، بضرورة المشاهدة على حسب ما رتبه الله – تعالى – وكل ذلك ذو نهايةٍ ولابد .

وتحقيق الكلام فى هذه المعانى وتناهيها هو أن العالم كلَّه جوهر حامل وعرض ومحمول ولا مزيد[٥٠٦]، والجوهر أجناس وأنواع ، والعرض أجناس وأنواع[٥٠٧] والأجناس محصورة والأنواع[٥٠٨] محصورة ببراهين قد ذكرناها فى كتابٍ « التقريب[٥٠٩]» عمدتها أن الأجناس أقل عددًا[٥١٠] من الأنواع المنقسمة تحتها بلا شك ، والأنواع أكثر عددًا من الأجناس إذ[٥١١] لابد أن يكون تحت كل جنس نوعان وأكثر من نوعين ، والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة إلا فى ذى نهاية من مبدئه ومنتهاه لأن ما لا نهاية له فلا يمكن أن يكون شىء أكثر منه ولا أقل منه[٥١٢] ولا مساويًا له لأن كل هذا يوجب النهاية ولابد ، فالعالم إذن ذو نهاية لأنه ليس شيئًا غير الأجناس والأنواع التى هى الجواهر[٥١٣] والأعراض فقط ، والمعانى إنما هى الأشياء[٥١٤] المّعبرة عنها[٥١٥] فقط ، فإذْ هذا كما ذكرنا فإنما تقسيم[٥١٦] الأشياء بصفاتها التى تقوم منها حدودها ، مثل أن نقول ما الإنسان ؟

---

(٥٠٠) فى (خ) : لم يذكر (لهم من أن يقروا) .
(٥٠١) فى (أ) : (ينكروا) .
(٥٠٢) فى (خ) : لم يذكر (أم لا) .
(٥٠٣) فى (أ) : فإذًا فى الحمرة والصفرة صفتان .
(٥٠٤) فى (خ) : لم يذكر : (والخضرة ، فقد صح يقينا أن) .
(٥٠٥) فى (خ) : لم يذكر (قد يحمل) .
(٥٠٦) فى (خ) : لم يذكر (ولا مزيد) .
(٥٠٧) فى (خ) : لم يذكر (والعرض أجناس وأنواع) .
(٥٠٨) فى (أ) : سقط (والأنواع محصورة) .
(٥٠٩) كتاب التقريب .
(٥١٠) فى (خ) : لم يذكر (عددًا) .
(٥١١) فى (خ) : (ولابدّ) .
(٥١٢) فى (خ) : لا يوجد (ولا أقل منه) .
(٥١٣) فى (أ) : (التى للجواهر) .
(٥١٤) فى (أ) : (للأشياء) .
(٥١٥) فى (أ) : المعبر عنها بالألفاظ فقط .
(٥١٦) فى (أ) : (نقيس) .

فنقول : جسم ملوَّن ، ذو نفسٍ متصرفة فيه ، يصدر عنها أنواعٌ العلوم والصناعات تقبل الحياة والموت .

فيقال : فالجسم ؟ وما النفس ؟ وما اللون ؟ وما الصناعات ؟ وما العلوم ؟ وما الحياة ؟ وما الموت ؟ فإذا فسرت جميع هذه الألفاظ ، ورسمت كل ما تقع عليه وفعلت كذلك فى جميع الأجناس والأنواع فقد انتهت المعانى ، وانقطعت ، ولا سبيل إلى التمادى بلا نهاية أصلًا ، لأن كل ما ينطق(٥١٨) أو يعقل فإنه لا يعدو الأجناس والأنواع ألبتة .

والأنواع(٥١٩) والأجناس كما ذكرنا محصورة متناهية(٥٢٠) وكل ما خرج من الأشخاص إلى حد الفعل فقد حصره العدد ، لأنه ذو مبدأ ؛ وكل ما حصره العدد فمَتناهٍ ضرورةً ، فجميع المعانى من الأعراض وغيرها(٥٢١) محصورة بما ذكرنا من البرهان [وإن لم نحصره نحن لضيق اتساعنا فى الإحاطة بمعرفة كل ما فى العالم ، ولكنا عارفون بالبرهان(٥٢٢)] الصحيح الذى ذكرنا أن كل ما فى العالم مما خرج إلى الوجود فى الدهر مذكان العالم من جسم(٥٢٣) أو عرض فهو كله محصورٌ عدده ، متناهٍ أمده ، ذو غايةٍ فى ذاته ، فى مبدئه(٥٢٤) ومنتهاه وعدده . وبالله تعالى التوفيق - .

* * *

وقد نعجز نحن عن عدِّ شعور أجسامنا ، ونوقن أنها ذات عددٍ متناهٍ بلا شك ، فليس قصور قوانا(٥٢٥) عن إحصاء عدد ما فى العالم بمعترض على وجوب وجود النهاية فى جميع أشخاص جواهره وأعراضه . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وأما قولهم إذا كان فعلنا خلقًا لله - تعالى - ثم عذبنا عليه فإنما عذَّبنا على خلقه .

---

(٥١٧) فى (أ) : ونفس فيه يمكن أن تكون متصرفة .
(٥١٨) فى (أ) : (ينطق به) .
(٥١٩) فى (خ) : لم يذكر (ألبتة ، والأنواع) .
(٥٢٠) فى (أ) : سقطت (متناهية) .
(٥٢١) فى (خ) : لم يذكر (وغيرها) .
(٥٢٢) فى (أ) : سقط الكلام الذى بين القوسين ابتداء من [وإن لم نحصره) إلى [بالبرهان] .
(٥٢٣) فى (أ) : (جنس) .
(٥٢٤) فى (خ) : لم يذكر (فى مبدئه ومنتهاه) .
(٥٢٥) فى (أ) : (قولنا) وهو تحريف .

فالجواب – وبالله تعالى التوفيق – إن هذا لا يلزم ، ولو لزمنا للزمهم إذا كان الله – تعالى – يعذبنا على إرادتنا وحركتنا الواقعتين منا ، أن يعذبنا على كل[٥٢٦] حركة لنا ، وعلى[٥٢٧] كل إرادة لنا ؛ بل على كل حركة فى العالم وعلى كل إرادةٍ .

فإن قالوا : لا يعذبنا إلا على حركتنا وإرادتنا الواقعتين منا بخلاف أمره .

قلنا[٥٢٨]: نحن أنه لا يعذبنا إلا على خلقه فينا الذى هو ظاهرٌ منا ، بخلاف أمره ، وهو[٥٢٩] منسوب إلينا ومكتسب لنا ، لإيثارنا إياه المخلوق فينا فقط ، لا على كل ما خلق[٥٣٠] فينا أو فى غيرنا ولا فرق .

ولو أن الله تعالى يعذبنا بما خلق فى غيرنا لقلنا به وصدقناه[٥٣١] كما نقرّ بأنه يعذب أقوامًا على غير ما[٥٣٢] فعلوه قط ، ولا أمروا به ، لكن على ما فعله[٥٣٣] غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عامٍ لأن أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل ؛ قال الله عز وجل « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ[٥٣٤]» .

وقال تعالى « حاكيا عن ابنى آدم – عليه السلام – أنه قال « إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي واثمك فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ[٥٣٥]» .

وقال تعالى « لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْم ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُون[٥٣٦]» .

وليس هذا معارضًا لقوله عز وجل « وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطايَاهُمْ شَيْءٍ[٥٣٧]» .

بل كلا الآيْتين متفقة مع الأخرى لأن الخطايا التى نفى الله – تعالى – أن يحملها أحدٌ عن أحد هى بمعنى أن يحط حمل هذا لها من عذاب العامل لها[٥٣٨] شيئًا ، فهذا لا يكون لأن الله – تعالى – نفاه .

(٥٢٦) فى (خ) : لم يذكر (كل) .
(٥٢٧) فى (أ) : (أو) .
(٥٢٨) فى (أ) : (وكذلك نقول) .
(٥٢٩) فى (خ) : لم يذكر (وهو) .
(٥٣٠) فى (خ) : لم يذكر (كل ... خلق) .
(٥٣١) فى (أ) : (ولصدّقناه) .
(٥٣٢) فى (أ) : (على ما لم يفعلوه) .
(٥٣٣) فى (أ) : (يفعله) .
(٥٣٤) سورة العنكبوت : ١٣
(٥٣٥) سورة المائدة : ٢٩
(٥٣٦) سورة النحل : ٢٥
(٥٣٧) سورة العنكبوت : ١٢
(٥٣٨) فى (أ) : بها .

وأما الحمل لمثل عذاب[٥٣٩] العامل للخطيئة مضاعفًا زائِدًا إلى عقابه غير حاطٍّ من عقاب الآخر شيئًا فهذا[٥٤٠] واجبٌ موجود ، وكذلك أخبرنا رسول الله – ﷺ – أَنَّ « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سيئةً كان عليه مثل وزر من عمل بها أبدًا لا يحط ذلك من أوزار العاملين لها شيئًا[٥٤١]» ولو أن الله – تعالى – أخبرنا أنه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنَّه ، وأنه يعذبنا على غير فعلٍ فعلناه ، أو على الطاعة له ، لكان ذلك[٥٤٢] مِنْه عين الحق والعدل ، ولوجب التسليم له ولكن الله – تعالى – وله الحمد قد[٥٤٣] أَمَّننَا من ذلك بقوله – عز وجل – « لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم[٥٤٤]» .

فدل[٥٤٥] على أننا لا نجزى إلا بما عملنا إذا كنا[٥٤٦] مبتدئين له فأمنا ذلك – ولله الحمد –

وقد أيقنا أيضًا أنه – تعالى – يأجرنا على خلقه[٥٤٧] فينا من المرض والمصائب ، وعلى فعل غيرنا الذى لا أثر لنا فيه كضرب غيرنا لنا ظلمًا ، وتعذيبهم لنا ، وعلى قتل القاتل لمن قتل ظلمًا ، وليس هنا من المقتول صبر ولا عمل أصلًا ، فإنما أُجر على مجرد فعل[٥٤٨] غيره إذا أحدثه فيه ، وكذلك من أخذ ما له غيره ، والمأخوذ ما له لا يعلم بذلك إلى أن مات .

وأى فرق[٥٤٩] بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلى فعله تعالى فى إحراق مال من لم يعلم باحتراق ماله ، وبين أن يعذبنا على ذلك لو شاء عز وجل .

[وأما قولهم : فرض الله عز وجل الرضا بما قضى ، وبما خلق ، فإن كان الكفر والزنى والظلم مما خلق فعرض علينا الرضا بذلك . فجوابنا : أن الله عز وجل ، لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضى بكل ما ذكر بل فرض الرضا بما قضى علينا من مصيبة فى نفس أو فى مال مظن تمويههم بهذه الشبه][٥٥٠].

---

(٥٣٩) فى (أ) : عقاب .

(٥٤٠) فى (أ) : فهو .

(٥٤١) نص الحديث كما جاء فى صحيح مسلم : « من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء » ، الزكاة : ٦٩ – رواه النسائى فى الزكاه : ٦٤ وأحمد فى مسنده : ٢٥٧/٤ ، ٢٥٩) .

(٥٤٢) فى (أ) : (لكان كل ذلك حقا وعدلا) .

(٥٤٣) فى (خ) : لم يذكر (قد) .

(٥٤٤) سورة المائدة : ١٠٥

(٥٤٥) فى (أ) : (ولحكمه تعالى) .

(٥٤٦) فى (أ) : أو كنا .

(٥٤٧) فى (أ) : ما خلق فينا .

(٥٤٨) فى (أ) : على فعل غيره مجردًا .

(٥٤٩) فى (أ) : فأى .

(٥٥٠) فى (خ) : سقط ما بين القوسين .

قال أبو محمد : فإن احتجوا بقول الله تعالى : « مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيْئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ[٥٥١] » .

فالجواب أن يقال لهم : وبالله تعالى التوفيق إن هذه الآية أعظم حجة على أصحاب الأصلح ، وهم جمهور المعتزلة فى ثلاثة أوجه ، وهى حجة على جميع المعتزلة فى وجهين ، لأن فى هذه الآية أن ما أصاب الإنسان من حسنةٍ فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، وكلهم لا يفرقون بين الأمرين[٥٥٢]؛ الحسن والقبيح من أفعال المرء ، كل ذلك عندهم[٥٥٣] من نفس المرء لا خلق لله تعالى فى شيءٍ من فعله لا حُسْنِه ولا قبيحه ، فهذه الآية مبطلة لقولهم جميعهم فى هذا الباب .

والوجه الثانى : أنهم كلهم قائلون أنه لا يفعل المرء حسنًا ولا قبيحًا ألبتة إلا بقوةٍ موهوبةٍ من الله – عز وجل – مكنه بها من فعل الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، تمكينًا مستويًا ، وهى الاستطاعة على خلافهم[٥٥٤] فيها ؛ فهم متفقون على أن البارى تعالى – خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع أو بعضها[٥٥٥] أو عرضًا فيه ، وفى الآية فرق كما ترى بين الحسن والسيء .

وأما الثالث : الذى خالف فيه القائلون بالأصلح خاصةً هذه الآية فإنهم يقولون : إن الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشيءٍ من عنده – تعالى – لم يؤيد به فاعل السيئة .

والآية مخبرَة بخلاف ذلك ، فصارت الآية حجةً عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم .

وأما قولنا نحن فيها فهو ما قاله عز وجل إذ يقول متصلًا بهذه الآية دون فصل « قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُون حَدِيثًا ، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ[٥٥٦] » .

ثم قال تعالى إثر ذلك بعد كلامٍ يسير « أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[٥٥٧] » .

فصح بما ذكرنا أن كل هذا الكلام متفق لا يختلف[٥٥٨] فقدم الله – تعالى – أن كل شيءٍ

---

(٥٥١) سورة النساء : ٧٩
(٥٥٢) فى (أ) : بزيادة (بل) ولا معنى لها .
(٥٥٣) فى (خ) : لم يذكر (عندهم) .
(٥٥٤) فى (أ) : (اختلافهم) .
(٥٥٥) فى (خ) : (بعضه عرضا) .
(٥٥٦) سورة النساء : ٧٨ ، ٧٩
(٥٥٧) سورة النساء : ٨٢
(٥٥٨) فى (أ) : (مختلف) .

من عنده ، فصح بالنص أنه تعالى خالق الخير والشر ، وخالق كل ما أصاب الإنسان ، ثم أخبر - تعالى - أن مَا أصابنا من حسنةٍ فمن عنده وهذا هو الحق ، لأنه لا يجب[٥٥٩] لنا عليه - تعالى - شيء .

فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شيء لنا فيه ، وإحسانٌ منه إلينا لم نستحقه قط عليه .

وأخبرنا عز وجل أن ما أصابنا من سيئة[٥٦١] فمن أنفسنا بعد أن قال إن الكل من عند الله ، فصح أننا مستحقون النكال لظهور السيئة منا ، وأننا عاصون بذلك كما حكم علينا - تعالى - وحكمه عز وجل الحق والعدل ولا مزيد - وبالله التوفيق .

فإن قالوا : فإذا كان الله - عز وجل خالقكم وخالق أفعالكم فأنتم والجمادات سواء .

قلنا كلا ؛ لأن الله - تعالى - خلق فينا علمًا نعرف به[٥٦٢] أنفسنا والأشياء على ما هى عليه ، وخلق فينا مشيئةً لكل ما خلقه فينا مما يسمى فعلًا لنا ، فخلق فيه استحسان ما نستحسنه ، واستقباح ما نستقبحه ، وخلق فينا[٥٦٣] تصرفًا فى الصناعات والعلوم ، ولم يخلق فى الجمادات شيئًا من ذلك فنحن مختارون ، قاصدون ،مريديون ، مستحسنون ، أو كارهون ، متصرفون علمًا ، بخلاف الجمادات .

فإن قيل : فأنتم مالكون لأموركم مفوض إليكم أعمالكم مخترعون لأفعالكم .

قلنا : لا لأن الملك والاختراع ليس هو لأحدٍ غير الله - عز وجل - إذ لكل مما فى العالم مخترع له وملكه - عز وجل - والتفويض[٥٦٤] فيه معنى من الاستغناء بأحدٍ عن الله - عز وجل - وبه نتأيد .

قال أبو محمد : فإذ قد أبطلنا بحول الله وقوته كل شغب[٥٦٥] المعتزلة فى أن أفعال العباد غير مخلوقة لله - عز وجل - فلنأت ببرهان ضرورى إن شاء الله - تعالى - على صحة القول على[٥٦٦] أنها مخلوقة لله - تعالى - وبه التوفيق .

---

(٥٥٩) فى (خ) : (يجب) بحذف (لا) وهو خطأ .
(٥٦٠) فى (أ) : وأخبر .
(٥٦١) فى (أ) : (مصيبة) .
(٥٦٢) فى (أ) : (تعرف به أنفسنا الأشياء) .
(٥٦٣) فى (أ) : سقطت كلمة (فينا) .
(٥٦٤) فى (خ) : (والتفوض) .
(٥٦٥) فى (أ) : (ما شغب به) .
(٥٦٦) فى (أ) : (بأنها) .

فنقول – ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم – إن العالم كله ما دون الله – تعالى – ينقسم قسمين – جوهر ، وعرض لا ثالث لهما ، ثم ينقسم الجوهر إلى أجناسٍ وأنواع ، وينقسم العرض إلى أجناسٍ وأنواع[٥٦٧]، ولكل نوعٍ منها فصلٍ يتميز به مما سواه من الأنواع التى تجمعها وإياه جنسٌ واحدٌ ؛ وبالضرورة نعلم أنَّ ما لزم الجنس الأعلى لزم كل[٥٦٨] ما تحته إذ المحال[٥٦٩] أن تكون نار غير حارة ، أو هواء راسب بطبعه ، أو إنسان عمال[٥٧٠] بطبعه ، وما أشبه هذا .

ثم بالضرورة نعلم أن الإنسان لا يفعل شيئًا إلا الحركة والسكون والفكر والإرادة ؛ وهذه[٥٧١] كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطبع[٥٧٢] والمجسّة والأشكال جنس الكيفية ، فمن المحال الممتنع أن يكون بعض ما تحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقًا ، وبعضه غير مخلوق ، وهذا أمرٌ يعلمه باطلًا من له أدنى[٥٧٣] علم بحدود العالم وأقسامه ، وحركتنا وسكوننا ، بجميع كل ذلك مع كل حركةٍ فى العالم وسكون[٥٧٤] فى العالم نوع[٥٧٥] الحركة ونوع السكون ، ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مزيد حركةً اضطرارية وحركةً اختيارية ، وسكونًا اختياريًا وسكونًا اضطراريًا ، وكل ذلك حركة تُحَدُّ بِحَدِّ الحركة ، وسكون يُحَدُّ بحدّ السكون ، ومحال[٥٧٦] أن بعض[٥٧٧] الحركات مخلوقٌ لله – عز وجل – وبعضها غير مخلوقٍ ، وكذلك السكون أيضًا .

فإن لجأوا إلى قول معمر فى أن هذه الأعراض كلها فعل من[٥٧٨] ظهرت منه[٥٧٩] بطباع ذلك الشيء ، سهل أمرهم بعون الله – عز وجل – وذلك أنهم إذا أقروا أن الله – تعالى – خالق المطبوعات ، ومرتب الطبيعة على ما هى عليه ، فهو تعالى خالق ما ظهر منها ، لأنه تعالى هو رتب كونه فظهوره[٥٨٠] على ما هو عليه رتبةً لا توجد بخلافها ، وهذا هو الحق[٥٨١] بعينه ولكنهم قومٌ

---

(٥٦٧) فى (أ) : سقطت جملة (وينقسم العرض إلى أجناس وأنواع) .
(٥٦٨) فى (خ) : لم يذكر (كل) .
(٥٦٩) فى (أ) : (محال) .
(٥٧٠) فى (أ) : (صهَّال) .
(٥٧١) فى (خ) : (هذه) .
(٥٧٢) فى (أ) : (والطعم) .
(٥٧٣) فى (خ) : سقطت (أدنى) .
(٥٧٤) فى (أ) : بزيادة (كل) .
(٥٧٥) فى (أ) : (نوع من) .
(٥٧٦) فى (أ) : (ومن المحال) .
(٥٧٧) فى (أ) : (أن يكون) .
(٥٧٨) فى (أ) : (ما) .
(٥٧٩) فى (أ) : (فيه) .
(٥٨٠) فى (أ) : (وظهوره) .
(٥٨١) فى (أ) : (الخلق) .

لا يعلمون ؛ كالمتسكّع فى الظلمات كما قال – تعالى – « كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا(٥٨٢)» .

نعوذ بالله – تعالى – من الخذلان .

وأيضا فإن نوع الحركات موجود قبل خلق الإنسان(٥٨٣) فمن المحال البيّن أن يخلق المرء ما كان(٥٨٤) نوعه موجودًا قبله ، وأيضًا فإن عمدتهم فى الاحتجاج على القائلين بأن العالم لم يزل ، إنما هى مقارنة الأعراض للجواهر ، وظهور الحركات ملازمةً المتحرك بها ، فإذا كان ذلك دليلًا باهرًا على حدوث الجواهر وأن الله تعالى خلقها ، فما المانع أن يكون دليلًا باهرا على حدوث الأعراض وأن الله تعالى خلقها ..؟؟؟ لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم – نعوذ بالله تعالى – مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لا إله إلا هو .

وأيضًا فإن الله تعالى قال « إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰه بِمَا خَلَق(٥٨٥)» .

فأثبت – تعالى – أن من خلق شيئًا فهو له إلٰه ، فلزمهم(٥٨٦) بالضرورة أنهم آلهة لأفعالهم التى خلقوها ، وهذا كفر مجرد إن طردوه ، وإلا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد ، وأيضًا فإن من خلق شيئًا لم يعنه عليه غيره لكن انفرد بخلقه فبالضرورة نعلم أنه يصرف ما خلق كما شاء(٥٨٧)، كما يفعله إذا شاء ، ويتركه إذا شاء ، ويفعله حسنًا إذا شاء ، وقبيحًا إذا شاء ؛ فإذ هم خلقوا حركاتهم وإراداتهم منفردين بخلقها فليظهروها إلى أبصارنا ، حتى نراها أو نلمسها أو ليزيدوا فى قدرها أو ليخالفوها عن رتبتها .

فإن قالوا : لا نقدر على ذلك فليعلموا أنهم كاذبون فى دعواهم خلقها لأنفسهم .

فإن قالوا : إنما نفعلها كما قوّانا – تعالى – على فعلها فليعلموا أن الله – عز وجل – هو المقوىّ على فعل الخير والشر ، فإنَّ به عزَّ وجل كان الخَير والشر ، ولولاه(٥٨٨) لم يكن خيرٌ ولا شر ، فهو كوَّنَهما وبه كانا وأعان عليهما ، فأظهرهما واخترع كل ذلك وهذا هو معنى خلقه – تعالى – لها وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على أن البارى تعالى خالق أفعال خلقه قوله عز وجل حاكيًا عن سحرة فرعون

---

(٥٨٢) سورة البقرة : ٢٠

(٥٨٣) فى (أ) : الناس .

(٥٨٤) فى (أ) : قد كان .

(٥٨٥) سورة المؤمنون : ٩١

(٥٨٦) فى (أ) : فيلزمهم .

(٥٨٧) فى (أ) : سقطت (كما شاء) .

(٥٨٨) فى (أ) : (وإذ لولاه) .

– رضى الله عنهم – مصدقًا لهم[٥٨٩] ومثبّتًا عليهم قولهم « رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وتَوَفَّنَا مُسْلِمِين[٥٩٠] » .

فصح أنه – تعالى – خالق ما يفرغه عليهم[٥٩١] من الصبر الذى لو لم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر .

وأيضًا فإن جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنسٌ واحد ، وكل ما قيل على الكل قيل على جميع أجزائه ، وعلى كل بعض من أبعاضه ، فنسألهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفة ما يعرف من مضاره ومنافعه ، فى أكله وشربه وغير ذلك ، أكل ذلك مخلوق لله عز وجل أم هو غير مخلوق .. ؟

فإن قالوا : كلُّ ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التى شهد[٥٩٢] العقل والحسُّ بصدقها ، وظهر فساد قولهم فى التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائِر الحيوان[٥٩٣] وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان[٥٩٤] وبين سكوننا وسكونه ، وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان .

وإن قالوا : بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك فى سائِر الأعضاء كلها .

فإن تناقضوا ؛ كفونا أنفسهم ، وإن تمادوا لزمهم أن الله – تعالى – لم يخلق شيئًا من الأعراض وهذا إلحادٌ ظاهر وإبطال للحق[٥٩٥] وكفر[٥٩٦]، وكفى بهذا إضلالًا ونعوذ بالله – تعالى – من الخذلان ويكفى من هذا أن الأفعال[٥٩٧] تجرى على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم[٥٩٨] لا يقدر على الطيش والبذاء ، والطياش لا يقدر على الحياء والصبر ، والسيء الأخلاق ، لا يقدر على الحلم ، والحليم لا يقدر على النزق ، والسخىّ لا يقدر على المنع ، والشحيح لا يقدر على الجود ، قال الله عز وجل « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون[٥٩٩] » .

---

(٥٨٩) فى (خ) : لم يذكر (لهم و) .
(٥٩٠) سورة الأعراف : ١٢٦
(٥٩١) فى (أ) : سقطت (عليهم) .
(٥٩٢) فى (أ) : يشهد .
(٥٩٣) فى (أ) : زاد (بما عرف) .
(٥٩٤) فى (خ) : سقط (وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان) .
(٥٩٥) فى (أ) : (للخلق) .
(٥٩٦) فى (أ) : سقط (وكفر) .
(٥٩٧) فى (أ) : (الأعراض) .
(٥٩٨) فى (خ) : (الحليم) .
(٥٩٩) سورة الحشر : ٩

فصح أن فى[٦٠٠] الناس من وقى[٦٠١] شح نفسه مفلحا ، وأن من[٦٠٢] لم يوق شح نفسه لم يفلح ، وكذلك الذكى لا يقدر على البلادة ، وذو البلادة لا يقدر على الذكاء ، والحافظ لا يقدر على النسيان ، والناسى لا يقدر على ثبات الحفظ ، والشجاع لا يقدر على الجبن ، والجبان لا يقدر على الشجاعة ، هكذا فى جميع الأخلاق التى تكون عنها الأفعال ، فصح أن كل ذلك خلق الله - تعالى - لا يقدر المرء على إحالة شيءٍ من ذلك أصلًا ، حتى أن مخرج صوت أحدنا وصفة كلامه ، لا يقدر ألبتة على صرفه عن[٦٠٣] ما خُلِق عليه من الجهارة والخفاء ، أو الطيب أو السماحة ، وكذلك خطه لا يمكنه صرفه عما رتبه الله - عز وجل - عليه ولو جهد ، وكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه ، فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما شاء . فإذ ليس فيه قوة على صرف[٦٠٤] شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة أنه خلق الله - تعالى - فيمن نسب فى اللغة إليه أنه فاعله - وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وأكثرت المعتزلة فى التوليد وتحيَّرت فيه حيرةً شديدة ..

فقالت طائفة : ما تولَّد عن فعل المرء مثل القتل والألم المتولد عن رمى السهم ، وما أشبه ذلك فإنه فعل الله - عز وجل - .

وقال بعضهم : هو فعل الطبيعة .. ؟؟

وقال بعضهم : بل هو فعل الذى فعل ما عنه[٦٠٥] تولد .. ؟؟

وقال بعضهم : هو فعل لا فاعل له .. ؟؟

وقال جميع أهل الحق هو فعل الله عز وجل وهو خلقه .

والبرهان فى ذلك هو البرهان الذى ذكرنا فى خلق الأفعال من أن الله - تعالى - خالق كل شيءٍ - وبالله تعالى التوفيق - .

---

(٦٠٠) فى (أ) : (من) .
(٦٠١) فى (أ) : (موق) .
(٦٠٢) فى (أ) : وغير موق ولا مفلح .
(٦٠٣) فى (أ) : (كما خلق عليه) .
(٦٠٤) فى (خ) : سقطت (صرف) .
(٦٠٥) فى (أ) : (فعل العقل الذى) .

الكلام فى التعديل والتجوير

قال أبو محمد : هذا الباب هو أصل ضلاله المعتزلة نعوذ بالله من ذلك ، على أننا رأينا منهم من لا يرضى عن قولهم فيه .

قال أبو محمد[1]: وذلك أن جمهورهم قالوا : وجدنا من فعل الجور فى الشاهد كان يسمى[2] جائِرًا ، ومن فعل الظلم كان ظالمًا ، ومن أعان فاعلًا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائِرًا عابثًا .

قالوا : والعدل من صفات الله تعالى ، والظلم والجور منفيان عنه ، قال تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدْ[3]» .

وقال تعالى : « وَمَاظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفسَهُمْ يَظْلِمُون[4]» .

وقال تعالى : « فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ[5]» . وقال تعالى : « لَا ظَلْمَ الْيَوم[6]» .

قال أبو محمد : وقد علم المسلمون أن الله تعالى عَدْلٌ لا يجور ولا يظلم ، ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ، ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال من أن عقولهم حاكمة على الله تعالى فى أن لا يحسن منه إلا ما حسَّنت عقولهم ، وأنه يقبح منه تعالى ما قبَّحت عقولهم ، وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه ، إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منَّا ، ويقبح منه ما قبح منا ، ويُحكَم عليه فى العقل بما يُحكم علينا .

وقال أبو محمد : وهذا مذهب يلزم كل من قال : لما كان الحيّ فى الشاهد لا يكون

(١) فى (خ) : لم يذكر (أبو محمد) .
(٢) لم يذكر (يسمّى) .
(٣) سورة فصلت : ٤٦
(٤) سورة البقرة : ٢٧
(٥) سورة التوبة : ٧٠
(٦) سورة غافر : ١٧ . ولم تذكر هذه الآية فى (خ) .

إلا بحياة ، وجب أن يكون البارى تعالى حيًا بحياة ، وليس بين القولين فرق ، وكلاهما لازم لمن التزم أحدهما ، وكلاهما ضَلالٌ وخطأ ، وإنما الحق هو أن كل ما فعله الله عز وجل أى شيء كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة ، وإن كان بعض ذلك منا جورًا وسفهًا ، وكل ما لم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والغث[٧] والتفاوت .

وأما اجزاؤهم الحكم[٨] على البارىء تعالى بمثل ما يحكم به بعضنا على بعض فضلال بيِّن وقول سوء[٩] له أصل عند الدّهرية وعند المنّانية وعند البراهمة ، وهو أن الدّهرية قالت : لما وجدنا الحكيم[١٠] فيما بيننا لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة ، ووجدنا من فعل[١١] ما لا فائدة فيه فهو عابث ، هذا الذى لا يعقل غيره .

قالوا : ولما وجدنا فى العالم خيرًا[١٢] وشرًا وعبثًا وأوزارًا[١٣] ودودًا وذبابًا ومفسدين انتفى بذلك أن يكون له فاعل حكيم .

وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء إلا أنهم زادوا فقالوا : علمنا بذلك أن للعالم فاعلًا سفيهًا غير البارىء تعالى وهو النفس ، وأن البارى الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ما تخيلته ، فإذا استبان ذلك لها أفسده البارى الحكيم تعالى حينئذ وأبطله ، ولم تعد النفس إلى فعل شيء بعدها .

قال أبو محمد : وإبطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المعتزلة سواء بسواء ولا فرق .

وقالت المنّانية بمثل ما قالت به الدهرية سواء بسواء ، إلا أنها قالت : ومن خلق خلقًا ثم خلق من يُضِلّ ذلك الخلق فهو ظالم عَابث ، ومن خلق خلقًا ثم سلط بعضهم على بعض ، أو أغرى . بين طبائع[١٤] خلقه فهو ظالم عابث .

قالوا : فعلمنا أن خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير وفاعله .

قال أبو محمد : وهذا نفس[١٥] قول المعتزلة : إلا أنها زادت قبحًا بأن قالت : إن الله تعالى لم يخلق من أفعال العباد لا خيرًا ولا شرًا ، وأن خالق الأفعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى ،

---

(٧) فى (أ) : (والعبث) .
(٨) فى (خ) : لم يذكر كلمة (الحكم) .
(٩) فى (أ) : (سبق) .
(١٠) فى الأصل (الحليم) .
(١١) فى (أ) : (فعله) .
(١٢) فى (أ) : (ضرًا) .
(١٣) فى (أ) : (وأقذارًا) .
(١٤) فى (أ) : (طائع) .
(١٥) فى (أ) : (نص) .

لكن كل أحد يخلق فعل نفسه ، ثم زادت تناقضًا فقالت : إن خالق عنصر الشر هو إبليس ومردة الشياطين ، وفَعَلَة كل شر ، وخالق طباعهم على تضادِّهما هو الله تعالىٰ .

وقالت البراهمة : إن من العبث وخلاف الحكمة ، ومن الجور البيّن أن يُعِّرض الله تعالى عباده لما يعلم أنهم بعطبون عنده ويستحقون العذاب إن وقعوا فيه ، يريدون بذلك إبطال الرسالة والنبوات كلها .

* * *

قال أبو محمد : وبالضرورة نعلم أنه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة ، التى لا يكون الشر إلا بها ، ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عزَّ وجلَّ أنه لا يفعل إلا الشر ، وبين خلق إبليس وإنظاره إلى يوم القيامة ، وتسليطه على إغواء[١٦] العَباد وإضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلّهم إلا من عصم الله منهم .

فإن قالوا : إن خلق الله تعالى إبليس ، وقوى الشر ، وفاعل الشر ، خيرٌ وعدل وحسن صدّقوا ، وتركوا أصلهم الفاسد ، ولزمهم الرجوع إلى الحق فى أن خلقه تعالى للشر والخير ولجميع أفعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده وإضلاله من أضل ، وهداه من هدى* ، كل ذلك حق وعدل وحسن ، وأن أحكامنا غير جارية عليه ، لكن أحكامه جارية علينا ، وهذا هو الحقّ الذى لا يخفى إلَّا على من أضلّه الله تعالى ، نعوذ بالله من إضلالنا[١٧]، ولا فرق بين شىء مما ذكرنا[١٨] فى العقل ألبتة . وبرهان ضرورى .

* * *

قال أبو محمد : يقال لمن قال لا يجوز أن بفعل الله تعالى إلا ما هو حسن فى العقل منّا ، ولا أن يخلق ويفعل ما هو قبيح فى العقل فيما بيننا منا : يا هؤلاء إنكم أخذتم الأمر من عند أنفسكم ثم عكستموه ، فعظم غلطكم ، وإنما الواجب إذ أنتم مقرون بأن الله تعالى لم يزل واحدًا وحده ليس معه خلق أصلًا ، ولا شىء موجود[١٩]، لا جسم ولا عرض ، ولا عقل ولا معقول ، ولا سفه ولا غير ذلك ، ثم أقررتم بلا خلاف منكم أنه خلق النفوس وأحدثها بعد أن لم تكن ،

---

(١٦) فى (خ) : (إغراء) .
(١٧) فى (أ) : (إضلاله لنا) .
(١٨) فى (أ) : (ذكرناه) .
(١٩) فى (خ) : (ولا جسم) .

وخلق لها العقول وركبها فى النفوس بعد أن لم تكن العقول ألبتة ، ألا تحدثوا[٢٠] على البارى تعالى حكمًا لازمًا له من قِبَل بعض خلقه ، فليس فى الجنون أفحش من هذا ألبتة .

ثم أخبرونا إذ كان الله وحده لا شىء موجود معه ، ففى أى شىء كانت صوره الحسن حسنة ، وصورة القبح قبيحة ، وليس هنالك عقل أصلًا يكون فيه الحسن حسنًا ، والقبيح قبيحًا ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة ، فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن ، فبأى شىء قام تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان ..؟؟؟ لابدّ لهما من حامل ، ولا حامل أصلًا ولا محمول ولا شىء حسن ولا شىءٍ قبيح ، حتى أحدث الله تعالى النفوس وركّب فيها العقول المخلوقة ، وقبَّح فيها على قولكم ما قبَّح وحسَّن فيها على قولكم ما حسن .

فإذ لا سبيل إلى أن يكون مع البارى تعالى فى الأزل شىء موجود أصلًا قبيح ولا حسن ، ولا عقل يقبح فيه شىء أو يحسن ، فقد وجب يقينا أن لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شىء يحدثه لقبح فيه ، ووجب أن لا يلزمه تعالى شىء لحسنه إذ لا قبح ولا حسن ألبتة فيما لم يزل ، فالبضرورة وجب أن ما هو الآن عندنا قبيح فإنه لم يقبح بلا أوّل ، بل كان لقبحه أوّل لم يكن موجودًا قبله ، فكيف أن يكون قبيحًا قبله[٢١]..؟؟؟ وكذلك القول فى الحسن ولا فرق .

ومن المحال الممتنع جملة أن يكون ممكنا أن يفعل البارى تعالى حينئذ شيئًا ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك ، لأن هذا يوجب إما تبدل طبيعة . والله تعالى منزه عن ذلك ، وإما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبدًا وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه .

فإن قالوا : لم يزل القبيح قبيحًا فى علم الله عز وجل ، ولم يزل الحسن حسنًا فى علمه تعالى ، قلنا ، هبكم أن هذا كما قلتم ، فعليكم فى هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد ، أحدهما : أنكم جعلتم الحكم فى ذلك لما فى المعقول لا لما سبق فى علم الله عز وجل ، فلم تجعلون المنع من فعل ما هو قبيح عندكم ..؟؟؟ إلا لأن العقول قبحّته فأخطأتم فى هذا الوجه[٢٢].

والثانى : أنه تعالى أيضًا لم يزل يعلم أن الذى يموت مؤمنا فإنه لا يكفر ، ولم يزل تعالى يعلم أن الذى يموت كافرًا لا يؤمن ، فلم جوزتم قدرته على إحالة ما علم من ذلك وتبديله ، ولم تجوزوا قدرته تعالى على إحالة ما علم حسنًا إلى القبح وإحالة ما علم قبيحًا إلى الحسن ، ولا فرق بين الأمرين أصلا ..؟؟؟

---

(٢٠) قوله (ألا تُحدِثوا) خبر عن قوله فيما سبق : « وإنما الواجب » .

(٢١) فى (خ) : (فعله) .

(٢٢) فى (أ) : لم يذكر كلمة (الوجه) .

فإذا ثبت ضرورة أنه لا قبيح لعينه ، ولا حسن لعينه ألبتة ، وأنه لا قبيح إلا ما حكم الله تعالى بأنه قبيح ، ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن ، ولا مزيد .

وأيضًا فإن دعواكم أن القبيح لم يزل قبيحًا فى علم الله تعالى ما دليلكم على هذا ؟ لعله[٢٣] تعالى لم يزل عليمًا بأن أمر كذا يكون حسنًا برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحًا إذا قبّحه لا قبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة ، وهذا أصحّ من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق .

ولم يزل سبحانه وتعالى عليمًا أن عقد الكفر والقول به قبيح من العبد إذا فعلهما معتقدًا لهما لأن الله قبحهما ، لا لأنهما حركة أو عرض فى النفس ، وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضًا ، لا لأن ذلك قبيح لعينه .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا من حسَّن الحسن فى العقول ، ومن قبح القبيح فى العقول ؟ فإن قالوا : الله عز وجل . قلنا لهم : أفكان تعالى قادرًا على عكس تلك الرتبة إذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه[٢٥] فيحسّن فيها القبيح ، ويقبِّح فيها السحن ؟ فإن قالوا نعم أوجبوا أنه لم يَقْبُح شيءٌ إلا بعد أن حكم الله تعالى بقبحه ، ولم يحسن شيء إلا بعد أن حكم الله تعالى بحسنه ، وأنه كان له تعالى أن يفعل بخلاف ما فعل ، وله ذلك الآن وأبدًا ، وبطل أن يكون تعالى متعبدًا لنفسه وموجبًا عليه ما يكون ظالمًا مذموما إن خالفه .

وإن قالوا : لا يوصف تعالى بالقدرة على ذلك عجزُّوا ربَّهم تعالى ، ولزمهم القول بمثل قول عليٍّ الأسوارى ، من أنه تعالى لا يقدر على غير ما فعل ، فحكم هذا الردىء الدين والعقل بأنه أقدر من ربه تعالى وأقوى لأنه عند نفسه الخسيسة يقدر على ما فعل وعلى ما لم يفعل ، وربه تعالى لا يقدر إلا على ما فعل ، ولو علم المجنون أنه جعل ربَّه من الجمادات المضطرة إلى ما يبدو منها ولا يمكن أن يظهر منها غير ما يظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظيم مصيبته . نعوذ بالله من الخذلان ، ومن عظيم[٢٦] ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد لله على توفيقه إيانا حمدًا كثيرًا كما هو أهله .

* * *

قال أبو محمد : ويقال لهم : هبكم شنعتم فى القبيح ، بأنه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل

(٢٣) فى (آ) : (بل لعله) .
(٢٤) فى (خ) : لم يذكر (لأن الله قبحهما) .
(٢٥) فى (خ) : لم يذكر (ما رتبها عليه) .
(٢٦) فى (أ) : (عظم) .

خلق الخير كله ، وخلق الحسن كله ..؟ فقلتم : لم يخلق الله تعالى الإيمان ولا الإسلام ، ولا الصلاة والزكاة ولا النيّة الحسنة ، ولا اعتقاد الخير ، ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر ألأن[٢٧] خلق هذا قبح أم كيف الأمر ؟ فبان[٢٨] تمويهكم بذكر خلق الشر ، وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر ؛ فى أن الله تعالى لم يخلق شيئًا من ذلك كله ، فدعوا التمويه الضعيف .

* * *

قال أبو محمد : وقرأت فى مسائل ، لأبى هاشم[٢٩] عبد السلام بن أبى علي محمد ابن عبد الوهاب . الجبائي رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلامًا له يردد فيه كثيرًا دون حياء ولا رقبة : يجب على الله أن يفعل كذا كأنه المجنون يخبر عن نفسه أو عن رجل من عرض الناس .

فليت شعرى أما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول : ليت شعرى من أوجب على الله تعالى هذا الذى قضى بوجوبه عليه ، ولابدّ لكل وجوب وإيجاب من موجب ضرورة ، وإلا كان يكون فعلًا لا فاعل له ، وهذا كفر ممن أجازه ، فمن هذا الموجب على الله تعالى حكمًا مًّا ؟ ، وهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون أوجبه عليه تعالى بعض خلقه إما العقل وإما العاقل ، فإن كان هذا فقد رفع القلم عنه ، وأنّ لكل عقل يقوم فيه أنه حاكم على خالقه ومحدثه بعد أن لم يكن ، ومرتبه على ما هو عليه ومصرّفه على ما يشاء .

وإما أن يكون تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يزل غير موجب له على نفسه ، فإن كان[٣١] قال بهذا . قيل له : فقد كان غير واجب عليه حتى أوجبه ، فإذ هو كذلك فقد كان مباحًا له أن يعذب من لم يقدره على ترك ما عذبه[٣٢] عليه ، وعلى خلاف سائر ما ذكرت أنه أوجبه على نفسه ، وإذ[٣٣] أوجب ذلك على نفسه بعد أن لم يكن واجبًا عليه فممكن له أن يسقط ذلك الوجوب عن نفسه ، وإما أن يكون تعالى لم يزل موجبًا ذلك على نفسه ، فإن قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الإسلام وعن جميع الشرائع وهما : أن البارى لم يزل فاعلًا ، ولم يزل فعله معه لأن الإيجاب فعل ، ومن لم يزل موجبًا فلم يزل فاعلًا ، وهذا قول أهل الدهر نفسه .

---

(٢٧) فى (أ) : (لأن) بغير استفهام .
(٢٨) فى (خ) : (فإن) .
(٢٩) هو : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائى شيخ المعتزلة بعد أبيه ، له تصانيف وكان بصيرًا بالنحو واللغة ، توفى سنة ٣٢١ هـ . (لسان الميزان : ١٦/٤) .
(٣٠) فى الأصل : (تعالى عليه) وهو غير مستقيم .
(٣١) فى (أ) : لم يذكر (كان) .
(٣٢) فى (خ) : (ما عذب به عليه) .
(٣٣) فى (أ) : (وإذا وجبَ) .

قال أبو محمد : ولا يمانع بين جميع المعتزلة فى إطلاق هذا الجنون ، من أنه يجب على الله أن يفعل كذا ويلزمه أن يفعل كذا ، فاعجبوا لهذا الكفر المحض ، وبهذا يلوح بطلان ما يتأولونه فى قول الله تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين)(٣٤).

وقوله تعالى : (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)(٣٥).

وقوله عليه السلام : « حَق العباد على الله ألّا يُعذبهم » يعنى إذا قالوا لا إله إلا الله ، و« حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال »(٣٦) يعنى عن شارب الخمر(٣٧) وإن كلَّ هذا إنما هو أن الله تعالى قضى بذلك وجعله حتمًا واجبا ، وكونه حقًّا يوجب(٣٨) ذلك منه تعالى لا عليه ، فأبدلتُ « مِنْ » من « عَلَىٰ » وحروف الجر يبدل بعضها من بعض .

ثم نقول لهم : من خلق إبليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والأنصاب(٣٩) والأزلام وما أُهلَّ لغير الله به ، وما ذبح على النُّصُب ؟ فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله ، فلنسألهم : أشىء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر ؟ فإن قالوا : بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا . وأقروا أنه تعالى خلق الأنجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا ، فإن قالوا : بل هى حسان فى إضافة خلقتها إلى الله تعالى ، وهى رجس ونجس وشر وفسق بتسمية الله تعالى لها بذلك ، قلنا : صدقتم ، وهكذا نقول إن الكفر والمعاصى هى فى أنها أعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك ، وهى من العصاة بإضافتها إليهم قبائح ورجس وقال عز وجل : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ(٤٠)» .

وقال تعالى : « أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّه رِجْسٌ(٤١)» .

فليخبرونا بأى ذنب كان من هذه الأشياء وجب أن يسخطها الله تعالى ، وأن يرجسها ويجعل غيرها طيبات ويرضاها(٤٢)؟ هل هاهنا إلا أنه تعالى فعل ما شاء(٤٣)، وأىّ فرق بين أن

---

(٣٤) سورة الروم : ٤٧

(٣٥) سورة الأنعام : ١٢

(٣٦) الحديث : رواه البخارى فى اللباس ١٠١ ، والجهاد ٤٦ ، والاستئذان ٣٠ ، وتوحيد رقم ١ ، ومسلم فى الإيمان ٤٨ ، ٤٩ ، والترمذى فى الإيمان ١٨ ، وابن ماجه فى الزهد ٣٥ .

(٣٧) فى (خ) : لم يذكر (يعنى عن شارب الخمر) .

(٣٨) فى (أ) : فوجب .

(٣٩) فى (أ) : والأصنام .

(٤٠) سورة المائدة : ٩٠

(٤١) سورة الأنعام : ١٤٥ وفى (أ) : وردت هذه الآية محرفة حيث قال (ولحم خنزير) .

(٤٢) فى (أ) : لم يذكر (ويرضاها) .

(٤٣) فى (أ) : يشاء .

يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعْقل[٤٤] ويرضى عما شاء من ذلك فيعلى قدره ويأمر بتعظيمه ، كناقة صالح والبيت الحرام ، وبين أن يفعلَ ذلك أيضا فيمن يعقل ؛ فيقرب بعضاً كما شاء ويبعد بعضاً كما شاء ، وهذا ما لا سبيل إلى وجود الفرق فيه أبدًا .

ثم نسألهم : هل حابى الله تعالى من خلقه فى أرض الإسلام بحيث لا يُلَقَى إلا داعيا إلى الدين ومحسِّنا له على من خلقه فى أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع إلا ذامًا لدين المسلمين مبطلًا له وصادًّا عنه ..؟ وهل رأوا قط أو سمعوا[٤٥] بمن خرج[٤٦] من هذه البلاد طالبًا لصحة البرهان على الدين ؟ فمن أنكر هذا كابر العيان والحس ، ومن أذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد .

قال أبو محمد : والقول الصحيح هو أن العقل[٤٧] يعرف بصحته ضرورة أن الله تعالى حاكم على كل ما دونه ، وأنه تعالى غير محكوم عليه ، وأن كل ما سواه تعالى مخلوق له عز وجل ، سواء كان جوهرًا حاملًا ، أو عرضًا محمولًا ، لا خالق سواه ، وأنه يعذّب من يشاء أن يعذبه ويرحم من يشاء أن يرحمه ، وأنه لا يلزم أحدًا إلا ما ألزمه الله عز وجل ، ولا قبيح إلا ما قبح الله ، ولا حسن إلا ما حسن الله ، وأنه لا يلزم لأحد على الله تعالى حق ولا حجة ، ولله تعالى على كل من دونه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة ، لو عذب المطيعين والملائكة والأنبياء فى النار مخلدين لكان ذلك له ، ولكان عدلا وحقا منه ، ولو نعَّم إبليسَ والكفار فى الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقا وعدلًا منه ، وإن كل ذلك إذ أباه الله تعالى وأخبر أنه لا يفعله صار باطلًا وجورًا وظلما ، وأنه لا يهتدى أحد إلا من هداه الله عز وجل ، ولا يضل أحد إلا من[٤٨] أضله الله عز وجل ، ولا يكون فى العالم إلا ما أراد الله عز وجل كونه من خير أو شر أو غير ذلك ، وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون ألبتة ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

ونحن نجد الحيوان لا يسمي عَدْوُ[٤٩] بعضها على بعض قبيحًا ولا ظلمًا ولا يلام على ذلك ، ولا يلام على عَدْوِها من رَبَّى شيئًا منها ، فلو كان هذا النوع قبيحًا لعينه وظلمًا لعينه لقبح متى وجد ؛ فلمَّا لم يكن كذلك صحَّ أنه لا يقبح شيء لعينه ألبتة ، لكن إذا قبَّحه الله عز وجل فقط .

---

(٤٤) فى (خ) : (مما لا يفعل) .
(٤٥) فى (أ) : وسمعوا .
(٤٦) فى (خ) : (وسمعوا أن من خرج) .
(٤٧) فى (أ) : (العقل الصحيح) .
(٤٨) فى (أ) : سقطت (من) .
(٤٩) فى (أ) : (عدوان) .

فإذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلى الجامع لأصلهم الفاسد فلنقل بحول الله تعالى وقوته فى إبطال(٥٠) مسائلهم وبالله تعالى نستعين .

فأول ذلك أن نسألهم فنقول : عرّفونا ما هذا(٥١) القبيح فى العقل على الإطلاق ؟ فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن على الوراق البغدادى ، وعبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى وغيرهما : إن كل شيء حسن بوجه مّا ؟ قلت(٥٢): يمتنع وقوع مثله من الله تعالى ، لأنه حينئذ يكون حسنا ، إذ ليس قبيحًا ألبتة على كل حال ، وأما ما كان قبيحًا على كل حال لا يحسن ألبتة فهذا منفى عن الله عزَّ وجل أبدًا .

قالوا : ومن القبيح على كل حال أن تفعل بغيرك ما لا تريد أن يُفعل بك ، وتكليف ما لا يُطاق ثم التعذيب عليه .

قال أبو محمد : وظن هؤلاء المبطلون إذا أتوا بهذه الحماقة أنهم قد أغربوا وقرطسوا ، وهم بالحقيقة قد هَذَوْا وهذَروا ، وهذا عين الخطأ ، وإنما قبح بعض هذا النوع إذ أقبحه(٥٣) الله عز وجل ، وحسُن بعضه إذ حسّنه الله عز وجل ، والعجب من مناقشتهم(٥٤) فى دعواهم أن المحاباة فيما بيننا ظلم ، ولا ندرى فى أى شريعة أم فى أىّ عقل وجدوا أن المحاباة ظلم ؟ وأن الله تعالى قد أباحها إلا حيث شاء ، وذلك أن الرجل يحب أن ينكح امرأتين وثلاثًا وأربعًا من الزوجات ، وذلك له مباح حسن ، وأن يطأ من إمائه أى عدد أحب ، وذلك له مباح حسن ، ولا يحب أن ينكح امرأته(٥٥) غيره ولا عبيدها ، وهذا منه حسن .

وبالضرورة ندرى أن فى قلوبهن من الغيرة كما فى قلوبنا ، وهذا محظور فى شريعة غيرنا ، والنفار منه موجود فى بعض الحيوان بالطبع ، والحر المسلم يحب(٥٦) أن يستعبد أخاه المسلم ، ولعله عند الله تعالى خير من سيده فى دينه وأخلاقه وأبوته(٥٧)، ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يحب(٥٨) أن يستعبده هو أحد لا عبده ذلك ولا غيره ، وهذا منه حسن ، وقد أحب رسول الله ﷺ لنفسه المقدسة ما أكرمه الله تعالى به من ألا ينكح أحد من بعده من نسائه ، أمهاتنا رضوان الله عليهن ،

---

(٥٠) فى (أ) : (أجزاء مسائلهم) .
(٥١) فى (خ) : سقطت (ما) .
(٥٢) فى (خ) : (فلن) .
(٥٣) فى (أ) : (قبحه) .
(٥٤) فى (أ) : (مباهتتهم) .
(٥٥) فى (أ) : جاءت العبارة هكذا ، ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها) .
(٥٦) فى (أ) : (ملكه) بدلا من (يحب) .
(٥٧) فى (أ) : (وقنوته) بدلًا من (أبوته) .
(٥٨) فى (أ) : ولا يجوز .

وأحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد أزواجهن ، وكل ذلك حسن جميل صواب ، ولو أحب ذلك غيره كان مخطىء الإرادة قبيحًا ظالمًا ، ومثل هذا كثير(٥٩) إن تُتُبِّع كثير جدًا إذ هو فاش فى العالم وفى أكثر الشريعة ، فبطل هذا القول الفاسد منهم .

وقد نص الله تعالى على إباحة غير العدل(٦٠) الذى هو العدل عند المعتزلة ؛ بل على الإطلاق وعلى المحاباة حيث شاء ، قال عز وجل : « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ(٦١) » .

وقال تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ(٦٢) » .

فأباح تعالى لنا أن لا نعدل بين ما ملكت أيماننا ، وأباح لنا محاباة من شئنا منهن ، فصح أن لا عدل إلا ما سماه الله عدلا فقط ، وأن كل شىء فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك ، وكذلك وجدنا الله تعالى قد أعطى الابن الذكر من الميراث حظَّين ، وإن كان غنيا مكتسبًا ، وأعطى البنت حظًّا واحدًا وإن كانت صغيرة فقيرة ، فبطل قول المعتزلة ، وصح أن الله تعالى يحابى من يشاء ويمنع من يشاء ، وأن هذا هو العدل لا ما يّظنه المعتزلة عدلًا بجهلها وضعف عقولها .

وأما تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه فإنما قبح ذلك فيما بيننا لأن الله تعالى حرَّم ذلك علينا فقط ، وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم فى أن هذا لا يقبح من الله تعالى الذى لا أمر فوقه ، ولا يلزمه حكم عقولنا ، وما دعواهم على مخالفيهم فى هذه المسألة أنهم خالفوا قضية العقل ببديهته إلا كدعوى المجسِّم عليهم أنهم خالفوا قضية العقل ببديهته ، إذ أجازوا وجود الفعل ممن ليس جسمًا ، وإذ أجازوا حيا بلا حياة ، وعالما لا يعلم .

قال أبو محمد : وكلتا الدعوتين على العقول كاذبة ، وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى فى العقل ما ليس منه(٦٣) ، وبينا أن العقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ما هو به ، ولا مزيد ، وبالله تعالى التوفيق .

وقال بعض المعتزلة : إن من القبيح بكل حال والمحظور فى العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الأب .

---

(٥٩) فى (أ) : سقطت كلمة (كثير) .
(٦٠) فى (أ) : (ما ليس عدلًا عند المعتزلة) .
(٦١) سورة النساء : ١٢٩
(٦٢) سورة النساء : ٣
(٦٣) فى (أ) : (فيه) .

قال أبو محمد : وهذا غاية الخطأ ، لأن العاقل المميز بالأمور إذا تدبرها علم يقينا أنه لا منعم على أحد إلا الله وحده لا شريك له ، الذى أوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخّر له ما فى الأرض وكثيرًا مما فى السماء وخوّله المال ، وأن كل منعم دون الله عز وجل فإن كان منعمًا بمال فإنما أعطى من مال الله عز وجل ، فالنعمة لله عز وجل دونه ، وإن كان ممرضًا ، أو معتقدًا أو خائفا من مكروه ، فإنما صرف فى ذلك كل مّا وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والأعضاء ، وإنما تصرَّف بكل ذلك فى ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى أولى به منه .

فالنعمة لله عز وجل دونه ، فالله تعالى هو ولى كلِّ نعمة ، فإذ لا شك فى ذلك فلا منعم إلّا من سماه الله تعالى منعما ، ولا يجب شكر منعم إلا بعد أن يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب وإلّا فلا ، ويكون حينئذ من لم يشكره عاصيا فاسقا أتى كبيرة لخلافه[٦٤] أمر الله تعالى بذلك فقط ، ولا فرق بين تولُّدنا من منى أبوينا وبين تولدنا من التراب الأرضى ، ولا خلاف فى أنه لا يلزمنا برّ التراب ولا له علينا حق ، ليس ذلك إلا لأن الله تعالى لم يجعل له علينا حقا ، وقد يرضع الصغيرة شاة فلا يجب لها عليه حق لأن الله تعالى لم يجعله لها وجعله للأبوين وإن كانا كافرين أو[٦٥] مجنونين أو لم[٦٦] يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ، ليس هاهنا إلا أمر الله تعالى فقط .

وبرهان آخر : أن امرأً لو زنى بامرأة عالمًا بتحريم ذلك أو غير عالم ؛ إلا أنه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء ، فإن بره لا يلزم ذلك الولد أصلًا ويلزمه برّ أمه ، لأن الله تعالى أمره بذلك لها ، ولم يأمره بذلك فى الذى تولد من نطفته فقط ، ولا فرق فى العقل بين الرجل والمرأة فى ذلك ، ولا فرق فى المعقول وفى الولادة تولد الجنين من نطفة الواطىء لأمه بين أولاد الزنى وأولاد الرشدة ، لكن لما ألزم الله تعالى أولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح أو ملك يمين فاسدين أو صحيحين . برَّ آبائهم[٦٧] وشكرهم ، وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ، ولما لم يُلزِم ذلك أولاد الزانية ، يَلزَمهم .

وقد علمنا نحن وهم يقينا أن رجلين مسلين لو خرجا فى سفر فأغار أحدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كلَّ رجل بالغ فيها وأخذ جميع أموالهم ، وسبى ذراريهم ثم خمسَّ ذلك . بحكم الإمام العدل ووقع فى حظه أطفال قد تولى هو قتل آبائهم ، وسبى إمهاتهم ، ووقعن أيضًا بالقسمة الصحيحة فى حصته ، فنكحهن وصرف أولادهن فى كنس حشوشه[٦٩]، وخدمة دوابه

(٦٤) فى (أ) : (لخلاف) .
(٦٥) فى (أ) : سقطت (أو) .
(٦٦) فى (أ) : (ولم) .
(٦٧) فى (أ) : (إمائهم) .
(٦٨) فى (خ) : (العمة) .
(٦٩) حشوشة : بضم الحاء جمع مَحَشّه : بفتح الميم وكسرها وهى الأرض الكثيرة الحشيش .

وحرثه وحصاده ، ولم يكلفهم من ذلك إلا ما يطيقون وكساهم وأنفق عليهم بالمعروف كما أمر الله ، تعالى فإن حقه واجب عليهم بلا خلاف ، ولو أعتقهم فإنه منعم عليهم وشكره فرض عليهم ، وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد .

وأغار الثانى على قرية للمسلمين فأخذ صبيانًا من صبيانهم فاسترقَّهم فقط ولم يقتل أحدًا ولا سبى لهم حرمة فربَّى الصبيان أحسن تربية ، وكانوا فى قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال ، فرفَّه معاشهم[٧٠] وعلمهم العلم والإسلام وخوّلهم المال ثم أعتقهم ، فلا خلاف فى أنه لا حق له عليهم ، وأن ذمَّه وعداوته فرض عليهم .

وأنه لو وطىء امرأة منهن وهو محصن وكان أحدهم قد ولى حكمًا لزمه شرخ رأسه بالحجارة حتى يموت ، أفلا يتبين لكل ذى عقل من أهل الإسلام أنه لا محسن ولا منعم إلا الله تعالى وحده لا شريك له إلا من سماه الله محسنا أو منعمًا ، ولا شكر لازما لأحد على أحد إلا من ألزمه الله تعالى شكره ، ولا حق لأحد على أحد إلا من جعل الله تعالى له حقا ، فيجب كل ذلك إذا[٧١] أوجبه الله تعالى وإلا فلا .

وقد أجمعوا معنا على أن من أفاض إحسان الدنيا على إنسان إفاضة بوجه حرمه الله تعالى فإنه لا يلزمه شكره ، وأن من أحسن إلى آخر غاية الإحسان فشكره بأن أعانه فى دنياه بما لا يجوز فى الدّين فإنه مسىء إليه ظالم ، فصح يقينا أنه لا يجب شىء ولا يحسن شىء ، ولا يقبح شىء إلا ما أوجبه الله تعالى فى الدين ، أو حسَّنه الله فى الدين ، أو قبحّه الله فى الدين فقط . وبالله تعالى نتأيد .

وقال بعضهم : الكذب قبيح على كل حال .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، وقد أجمعوا معنا على بطلان هذا القول ، وعلى تحسين الكذب فى مواضع خمسة إذْ حسَّنه الله تعالى ، وذلك نحو إنسان ، مستتر من إمام ظالم يظلمه ويطلبه ، فسأل ذلك الظالم هذا الذى استتر عنده المطلوب وسأل أيضًا كل من عنده خبره وعن ماله ، فلا خلاف بين أحد من المسلمين فى أنه إن صدَقه ودلَّه على موضعه وعلى ماله فإنه عاص الله عزَّ وجل ، فاسق ظالم فاعل فعلًا قبيحًا ، وأنه لو كذبه وقال له لا أدرى مكانه ولا مكان ماله فإنه مأجور محسن فاعل فعلًا حسنا ، وكذلك كذب الرجل لامرأته فيما يستجُر به مودتها وحسن صحبتها ، والكذب فى حرب المشركين فيما يوجد به السبيل إلى إهلاكهم ويخلص[٧٢] المسلمين

---

(٧٠) فى (أ) : (معايشهم) .
(٧١) فى (أ) : (إذْ) .
(٧٢) فى (أ) : (وتخليص) .

منهم ، فصح أنه إنما قبح الكذب حيث قبحه الله عز وجل ، ولولا ذلك ما كان قبيحًا بالعقل أصلًا ، إذ ما وجب بضرورة العقل فمحال أن يستحيل فى هذا العالم ألبتة عما رتبه الله عز وجل فى وجود العقل إياه كذلك ، فصح كذبهم على المعقول(٧٣).

وقال بعضهم : الظلم قبيح .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، ونسألهم : ما معنى الظلم ؟ فلا يجدون إلا أن يقولوا : إنه قتل الناس وأخذ أموالهم وأذاهم ، وقتل المرء نفسه أو التشويه بها ، أو إباحة حرمة للناس ينكحونهن ، وكل هذا فليس شيء منه قبيحًا لعينه ، وقد أباح الله عزّ وجل أخذ أموال قوم بخراسان من أجل ابن عمهم قتل بالأندلس رجلًا خطأً لم يرد قتله ، لكن رمى صيدًا مباحاً له ، أو رمى كافرًا فى الحرب فصادف المسلمَ السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ، ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطأ امرأة قط إلا زوجة له عجوزًا شوهاء(٧٤) سوداء ، وطئها مرة ثم ماتت ، ولا يجد من أين ينكح ولا من أين يتسرى ، وهو شاب محتاج إلى النساء ، وحرَّم دم شيخ زنى وله مائة جارية كالنجوم حسنا ، إلا أنه لم تكن له قط زوجة .

وأما قتل المرء نفسه فقد حسَّن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل فى سبيل الله عز وجل وصدمة الجموع التى يوقن أنه مقتول فى فعله ذلك ، وقد أمر الله عز وجل من قبلنا بقتل نفسه ؛ قال تعالى : « فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ(٧٥)» . ولو أمرنا عز وجل بمثل ذلك لكان حسنا كما كان حسنا أمره عز وجل بذلك بنى إسرائيل ، وأما التشويه بالنفس فإن الختان والإحرام والركوع والسجود لولا أمره الله تعالى بذلك وتحسينه إياه لكان لا معنى له ، ولكان على أصولهم تشويهًا ، ودليل ذلك أن امرأً من الناس لو قام ثم وضع رأسه بالأرض(٧٦) فى غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثًا بلا شك مقطوعا عليه بالهوس ، وكذلك لو تجرّد المرء من ثيابه أمام الجموع فى غير حج ولا عمرة وكشف رأسه ، ورمى بالحصى وطاف بيت مهرولًا مستديرًا به لكان مجنونًا بلا شك ، لاسيما إن امتنع من قتل قمله ومن فلى رأسه ، ومن قص أظفاره وشاربه ، لكن لما أمر الله عز وجل بما أمر به من ذلك كان فرضًا واجبًا وحسنا ، وكان تركه قبيحًا وإنكاره كفرًا .

وأما إباحة المرء حُرمة للنكاح فهذا أعجب ما أتوا به ؛ أما علموا أن الله خلى بين عبيده(٧٧)

---

(٧٣) فى (أ) : (العقول) .

(٧٤) فى (أ) : (شعرها) وهو تحريف .

(٧٥) سورة البقرة : ٥٤

(٧٦) فى (أ) : (فى الأرض) .

(٧٧) فى (أ) : (عبده) .

وإمائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك ، فلم يفعل ؛ بل قوى آلاتهم وقوى شهواتهم على ذلك بإقرار المعتزلة ، فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لأن الله قبحه ولا مزيد ، ولو حسنه تعالى لحسن ، أما شاهدوا نكاح الرجال بناتهم من رجال ، ثم إن طلّق[٧٨] الرجل منهم المرأة من آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم ، وكذلك إن مات عنها ، فأى فرق فى العقول بين إباحة وطئها بلفظ زوجتك أو أنكحتك ، وبين حظر وطئها بالإطلاق عليه أو بلفظة قم فطأها ، فهل هاهنا قبيح إلا ما قبحه الله عز وجل ، أو حسن إلا ما حسن الله عز وجل .. ؟ !!

وقال بعضهم : الكفر قبيح على كل حال .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ، وما قبح الكفر إلا لأن الله قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ما قبح ، وقد أباح الله عز وجل كلمة الكفر عند التقية ، وأباح بها الدم فى غير التقية ، ولو أن امرأً اعتقد أن الخمر حرام قبل أن ينزل تحريمها لكان كافرًا ، ولكان ذلك منه كفرا إن كان عالمًا بإباحة الرسول ﷺ لها ، ثم صار ذلك الكفر إيمانا وصار الآن من اعتقد تحليلها كافرا ، وصار اعتقاد تحليلها كفرًا فصح أن لا كفر إلا ما سماه الله عز وجل كفرًا ، ولا إيمان إلا ما سماه إيمانا ، وأن الكفر لا يقبح إلا بعد أن قبحه الله عز وجل ، ولا حسن[٧٩] الإيمان إلا بعد أن حسنه الله عز وجل ، فبطل كل ما قالوه فى الجور والكفر والظلم ، وصح أنه لا ظلم إلا ما نهى الله عنه ولا جور إلا ما كان كذلك ، ولا عدل إلا ما أمر الله تعالى به أو أباحه أى شىء كان ، وبالله تعالى التوفيق .

فإذ هذا كما ذكرنا فقد صح أنه لا ظلم فى شىء من فعل البارى تعالى ، ولو أنه تعالى عذَّب من لم يقدره على ما أمر به من طاعته لما كان ذلك ظلما إذ لم يسمه تعالى ظلما ، وكذلك ليس ظلمًا خلقه تعالى للأفعال التى هى من عباده عزّ وجل كفر وظلم وجور ، ولأنه لا آمر عليه تعالى ولا ناهيا ؛ بل الأمر أمره والملك ملكه .

وقالوا : تكليف ما لا يطاق ثم التعذيب عليه قبيح فى العقول جملة ، لا يحسن بوجه من الوجوه فيما بيننا ، فلا يحسن من البارى تعالى أصلًا .

قال أبو محمد : نسى هؤلاء القوم ما لا يجب أن ينسى ، ويقال لهم : أليس[٨٠] قول القائل فيما بيننا : اعبدونى[٨١]، اسجدوا لى قبيحًا لا يحسن بوجه من الوجوه ولا على حال من

---

(٧٨) فى (أ) : (يطلق) .
(٧٩) فى (أ) : (ولا يحسن) .
(٨٠) فى (خ) : (ليس) .
(٨١) فى (أ) : (أن اعبدونى) .

الأحوال .. ؟ فلابد من نعم ، فيقال لهم : أوليس هذا القول من الله تعالى حسنا وحقا ، فلابد من نعم ، فإن قالوا : إنما قبح ذلك منّا لأننا لا نستحقه ؛ قيل لهم : وكذلك إنما قبح منا تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه لأننا لا نستحق هذه الصفة ، وأى شىء أتوابه من الفرق فهو راجع عليهم فى تكليف ما لا يطاق ، ولا فرق ، وكذلك الممتن بإحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال ، وهو من الله تعالى حسن وحق ، وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمتن[٨٢] بإحسانه .

فإن قالوا : حسُن ذلك منه لأن الكل خلقه . قيل لهم : وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لأن الكل خلقه ، وكذلك فيما بيننا من عذّب حيوانًا بالنتف والضرب ثم أحسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل حال[٨٣] وُجِّه ، وفاعله عابث ، وهم يقولون ان البارى أباح ذلك فى الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها على ذلك ، وهذا منه عزّ وجل حسن ، إلا أن يلجأوا إلى أنه تعالى لا يقدر على تعويض الحيوان إلا بعد إيلامها وتعذيبها ، فهذا أقبح قول وأبينه كذبًا وأوضحه قحه وأتمه كفرًا وأذّمه للبارى تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فإن قالوا : إن إيلام الحيوان قد يحسن فيما بيننا مثل أن يسقى الإنسان من يحب ماء الأدوية الكريهة ، ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك إلى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل إليها .

قال أبو محمد : وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه أصحابنا فى هذه المسألة ، ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه إلا بعد الأذى الذى هو أقل من النفع الذى يصل إليه بعد ذلك الأذى ، وإنما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون أن يبتدئه بالأذى ؛ ثم لا ينفعه إلا حتى يؤذيه .

قال أبو محمد : وكذلك تكليف من يدرى المرء أنه لا يطيقه وأنه إذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا ، فقال قائل منهم : إن هذا قد يحسن فيما بيننا ، وذلك أن يكون المرء يريد أن يقرب عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدرى أنه لا يطيعه فإن نهيه له حسن .

قال أبو محمد : وهذا كالأول ولا فرق ، ولم نسألهم عمن لم[٨٤] يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له إلا بتكليفه أمامه ما لا يطيعه فيه ، ولا عمن لا يقدر على منع العاصى له بأكثر من النهى ، وإنما نسألهم عمن لا منفعة له فى أن يعلم زيد معصية غلامه له ، وعمن يقدر على أن يعرف زيدًا بذلك ويقرره عنده بغير أن يأمر من لا يطيعه ، وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك ، إلا أن يعجزوا ربهم كما ذكرنا ، فهذا مع أنه كفر فهو أيضًا كذب ظاهر ، لأنه

---

(٨٢) فى (أ) : (يمن) .
(٨٣) فى (أ) : (على كل وجه) .
(٨٤) فى (أ) : (عمن لا يقدر) .

تعالى قد أخبر عن أهل النار أنهم لو وُرُّدوا لعادوا لما نهو عنه ، فتقرر هذا عندنا تقررًا لو رأينا ذلك عيانًا ما زادنا علمًا بصحته ، وكذلك قد شاهدنا قومًا آخرين أرادوا ضروبًا من المعاصى فحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوائل ، وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوى الدواعى لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها ، فلاح كذب المعتزلة وعظيم إقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ، ومخالفتهم للمعقول وقوّة جهلهم وتناقضهم . نعوذ بالله من الخذلان .

ثم بعد هذا كله فأى منفعة لنا فى تعريفنا أن فرعون يعصى ولا يؤمن ، وما الذى ضرّ الأطفال إذا ماتوا قبل أن يعرفوا سِرَّ(٨٥). من أطاع ومن عصى .

ونسألهم أيضًا عمن أعطى آخر سيوفًا وخناجر وعتلا للنقب ، وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص ، وهو يدرى أنه لا يستعمل شيئًا من ذلك فى الجهاد إلا فى قطع الطريق والتلصص ، وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهرة وبغاء ، وأخلى له منزلا مع كل ذلك ، أليس عابثا ظالمًا بلا خلاف .. ؟ !! فلابد من نعم ، ونحن وهم نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوى التى بها عصوا وهو يدرى أنهم يعصونه بها ، وخلق الخمر وبثها بين أيديهم ولم يحل بينهم وبينها ، وليس ظالمًا ولا عابثًا ، فإن عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر ، وإن من عجز عن منع الخمر من شاربها وهو يَقدر على ذلك لفى غاية الضعف والمهانة ، أو مريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه ، وهذا قولنا لا قولهم .

قال أبو محمد : فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب إلا أن بعضهم قال : إنما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ، ولأن ذلك وهذا محظور علينا ، ولو أن امرءاً له منا عبيد وقد صح عنده بإخبار النبى عليه الصلاة والسلام لا يؤمنون أبدًا ؛ فإن كسوتهم وإطعامعهم مباح له .

قال أبو محمد : وهذا عليهم لا لهم وإقرار منهم بأنه إنما قبح ذلك منا لأنه محرم علينا ، وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن أنهم لا يؤمنون ، وإنما حسن ذلك لأننا مأمورون بالإحسان إليهم(٨٦) وإن كانوا كفارًا ، ولو فعلنا ذلك بأهل دار الحرب لكنا عصاة لأننا نهينا عن ذلك ، ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن إلا ما أمر الله تعالى فقط ، وأما قولهم إن ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح فليقنعوا بهذا ممن(٨٧) أجابهم بهذا بعينه فى الفرق بين حسن تكليف الله تعالى ما لا يطاق ، وتعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا ، وأنه إنما قبح منا لجهلنا بالمصالح .

---

(٨٥) فى (أ) : سقطت كلمة (سرّ) .
(٨٦) فى (أ) : (إلى العبيد) .
(٨٧) فى (أ) : (فمن) .

قال أبو محمد : وأم نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما أدى إلى النار والخلود فيها بلا نهاية ، ولكننا نقول : قبح منا ما نهانا الله عنه وحسن منا ما أمرنا به ، وكل ما فعله ربنا تعالى الذى لا آمر فوقه فهو عدل وحسن ، وبالله تعالى التوفيق .

وسألهم أصحابنا فقالوا : إن المعهود بيننا أن الحكيم لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو دفع مضرة ، ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه ، والبارى تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم .

فقالت طائفة من المعتزلة : إن البارى تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنهم .

وقالت طائفة منهم : لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيمًا لأنه يفعل لاجتلاب المنافع أو(٨٨) دفع المضار ، لأنه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل مُتَشَفٍّ وإن لم يكن حكيمًا ، وإنما سمى الحكيم حكيمًا لإحكامه عمله .

قال أبو محمد : وكل هذا ليس بشيء لأن من الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت ، والنحل ودود القز ، ولا يسمى شيء من ذلك حكيما ، ولكن إنما سمى الحكيم حكيمًا على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرذائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيمًا عاقلا ، وهكذا هو فى الشريعة ، لأن جميع الفضائل إنما هى طاعات لله عز وجل ، والرذائل إنما هى معاصيه ، فلا حكيم إلا من أطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه ، وعمل ما أمره ربه عز وجل ، وليس من أجل هذا يسمى البارى حكيما . إنما سمى حكيمًا لأنه سمى نفسه حكيمًا فقط ، ولو لم يسمى نفسه حكيمًا ما سميناه حكيمًا ، كما لم نسمه عاقلًا إذا لم يُسَمّ بذلك ، ثم نقول لهم : وأما قولكم إنما سمى الله حكيمًا لفعله الحكمة ، فأنتم مقرون أنه أعطى الحكمة .](٨٩).

وأما من قال منهم إنه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع إلى عباده ودفع المضار عنه فكلام فاسد إذا قيل على عمومه ، لأن كل مستضر بفعله(٩٠) فى دنياه وأخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة ، وقد كان قادرًا على صرفها عنه إلا أن يعجّزوه عن ذلك فيكفروا .

وسألهم أصحابنا فقالوا : إذا كان الله عز وجل لا يفعل إلا ما هو عدل بيننا فلم خلق من يدرى أنه يكفر به . وأنه سيخلده بين أطباق النيران أبدًا ؟ فأجابوا عن هذا بأجوبة ، فمن أظرفها

---

(٨٨) فى (أ) : (ودفع) .

(٨٩) فى (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .

(٩٠) فى (أ) : (يفعله) وهو تحريف .

أن كثيرا منهم قالوا : لو لم يخلق من يكفر به ويخلده فى نار جهنم لما استحق العذاب أحد ولا دخل النار أحد .

قال أبو محمد : ويكفى من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب .

ونقول له : ذلك ما كنا نبغى ، وهل الخير كله على ما بيننا إلا أن لا يُعذَّبَ أحد بالنار ، وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذى لا عدل عندنا سواه إلا نجاة الناس كلهم من الأذى واجتماعهم فى النعيم الدائم ، ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون .

وأجاب بعضهم فى هذا بأن قال : لو كان هذا لسلم الجميع من اللوم ، ولكان لا شىء أوضع ولا أخس من العقل لأن الذى لا عقل له سالم من العذاب واللوم ، والأمم كلها مجمعة على فضل العقل .

قال أبو محمد : لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف ، لأن العقل على الحقيقة إنما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصى ، وما عدا هذا فليس عقلًا ، بل هو سخف وحمق .

قال الله عز وجل حكاية عن الكفار أنهم قالوا : « لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فى أَصْحَابِ السَّعِيرِ[٩١]» . ثم صدقهم الله عز وجل فى هذا فقال : « فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرْ[٩٢]» فصدق الله تعالى من عصاه أنه لا يعقل .

ثم نقول لهم : نعم لا منزلة أخسّ ولا أوضع ولا أسقط من منزلةٍ وموهبةٍ أدت إلى الخلود فى النيران ، عقلا كانت أو غير عقل ، على قولكم فى العقل . لكن كان كون الإنسان حشرة أو دودة أو كلبًا أحظى له وأسلم وأفضل عاجلًا وآجلا ، وأحب إلى كل ذى عقل صحيح وتمييز غير مدخول ، وإذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالًا على صاحبه وسببًا إلى تكليفه أمورًا لم يأت بها فاستحق النار ، فلا شك عند كل ذى حس سليم فى أن عدمه خير من وجوده .

فإن قالوا : إن التكليف لم يوجب عليه دخول النار ، قلنا : نعم ؛ ولكنه كان سببا إلى ذلك ، ولولا التكليف لم يدخل النار أصلًا ، وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم ؛ وهى قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماَوات والأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْن مِنْها وَحَمَلَها الإِنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا[٩٣]» .

(٩١) سورة الملك : ١٠
(٩٢) سورة الملك : ١١
(٩٣) سورة الأحزاب : ٧٢

فحمَد الله تعالى إباءَ الجمادات من قبول التمييز الذى به وقع التكليف ، وتحمل أمانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الإنسان لتحملها ، وسمى ذلك منه ظلمًا وجهلًا وجورًا ، وهذا معروف فى بنية العقل والتمييز أن السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المودى إلى الهلاك أو إلى الغنم .

وقال بعضهم : خلق الله عز وجل من يكفر ، ومن يعلم أنه يخلده فى النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين .

قال أبو محمد : وهذا خبط لا عهد لنا بمثله ، وهذا غاية السخف والعبث والظلم ؛ فأما العبث فإن فى العقول منَّا أن من عذب واحدًا ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف ، وأما الجور فأىُّ جور أعظم فيما بيننا من أن يخلق قومًا قد علم أنه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين فى النعيم ، فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والإنس ؟ وهل هذا على أصولهم إلا غاية المحاباة والظلم والعبث .. ؟ !! تعالى الله عن ذلك ؛ يفعل ما يشاء لا معقّب لحكمه .

وسألهم أصحابنا عن إيلام الله عز وجل الصغارَ والحيوان وإباحته تعالى ذبحها ، فوجموا عند هذه ، وقال بعضهم لأن الله تعالى يعوضهم على ذلك .

قال أبو محمد : وهذا غاية العبث فيما بيننا ، ولا شىء أتم فى العبث والظلم ممن يعذّب صغيرًا ليحسن بعد ذلك إليه ، فقالوا : إن تعويضه بعد العذاب بالجدرى والأمراض أتم وألذ من تنعيمه دون تعذيب .

قال أبو محمد : وفى هذا عليهم جوابان :

أحدهما : أن نقول[٩٤] لهم : أكان الله تعالى قادرًا على أن يُوَفِّى الأطفال والحيوان ذلك النعيم دون إيلام أو كان غير قادر على ذلك ؟ فإن قالوا كان غير قادر جمعوا مع الكفر الجنون لأن ضرورة العقل يُعْلَم بها أنه إذا قدر على أن يعطيهم مقدار مًّا من النعيم بعد الآيلام فلا شك فى أنه قادر على ذلك المقدار نفسه دون إيلام يتقدمه ، ليس فى العقل غير هذا أصلا ، إذ ليس هاهنا منزلة زائدة فى القدرة ولا فعلان مختلفان ؛ وإنما هو عطاء واحد لشىء واحد فى كلا الوجهين .

وإن قالوا إنه قادر على ذلك فقد وجب العبث على أصولهم ، أفكان[٩٥] قادرًا على أن يعطيهم دون إيلام ما لم يعطهم إلا بعد غاية الإيلام ؟

---

(٩٤) فى (أ) : (يقول) .
(٩٥) فى (أ) : (إذ كان) .

والجواب الثانى : أنا نريهم[٩٦] صبيانًا وحيوانا أَمَاتَهُمْ فى خير دون إيلام ، وهذه محاباة وظلم للمؤلَم منهم .

فقالوا : إن المؤلم يزداد[٩٧] فى نعيمه لأجل إيلامه .

فقلنا لهم : فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم ، فهلَّا آلم الجميع ليسوىَ[٩٨] بينهم فى النعيم ؟ أو هلَّا سوى[٩٩] بينهم فى النعيم بأن لا يؤلم منهم أحدًا ؟ وهذا ما لا انفكاك منه ألبتة .

وقال بعضهم : فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم .

قال أبو محمد : وهذا غاية الجور بيننا ، ولا عبث أعظم من أن يعذب إنسان لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين ، والله تعالى قد أنكر هذا بقوله تعالى : « وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[١٠٠]» .

فقد انتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا[١٠١]، ولقد كان على أصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة[١٠٢] وإيلامه البغاة بذلك غيرهم أدخل فى العدل والحكمة من أن يؤلم طفلًا أو حيوانا لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سببا إلى كفر كثير من الناس .

وأجاب بعضهم فى ذلك بأن قال إنما فعل عز وجل ذلك بالأطفال ليأجر آباءهم .

قال أبو محمد : وهذا كالذى قبله فى الجور ، سواء بسواء أن يؤذى من لا ذنب له ليأجر بذلك مذنبًا أو غير مذنب ، حاشا لله من هذا إلا أن فى هذا مرية[١٠٣] من التناقض ، لأن هذا التعليل ينقض عليهم فى أولاد الكفار ، وأولاد الزنى ممن قد ماتت أمه ، وفى اليتامى ممن فقدوا آباءهم وأمهاتهم ، ورُبَّ طفل قد قتل الكفارُ أو الفساقُ أباه وأمه وتُرِك هو بدار مُضَيَّعة حتى مات هزلًا أو أكلته السباع ، فليت شعرى من وعظ بهذا ؛ أو من أُجِرَ به ؟ مع أن هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا ألبتة بوجه من الوجوه يعنى أن يُؤْذَى[١٠٤] إنسان لا ذنب له لينتفع بذلك آخرون ، وهم يقولون إن الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ، ولجأ بعضهم إلى أن قال إن الله عز وجل فى هذا سرًّا من الحكمة والعدل نوقن به وإن كنا لا نعلم لم هو ؟ ولا كيف هو ؟

(٩٦) فى (أ) : (أن نريهم) .
(٩٧) فى (أ) : (لم يزداد) وهو تحريف .
(٩٨) فى (أ) : (ليستوى) وهذا تحريف .
(٩٩) فى (أ) : (تستوى) .
(١٠٠) سورة الأنعام : ١٦٤
(١٠١) جاءت هذه العبارة فى الأصل [فقد انتفى الله عن الظلم حقا] .
(١٠٢) فى (خ) : (الأطفال) .
(١٠٣) فى (أ) : (مزيّه) وهو تحريف .
(١٠٤) فى (أ) : (أن نؤذى) .

قال أبو محمد : وإذ قد بلغوا هاهنا فقد قرب أمرهم بعون الله تعالى ، وهو أنه يلزمهم تصديق من يقول لهم : ولله تعالى فى تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سرٌّ من الحكمة نوقن[١٠٥] به ولا نعلمه .

قال أبو محمد : وأما نحن فلا نقول بهذا ، بل نقول إنه لا سر هاهنا أصلًا ، بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ، ولله الحجة البالغة لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

قال أبو محمد : ولجأت طائفتان منهم إلى أمرين . إحداهما : قول بكر[١٠٦] ابن أخت عبد الواحد بن زيد فإنه قال : إن الأطفال لا يألمون ألبتة .

قال أبو محمد : ولا ندرى لعله يقول مثل ذلك فى الحيوان .

قال أبو محمد : وهذا انقطاع سمج ولجاج فى الباطل قبيح ودفع للعيان والحس ، وكل أحد منا قد كان صغيرًا ونوقن أننا كنا نألم الألم الشديد الذى لا طاقة لنا بالصبر عليه .

والثانية أحمد بن خَابِط[١٠٧]. البصرى وفضل[١٠٨] الحدثى . وكلاهما من تلاميذ النظام فأنهما قالا : إن أرواح الأطفال وأرواح الحيوان كانت فى أجساد قوم عصاة فعقوبت بأن ركبت فى أجساد الأطفال والحيوان لتُؤلَم عقوبة لها .

قال أبو محمد : ومن هرب عن الإذعان للحق أو عن الإقرار بالانقطاع إلى الكفر والخروج عن الإسلام فقد بلغ إلى حالة ما كنَّا نريد أن يبلغها ، لكن إذا آثر الكفر فإلى لعنة الله وحرِّ سعيره ، ونعوذ بالله من الخذلان ، وإنما كلامنا هذا مع من يتقى[١٠٩] مخالفة أهل[١١٠] الإسلام ، فأما أهل الكفر فقد تَمّ – ولله الحمد – إبطالنا لقولهم ، وقد أبطلنا قول أصحاب التناسخ فى

---

(١٠٥) فى (أ) : (يوقن) .

(١٠٦) سماه صاحب الميزان بكر بن زياد الباهلى ، وذكر عن ابن حيان أنه قال عنه « دجال يضع الحديث عن ابن المبارك » ثم ساق عنه حديثًا وقال يعلق عليه ، وهذا لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع .

ويقول عنه البغدادى : « كان يوافق النظام فى دعواه أن الإنسان هو الروح دون الجسد الذى فيه الروح ويوافق أصحابنا فى إبطال القول بالتولد ، وفى أن الله تعالى هو مخترع الألم عند الضرب ، وأجاز وقوع الضرب من غير حدوث ألم » .

راجع : ميزان الاعتدال : حـ ١ ص ٣٤٥ والفرق بين الفرق ص ٢١٢

(١٠٧) أحمد بن خابط : « ذكره الحافظ ابن حجر والسفارينى بالحاء المهملة وبعد الألف همزة ، والتحقيق أنه بالخاء المعجمة وبعد الألف باء موحده . وهو رئيس فرقة الخابطية من القدريه وكان من أصحاب النظام فى الاعتزال وله قول فى التناسخ ، وقد قال ومعه فضل الحدثى أن للخلق ربين وخالقين أحدهما قديم وهو الله سبحانه والآخر مخلوق ، وهو عيسى بن مريم وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة ، وزعما أيضًا أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة » (راجع : الفرق بين الفرق ص ٢٧٧) .

(١٠٨) فضل الحدثى : منسوب إلى الحديثة ، وهى بلد على شاطىء الفرات ، وقد وقع فى شرح عقيدة السفارينى حـ ١ ص ٧٩ الحدبى بباء موحدة تحتيه ، وفضل هنا ملحد زنديق كان من أصحاب النظام ثم هجره النظام وطرده ، وقد جاء اسمه فى الأصل محرفًا تحت : الفضل الحربى . المصدر السابق ص ٢٧٧

(١٠٩) فى (خ) : (ينتفى) .

(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (أهل) .

صدر كتابنا هذا والحمد لله ، فأغنى عن إعادته ، وإذا بلغ خصمنا إلى مكابرة الحسّ أو إلى مفارقة الإسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ، ولله تعالى الحمد .

قال أبو محمد : فإن لجأوا إلى قول معمرّ والجاحظ ، وقالوا إن آلام الأطفال هى فعل الطبيعة لا فعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع ، بل نقول لهم : هل الله عز وجل قادر على معارضة هذه الطبيعة المقطّعة لحم هذا الصبى بالجدرى والأكلة والخنازير(١١١) المعذّبة له(١١٢) بالحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت ، والعدوّ القاسى القلب يرحمه وتنقطع(١١٣) له نفسه لعظيم ما يرى به من التضور والأوجاع ؛ بقوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب ، أم(١١٤) هو تعالى غير قادر على ذلك ؟

فإن قالوا هو غير قادر على ذلك ، فما فى العالم أعجز ممن تغلبه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فى من هى فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقير(١١٥) ضعيف من خلقه ، فهل فى الجنون والكفر أكبر(١١٦) من هذا القول ؛ أن يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فى من هى فيه ثم لا يقدر على كفّ عملها الذى هو وضعه فيها .

وإن قالوا : بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفّها ولم يفعل دَخل فى نفس ما أنكر وأقر(١١٧) ربه على أصله الفاسد بالظلم والعبث ، وبالضرورة ندرى أن من رأى طفلًا فى نار أو ماء وهو قادر على استنقاذه بلا مئونة ولم يفعل فهو عابث ظالم ، ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكيم العدل فى حكمه لا العابث ولا الظالم ، وهذا هو الذى أعظموا من أن يكون قادرًا على هدى الكفار ولا يفعل ، ولجأ بعضهم إلى أن قال : لو عَاش هذا الطفل لكان طاغيًا ، قلنا لهم لم نسألكم بعد عن من مات طفلًا ، إنما سألناكم عن إيلامه قبل بلوغه . ثم نجيبهم عن(١١٨) قولهم فيمن مات من الأطفال أنه لو عاش لكان طاغيًا ، فنقول لهم : هذا أشدُّ فى الظلم أن يعذبه على ما لم يفعل بعد .

قال أبو محمد : ووجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان وأكله ، وأباح ذبح بعضه ، وأوجب ذبح بعضه إذا نذر الناذر ذبحه قربانًا ، فنقول للمعتزلة : أخبرونا ما كان ذنب

---

(١١١) فى (أ) : (المعدية) .
(١١٢) فى (أ) : (ووجع الحصاة) .
(١١٣) فى (أ) : (ويتقطع له) .
(١١٤) فى (أ) : (أو) .
(١١٥) فى (أ) : (بعقار).
(١١٦) فى (أ) : (أكثر) .
(١١٧) فى (أ) : (وأقرّ على ربّه) .
(١١٨) فى (أ) : (على) .

الذى أبيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار وأكله ، أو ما[١١٩] كان ذنب الذى حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذى تدعونه ، أو ما كان بخت الذى حرم إيلامه ، ووجدناه عزّ وجل قد أباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لأمهاتها من الحنين والوله كالإبل والبقر ، فأىُّ فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هى وبين ما حرم من ذبح أطفالنا وصغار أولاد أعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا ، وإن طردوا دعواهم فى المصلحة لربهم أن كل من له مصلحة فى قتل غيره كان له قتله ، فإن قالوا لا يجوز ذلك إلا حيث أباحه الله عزَّ وجل تركوا قولهم ووفقوا[١٢٠] للحق .

قال أبو محمد : ووجدناه[١٢١] تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس إذا أعطونا دينارًا أو أربعة دنانير فى العام وهم يكفرون بالله تعالى ، وأباح قتل مسلم فاضل قد تاب وأصلح لزنى سلف منه وهو محصن ، ولم يبح لنا استبقاء مشركى العرب من عُبَّاد الأوثان إلا بأن يسلموا ولابد . فأىّ فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا إبقاء هم لذُهَيْبَةٍ[١٢٢] نأخذها منهم فى العام .

قال أبو محمد : وقالوا لنا هل فى أفعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إما أن يكون فى أفعاله تعالى عبث يوصف به أو عيب يضاف إليه أو ضلال يوصف به أو نقص[١٢٣] له أو جور منه أو ظلم منه أو مذموم منه ؛ فلا يكون ذلك أصلًا ، بل كل أفعاله عدل وحكمة وخير وصواب منه ، وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ، ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه .

ثم نسألهم فنقول لهم : هل فى أفعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام وأقذار وأنتان ونجس وسخنة للعين وسوادُ للوجه ؟ . فإن قالوا لا . أكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأَرْضِ وَلَا فى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فى كِتَابٍ من قبل أَنْ نَبْرَأَها[١٢٤] » . وموت الأنبياء وفرعون وإبليس وكل ذلك مخلوق .

وإن قالوا إن الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شيء منه إلى الله عز وجل على الوجه المذموم ؛ لكن على الوجه المحمود . قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق .

فأن قالوا : أترضون بأفعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم ، بمعنى أننا مسلمون لفعله

(١١٩) فى (أ) : (وما) .
(١٢٠) فى (أ) : (ووقفوا) وهو تحريف .
(١٢١) فى (أ) : (وجدناه) .
(١٢٢) فى (أ) : (لذهب نأخذه) .
(١٢٣) فى (أ) : (أو نقص ينسب إليه) .
(١٢٤) سورة الحديد : ٢٢ .

وقضائه ، ومن الرضى بفعله وقضائه أن نكره ما كرَّه إلينا ، قال تعالى : « وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ[١٢٥]» .

ثم نسألهم عن هذا بعينه فنقول لهم أترضون بفعل الله تعالى وقضائه ؟ فإن قالوا نعم . لزمهم الرضى بقتل من قُتِل من الأنبياء وبالخمور والأنصاب والأزلام وبإبليس ، ويلزمهم أن يرضى منهم بالخلود فى النَّار من خلّد فيها وفى هذا ما فيه ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وسأل بعض أصحابنا بعض المعتزلة فقال : إذا كان عندكم إنما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم أنهم لا يؤمنون وأنه سيعذبهم بين أطباق النيران أبدًا ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم ، فقال له المعتزلى : إن المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه من الأطفال أكثر من الكفار بكثير جدًا .

قال أبو محمد : ولم يخرج بهذا الجواب مما ألزمه السائل ، لأن الموعظة كانت تتم بخلق واحد ، هذا لو كان لخلق[١٢٦] من يُعَّذب ليوعظ به آخر وجه فى الحكمة بيننا ، وأيضا فلولا ذكره الملائكة لكان كاذبًا فى ظنه أن عدد الداخلين فى الجنة من الناس أكثر من الداخلين النار لأن الأمر خلاف ذلك ، لأن الله عز وجل يقول : « فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا[١٢٧]» .

وقال تعالى : « وَمَا أَكْثَرُ النَّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِين[١٢٨]» .

وقال تعالى : وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ[١٢٩]» .

وقال تعالى : « إِلَّا الَّذِينَ آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ[١٣٠]» .

فليت شعرى فى أى حكمة وجدوا فيما بينهم أو بيننا أو فى أى عدل خَلْق من يكون أكثرهم مخلدين فى جهنم على أصول هؤلاء الجهال .

وأما نحن فإنه لو عذب أهل السماوات كلهم وجميع من عمر الأرض لكان عدلًا منه وحقًا له وحكمة منه ، ولو لم يخلق النار وأدخل كل من خلق الجنة لكان حقا منه وعدلًا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق إلا ما فعل وما أمر به .

قال أبو محمد : ولجأ قوم منهم إلى أن قالوا إن الله تعالى لم يعلم من يكفر ولا من يؤمن ،

---

(١٢٥) سورة الحجرات : ٧ .
(١٢٦) فى (أ) : (يخلق) .
(١٢٧) سورة الإسراء : ٨٩ .
(١٢٨) سورة يوسف : ١٠٣ .
(١٢٩) سورة الأنعام : ١٦٦ .
(١٣٠) سورة ص : ٢٤ .

وأقروا أنه لو علم من يموت كافرًا لكان خلقه له جورًا وظلمًا .

قال أبو محمد : وهؤلاء أيضًا مع عظيم ما أتوابه من الكفر فى تجهيل ربهم تعالى فلم يخلصوا[١٣١] مما ألزمهم أصحابنا ، لأنه ليس من الحكمة خلق من لا يدرى أيموت كافرًا فيعذبه أم لا ، وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة على جهاله ، وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه أن لا يغرر ، وقد كان البارى تعالى قادرًا على أن لا يخلق كما قد كان تعالى لم يزل لا يخلق ثم خلق إلا أن يلجأوا[١٣٢] إلى أنه تعالى لا يقدر على أن لا يخلق ، فجعلوه[١٣٣] مضطرًا ذا طبيعة غالبة ، وهذا كفر مجرد محض ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وإذا أقرت المعتزلة أن أطفال بنى آدم كلهّم أولاد المشركين وأولاد المسلمين ؛ فى الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف ؛ فقد نسوا قولهم الفاسد أن العقل أفضل من عدمه ، بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير إلا فى عدم العقل ، فكيف فارقوا هذا الاستدلال ؟

وأما نحن فنقول : إن من أسعده الله تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشىء من الفتن أعلى حالًا من كل خلقٍ غيرهم ، ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وأمنهم من المعاصى ، ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمنى الجن والإنس الذين لا يدخلون النار ، والحور العين اللاتى خلقن لأهل الجنة ، على أن لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم فى الدنيا ، ثم يوم الحشر فى هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذى لا يفى[١٣٤] به شىء إلا السلامة منه ، ولا يهنأ معه عيش حتى يخلص منه ، وقد تمنّى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء أن لو كانوا نسيًا منسيًا فى الدّنيا ولا يُعرَّضوا لما عرضوا له ، على أنهم قد أمنوا بالضمان التام الذى لا يبخس ، ولقد أصابوا فى ذلك ؛ إذ السلامة لا يعدلها شىء إلا عند عقول المعتزلة القائلين أن الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بأنواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من أن يتقدمه بلاء . ثم الأطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ، ومن بلغ ولا تمييز له ، ثم منزلة من دخل النار ثم أُخرج منها بعد أن دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه ، وأمَّا من يخلَّد فى النار فكل ذى حس سليم توقن نفسه بيقين ضرورة أن الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات أحسن حالًا فى الدنيا والآخرة منه ، وأعلى مرتبة وأتم سعدًا وأفضل صفة وأكرم عناية عند البارى تعالى منه .

---

(١٣١) فى (أ) : (يتخلصوا) .
(١٣٢) فى (أ) : (يلجأ) .
(١٣٣) فى (أ) : (فيجعلوه) .
(١٣٤) فى (أ) : (لا يقى) بالقاف .

ويكفى من هذا إخبار الله تعالى إذ يقول : « وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا[١٣٥] » . فنصَّ تعالى على أن حال الجمادية أحسن من حاله ، فاعجبوا للمعتزلة القائلين إن الله تعالى أعطى من يتمنى يوم القيامة أن يكون ترابًا أفضل عطية عنده ولم يترك فى قدرته أصلح مما عمل به ، وأن خلقه له كان خيرًا له من ألا يخلقه ، ونحن نعوذ بالله لأنفسنا من أن يعمل بنا ما عمل بهم .

قال أبو محمد : ومن عجائبهم قولهم إن الله تعالى لم يخلق شيئا لا يعتبر به أحد من المكلفين .

قال أبو محمد : فنقول لهم : ما دليلكم على هذا ، وقد علمنا بضرورة الحس أن لله تعالى فى قعور البحار وأعماق الأرض أشياء كثيرة لم يرها إنسان قط ، فلم يبق إلا أن تدعوا غوص[١٣٦] الملائكة والجن فى عمق الجبال وقعور البحور ، فهذه دعوى مفتقرة إلى دليل ، وإلا فهى باطلة ، قال عز وجل : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين[١٣٧] » . وأيضًا فمما يبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم على الله أن الله تعالى إذا خلق زيدًا وله من الطول كذا وكذا فإنه لو خلقه على أقل من ذلك الطول بإصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد ، وهكذا كل مقدار من المقادير ، فإن ادّعوا أن الزيادة فى العدد زيادة فى العبرة لزمهم أن يلزموا ربهم تعالى أن يزيد فى مقدار طول كل ما خلق لأنه كان يكون زيادة فى الاعتبار وإلا فقد قصر ، وبالجملة فهو سهم لا يحصيه إلا الذى خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به .

قال أبو محمد : وهم مقرُّون أن العقول معطاة من عند الله عز وجل ، فنسألهم أفاضَلَ بين عباده فيما أعطاهم من العقول أم لا ؟ فإن قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك أن عقل النبى ﷺ وتمييزه وعقل موسى وعيسى وإبراهيم وأيوب[١٣٨] وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ، ثم تمييز أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعقولهم وتمييز أمهات المؤمنين وبنات النبى ﷺ ورضوان الله

---

(١٣٥) النبأ : ٤٠ .

(١٣٦) فى (أ) : (عوض) .

(١٣٧) سورة البقرة : ١١١ .

(١٣٨) أيوب : اسم أعجمى غير منصرف كسائر نظائره ، وقيل عربى معناه الرجوع إلى الحق فى جميع أحواله من المحنة والبلاء ، والمحنة والرخاء ، من آب يؤوب أوبًا وإيابًا فهو آيب وأواب ، وقيل فى اللغة العبرية معناه أيضًا الرجوع إلى الله فى كل حال وفى الصحيحين عن النبى - ﷺ - بينا أيوب يغتسل عريانًا خرّ عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم اكن أغنيتك عما ترى .. ؟ قال : بلى يا رب ولكن لا غنى بى عن بركتك » . وكان أيوب ببلاد حوران من الشام وقبره فى قرية بقرب « نوى » عليه مشهد ومسجد وقرية موقوفة على مصالحة ، وعين جارية ، وهناك صخرة عليها مشهد يقولون : إنه كان يستند إليها . بصائر ذوى التميز حـ ٦ ص ٥٩ ، ٦٠

على جميع من ذكرنا وعقولهن ، ثم تمييز سقراط[١٣٩] وأفلاطون[١٤٠] وأرسطو[١٤١] وعقولهم ليس شيء من ذلك أفضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث البغاء الزَّفّان[١٤٢] ولهذه الزانية الخليعة[١٤٣] المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذى يلعب مع الصبيان بالكعاب فى الخانات ويعجفهم[١٤٤] إذا قدر ، ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من أعطى الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز ؛ فقد كفى خصمه هوسه[١٤٥]، وإن قالوا : بل الله تعالى فاضَل بين عباده فيما أعطاهم من العقل والتمييز ، قيل لهم صدقتم ، وهذا هو المحاباة والجور على أصولكم ، ولا محاباة على الحقيقة أكثر من هذه[١٤٦]، وهى عندنا حق وعدل منه تعالى ، لا يُسأل عما يفعل ، ولعمرى إنَّ فيهم لعبجا ، إذ يقولون : إن الله تعالى لم يعط أحدًا من خلقه إلَّا ما أعطى سائرهم ، فهلَّا إن كانوا صادقين ساوى جميعهم إبراهيم النظام ، وأبا هذيل العلّاف ، وبشر بن المعتمر ، والجبائى فى دقة نظرهم وقوّتهم على الجدال ؛ إذ كلهم فيما منحهم الله عزَّ وجل من ذلك سواء ، فإذ لا شك فى عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك فى أنَّ كل أحدٍ لا يقدر أن يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم أصلًا أن يدَّعوا هاهنا أنهم كلهم قادرون على ذكاء الذّهن ، وحدّة النظر ، وقوّة الفطنة ، وجودة الحفظ ، والبينة[١٤٧] لدقيق الحجة ، وإن لم يظهر ، وكما ادّعوا ذلك فى الأعمال الصّالحة ، فصحَّت المحاباة من الله تعالى يقينا عيانا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق .

فإن أقرّوا أن العقول ، والذكاء ، وقبول العلم ، وذكاء الخاطر ، ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عزّ وجل .

---

(١٣٩) سقراط : هو الحكيم المشهور ، كان من تلاميذ فيثاغورس ، ثم اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية ، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، ثم أعلن مخالفته اليونانيين فى عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فثوروا عليه العامة وألجأوا ملكهم إلى قتله ، فأودعه الملك الحبس مسكينا للفتنة ، ثم سقاه السم تفاديًا من شرهم وله فى شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة . تاريخ الحكماء ص ١٩٨

(١٤٠) أفلاطون : أحد أساطين الحكمة من اليونانيين ، وكان فيهم كبير القدر ، مقبول القول ، أخذ الحكمة عن فيثاغورث ، وشارك سقراط فى الأخذ عنه إلا أنه بقى خامل الذكر إلى أن مات سقراط ، وحينئذ نبه ذكره وذاع صيته ، وصنف كتبًا كثيرة مشهورة ذهب فيها إلى الرمز والإغلاق ، وكان يعلم الفلسفة وهو ماش فسمى الناس فرقته « المشائين » وعاش إحدى وثمانين سنة : تاريخ الحكماء ١٧

(١٤١) أرسطو : هو ابن نيقو ماخس الفيثاغورى ، تتلمذ على أفلاطون ، وتصدر بعده ، وكان أفلاطون يقدمه على جميع تلاميذه ، ويؤثره بالرعاية وإلى أرسطو انتهت الفلسفة اليونانية ، فكان هو خاتمة حكمائهم ، وسيد علمائهم وهو الذى خلص صناعة البرهان من سائر صناعات المنطق وصورها بالأشكال وجعلها آلة العلوم النظرية ، وله فى جميع فروع الفلسفة كتب قيمة ، وكان هو معلم الاسكندر ابن فليبس المقدونى ، ولم يعن فلاسفة الإسلام بشيء من الفلسفة اليونانية بقدر عنايتهم بفلسفة أرسطو وله كتاب فى الحيوان نقله ابن البطريق إلى العربية ونقل من قبل إلى السريانية » تاريخ الحكماء ٢٧ – ٥٣ ، وفهرس ابن النديم ٣٥٩

(١٤٢) الزفان : صيغة مبالغة من (زَفن) بفتح الزاى والفاء ، والمضارع (يَزْفِن) : بمعنى رقَص يرقص (المحيط)

(١٤٣) فى (أ) : الخليفة : وهو تحريف .

(١٤٤) يُعْجفهم : يهذلهم ، ويضعفهم .

(١٤٥) فى (أ) : (مئونته) .

(١٤٦) فى (أ) : (هذا) .

(١٤٧) فى (أ) : وألبتة : وهو تحريف .

قلنا لهم : فمن خلقها ؟

فإن قالوا : هى فعل الطبيعة .

قلنا لهم : ومن خلق الطبيعة التى فعلت العقول ، وكلّ ذلك بذاتها متفاضلة ؟

فمن قولهم : إنّ الله تعالى خلقها .

فيقال لهم : فهو موجب المحاباة ، إذ رتّب الطبيعة رتبة المحاباة ، ولابدَّ .

وإن قالوا : لم تخلق الطبيعة ، ولا العقول – لحقوا بالدّهرية . وصاروا إلى ما لم يُرِدْ لهم المصيرُ إليه . وهذا لا مخلص لهم منه أصلًا . وبالله تعالى التوفيق .

وبالضرورة ندرى : أنّ من كان تمييزه أتم كان اهتداؤه ، واعتصامه أتم على أصولهم ، وهذا هو المحاباة التى أنكروها ، وسمّوها ظلمًا وجورًا .

* * *

قال أبو محمد : ومهما أمكنهم من الدّفاع ، والقحة فى شىءٍ مّا – فإنه لا يمكنهم اعتراض أصلًا فى أن فضْل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وعلى يحيى بن زكريا ، إذ جعل عيسى نَبيًّا ناطقا ، عاقلًا فى المهد رسولًا حين سقوطه من بطن أمه ، وإذ أتى يحيى الحكم صبيا ، أتمَّ وأعلى وأكثر من فضله على من ولد فى أقاصى بلاد الخزّ والزّنج حيث لم يسمع قط ذكر محمد ﷺ إلّا متبعا أقبح الذكر من التكذيب ، وأنه كان متخيّلا ، وأكثر من فضله بلا شك على فرعون إذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال : « ربَّنَا إنّكَ آتَيْت فِرْعَونَ ومَلأَه زِينَة وأَمْوَالًا فى الحَياةِ الدُّنْيا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سبيلِكَ ، ربَّنَا اطْمِسْ عَلَى أمْوَالِهِمْ ، واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الأَلِيم ، قال : قَدْ أُجِيبتْ دَعْوَتُكُما[١٤٨]» .

* * *

قال أبو محمد : إنَّ من ضلَّ بعد هذا الضالّ ، وإنَّ من قال : إنَّ فضل الله عزَّ وجل وعطاءه لموسى ، وعيسى ، ويحيى ومحمد ﷺ ، وعصمته لهم كفضلة ، وعطاءه على فرعون وملئه ، وعصمته لهم ، الذين نصَّ عزَّ وجل على أنه شدَّ على قلوبهم شدًّا منعهم الإيمان حتى يروا العذاب

(١٤٨) سورة يونس : ٨٨ ، ٨٩

الأليم ، فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ لضعيف العقل ، قليل العلم ، مهلهل اليقين ، ولا بيان أبين من هذه الآية فى تفضيل الله عزّ وجل بعض خلقه على بعض ، واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ، ومحاباته من شاء منهم ، وإضلاله من ضلّ منهم .

وأيضًا : فإنهم لا يستطيعون أن (ينكروا أن)[١٤٩] الله عزّ وجل فضَّل بنى آدم على كثير ممن خلق قال تعالى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ[١٥٠]» .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النبيينَ على بَعْضٍ[١٥١]» .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فى البَرِّ والبَحْرِ ، ورزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيباتِ ، وفضَّلناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا[١٥٢]» .

وهى المحاباة بعينها التى هى عند المعتزلة جور وظلم .

فيقال لهم ، على أصلكم الفاسد : هلَّا رزق الله العقلَ سائر الحيوان ؟ فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التى عرض لها بنى آدم ، وهلَّا ساوى بين الحيوان وبيننا فى ألَّا يعرّضنا كلنا للمهالك والفتن . فهل هذا إلَّا محاباة مجرَّدة ؟! وفعل لما يشاء لا معقّب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل .

قال أبو محمد : وقد ذكر بعضهم : أن الله تعالى قبحّ فى عقول بنى آدم أكل ما يعطيهم ، وأكل أموال غيرهم ، ولم يقبح ذلك فى عقول الحيوان .

قال أبو محمد : فأقرَّ هذا الجاهل بأنَّ الله تعالى هو المُقبح والمُحِّسن ، فإذ ذلك كذلك فلا قبيح إلَّا ما قبحّ الله ، ولا مُحَسَّن إلا ما حسَّن . وهذا قولنا . ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق ، إنما قبحّ منا كون ذلك الذى خلق من المعاصى فينا فقط . وبالله تعالى التوفيق .

وإنّ الأمر لأبين من ذلك ، ألم تروا أنَّ الله خلق الحيوان فجعل بعضه أفضل من بعض بلا عمل أصلًا ، ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعم وعلى نوق الأنبياء الذين هم أفضل من صالح . وإنما أتينا بهذا لئلا يقولوا إنه تعالى إنما فضلها تفضيلًا لصالح عليه السلام ، وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل فى الخساسة والرذالة ، وجعل القردة والخنازير معذّبا بعض من

---

(١٤٩) سقط من (أ) كلمة (ينكروا أن) .
(١٥٠) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣
(١٥١) سورة الأسراء آية رقم ٥٥
(١٥٢) سورة الأسراء آية رقم ٧٠

عصاه بتصويره فى صورتها ، فلولا أن صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فى صورتها أشدّ ما يكون من عذاب الدّنيا ونكالها ، وجعل بعض الحيوان مُتَقَرَّبًا إلى الله عزَّ وجل يذبحه ، وبعضه محرمًا ذبحه ، وبعضه مأأواه الرياض والأشجار ، والخضرة ، وبعضهم مأواه الحشوش والرُّدَاع[١٥٣] والدّبْر . وبعضه قويا . وبعضه ضعيفًا ، وبعضه منتفعًا به فى الأدوية ، وبعضه سُمًّا قاتلًا ، وبعضه قويًّا على الخلاص ممن أراد بطيرانه وعَدْوه ، أو قوته ، وبعضه مهنيا ، لا مخلص عنده ، وبعضه خيلًا فى نواصيها الخير يجاهد عليها العدو ، وبعضه سِباعًا ضَارِيةً مسلطة على سائر الحيوان ذا عرة لها ، قاتله لها ، آكلة لها ، وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها ، وبعضها حيات عادية مهلكة وبعضه مأكولًا على كل حال . فأى ذنب كان لبعضه حتى سلّط عليه غيره فأكله وقتله وأبيح ذبحه وقتله ؟ وإن لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق ، والوزغ وسائر الهوام . ونهى عن قتل النحل ، وعن قتل الصيد فى الحرمين ، والإحرام وأباحه فى غير الحرمين ، والإحرام .

فإن قالوا : إنَّ الله تعالى يعوض ما أباح ذبحه وقتل منها .

قيل له : فهلَّا أباح ذلك فيما حرَّم قتله ، ليعوضه أيضا .

وهذه محاباة لا شك فيها ، مع أنه فى المعهود من المعقول عين العبث إلَّا أن يقولوا : إنه تعالى لا يقدر على نعيمها إلا بتقديم الأذى ، فإنهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها ، على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان ، مع أنه تعجيز لله عزَّ وجل .

ويقال لهم : ما الذى عجَّزه عن ذلك وأقدره على تنعيم من تقدَّم له الأذى فى الدنيا ؟ أطبيعة فيه جارية على بنيتها ؟ أم فوقه[١٥٥] واهب له تلك القدرة – ولابدَّ من أحد هذين القولين . وكلاهما كفر مجرّد .

وأيضا : فإن قولهم يبطل بتنعيم الله عزّ وجل الأطفال الذين ولدوا أحياء ، وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم . ولا تعذيب . فهلَّا فعل بجميع الحيوان كذلك على أصولكم .

وأيضا : فقد كان عز وجل قادرًا على أن يجعل غذاءنا فى غير الحيوان ، لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس فى الدنيا ، لا يأكلون لحما ، فما ضرّهم ذلك فى عيشهم شيئا ، فهل هاهنا إلَّا أن الله تعالى لا يجوز الحكم على أفعاله بما يُحكم به على أفعالنا لأننا مأمورن منهيون ، وهو تعالى أمرنا لا مأمور ولا منهى ، فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق ، وكلّ

---

(١٥٣) الرُّداع : نوع من الزعفران والطيب ، والرداع : بالكسر : الطين والماء « القاموس المحيط » .

(١٥٤) الدّبْر : بالفتح والسكون : الجبل ومنه حديث النجاش : ما أحب أن لى دَبْرًا ذهبًا وأنى آذيت رجلًا من المسلمين . (القاموس المحيط) .

(١٥٥) المعنى : يقصد : أم فوقه أحد وهب له تلك القدرة .

ما فعلناه فإنه إن وافق أمره عزّ وجل كان عدلًا وحقا ، وإن خالف أمره عزّ وجل كان جورًا وظلما .

* * *

قال أبو محمد : وأمّا الحيوان ، فإنَّ قولنا فيه هو نص ما قاله الله عزّ وجل ، ورسوله ﷺ ، إذ يقول عزّ وجل : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الْأَرْضِ وَلَا طائرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه إلَّا أَمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فى الكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون[١٥٦]» .

وقال عزّ وجل : « وَإذا الوُحُوشُ حُشِرَت[١٥٧]» .

فنحن موقنون أن الوحوش كلّها ، وجميع الدواب ، والطير ، تحشر كلها يوم القيامة ، كما شاء الله تعالى ، ولما شاء عزَّ وجل .

وأما نحن فلا ندرى لماذا – والله أعلم بكل شىء –

وقال رسول الله ﷺ : « إنه يقتصُّ يومئذٍ للشاة الجمَّاء من الشاة القرْناء[١٥٨]» . فنحن نقرُّ بهذا ، وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندرى ما يفعل الله بهما بعد ذلك ، إلّا أنا ندرى يقينا أنها لا تعذَّب بالنار ، لأن الله تعالى قال : « لا يَصْلَاها إلَّا الأَشْقَى ، الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى[١٥٩]» .

وبيقين ندرى أن هذه الصفة ليست إلَّا فى الجن والإنس خاصة ، ولا علم لنا إلَّا ما علمنا الله تعالى . وقد أيقنا أن سائر الحيوان الذى فى هذا العالم – ما عدا الملائكة ، والحور ، والإنس ، والجن – فإنه غير متعبد بشريعته .

وأمّا الجنة : فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة إلّا نفس مسملة[١٦٠]» .

والحيوان – حاشا من ذكرنا – لا يقع عليهم اسم مسلمين ، لأن المسلم : هو المتعبّد بالإسلام ، والحيوان المذكور غير متعبِّد بشرع ، فإن قال قائل : إنكم تقولون إن أطفال المسلمين ،

(١٥٦) سورة الأنعام آية رقم ٣٨

(١٥٧) سورة التكوير آية رقم ٥

(١٥٨) الحديث رواه مسلم فى البر ٦٠ ، والترمذى فى القيامة ، ورواه أحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ٣٠١ ولفظه عند مسلم : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرفاء » .

(١٥٩) سورة الليل آية رقم ١٥

(١٦٠) الحديث رواه مسلم فى الإيمان ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، والترمذى فى الحج ٤٤ والنسائى فى المناسك ١٦١ ، وابن ماجه فى الصيام ٣٥ ، والدارمى فى السير ٦٣ واحمد بن حنبل ١ : ٣ ، ٢ : ٣٠٩

وأطفال المشركين كلهم فى الجنة ، فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن نقول : نعم ، كلهم مسلمون بلا شك لقول الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم ، وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى(١٦١)!

وقوله تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفًا ، فِطْرَةَ اللهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ(١٦٢)» .

ولقول رسول الله ﷺ : « كُلُّ مَوْلودٍ يولد على الفطرة(١٦٣)» وروى على المِلَّة – فأبواه يهودانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسانه ، أو يشركانه . ولقوله ﷺ عن الله عزَّ وجلّ : « إنى خلقت عبادى حنفاء كلّهم ، فاحتالتهم الشياطين عن دينهم(١٦٤)» .

فصح لهم كلهم اسم الإسلام – والحمد لله رب العالمين –

وقد نص عليه السلام على أنه رأى كلّ من مات طفلا من أولاد المشركين وغيرهم فى روضة مع إبراهيم خليل الله ﷺ .

وأما المجانين ، ومن مات فى الفترة ، ولم تبلغه دعوة نبى ، ومن أدركه الإسلام وقد هرم ، أو أصمَّ – لا يسمع ، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ : أنه تبعث لهم يوم القيامة نارٌ موقدة ، ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه بردًا ، ودخل الجنة .. أو كلامًا هذا معناه .

فنحن نؤمن به ، ونقر به ، ولا علم لنَا إلّا ما علّمنا الله تعالى ، على لسان رسول ﷺ .

* * *

قال أبو محمد : وإذ قد بلغ الكلام هاهنا فنصله إن شاء الله تعالى راغبين فى الأجر من الله عز وجل على بيان الحق فنقول – وبالله تعالى نتأيد –

إن الله تعالى قد نصَّ – كما ذكرنا – أنه أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرِّيتهم ، وهذا نصٌّ جلى على أنه عزَّ وجل : خلق أنفسنا كلهَا من عهد آدم عليه السلام لأن الأجساد حينئذ – بلا شك – كانت ترابا وماء .

---

(١٦١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٦٢) سورة الروم آية رقم ٣٠

(١٦٣) الحديث رواه البخارى فى الجنائز ٨٠ ، ٩٣ ، والتفسير سورة النساء والقدر ٣ ورواه مسلم فى القدر ٢٢ – ٢٥ ، وأبو داود فى السنة ١٧ والترمذى فى القدر ٥ ورواه صاحب الموطأ فى الجنائز ٥٢ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٢٣٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣١٥ ، حـ ٣ ، ٤٣٥ ، حـ ٤ : ٢٤

(١٦٤) الحديث رواه مسلم فى الجنة ٦٣ ، وأحمد بن حنبل حـ ٤ ص ١٦٢ وهو حديث طويل : عن رب العزة : وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحَرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمروهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا ... الخ .

وأيضًا : فإن المكلّف المخاطب إنما هو النفس لا الجسد ، فصحَّ يقينا أن نفوس كل من يكون من بنى آدم إلى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ، ولم يقل الله عزَّ وجل : إنه أفنانا بعد ذلك ، ونصَّ تعالى على أنه خلق الأرض والماء حينئذ ، بقوله تعالى : « وَجَعَلْنا مِنَ الماء كُلَّ شَىْءٍ حَىّ[١٦٥] » .

وقوله تعالى : « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ فى سِتَّة أَيَّامٍ ثم اسْتوى عَلَى الْعَرْشِ[١٦٦] » . وأخبر عزَ وجل : أنه خلقنا من طين ، والطين هو التراب والماء وإنما خلق تعالى من ذلك أجسامنا ، فصحّ أن عنصر أجسامنا مخلوق منذ أوّل خلقه تعالى السماوات وأن أرواحنا وهى أنفسنا مخلوقة ، منذ أخذ الله تعالى عليها العهد . وهكذا قال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ[١٦٧] » . وثمَّ توجب فى اللغة التى بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ، ثم يصوّر الله تعالى من الطين أجسامنا من اللحم والدّم والعظام ، بأن يحيل أعراض التراب والماء وصفاتهما فتصير نباتا وحبًّا وثمارًا يُتغذّى بها ، فتستحيل فينا لحما وعظما ودما ، وعَصَبا ، وجلدًا ، وغضاريف ، وشعرًا ، ودماغا ، ونخاعًا ، وعروقًا ، وعضلًا ، وشحما ، ومنيا ، ولبنا فقط . وكذلك تعود أجسامنا بعد الموت ترابا ، ولابدَّ ، وتصعد رطوبتها المائية ، وأما جمع الله تعالى الأنفس إلى الأجساد فهى الحياة الأولى بعد افتراقها الذى هو الموت الأول ، فتبقى كذلك فى عالم الدنيا ، الذى هو عالم الابتلاء – ما شاء الله تعالى – . ثم ينقلنا بالموت الثانى الذى هو فراق الأنفس للأجساد ثانية إلى البرزخ الذى تقيم فيه الأنفس إلى يوم القيامة ، وتعود أجسامنا ترابا – كما قلنا – ثم يجمع الله عزَّ وجلّ يوم القيامة بين أنفسنا وأجسادنا التى كانت بعد أن يعيدها وينشرها من القبور ، وهى المواضع التى استقرت أجزاؤها فيها ، لا يعلمها غيره ، ولا يحصيها سواه عزَّ وجل – لا إله إلَّا هو ، فهذه الحياة الثانية التى لا تبيد أبدًا ، ويخلّد الإنس والجن مؤمنهم فى الجنة بلا نهاية ، وكافرهم فى النار بلا نهاية .

وأما الملائكة ، وحور العين ، فكلهم فى الجنة فيها خلقوا من النور ، وفيها يبقون أبدًا بلا نهاية ، ولم يُنقلوا عنها قط ، ولا ينقلون . هذا كله نص قول الله عزَّ وجل ، إذ يقول : « كَيْفَ تَكْفُرونَ بالله ، وكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْياكُمْ ، ثُمَّ يميتكُمْ ، ثمَّ يُحْيِيكُمْ[١٦٨] » .

وإذ يقول تعالى مصدّقا للقائلين : « رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثنتَيْنِ[١٦٩] » .

---

(١٦٥) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠
(١٦٦) سورة يونس آية رقم ٣
(١٦٧) سورة الأعراف آية رقم ١١
(١٦٨) سورة البقرة آية رقم ٢٨
(١٦٩) سورة غافر آية رقم ١١

فلا يشذ عن هذا أحد إلا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه ، كمن أحياه الله عزَّ وجل آية لنبى كالمسيح عليه السلام ، وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم .

فهؤلاء ، والذى أماته الله مائة عام ثم أحياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات .

وأمّا من ظنَّ أن الصعقة التى تكون يوم القيامة - موتًا فقد أخطأ بنص القرآن الذى ذكرنا ، لأنها كانت تكون حينئذ لكل أحدٍ ثلاث موتاتٍ وثلاث إحياءات ، وهذا كذب وباطِل ، وخلاف للقرآن .

وقد بيَّن عزّ وجل هذا نصًّا فقال تعالى : « وَيَوْمَ يُنْفخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّمَاواتِ وَمَنْ فى الْأَرْضِ إلا مَنْ شاءَ الله[١٧٠]» .

فبيَّن تعالى أن تلك الصعقة إنما هى فزع لا موت ، وبيَّن ذلك بقوله تعالى فى سورة الزمر : « ونُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ ومَنْ فى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذاهُمْ قيامٌ يَنظُرون وأَشْرَقت الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وجِىءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهَدَاء[١٧١]» الآية فبيّن تعالى أن تلك الصعقة مستثنى منها من شاء الله عزّ وجل ، وفسر بها الآية التى ذكرنا قبل ، وبيّنت أنها فزعة لا موتة ، وكذلك فسَّرها النبى عليه الصلاة والسلام بأنه أول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائما ، فلا يدرى أكان ممن صعق فأفاق ؟ أم جوزى بصعقة الطور فسمَّاها إفاقة ، ولو كانت موتة ما سمَّاها إفاقة بل إحياء فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لا موتا ، قال تعالى : « وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فلمَّا أَفَاقَ قالَ : سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ[١٧٢]» .

هذا ما لا خلاف فيه .

* * *

قال أبو محمد : فصح بما ذكرنا أن الدور سبع ، وهى : عالمون ، كل عالم منها قائم بذاته ، فأولها : دار الابتداء ، وعالمه ، وهو الذى خلق عزّ وجل فيه الأنفس جملة واحدة . وأخذ عليها

---

(١٧٠) سورة النمل آية رقم ٨٧
(١٧١) سورة الزمر آية رقم ٦٨
(١٧٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

العهد ، هكذا نصَّ تعالى على أنها الأنفس بقوله عزَّ وجل : « وَأَشْهَدَهم عَلَى أنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ[١٧٣]» .

وهى دار واحدة ، لأنهم كلّهم فيها مسلمون ، وهى دار طويلة على آخر النفوس جدًّا ، إلّا على أوّل المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدًّا .

وثانيها : وهى دار الابتلاء ، وعالمه : وهى التى نحن فيها ، وهى التى يرسل الله تعالى النفوس إليها من عالم الابتداء ، فتقيم فيه فى أجسادها متعبدة ما أقامت حتى تفارقه جيلًا بعد جيل ، حتى تستوفى جميع الأنفس المخلوقة بسكناها الموفق لها . ثم ينقضى هذا العالم ، وهى دار قصيرة جدًّا على كل نفس فى ذاتها ، لأنَّ مدة عمر الإنسان فيها قليل ، ولو عمَّر ألف عام . فكيف بأعمار جمهور الناس التى هى من ساعة إلى حدود المائة عام ؟!

ثم داران اثنتان للبرزخ ، وهما اللتان ترجع إليهما النفوس عند خروجهما من هذا الدار وفراقها أجسادها ، وهما عند سماء الدنيا نصَّ على ذلك رسول الله ﷺ وذكر أنه رأى ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام آدم فى سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فسأل عنها فأخبر أنه نسم نبيه ، وأن الذين عن يمينه أرواح أهل السعادة ، والذين عن يساره أرواح أهل الشقاء[١٧٤]. وقد نصَّ الله تعالى على هذا نصًّا . فقال تعالى : « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَة ، وَأَصْحَابُ المشأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أولَئِكَ المقرَّبُونَ فى جنَّاتِ النَّعيم ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وقَلِيلٌ مِن الْآخِرِين[١٧٥]» .

وقال تعالى : فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من جحيم وتصلية جحيم إن هذا لهو الحق اليقين[١٧٦].

قال تعالى : « ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ ، وتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَة أولَئِك أَصْحابُ الميمَنة ، والذين كَفَرُوا بآياتِنَا هُمْ أَصْحَاب المشْأَمَة ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَة[١٧٧]» .

قال أبو محمد : هكذا نصَّ رسول الله ﷺ ، على أن أرواح الشهداء فى الجنة ، وكذلك الأنبياء بلا شك ، فمن الباطل أن يفوز الشهداء بفضل يُحْرَمه الأنبياء وهم المقربون ، الذين ذكر

---

(١٧٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٧٤) الحديث ذكر فى الصحيحين .

(١٧٥) سورة الواقعة آية رقم ٧ – ١٤

(١٧٦) سورة الواقعة آية رقم ٨٨ – ٩٤

(١٧٧) سورة البلد آية رقم ١٧ – ٢٠

الله تعالى أنهم فى الجنة ، إذ يقول تعالى : « فَأَمّا إنْ كانَ مِنَ المقَرَّبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعيمٍ » .

فهاتان داران قائمان ، لم يدخل أهلهما بعد ، لا جنة ولا نارًا بنص القرآن والسنة ، وقال تعالى : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَاب(178) » .

وقال تعالى حاكيا عن الكفّار أنّهم يقولون يوم البعث : « يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا(179) » .

فصحَّ أنهم لم يعذَّبوا فى النّار بعد ، وهكذا جاءت الأخبار كلها بأن الجميع يوم القيامة يصيرون إلى الجنة وإلى النّار ، لا قبل ذلك – حاشا الأنبياء والشهداء فقط – ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب ، فقد دخل رسول الله ﷺ الجنة ثم خرج عنها ، قال تعالى : « ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المنْتَهَى ، عِندَهَا جنَّةُ المأْوَى(180) » .

وهما داران طويلتان على أول النفوس جدًّا – حاشا آخر المخلوقين ، فهى قصيرة عليهم جدًّا ، وإنما استقصرها الكفّار ، كما قال عزّ وجل فى القرآن لأنهم انتقلوا عنها إلى عذاب النار ، نعوذ بالله منها ، فاستقلوا تلك المدة ، وإن كانت طويلة حتّى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا إليه يومًا أو بعض يوم . وقال بعضهم : « إنْ لَبِثْتُمْ إلَّا عشرا(181) » .

ثم الدار الخامسة : هى عالم البعث ، وهو يوم القيامة ، وهو عالم الحساب ومقداره خمسون ألف سنة قال تعالى : « فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ فاصبْرْ صَبْرًا جَميلًا ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعيدًا ، ونَرَاه قَرِيبًا ، يَوْم تكُونُ السَّمَاءَ كالمُهْلِ ، وتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَميمًا ، يُبَصَّرُونَهُم يَوَدُّ المجرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذابِ يَومِئِذٍ ببنيه(182) » .

فصحّ أنه يوم القيامة ، وبهذا أيضا جاءت الأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ .

وأمّا الأيام التى قال الله تعالى فيها : « إنَّ اليوم منها ألف سنة فهى آخر . قال تعالى : « يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَّمَاءِ إلى الْأَرْضِ ، ثمَّ يعرُجُ إلَيْه فى يومٍ كان مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ ممَّا تعُدُّون(183) » .

---

(178) سورة غافر آية رقم 46
(179) سورة يس آية رقم 52
(180) سورة النجم آية رقم 13 إلى 15
(181) سورة طه آية رقم 103
(182) سورة المعارج آية رقم من 4 – 11
(183) سورة السجدة آية رقم 5

وقال تعالى : « وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون[١٨٤]» فهى أيام أخر . بنص القرآن . ولا يحل إحالة نصٍّ عن ظاهره بغير نصٍّ آخر أو إجماع بيقين ، أو ضرورة حسٍّ .

ثم الدار السادسة والسابعة : داران للجزاء ، وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ، ولا فناء لهما ولا لمن فيهما . نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ، ونسأله الرِّضا منه ، الموجب للجنة – وما توفيقنا إلا بالله الرحيم الكريم .

وأمَّا من قال : إن قوله تعالى فى يوم القيامة : إنما هو مقدار خمسين ألف سنة لو تولّى ذلك الحساب غيره فهو مكذّب لربه تعالى ، مخالف للقرآن ، ولقول رسول الله ﷺ فى طول ذلك اليوم ، وبضرورة العقل ندرى أنه لو كلف جميع أهل الأرض محاسبة أهل حَضَر واحد فيما أضمروه وفعلوه ، وموازنة كل ذلك ما قاموا به فى ألف ألف عام ، فبطل هذا القول الكاذب بيقين ، لا شك فيه . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : وإذ قد بينا بطلان قول المعتزلة فى تحكمهم عليه ربهم ، وإيجابهم على ما أوجبوا بآرائهم السخيفة ، وتشبيههم إياه بأنفسهم فيما يحسن منهم ويقبح ، وتجويرهم[١٨٦] إياه فيما فعل وقضى ، وقدر . فلنبين بحول الله وقوته أنهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ، ثم نذكر ما نصَّ الله تعالى عليه مصدِّقا لقولنا ، ومكذبا لقولهم وبالله تعالى التوفيق .

فنقول – وبالله عزَّ وجل نتأيّد – إنَّ من المحال البين أن يقول المعتزلة إننا نجوِّر الله تعالى . ونحن نقول : لا يجور ألبتة ولا جار قط ، وأن كل ما فعل أو يفعل أىّ شىء كان فهو العدل والحق ، والحكمة على الحقيقة لا شك فى ذلك ، وأنه لا جور إلَّا ما سمَّاه الله عزّ وجلّ جورًا ، وهو ما ظهر فى عصاة عباده من الجن والإنس ممن خالف أمره تعالى ، وهو خالقه فيهم[١٨٧] كما شاء فكيف يكون مجور إليه عزَّ وجل من هذه هى مقالته ، إنما المجوِّرُ لربه تعالى من يقول فيما أخبر الله عزَّ وجل : إن[١٨٨] خلقه هذا جور وظلم ، فإن قائل هذا القول ، لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالثا لهما :

---

(١٨٤) سورة الحج آية رقم ٤٧

(١٨٥) فى (أ) : حصر بالصاد المهملة وهو تحريف .

(١٨٦) فى (أ) : وتجويزهم بالزاى وهو تحريف .

(١٨٧) خالقه : أى الجور

(١٨٨) فى (أ) : أنه – وهذا تحريف يفسد المعنى .

إمَّا أنه مكذّب لربّه عزّ وجل فى إخباره فى القرآن أنه برأ المصائب كلها وخلقها ، وأنه تعالى خلقنا وما نعمل ، وأنه خلق كل شيء بقدر ، محرِّف لكلام ربه تعالى الذى هو غاية البيان عن مواضعه ، مبدّل له ، بعد ما سمعه . وقد نصَّ الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويبدّله بعد ما سمعه – ما نص . فهذه(١٨٩) خطة كفران التزمها .

والثانية : وهى تصديق الله عز وجل فى إخباره بذلك ، وتجويره(١٩٠) فى فعله ، لابّد له من ذلك ، وهذه أيضا خطة كفران التزمها . أو الانقطاع والتناقض ، والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليدًا للعيارين الشطار الفسّاق كالنظام ، والعلاف ، وبشر نخاس الرقيق ، ومعمّر المتهم عندهم فى دينه ، وثمامة الخليع المشهور بالقبائح والجاحظ(١٩١)، وهو من عرف هزلًا وعيارة ، وانهمالًا . وهذه أسلم الوجوه لهم . ونعوذ بالله من مثلها .

ثم هم بعد هذا صنفان : أصحاب الأصلح ، وأصحاب اللطف . فأما أصحاب اللطف ، فإن أصحاب الأصلح يصفونهم بأنهم مجوّرون لله ، مجهِّلون له . وأصحاب الأصلح : يصفهم أصحاب اللطف بأنهم معجزون لله تعالى ، مشبِّهون له بخلقه ، « فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » . وقد نصَّ الله تعالى على أنه يفعل ما يشاء بخلاف ما قالت المعتزلة . فقال عزَّ وجل : « كَذلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشَاءُ(١٩٢)» .

وأمرنا عزّ وجل : أن ندعوه فنقول : « ربَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أو أخْطَأْنا ، رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْرًا كما حَمَلْتَه عَلَى الذين مِنْ قَبْلِنا ربَّنا ولَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طاقَةَ لَنا بِه(١٩٣)» .

* * *

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أنه عزَّ وجل له أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وأنه لو شاء ذلك لكان من حقه ، ولو لم يكن له ذلك لما أمرنا بالدّعاء فى ألَّا يحملنا ذلك ، ولكان الدعاء بذلك كالدعاء فى أن يكون إلاهـًا خالقا على أصوله . ونصَّ تعالى – كما تلونا – على أنه قد حمَّل من كان قبلنا الإصْرَ – وهو الثقل الذى لا يطاق . وأمرنا أن ندعوه بألَّا يحمل ذلك علينا .

وأيضا : فقد أمرنا تعالى فى هذه الآية أن ندعوه : بأن لا يؤاخذنا – إن نسينا أو أخطأنا – وهذا هو تكليف ما لا يطاق نفسه ، لأن النسيان لا يقدر أحد على الخلاص منه ،

(١٨٩) فى (أ) : (فهذا) .
(١٩٠) فى (أ) : وتجويزه بالزاى : وهذا تحريف .
(١٩١) سبق التعريف بهؤلاء الأعلام .
(١٩٢) سورة المدثر آية رقم ٣١
(١٩٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

ولا يتوهم التحفظ منه ، ولا يمكن أحدٌ دفعه عن نفسه ، فلولا أن له تعالى أن يؤاخذ بالنسيان من شاء من عباده – لما أمرنا بالدّعاء فى النجاة منه . وقد وجدنا الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مؤاخذين بالنسيان . منهم : أبونا آدم ﷺ – قال الله تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِي(١٩٤) » .

يريد نسيانه عداوة إبليس له الذى حذّره الله تعالى منه ، ثم أخذه على ذلك ، وأخرجه من الجنة ، ثم تاب عليه . وهذا كلّه على أصول المعتزلة – جور وظلم . تعالى الله عن ذلك . وقال عزَّ وجل : « وَلَوْ شَاءَ الله ما أشرَكُوا(١٩٥) » . و« لو » فى اللغة التى بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لا متناع غيره فصحَّ يقينا : أن ترك الشرك من المشركين ممتنع لا متناع مشيئة الله تعالى لتركه . وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤمِنَ إلَّا بإذْنِ الله(١٩٦) » .

ومشيئة الله هى تفسير إذن الله – وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إليهِمُ الملائِكَةَ وكَلَّمَهُم المَوْتَى ، وحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كل شَيْءٍ قُبُلًا ، مَا كَانُوا ليؤمِنوا إلَّا أن يَشَاءَ الله(١٩٧) » .

فهذا نصٌّ جليٌّ على أنه لا يمكن أحد أن يؤمن إلا بإذن الله عزَّ وجل له فى الإيمان – فصحَّ يقينا أن كلَّ من آمن فلم يؤمن إلا بإذن الله عزَّ وجل ، وأنه تعالى شاء أن يؤمن ، وأنَّ كل من لم يؤمن فلم يأذن الله تعالى له فى الإيمان ، ولا شاء أن يكون منه الإيمان .

هذا نصُّ هاتين الآيتين اللتين لا يحتملان تأويلًا غيره أصلًا ، وليس لأحدٍ أن يقول : إنه تعالى عنى الإكراه على الإيمان ، لأن نصَّ الآيتين مانع من هذا التأويل الفاسد ، لأنه تعالى أخبر أن كل من آمن فإنما آمن بإذن الله عزَّ وجل . وأنَّ من لم يؤمن فإنَّ الله تعالى لم يشأ أن يؤمن ، فيلزمهم على هذا : أن كلَّ مؤمن فى العالم فمكره على الإيمان . وهذا شر من قول الجهمية ، وأشد فإن قالوا : إنَّ إذن الله تعالى هاهنا إنما هو أمره – لزمهم ضرورة أحد وجهين ، لابدَّ منهما :

إما أن يقولوا : إن الله تعالى لم يأمر الكفار بالإيمان لأن النص قد جاء بأنه تعالى لو أذن لهم لآمنوا .

وإمَّا أن يقولوا : إن كل من فى العالم فهم مؤمنون لأنهم عندهم مأذون لهم فى الإيمان ، إذا كان الإذن هو الأمر – وكلا القولين كفر مجرد ، ومكابرة للعيان . ونعوذ بالله من الضلال .

* * *

(١٩٤) سورة طه آية رقم ١١٥
(١٩٥) سورة الأنعام آية رقم ١٠٧
(١٩٦) سورة يونس آية رقم ١٠٠
(١٩٧) سورة الأنعام آية رقم ١١١

قال أبو محمد : الإذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للإيمان فيمن آمن ، وقوله لإيمانه « كُنْ فَيُكُونُ[١٩٨] » .

وعدم إذنه تعالى ، وعدم مشيئته للإيمان هو ألَّا يخلق فى المرء الإيمان فلا يؤمن ، لا يجوز غير هذا ألبتة ، إذ قد صحّ أن الإذن هاهنا ليس هو الأمر . وقال عزّ وجل : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ، أَنِ اعْبُدوا الله ، واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُم مَنْ هَدَى الله ، ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّت عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ[١٩٩] » .

فأخبر تعالى أنه هدى بعضهم دون بعض . وهذا عند المعتزلة جور ، وقال تعالى : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجنِّ والإنْسِ[٢٠٠] » .

فنص على أنه خلقهم ليدخلهم النار ، نعوذ بالله من ذلك .

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاء لَجعَّلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، ولَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشَاء[٢٠١] » .

وأمر تعالى أن ندعوه فنقول : « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا[٢٠٢] » .

فنص تعالى على أنه يزيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا إذ أزاغ الله قلوبهم . وقال تعالى : « كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الّذينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون[٢٠٣] » .

فقطع تعالى ، على أن كلماته قد حقت على الفاسقين أنهم لا يؤمنون ، فمن الذى حقق عليهم ألَّا يؤمنوا — إلَّا هو عزَّ وجلّ . وهذا جور عند المعتزلة .

قال أبو محمد : وكل آية ذكرناها فى باب الاستطاعة منهن[٢٠٤] حجة عليهم فى هذا الباب وكل آية نتلوها إن شاء الله عز وجل فى باب إثبات أن الله عزّ وجل أراد كون الكفر والفسق ، بعد هذا الباب منهن[٢٠٥] أيضا حجة عليهم فى هذا الباب . وكذلك كل آية نتلوها إن شاء الله عز وجل فى إبطال قول من قال : ليس عند الله تعالى شيء أصلح مما أعطاه الله أبا جهل ، وفرعون ،

---

(١٩٨) سورة يس آية رقم ٨٢
(١٩٩) سورة النحل آية رقم ٣٦
(٢٠٠) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩
(٢٠١) سورة النحل آية رقم ٩٣
(٢٠٢) سورة آل عمران آية رقم ٨
(٢٠٣) سورة يونس آية رقم ٣٣
(٢٠٤) فى (أ) : أى من الآيات
(٢٠٥) فى (أ) : (منهى) وهو تحريف ظاهر .

وأبا لهب[٢٠٦]، مما يستدعى[٢٠٧] الإيمان – فإنها حجة عليهم فى هذا الباب . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ وما بَيْنَهُمَا لَاعِبِين ، مَا خَلَقْنَاهما إلَّا بالْحَقّ[٢٠٨]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد[٢٠٩]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ولَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون[٢١٠]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُون[٢١١]» .

وبقوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد[٢١٢]» .

وبقوله تعالى : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الَّذين لَا يَعْقِلُون ، وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضون[٢١٣]» .

* * *

قال أبو محمد : وهذه حجة لنا عليهم لأنه تعالى أخبر أنه قادر على أن يسمعهم والإسماع هاهنا : الهُدى بلا شك ، لأن آذانهم كانت صِحَاحًا . ومعنى قوله تعالى : « وَلَوْ أسمعهم لَتولّوا وهم مُعْرِضونَ » .

إنما معناه بلا شك : لتولّوا عن الكفر ، وهم معرضون عنه ، لا يجوز غير هذا ، لأنه محال أن يهديهم الله ، وقد علم من قلوبهم خيرًا فلا يهتدوا ، هذا تناقض قد تنزّه كلامه عزَّ وجل عنه ، فصحّ أنه كما ذكرنا يقينا .

قال أبو محمد : وسائرها لا حجة لهم فى شيءٍ منه ، بل هو حجة لنا عليهم ، وهو نصّ قولنا : أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق ، وأفعالُ العباد بين السماء والأرض بلا شك ،

(٢٠٦) ترجم له فى ص ٣٥٨
(٢٠٧) فى (أ) : (يستدعى إلى) .
(٢٠٨) سورة الدخان آية رقم ٣٨ ، ٣٩
(٢٠٩) سورة فصلت آية رقم ٤٦
(٢١٠) سورة النحل آية رقم ١١٨
(٢١١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦
(٢١٢) سورة فصلت : ٤٦
(٢١٣) سورة الأنفال آية رقم ٢٢ – ٢٣

فالله تعالى خلقها بالحق الذى هو اختراعه لها ، وكلُّ ما فعل تعالى حق ، وإضلاله مَنْ أضلَّ حقٌّ له ومنه تعالى ، وهُداه مَنْ هدى حق منه تعالى ، ومحاباته[٢١٤] من حابى بالنبُّوة وبالطّاعة حق منه . ونحن نبرأ إلى الله تعالى من كل من قال : إن الله تعالى خلق شيئًا بغير الحق ، أو أنه تعالى خلق شيئًا لاعبا ، أو أنه تعالى ظلم أحدًا ، بل فعله عدل وصلاح ، ولقد ظهر لكل ذى فهم أننا قائلون بهذه الآيات على نصِّها ، وظاهرها فأىَّ حجةٍ لهم علينا فى هذه النصوص لو عقلوا ؟!

وأمّا المعتزلة فيقولون : إنه تعالى لم يخلق كثيرًا مما بين السماوات والأرض ، لاسيما عَّباد ابن سليمان[٢١٥] منهم تلميذ هشام بن عمر الفوطى القائل : إن الله تعالى لم يخلق الجدْب ، ولا الجوع ، ولا الأمراض ، ولا الكفار ، ولا الفسّاق . ومحمد بن عبد الله الإسكافى تلميذ جعفر ابن حرب[٢١٦] القائل : إن الله تعالى لم يخلق العيدان ، ولا المزامير ، ولا الطنابير ، وكل ذلك ليس بخلق من خلق الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا .

وهم يقولون : إن الله عزَّ وجل لو حابى أحدًا لكان ظالمًا لغيره ، وقد صحَّ أن الله تعالى حابى موسى وإبراهيم ، ويحيى ومحمدًا صلوات الله عليه دون غيرهم ودون أبى لهب ، وأبى جهل ، وفرعون ، والذى حاجَّ إبراهيم فى ربّه ، فعلى قول المعتزلة : يجب أن الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم ، وهذا ما لا مخلص لهم منه إلا بترك قولهم الفاسد .

وأمّا قوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون[٢١٨] » .

فهكذا نقول : ما خلقهم الله تعالى إلا ليكونوا له عبادًا مصرَّفين بحكمه ، فيهم منقادين لتدبيره إيّاهم ، وهذه حقيقة العبادة ، والطّاعةُ أيضا عبادة .

وقال تعالى حاكيا عن القائلين : « أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْن مِثْلِنَا ، وَقَوْمُهُمَا لَنا عابدون[٢١٩] » وقد علم كل أحد أن قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلّل ، فكانوا له عبيدًا ، فهم له عابدون . وكذلك قول الملائكة عليهم السلام « بَلْ كَانُوا يَعْبُدُون الجِنَّ » .

---

(٢١٤) هذا التعبير لا يليق بجانب الله تعالى وبخاصة لأن أبا محمد قد ألزم نفسه بألّا يستعمل مع الله من الكلمات إلا ما استعمله الله ، وقد استعمل الله تعالى مع الرسل عليهم السلام كلمة (يجتبى) فكان عليه أن يستعمل مثل هذه الكلمة .. ولو كان فى مجال الرد .

(٢١٥) ترجم له ص ١٠٢

(٢١٦) ترجم له ص ١١٠

(٢١٧) جعفر بن حرب : هو بن الهمذانى من أئمة المعتزلة ، من أهل بغداد ، أخذ الكلام عن أبى الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتبًا قال الخطيب البغدادى إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالواثق العباسى . قال المسعودى وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام توفى عام ٢٣٦ هـ . (لسان الميزان حـ ٢ ص ١١٣) .

(٢١٨) سورة الذاريات آية رقم ٥٦

(٢١٩) سورة المؤمنون آية رقم ٤٧

وقد علم كل أحدٍ أنهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين ، لكن عبدوهم عبادة تصرف لأمرهم ، وإغوائهم ، فكانوا لهم بذلك عبيدًا . فصحَّ القول بأنهم يعبدونهم ، وهذا بيِّن .

وقال بعض أصحابنا معنى هذه الآية : أنه تعالى خلقهم ليأمرهم بعبادته ، ولسنا نقول بهذا ، لأن فيهم من لم يأمره الله تعالى قط بعبادته ، كالأطفال والمجانين ، فصار تخصيصًا للآية بلا برهان ، والذى قلناه هو الحق الذى لا شك فيه ، لأنه المشاهَد المتيقَّن ، العامَّ لكل واحد منهم .

وأمّا ظن المعتزلة فى هذه الآية فباطل يكذبه إجماعهم معنا أن الله تعالى لم يزل يعلم أن كثيرًا منهم لا يعبدونه ، فكيف يجوز أن يخبر أنه خلقهم لأمرٍ قد علم أنه لا يكون منهم إلَّا أن يصيروا إلى قول من يقول : إنه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون ، فيتم كفر من لجأ إلى هذا ، ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث إلى الخالق تعالى إذ غرَّر من خلق فيما لا يدرى أيعطبون فيه أم يفوزون ؟ وتحيَّرت المعتزلة القائلون بالأصلح ، وبإبطال المحاباة فى وجه العدل فى ستة عشر بابا وهى : العدل فى إدامة العذاب ، العدل فى إيلام الحيوان ، العدل فى تبليغ من فى المعلوم أنه يكفر ، العدل فى المخلوق ، العدل فى إعطاء الاستطاعة ، العدل فى الإرادة ، العدل فى البدل ، العدل فى الأمر ، العدل فى عذاب الأطفال ، العدل فى استحقاق العذاب ، العدل فى المعرفة ، العدل فى إخلاف أحوال المخلوقين ، العدل فى اللطف ، العدل فى الأصلح ، العدل فى نسخ الشرائع ، العدل فى النبوة .

* * *

الكـــلام

« فى هل شاء الله عزَّ وجل كون الكفر والفسق ، وأراده تعالى من الكافر والفاسق أم لم يشأ ذلك ، ولا أراد كونه »

قال أبو محمد : قالت المعتزلة : إن الله تعالى لم يشأ أن يكفر الكافر ، ولا أن يفسق الفاسق ، ولا أن يُشتم تعالى ، ولا أن يُقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واحتجوا بقول الله عزَّ وجل : « وَلَا يَرْضَى لِعِباده الكُفْرَ[٢٢٠] » وبقوله تعالى : « اتَّبَعُوا ما أسْخَطَ الله ، وكَرِهُوا رِضْوانَه ، فأحْبَطَ أعْمَالهم[٢٢١] » . وقالوا : من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن ، فإن كان الله

(٢٢٠) سورة الزمر آية رقم ٧

(٢٢١) سورة محمد آية رقم ٢٨

تعالى أراد أن يكفر الكافر ، وأن يفسق الفاسق فقد فعلا جميعا ما أراد الله تعالى منهما ، فهما محسنان مأجوران .

وذهب أهل السنة : أن لفظة « شاء » وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين : أحدهما الرضى والاستحسان ، فهذا منهى عن الله تعالى أنه أراده ، أو شاءه فى كل ما نهى عنه . والثانى : أن يقال : أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده ، فهذا هو الذى نخبر به عن الله عزّ وجل فى كل موجود فى العالم من خير أو شرٍّ .

فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالألفاظ المشتركة ، الواقعة على معنيين فصاعدًا والتمويه الذى يضمحل إذا فتش ، ويفتضح إذا بحث عنه ، وهذه سبيل الجهّال الذين لا حيلة بأيديهم إلا المخرقة .

وقال أهل السنة : ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله ، كان محسنا ، إنما المحسن من فعل بما أمره الله تعالى به ، ورضيه منه .

قال أبو محمد : ونسألهم فنقول لهم : أخبرونا ، كان الله تعالى قادرًا على منع الكافر من الكفر ، والفاسق من الفسق ، وعلى منع من شتمه من النطق به ، ومن إمراره على خاطره وعلى المنع من قتل من قُتِل من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزًا عن المنع من ذلك ؟

فإن قالوا : لم يكن قادرًا على المنع من شيء من ذلك ، فقد أثبتوا له معنى العجز ضرورة ، وهذا كفر مجرد ، وإبطالٌ لألوهيته تعالى ، وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهى القوة ، وانقطاع القدرة ، مع التناقض الفاحش ، لأنهم مقرون أنه تعالى هو أعطاهم القوة التى بها كان الكفر والفسق ، وشتمه تعالى ، وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن المحال المحض أن يكون تعالى لا يقدر على ألّا يعطيهم الذى أعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر .

وإن قالوا : بل هو قادر على منعهم من كل ذلك أقروا ضرورة أنه مريد لبقائهم على الكفر ، وأنه المبقى للكافر وللكفر ، وخالق[٢٢٢] الزمان الذى امتدَّ فيه الكافر على كفره ، والفاسق على فسقه ، وهذا نفسه هو قولنا : إنه أراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم يرض عن شيء من ذلك ، بل سخطه تعالى وغضب على فاعله .

وقالت المعتزلة : إن كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو إذًا يغضب مما أراد .

* * *

(٢٢٢) فى (أ) : (وحالف) بالحاء وهو تحريف .

قال أبو محمد : ونحن نقرأ أنه تعالى يغضب على فاعل ما أراد كونه منه ، ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم :

فإذ هذا عندكم منكر ، وأنتم مقرّون بأنه قادرٌ على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقرَّ ، ويسخط ما يقرُّه ولا يغيّره ، ويثبت ما لا يرضى ، وهذا هو الذى شنّعوا فيه ، ولا يقدرون على دفعه ، والشناعة عليهم راجعة لأنهم أنكروا ما لزمهم وبالضرورة ندرى أن من قدر على المنع من شىء فلم يفعل ، ولا مَنَع منه فقد أراد وجود كونه ، ولو لم يرد كونه لغيره ، ولا منع[٢٢٣] منه ، لما تركه[٢٢٤] يفعل .

فإن قالوا : إنه حكيم ، وخلّاهم دون منع لسرٍّ من الحكمة له فى ذلك .

قيل لهم : فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم : إنه أراد كونه لأنه حكيم كريم عزيز ، وله فى ذلك سرٌّ من الحكمة .

* * *

قال أبو محمد : وأمّا نحن فنقول : إنه تعالى أراد كون كلّ ذلك ، ولا سرَّ هاهنا ، وأن كل ما فعل فهو حكمة وحق . وأن قولهم هذا هادمٌ لمقدّمتهم الفاسدة أنه يقبح من البارى تعالى ما يقبح منّا ، وفيما بيننا ، وما علم قط ذو عقل أن مَنْ[٢٢٥] خلَّى منا عدوَّه منطلق اليد على وليّه ، وأحبِّ الناس إليه يقتله ويعذّبه ويلطمه ، ويهينه ، ويتركه ينطلق على عبيده ، وإمائه يفجر بهم وبهنَّ طوعا وكرها والسيّد حاضر يرى ويسمع ، وهو قادر على المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم حتّى يعطى عدوَّه القوة على كل ذلك ، والآلات المعينة له ، ويمده بالقوى شيئا بعد شىء فليس حكيما ، ولا حليما ، ولكنه عابث ظالم ، جائر ، فيلزمهم على أصلهم الفاسد أن يحكموا على الله تعالى بكل هذا لأنهم معترفون بأنه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لأننا نقول : إن الله تعالى يفعل ما يشاء ، وأن كلَّ ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة ، وحق ، وعدل « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسْألون » .

فبطل بضرورة المشاهدة قولهم : إن الله تعالى لم يرد كون الكفر ، أو كون الفسق ، أو كون شتمه تعالى ، وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، ولو لم يرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يرد أن يكون .

---

(٢٢٣) فى (أ) : (ولمنع منه) .
(٢٢٤) فى (أ) : ولما تركه يفعل .. وهذا تحريف يؤدى إلى فساد المعنى لأن (لما تركه) جواب للو الشرطية .
(٢٢٥) فى (أ) : عن ، وهو تحريف .

قال أبو محمد : ويكفى من هذا كله اجتماع الأمة على قول « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » . فهذا على عمومه موجبٌ أن كل ما فى العالم كان أو يكون – أىّ شىء كان فقد شاءه الله تعالى ، وكل ما لم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى .

وقد نصَّ الله تعالى نصًّا لا يحتمل تأويلًا على أنه تعالى أراد كون كل ذلك ، فمن ذلك قوله تعالى : « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين(٢٢٦)» .

فنصَّ تعالى نصًّا جليا على أنه لا يشاء أحدٌ استقامة على طاعته تعالى إلَّا إن شاء الله تعالى أن يستقيم ، فلو صحَّ قول المعتزلة : إنَّ الله تعالى شاء أن يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيما ، لأن الله تعالى عندهم قد شاء ذلك ، وهذا تكذيب مجرَّد لله تعالى ، نعوذ بالله من مثله فصح يقينا ، لا مدخل للشك فى صحته أنه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ، ولم يشأ أن يستقيموا بنص القرآن ، وقال تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَة لِلذين كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذين أوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذينَ آمَنُوا إيمَانًا ، ولَا يَرْتَابَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ ، والمؤمنونَ ولِيقُولَ الَّذين فى قُلُوبِهِم مَرَضٌ والكَافِرُونَ مَاذَا أرادَ الله بِهَذا مَثَلًا ، كذلِكَ يُضلُّ الله مَنْ يَشَاءَ ، ويَهْدِى مَنْ يَشَاء(٢٢٧)» .

قال أبو محمد : وهَذِه الْآيَةُ غاية فى البيان فى أنّ الله تعالى جعل عدة ملَائكة النار فتنةً للذين كفروا ، وليقولوا : ماذا أراد الله بهذا مثلا ، فأخبر تعالى : أنه أراد أن يفتن الذين كفروا ، وأن يضلهم فيضلوا ، وأنه تعالى قصد إضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدى المؤمنين وأراده ، وكذلك قال تعالى : « وَلَوْجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُه أَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِّى ، قُلْ هُو لِلَذين آمنُوا هُدًى وشفاءٌ ، والَّذِين لَا يُؤْمِنُون فى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى(٢٢٨)» .

قال أبو محمد : فنص تعالى على أنه نزل القرآن هدًى للمؤمنين ، وعمًى للكفار ، وبيقين ندرى أنه تعالى إذ أنزل القرآن أراد أن يكون كما قال تعالى : « عَمًى للكفار ، وهدى للمؤمنين » وقال تعالى : « ولو شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَميعًا ، أفأنْتَ تُكْرِهِ النَّاسَ حَتَّى يكونوا مُؤْمِنينَ ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بإذْنِ الله ، ويَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُون(٢٢٩)» .

هكذا هى الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على أنه لو شاء لآمن الناس

---

(٢٢٦) سورة التكوير آية رقم ٢٨ ، ٢٩

(٢٢٧) سورة المدثر آية رقم ٣١

(٢٢٨) سورة فصّلت : آية رقم ٤٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (أعجمى) بهمزة واحدة .

(٢٢٩) سورة يونس آية رقم ٩٩ ، ١٠٠

والجن ، وهم أهل الأرض كلهم ، و« لو » فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله عزَّ وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشىء لامتناع غيره ، فصحَّ يقينا أن الله تعالى لم يشأ أن يؤمن كل من فى الأرض ، وإذ لا شك فى ذلك فباليقين ندرى أنه شاء منهم خلاف الإيمان وهو الكفر والفسق لابدَّ ، ولو كان الله تعالى أذن للكافرين بالإيمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الأرض قد آمن ، لأنه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحدٌ إلا بإذنه ، وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان ، فصح أن المعتزلة كذبت ، وأن الله تعالى صدق ، وأنه لم يأذن قط لمن مات كافرًا بالإيمان[٢٣٠]، وأن من عمى عن هذه لأعمى القلب ، وكيف لا يكون أعمى القلب ، من أعمى الله قلبه عن الهدى ، وبالضرورة ندرى أن قول الله تعالى : « وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلَّا بِإِذْنِ الله » .

حق ، وأنَّ من لم يأذن الله تعالى له فى الإيمان فإنه تعالى لم يشأ أن يؤمن ، وإذ لم يشأ أن يؤمن فبلا شك أنه تعالى شاء أن يكفر ، هذا ما لا انفكاك منه وقال تعالى : « وَنَذَرُهُمْ فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُون ، وَلَوْ أَنَّنَا نزلنا إِلَيْهِمُ الملائكةَ وكَلَّمَهُمْ الموْتى ، وحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ، مَا كانوا لِيُؤْمِنُوا إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ[٢٣١]» .

فبين تعالى أتمَّ بيان على أنَّ الآيات لا تغنى شيئاً ولا النذر ، وهم الرسل ، وأنه لا يؤمن شىء من ذلك إلا من شاء الله عزَّ وجل أن يؤمن — فصح يقينا أنه لا يؤمن إلَّا من شاء الله إيمانه ، ولا يكفر إلَّا من شاء الله كفره ، فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام أنه قال « وَإلَّا تَصرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ، وَأَكُنْ مِنَ الجاهلينَ فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ »[٢٣٢].

فالبضرورة نعلم : أن من صبا وجهل فإنَّ الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذى صرفه برحمته عن من لم يصب ولم يجهل ، وإذ صرفه تعالى عن بعضٍ ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى إضلال من صبا وجهل . قال تعالى : « وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةَ أَنْ يَفْقَهُوه وفى آذانِهِمْ وَقرًا »[٢٣٣].

فليت شعرى إذ قال تعالى : إنه جعل قلوب الكافرين فى أكنة أن يفقهوا القرآن ، وجعل الوقر فى آذانهم ، أتراه أراد أن يفقهوه ، أو أراد ألا يفقهوه ؟ وكيف يسوغ فى عقل أحد أن يخبر تعالى : أنه فعل عزَّ وجل شيئاً لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ، ولا شاء إيجاده ، وهذا تخليط

---

(٢٣٠) فى (أ) : (فى الإيمان) .
(٢٣١) سورة الأنعام آية رقم ١١١
(٢٣٢) سورة يوسف آية رقم ٣٣
(٢٣٣) سورة الأنعام آية رقم ٢٥

لا يتشكل فى عقل كل ذى مسكة من عقل – فصحَّ يقينا أن الله تعالى أراد كون الوقر فى أذهانهم ، وكون الأكنة على قلوبهم .

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلِكنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ،وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءَ »(٢٣٤).

فنصَّ تعالى على أنه لم يرد يجعلنا أمة واحدة ، ولكن شاء أن يُضل قومًا ويهدى قومًا ، فصحَّ يقينا أنه تعالى ، شاء إضلال من ضل ،وقال تعالى : مثنيا على قوم ، ومصدقا لهم فى قولهم : « قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى الله كَذِبًا إنْ عُدْنَا فى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نجَّانَا الله مِنْهَا ، وَمَا يَكُونَ لَنَا أنْ نَعُودَ فيهَا إلَّا أنْ يَشَاءَ الله رَبُّنَا »(٢٣٥).

فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم قول الحق الذى شهد الله عزَّ وجل بتصديقه أنهم إنما خلصوا من الكفر بأن الله تعالى نجاهم منه ، ولم ينج الكافرين منه ، وأن الله تعالى إن شاء أن يعودوا فى الكفر عادوا فيه – فصح يقينا أنه تعالى شاء ذلك ممن عاد فى الكفر .

وقد قالت المعتزلة فى هذه الآية : معنى هذا إلَّا أن يأمرنا الله بتعظيم الأصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الأسود والكعبة .

* * *

قال أبو محمد : وهذا فى غاية الفساد ، لأن الله تعالى لو أمرنا بذلك لم يكن عوداً فى ملة الكفر بل كان يكون ثباتا على الإيمان ، وتزايداً فيه . قال تعالى : « فى قِلوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُم الله مَرَضا »(٢٣٦).

فليت شعرى إذ زادهم(٢٣٧) الله مرضا أتراه لم يشأ ، ولا أراد ما فعل من زيادة المرض فى قلوبهم ، وهو الشك والكفر ؟ وكيف يفعل الله ما لا يريد أن يفعل ؟ وهل هذا إلّا إلحاد مجرد ممن قاله ؟ وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتتل الَّذين مِنْ بَعْدِهِمْ مِنُ بَعدِ مَا جَاءتْهُم البَيِّنَاتُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنهُمّ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلُوا ولَكِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُرِيد »(٢٣٨).

(٢٣٤) سورة النحل آية رقم ٩٣
(٢٣٥) سورة الأعراف آية رقم ٨٩
(٢٣٦) سورة البقرة آية رقم ١٠
(٢٣٧) فى (أ) : (زاد لهم) .
(٢٣٨) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

فنصّ تعالى على أنه لو شاء لم يقتتلوا ، فوجب ضرورة أنه شاء وأراد أن يقتتلواوفى اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك ، فقد شاء الله تعالى كون الضلال ، ووجوده بنص كلامه تعالى ، وقال عزَّ وجل : « وَمَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فلَنْ تَمْلِكَ له مِنَ الله شَيْئاً »(٢٣٩).

فنص تعالى على أنه أراد فتنة المفتتنين ، وهم الكفار ، وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله ﷺ من الله شيئاً ، فهذا نص على أن نعمة الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار . وقال تعالى : « أولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ الله أَنْ يُطَهِرَ قُلُوبَهُم لَهُمْ فى الدُّنْيا خِزْىٌ وَلَهُمْ فى الآخِرَةِ عذَابٌ عَظِيمٌ »(٢٤٠).

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أنه تعالى لم يرد أن يطهر قلوبهم وبالضرورة ندرى أن من لم يرد الله أن يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذى هو ضد طهارة القلب ، ، وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى »(٢٤١).

وهذا غاية البيان فى أنَّ الله تعالى لم يرد هدى الجميع ، وإذا لم يرد هداه فقد أراد كون كفرهم الذى هو ضدّ الهدى ، وقال تعالى : « وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ، وَلَكِنْ حق القَوْلُ مِنِّى لأَمَلأَنَّ جَهَنَّم مِن الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين »(٢٤٢).

قال أبو محمد : هذا غاية البيان فى أنه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بأنّهم لا بدَّ من أن يكفروا فيكونوا من أهل جهنم . وقال تعالى : « مَنْ يَشَأَ الله يَضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَّجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم »(٢٤٣).

فأخبر تعالى أنه شاء أن يضل من أضله ، وشاء أن يهدَى من جعله على صراط مستقيم ، وهم بلا شك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم ، وأراد فتنتهم وألّا يطهر قلوبهم ، وأن يكونوا من أصحاب النار ، نعوذ بالله من ذلك . وقال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لَئِنْ لَمْ يَهْدِنى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّين »(٢٤٤).

فشهد الخليل عليه السلام أن من لم يهده الله تعالى ضلَّ ، وصحَّ أن من ضلَّ فلم يهده الله عزَّ وجل ، ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه – فقد أراد ضلاله وإضلاله ، ولم يرد هداه .

---

(٢٣٩) سورة المائدة آية رقم ٤١
(٢٤٠) سورة المائدة آية رقم ٤١
(٢٤١) سورة الأنعام آية رقم ٣٥
(٢٤٢) سورة السجدة آية رقم ١٣
(٢٤٣) سورة الأنعام آية رقم ٣٩
(٢٤٤) سورة الأنعام آية رقم ٧٧

وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا »[٢٤٥].

فصح يقينا لا إشكال فيه أن الله تعالى شاء أن يشركوا إذ نص على أنه لو شاء ألا يشركوا ما أشركوا . وقال تعالى : « يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوه »[٢٤٦].

وهذا نصٌ على أنه تعالى شاء أن يفعلوه ، إذ أخبر أنه لو شاء ألَّا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى : « وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثيرٍ مِنَ المشرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهم ، لِيُرْدُوهُمْ ، ولِيَلْبِسُوا لَلَيْهِم دِينَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَافَعَلُوه »[٢٤٧].

فنص تعالى على أنه لو لم يشأ أن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ما أوحوه ولو شاء ألا يلبس بعضهم دين بعض ، وألا يقتلوا أولادهم ما لبس عليهم دينهم ، ولا قتلوا أولادهم ، فصحَّ ضرورة أنه تعالى شاء أن يُلبس دين من التبس دينه وأراد كون قتلهم أولادهم ، وأن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ »[٢٤٨].

فصحَّ يقينا : أنه تعالى سلّط أيدى الكفار على من قتلوه من الأنبياء والصالحين وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فى السَّمَاءِ »[٢٤٩].

فنص على أنه يريد هدى قوم فيهديهم ، ويشرح صدورهم للإيمان ، ويريد ضلال آخرين فيضلهم بأن يضيق صدورهم ، ويحرجها فكأنهم كلّفوا الصعودَ إلى السماء فيكفروا وقال تعالى : « واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلَّا باللهِ »[٢٥٠].

فنص تعالى على أن من صبر فصبره ليس إلّا بالله – فصحَّ أن من صبر فإن الله أتاه الصبر ، ومن لم يصبر فإن الله عز وجل لم يؤته الصبر . وقال تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا » فنهانا عن الاختلاف . وقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أمه وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ »[٢٥١].

فنص تعالى أنه خلقهم للاختلاف إلَّا من رحم الله منهم ، ولو شاء لم يختلفوا فصحَّ يقينا أن

---

(٢٤٥) سورة الأنعام آية رقم ١٠٧
(٢٤٦) سورة الأنعام آية رقم ١١٢
(٢٤٧) سورة الأنعام آية رقم ١٣٧
(٢٤٨) سورة النساء آية رقم ٩٠
(٢٤٩) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥
(٢٥٠) سورة النحل آية رقم ١٢٧
(٢٥١) سورة هود آية رقم ١١٩

الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف ، وأراد كون الاختلاف منهم وقال عزَّ وجل : « تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وتَنْزِعَ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وتذل من تشاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »[٢٥٢].

وقال تعالى : « بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فجاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولًا »[٢٥٣] إلى قوله تعالى : « وَلِيَدْخُلُوا المسْجِدَ كَمَا دَخَلُوه أَوَّلَ مَرَّةٍ »[٢٥٤].

فنص تعالى على أنه أغرى الكفار وسلب المؤمنين فى الملك ، وأنه بعث أولئك الذين دخلوا المسجد ، ودخلوه مسخطين[٢٥٥] لله تعالى بلا شك . فصح يقينا أنه تعالى خلق كل ذلك وأراد كونه ، وقال عزَّ وجل : « أَلَمْ تَرَ إلى الَّذى حَاجَّ إبْرَاهَيم فى رَبِّهِ أَنْ آتَاه الله المُلْكَ »[٢٥٦].

فهذا نصٌ جلى على أن الله أتى الملك ذلك الكافر ، فصح يقينا أن الله تعالى فعل تمليكه وملكه على أهل الإيمان ، ولا خلاف بين أحدٍ من الأمة فى أن ذلك يسخط الله عزَّ وجل ، ويغضبه ولا يرضاه ، وهو نفس الذى أنكرته المعتزلة ، وشنعت به .

قال أبو محمد : ونسألهم عما مضت الدنيا عليه منذ كانت من أولها إلى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك أهل الشرك ، والملوك الجورة ، والظلمة ، والغلبة المعطاه لهم على من ناوأهم من أهل الإسلام ، وأهل الفضل ، واحترام من أرادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ، ويأتى النصر لهم بوجوه الظفر الذى لا شك فى أن الله تعالى فاعله من إماتة أعدائهم من أهل الفضل ، وتأييدهم عليهم . وهذا ما لا مخلص لهم فى أن الله تعالى أراد كونه : وقال عزَّ وجل : « وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ، وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِين »[٢٥٧].

فنص تعالى نصًّا جليا لا يحتمل تأويلًا على أنه كره أن يخرجوا فى الجهاد الذى افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله ﷺ ، فقد كره تعالى كون ما أراد ونصَّ على أنه الله ثبطهم عن الخروج فى الجهاد ثم عذَّبهم على التثبيط الذى أخبر تعالى أنه فِعْله . ونصّ تعالى على أنه قال « اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِين » . وهذا يقين ليس بأمر إلزام لأنَّ الله تعالى لم يأمرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله ﷺ بل لعنهم ، وسخط عليهم إذ قعدوا فإذا لا شك فى هذا فهو ضرورة أمر تكوين ، فصح أن الله تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه ، وإذا نصَّ تعالى على[٢٥٨] أمر

(٢٥٢) سورة ال عمران اية رقم ٣٦
(٢٥٣) سورة الأسراء.آية رقم ٥
(٢٥٤) سورة الأسراء آية رقم ٧
(٢٥٥) فى (أ) : (مسخط) .
(٢٥٦) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨
(٢٥٧) سورة التوبة آية رقم ٤٦
(٢٥٨) فى الأصل (نص أمر) .

فلا اعتراض لأحدٍ عليه . وقال عزّ وجل : « فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهم ولا أولادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فى الحياه الدُّنْيا ، وَتَزْهَقَ أَنفسُهُمْ وَهُمْ كافِرُون »(٢٥٩).

وهذا نصٌّ جليٌّ على أنه عزّ وجل أراد أن يموتوا وهم كافرون ، وأنه تعالى أراد كفرهم ، والقافُ من (تَزْهَق) مفتوحة بلا خلاف من أحدٍ من القراء ، معطوفة على ما أراد الله عزّ وجل من أن يعذبهم بها فى الدنيا ، « والواو » تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه بلا خلاف من أحدٍ فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : فإن الله عزّ وجل قال فى الّذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ : « لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا ، ولَأَوْضَعُوا خِلَا لِكُمْ يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ ، وفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ »(٢٦٠).

فلهذا ثبطهم .

قلنا : لا عليكم . أكانوا مأمورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار إن قعدوا بغير عذر ، أم كانوا غير مأمورين بذلك ؟ فإذ لا شك فى أنهم كانوا مأمورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به ، وعذّبهم على ذلك ، وخلق قعودهم عمّا أمرهم به .

ثم نقول لهم : أكان تعالى قادراً على أن يكف عن أهل الإسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا ؟

فإن قالوا : لم يكن قادراً على ذلك عجّزوا ربّهم تعالى ، وإن قالوا إنه تعالى كان قادراً على ذلك رجعوا إلى الحق وأقروا أن الله تعالى ثبّطهم ، وكَرِهِ كَوْن ما افترض عليهم ، وخلق قعودهم الذى عذّبهم عليه ، ولامهم عليه كما شاء لا معقِّب لحكمه ، وبالله تعالى التوفيق

* * *

قال أبو محمد : فإذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلًا بأنه عزَّ وجل أراد ضلال من ضل وشاء ، وكفر من كفر – فقد علمنا ضرورة أن كلام الله تعالى لا يتعارض ، فلما أخبر عزَّ وجل أنه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا أن الذى نفى عزَّ وجل هو غير الذى أثبت . فإذ لا شك فى ذلك ، فالذى نفى تعالى هو الرضا بالكفر ، والذى أثبت هو الإرادة لكونه والمشيئة لوجوده ، وهما معنيان متغايران بنص القرآن ، وحكم اللغة .

(٢٥٩) سورة التوبة آية رقم ٥٥
(٢٦٠) سورة التوبة آية رقم ٤٧

فإن أبت المعتزلة من قبول قول كلام ربهم ، وكلام نبيهم ﷺ ، وكلام إبراهيم ويوسف وشعيب ، وسائر الأنبياء ﷺ ، وأبت أيضاً من قبول اللغة ، وما أوجبته البراهين الضرورية ممَّا شهدت به الحواسُّ والعقول من الله تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه ، وقد قال تعالى : « الّذين كذَّبوا شُعَيباً كانوا هُم الخاسِرين »(٢٦١).

فشهد الله تعالى بتكذيبهم ، واستعاضته من ذلك بأصول المنّانية أن الحكيم لا يريد كون الظلم ، ولا يخلقه ، « فَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا به أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون »(٢٦٢).

ولقد لجأ بعضهم إلى أن قال : إن لله تعالى فى هذه الآيات معنى ومراداً لا نعلمه .

قال أبو محمد : وهذا تجاهل ظاهر ، وراجع لنا عليهم سواء بسواء فى خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ، ولا فرق . فكيف وهذا كله لا معنى له بل الآيات كلها حق على ظاهرها ، لا يحل صرفها عنه لأن الله تعالى قال : « أَفَلَا يَتَدَبَّرون الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها »(٢٦٣).

وقال تعالى : « قُرْآناً عَرَبِيًّا »(٢٦٤).

وقال تعالى : « تِبيَاناً لِكُلِّ شَىْء »(٢٦٥).

وقال تعالى : « أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ »(٢٦٦).

وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »(٢٦٧).

فأخبر تعالى : أن القرآن تباينا لكل شىْء .

فقالت المعتزلة : إنه لا يفهمه أحد وأنه ليس تبيانا نعوذ بالله من مخالفة الله عزّ وجل ومخالفة رسوله ﷺ .

قال أبو محمد : ولا فرق بين ما تلونا من الآيات فى أن الله تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى : « قُلْ اللَّهَمَّ مَلِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلَّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدَكَ الْخَيْرُ »(٢٦٨).

---

(٢٦١) سورة الأعراف آية رقم ٩٢
(٢٦٢) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٢٦٣) سورة محمد : ٢٤
(٢٦٤) سورة يوسف : ٢
(٢٦٥) سورة النحل : ٨٩
(٢٦٦) سورة العنكبوت : ٥١
(٢٦٧) سورة إبراهيم : ٤
(٢٦٨) سورة آل عمران : ٢٦

وقوله تعالى : « إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء »[٢٦٩].

وقوله تعالى : « يَجْتَبى مِنْ رُسُلِه مَنْ يَشَاء »[٢٧٠].

وقوله : « يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ »[٢٧١].

وقوله تعالى : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء »[٢٧٢].

وقوله تعالى : فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ »[٢٧٣].

فهذا العموم جامع لمعانى هذه الآيات ونص القرآن وإجماع الأمة على أن الله عز وجل حكم بأن من حلف فقال : إن شاء الله أو إلا أن يشاء الله على أى شيء حلف فإنه إن فعل ما حلف عليه لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمه لأن الله تعالى لو شاء لأنفذه .

وقال عز وجل : « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله »[٢٧٤].

قال أبو محمد : فإن اعترضوا بقول الله عز وجل : « وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ »[٢٧٥].

فلا حجة لهم فى هذه الآيات لأن الله عز وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضهم بعضا وإذ[٢٧٦] قد أخبر تعالى أنه لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وأنه لو لم يشأ أن يشركوا ما شركوا وأنه شاء إضلالهم وأنه لا يريد أن يطهِّر قلوبهم فمن المحال الممتنع أن يكذِّب الله عز وجل قوله الذى أخبر به وصدقه فإذ لا شك فى هذا فإنَّ فى الآية التى ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى أنهم كذبوا فى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فكان يكون لهم حينئذ فى الآية متعلق وإنما أخبر تعالى أنهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصاً ليس فى هذه الآية معنى غير هذا أصلا وهذا حق وهو قولنا إن الله تعالى لم ينكر قط فيها ولا فى غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بل صدَّقه فى الآيات الأخرى وإنما أنكر عز وجل أن قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد أُكْذب بالله عز وجل من قال الحق الذى لاحق أحق منه إذ قاله غير معتقد له .

---

(٢٦٩) سورة الحج : ١٨

(٢٧٠) سورة آل عمران :. ١٧٩

(٢٧١) سورة البقرة : ٢١٢

(٢٧٢) سورة البقرة : ١٠٥

(٢٧٣) سورة هود : ١٠٧ ، البروج : ١٦

(٢٧٤) سورة الكهف : ٢٣

(٢٧٥) سورة الزخرف : ٢٠

(٢٧٦) فى (أ) : لم يذكر (وإذ) .

قال عز وجل : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه وَالله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِين لَكَاذِبُون »(٢٧٧).

قال أبو محمد : فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد ﷺ بأنه رسول غير معتقدين لذلك سمَّاهم الله تعالى كاذبين وهكذا فصل عز وجل فى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ، لما قالوا هذا الكلام الذى هو الحق غير عالمين بصحته أنكر تعالى عليهم أن يقولوه متخرصين وبرهان هذا قوله قول الله تعالى إثر هذه الآية نفسها : « أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ به مُسْتَمْسِكُون بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُون »(٢٧٨).

فبين تعالى أنهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وأن الذين قالوا معتقدين له إنما هو أنهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم ، فهذا هو الذى عقدوا عليه وهذا أنكره تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل أن يكون لهم فى الآية متعلق أصلا والحمد لله رب العالمين . فإن اعترضوا بقول الله عز وجل « وَقَال الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا عَبَدْنَا مِنْ دونه من شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دَوُنِه مِنْ شَيّءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين »(٢٧٩).

قال أبو محمد : فإن سكتوا ها هنا لم يهمهم التمويه . وقلنا لهم : صِلُوا القراءة واتموا معنى الآية فإن بعد قوله تعالى : « فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ المُبين » متصلا به : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله واجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْه الضَّلَالَةُ »(٢٨٠).

* * *

قال أبو محمد : فآخر هذه الآية تبين أوّلها وذلك أن الله تعالى أيضاً لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكى عز وجل أنهم قالوا : « لَوْ شَاءَ الله مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ » ولم يكذبهم فى ذلك أصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكى تعالى أيضا قولهم : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَق السَّمواتِ والْأَرْضَ ليقولون الله »(٢٨١) ولو

(٢٧٧) سورة المنافقون : ١
(٢٧٨) سورة الزخرف : ٢١ ، ٢٢
(٢٧٩) سورة النحل : ٣٥
(٢٨٠) سورة النحل : ٣٦ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث ذكر (حقت عليهم الضلالة) .
(٢٨١) سورة لقمان : ٢٥

أنكر عز وجل قولهم ذلك لأكذبهم فإذ لم يكذبهم فلقد صدقهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين .

* * *

قال أبو محمد : فإن اعترضوا بقول الله تعالى : « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ من علم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظن وإن أَنْتُمْ إِلَّا تخرصون قُلْ فلله الْحُجَّةُ البالغة فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أجمعين ، قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَاوالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً »[282].

قال أبو محمد : إنما تلونا جميع الآيات على نسقها فى القرآن واتصالها خوف أن يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قول « تخرصون » فكثيرا ما إحتجنا إلى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقى الله عز وجل .

قال أبو محمد : فهذه الآية من أعظم حجة الله على القدرية لأنه تعالى لم ينكر عليهم قولهم ولو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من[283] شيء ولو أنكره لكذبهم فيه وإنما أنكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وإن وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفا وقد بين تعالى : أنه إنما أنكر عليهم ذلك بقوله عز وجل فى الآية نفسها« إِنْ تَتَّبِعُون إلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُم إِلَّا تَخْرُصُون » .

ثم لم يدعنا تعالى فى لبس من ذلك بل وأتبع ذلك نسقا واحدا ، بأن قال : « فلله الحجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين » .

فصدقهم عز وجل فى قولهم أنه لو شاء ما أشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرموا ، وأخبر تعالى أنه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى أن له الحجة عليهم فى ذلك ولا حجة لأحد عليه تعالى ، وأنكر عز وجل أن أخرجوا ذلك مخرج العذر لأنفسهم أو مخرج الاحتجاج على الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى أنه إنما أنكر أيضا تكذيبهم رسله بقوله تعالى : « كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهَمْ »[284].

---

(282) سورة الأنعام : 148 – 151 . وقد جاءت هذه الآيات محرفة فى (أ) حيث ذكرها (ولا حرمنا من دونه من شيء) .
(283) فى (أ) : أوردها محرفة حيث قال : (ولا حرمنا من دونه من شيء) .
(284) سورة الأنعام : 148

بالذّال المشددة بلا خلاف من القراء ، ودعواهم أن الله تعالى حرّم ما ادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى : « قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الذينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ الله حَرَّمَ هَذَا »(٢٨٥).

فوضح بكل ما ذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبان(٢٨٦) صحة قولنا أن الله تعالى شاء كل مافى العالم من إيمان وشرك وهدى وضلال وأن الله تعالى أراد كون ذلك كله وكيف يمكن أن ينكر تعالى قولهم لو شاء الله ما أشركنا وقد أخبرنا عز وجل هذا نصاً فى قوله فى السورة نفسها : « إتَّبِعْ مَا أُوحِىَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إلَه إلا هُوَ وَأَعْرِضَ عَن الْمُشْرِكِين ، وَلَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكُوا »(٢٨٧) فلاح يقينا صدق ما قلنا من أنه تعالى لم يكذبهم فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء وهذا مثل ما ذكر الله تعالى من قولهم « أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ الله أَطْعَمَهُ »(٢٨٨) فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيبا له بل صدقوا فى ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع .

وما نرى(٢٨٩) المعتزلة تنكر هذا وإنما أورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به فى الامتناع من الصدقة وإطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها . إذ قالت يكلفنا مالا يقدرنا عليه ، ثم يعذبنا بعد ذلك على ما أراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل إطعام هذا الجائع ولو أراد إطعامه لأطعمه .. ؟

قال أبو محمد : تباً لمن عارض أمر ربه تعالى واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولو شاء لأطعم من ألزمنا إطعامه ، ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ، ولكنه تعالى لم يرد ذلك بل أراد أن يعذب من لا يطعم المسكين ، ومن أضله من الكافرين لا يُسْأَلُ عَمَا يَفْعَل وَهُمْ يُسَألون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقالت المعتزلة : معنى قوله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى »(٢٩٠)، « لَأمَنَ مَنْ فِى الْأرْضِ »(٢٩١).

وسائر الآيات التى تلوتم إنما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم إلى الإيمان فأمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة .

---

(٢٨٥) سورة الأنعام آية رقم ١٥٠
(٢٨٦) فى (أ) : (وبأن) وهو تحريف .
(٢٨٧) سورة الأنعام : ١٠٥ ، ١٠٦
(٢٨٨) سورة يس : ٤٧
(٢٨٩) فى (أ) : (أرى) .
(٢٩٠) سورة الأنعام : ٣٥
(٢٩١) سورة يونس آية رقم ٩٩

قال أبو محمد : وهذا تأويل جمعوا فيه بلايا جمه أولها : أنه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو تناقض[٢٩٢] ويقال لهم ما صفة الإيمان الضرورى الذى لا تستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الإيمان غير الضرورى الذى تستحق به الثواب عندكم فإنهم لا يقدرون على فرق أصلا إلا أن يقولوا بمثل ما قال الله عز وجل إذ يقول تعالى : « يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فى إِيمَانِهَا خَيْرًا[٢٩٣]» .

ومثل قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُون[٢٩٤]» .

ومثل حالة المحتضر عن المعاينة التى لا يقبل فيها إيمانه وكما قيل لفرعون : « الآنَ . وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ[٢٩٥]» .

قال أبو محمد : فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الأحوال ولم يبطل بذلك قبول إيمانهم فهلَّا على أصولكم صار إيمانهم إيمان إضطرار لا يستحقون عليه جزاء فى الجنة أم[٢٩٦] صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه أصلًا ثم نقول لهم أخبرونا عن إيمان التوفيق إذ صح عندهم صدق النبى بمشاهدة المعجزات من شقّ القمر ، وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ، ونبعان الماء الغزير من بين الأصابع ، وشق البحر ، وإحياء الموتى[٢٩٧]، وأوضح كل ذلك بنقل التواتر الذى به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك ما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا فرق فى صحة اليقين لكونه هل إيمانهم إلا إيمان يقين قد صح عندهم وأنه حق ولم يتجلى لهم فيه شك بل علمهم به كعلمهم أن ثلاثة أكثر من اثنين وكعلمهم ما شاهدوه بحواسهم فى أنه كله حق وعلموه ضرورة أم إيمانهم ذلك ليس يقينيًا مقطوعًا بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل إلى قسم ثالث .. ؟ فإن قالوا : بل هو الآن يقين قد صح علمهم بأنه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كيقينهم[٢٩٨] صحة ما علموه بمشاهدة حواسهم .

قلنا لهم : نعم هذا هو الإيمان الاضطرارى بعينه وإلا تفرقوا[٢٩٩] وهذا الذى موهتم بأنه

---

(٢٩٢) فى (أ) : (ساقط) .
(٢٩٣) سورة الأنعام : ١٥٨
(٢٩٤) سورة السجده : ٢٨ ، ٢٩
(٢٩٥) سورة يونس : ٩١
(٢٩٦) فى (أ) : (أمّا) .
(٢٩٧) سبق أن أوضحنا هذه المعجزات فى الجزء الثانى من هذا التحقيق .
(٢٩٨) فى (أ) : (كتيقنهم) .
(٢٩٩) فى (أ) : ففرقوا .

لا يستحق عليه من الجزاء كالذى يستحقه على غيره وبطل[٣٠٠] تمويهكم بحمد الله تعالى .

إذ قلتم : إن معنى قوله تعالى : « لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى[٣٠١]» . « لَآمَنَ مَنْ فى الْأَرْضِ[٣٠٢] أنه كان يضطرهم إلى الإيمان .

فإن قالوا : بل ليس إيمان المؤمنين هكذا ولا علمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة .

قيل لهم : قد أوجبتم أن المؤمنين على شك فى إيمانهم وعلى عدم يقين فى اعتقادهم وليس هذا إيمانا بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فإن كان هذا صفة إيمان المعتزلة فهم أعلم بأنفسهم وأما نحن فإيماننا ولله الحمد إيمان ضرورى لا مدخل للشك فيه كعلمنا أن ثلاثة أكثر من اثنين وأن كلَّ بناء فمبنى وكل من أتى معجزة فمحق فى نبوته ولا نبالى أكان[٣٠٣] ابتداء علمنا استدلالًا أم مدركا بالحواس إذ كانت نتيجة كل ذلك سواء فى نفى[٣٠٤] صحة الشىء المعتقد وبالله تعالى التوفيق .

ثم نسألهم عن الذين يجحدون[٣٠٥] بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفسًا إيمانها .

أكان الله تعالى قادرًا على أن ينفعهم بذلك الإيمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين أم هو تعالى غير قادر على ذلك ؟ فإن قالوا بل قادر على ذلك رجعوا إلى الحق والتسليم لله عز وجل وأنه تعالى منع من شاء وأعطى من شاء وأنه تعالى أبطل إيمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل إيمان من أمن عند رؤية آية أخرى وكلها سواء فى باب الإعجاز وهذا هو المحاباة المحضة والجور البين عند المعتزلة فإن عجَّزوا ربهم تعالى عن ذلك أحالوا وكفروا وجعلوه تعالى مضطرًا مطبوعًا محكومًا عليه ، تعالى الله عن ذلك .

* * *

قال أبو محمد : وقد قال عز وجل : « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمَانُها إلا قَوْمَ يُونُسَ كمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَتَّعْنَاهُمْ إلَى حِينٍ[٣٠٦]» .

---

(٣٠٠) فى (أ) : (وبكل) .
(٣٠١) سورة الأنعام آية رقم ٣٥
(٣٠٢) سورة يونس آية رقم ٩٩
(٣٠٣) فى (أ) : (إن كان) .
(٣٠٤) فى (أ) : (فى تيقن) .
(٣٠٥) فى (أ) : (يرون) .
(٣٠٦) سورة يونس : ٩٨

فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عز وجل منهم إيمانهم وآمن فرعون وسائر الأمم المعذبة إذ رأوا[٣٠٧] العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ما شاء . لا معقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى أن الإيمان الاضطرارى لا يستحق عليه جزاء جملة وصح أن الله تعالى يقبل إيمان من شاء ولا يقبل إيمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذى هذيتم به من أن معنى قوله تعالى « لجمعهم على الهدى » إنما هو لاضطرارهم إلى الإيمان فأخبرونا لو كان ذلك فأىُّ ضرر كان يكون فى ذلك على الناس والجن بل كان يكون فى ذلك الخير كله وماذا ضر الأطفال إذا لم يكن لهم إيمان اختيارى كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعًا رآه غيرهم وأيضا فإن دعواهم هذه التى كذبوا فيها على الله عز وجل إذ وصفوا عن مراد الله تعالى ما لم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لأن اسم الهدى والإيمان لا يقعان ألبتة على معنى غير المعنى المعهود فى القرآن واللغة وهما طاعات الله عز وجل والعمل بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك – بنص القرآن – رِضَى الله عز وجل وجنته ، ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنون ولا الطفل مؤمنا ولا مهتديا إلا على معنى جرى أحكام الإيمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا : قول الله تعالى : « وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نفس هُدَاهَا وَلِكن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِين[٣٠٨]» فصح أن الهدى الذى لو أراد الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذى لا يملأ جهنم من أهله وكذلك قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تؤمن إِلَّا بِإِذْنِ الله[٣٠٩]» .

فصح أن الإيمان جملة شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة . وأيضًا فإن الله عز وجل يقول : « مَنْ يَهْدِى الله فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلْلْ فلن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِدًا[٣١٠]» . ويقول : إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء[٣١١]» .

ويقول تعالى : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلِكِنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء[٣١٢]» .

فهذه الآيات مبينة أن الهدى المذكور هو الاختيارى عند المعتزلة لأنه تعالى يقول لنبيه

---

(٣٠٧) فى (أ) : (لما رأوا) .
(٣٠٨) سورة السجدة : ١٣
(٣٠٩) سورة يونس : ١٠٠
(٣١٠) سورة الكهف : ١٧
(٣١١) سورة القصص : ٥٦
(٣١٢) سورة البقرة : ٢٧٢

ﷺ : « ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِين[٣١٣]» .

وقال تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فى الدِّين[٣١٤]» .

فصح يقينا أن الله تعالى لم يرد قط بقوله : « لَجَمَعَهُمْ على الهدى ، ولآمن من فى الأرض إيمانًا فيه إكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين » .

فإن قالوا لنا فإذا أراد الله تعالى كون الكفر والضلال فأريدوا ما أراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم : وبالله التوفيق ليس لنا من أن نفعله ما لم نؤمر به ولا يحل لنا أن نريد ما لم يأمرنا الله تعالى بإرادته وإنما علينا ما أمرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنا بمحبته ونريد ما أمرنا بإرادته ثم نسألهم هل أراد الله تعالى إمراض النبى ﷺ إذ أمرضه ، وموته ﷺ إذ أماته ، وموت إبراهيم ابنه إذ أماته أو لم يرد الله تعالى شيئا من ذلك ، فلابد أن الله تعالى أراد كون كل ذلك فيلزمهم أن يريدوا موت النبى ﷺ ومرضه وموت ابنه إبراهيم لأن الله تعالى أراد كون[٣١٥] كل ذلك . فإن أجابوا إلى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا[٣١٦] الله ورسوله وإن أبوا من ذلك بطل ما أرادوا إلزامنا إياه . إلا أنه لازم لهم على أصولهم الفاسدة لا لنا لأنهم صححوا هذه المسألة ونحن لم نصححها ، ومن صحح شيئًا لزمه . ثم نقول لهم : وبالله تعالى التوفيق :

لسنا ننكر فى حال ما يباح لنا فيه إرادة الكفر من بعض الناس فقد أثنى الله عز وجل على ابن آدم فى قوله لأخيه : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِين[٣١٧]» فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد أن يكون أخوه من أصحاب النار وأن يبوء بإثمه مع إثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام : « ربَّنا اطمس على أموالهم واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِم فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمِ قَالَ : قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا[٣١٨]» .

فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد أرادا وأحبَّا أن لا يؤمن فرعون وأن يموت كافرا إلى النار وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه دعا على عتبه بن أبى وقاص أن يموت كافرًا إلى النار فكان كذلك .

---

(٣١٣) سورة يونس : ٩٩
(٣١٤) سورة البقرة : ٢٥٦
(٣١٥) فى (أ) : لم يذكر كلمة (كون) .
(٣١٦) فى (أ) : (عصوا) بغير « واو » العطف .
(٣١٧) المائدة : ٢٩
(٣١٨) يونس : ٨٨

قال أبو محمد : وأصدق الله عز وجل أنا عن نفس التى هو أعلم بما فيها منى أن الله تعالى يعلم أنى لأسر بموت عقبة بن أبى معيط[٣١٩] كافرًا وكذلك أمر أبى لهب[٣٢٠] لأذاهما رسول الله ﷺ ولتتم كلمة العذاب عليهما وأن المرء ليسر بموت من استبلغ فى أذاه ظلما بأن يموت على أقبح طرائقه[٣٢١]، وقد روينا هذا عن بعض الصالحين فى بعض الظلمة ولا حرج فيمن استن[٣٢٢] بمحمد وبموسى وبأفضل ابنى آدم صلى الله عليهم وسلم . وليت شعرى أى فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب فى النار وبين الدعاء عليه بأن يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الأمرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال عز وجل : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ[٣٢٣] » .

وقال تعالى : « وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ[٣٢٤] » .

وقال تعالى : « إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ[٣٢٥] عنكم» .

وقال تعالى : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ[٣٢٦] » .

فصح يقينا أن الله تعالى يسلط[٣٢٧] الكفار على من سلطهم عليهم من الأنبياء ، وعلى أهل بئر معونة ويوم أحد ، ونصرهم إملاء لهم وابتلاء للمؤمنين وإلَّا فيقال لمن أنكر هذا أتراه تعالى كان عاجزا عن منعهم ؟ فإن قالوا نعم . كفروا ونافقوا لأن الله تعالى قد نص على أنه كف أيدى الكفار عن المؤمنين إذ شاء وسلط أيديهم على المؤمنين ولم يكفها . إذ شاء .

قال أبو محمد : وقال بعض شيوخ المعتزلة : إن إسلام الله تعالى من أسلم من الأنبياء إلى أعدائه فقتلوهم وجرحوهم وإسلام من أسلم من الصبيان إلى أعدائه يحضونهم ويغلبونهم على أنفسهم بركوب الفاحشة إذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلاناً فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها لأن الله تعالى لم يذكرها فى هذا الباب لكنا نقول لكم إذا كان قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم ما يكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد أسلم أنبياءه صلوات الله

---

(٣١٩) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسروه يوم بدر ، وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب فى الإسلام ، عام ٢ هجرية .

(٣٢٠) هو : عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان فى الجاهلية ، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين فى الإسلام ، وكان غنيا عتيًا ، كبر عليه أن يتبع دنيا جاء به ابن أخيه ، فآذى أنصاره وحرّض عليهم ، وكان أحمر الوجه مشرقا ، فلقب فى الجاهلية بأبى لهب . مات بعد وقعة بدر بأيام ، ولم يشهدها وفيه نزلت السورة : « تبت يدا أبى لهب وتبَّ » . (الأعلام) .

(٣٢١) فى (أ) : (طريقه) .

(٣٢٢) فى (أ) : (أتتسى) .

(٣٢٣) النساء : ٩٠

(٣٢٤) آل عمران : ١٢٦

(٣٢٥) المائدة : ١١

(٣٢٦) الفتح : ٢٤

(٣٢٧) فى (أ) : (سلط) .

عليهم إلى أعدائه ليعوضهم أجل عوض فقد أقررتم بزعمكم أن الله تعالى أراد إسلامهم إلى أعدائهم وإذا أراد الله عز وجل ذلك فقد أراد بإقراركم كون أعظم ما يكون من الكفر وشاء وقوع أعظم الضلال ورضى ذلك لأنبيائه عليهم السلام على الوجه الذى تقولون كائناً ما كان وهذا ما لا مخلص لهم منه .

وأيضاً فنقول لهذا القائل إذا كان إسلام الأنبياء إلى أعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثا على توجيهكم المناقض لأصولكم فى أنه أدى إلى أجزل الجزاء فليس خذلانا ، وكذلك إسلام المسلم إلى عدوه يحضه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على أصولكم خير وعدل فيلزمكم أن تمنوا[٣٢٨] بذلك وأن تسروا بما نيل من الأنبياء عليهم السلام فى ذلك وأن تدعوا ، فيه إلى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف إجماع أهل الإسلام وهذا ما لا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لأننا لا نسر إلا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى إلا ما قد أباح لنا تعالى أن ندعوه فيه وكل فعله عزّ وجل وإن كان عدلًا منه وخيرا فقد افترض تعالى علينا أن ننكر من ذلك ما سماه من غيره ظلما وأن نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فإنما نتبع ما جاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق .

وقال قائل من المعتزلة : إذا حملتم قوله تعالى : « وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً[٣٢٩]» فما يدريكم لعله عليكم عمى .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن الله تعالى قد نصَّ على أنه لا يكون عمى إلا على الذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذَمَّ الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره .

فقال تعالى : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعه »[٣٣٠].

فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حساً فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول ﷺ فالقرآن له هدى وشفاء ومن بدل كلمة عن مواضعه وادّعى فيه دعاوى برأيه وكهاناتٍ بظنه وأسراراً غمض وأعرض عن بيان الرسول ﷺ ، المبين عن الله تعالى بأمره ، ومال إلى قول المنانية فهو الذى عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها وإقدامها أنهم قالوا بأن الشهادة التى غبط الله تعالى بها الشهداء وأوجب لهم بها أفضل الجزاء وتمنّاها رسول الله ﷺ وأصحابه وفضلاء المسلمين ليس هى قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البرىء .

---

(٣٢٨) فى (أ) : (تتمنّوا) .

(٣٢٩) فصلت : ٤٤

(٣٣٠) النساء : ٤٦ ، المائدة : ١٣

قال أبو محمد رضى الله عنه : وجنون المعتزلة وجهلهم واهذارهم ووساوسهم لا قياس عليها وحُقَّ لمن استغنى عن الله عزَّ وجل وقال إنه يقدر على ما لا يقدر عليه ربه تعالى وقال إن عقله كعقول الأنبياء عليهم السلام سواء بسواء أن يخذله الله عز وجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسأله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عزّ وجل : « إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بأَنَّ لَهُمْ الجَنَةَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ ويقتلون وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا »[٣٣١].

وقوله تعالى : « وَلَا تَقُولوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ الله أَمْواتَ بَلْ أَحْيَاءٌ »[٣٣٢].

ثم إنهم فسروا الشهادة بعقولهم فقالوا : إنما الشهادة الصبر على الجراح المؤدية إلى القتل والعزم على التقدم إلى الحرب .

قال أبو محمد : وفى هذا الكلام من الجنون ثلاثة أُضرب . أحدها : أنه كلام مبتدع لم يقله[٣٣٣] أحد من متأخريهم المنسلخين من الخير جملة ..

والثانى : أنه لو صح ما ذكروا لكانت الشهادة فى الحياة لابالموت لأن الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان إلا فى الحياة والشهادة فى سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الأخبار وإجماع الأمة إلا بالقتل .

والثالث : أن الذى منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو أن الشهادة التى يتمنى[٣٣٤] المسلمون بها إن كانت العزم على التقدم إلى الحرب والصبر على الجراح المؤدية إلى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار للمسلمين ، وتمنى أن يجرحوا المسلمين جراحا [تؤدى إلى القتل وتمنى ثبات الكفار على الكفر حتى يجرحوا أهل الإسلام جراحاً] قاتله وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم إياهم معاص وكفر بلا شك ، فقد حصلوا على تمن للمعاص[٣٣٥] وهو الذى به شنعوا وبالله تعالى التوفيق . فبطل كل ما شغبت[٣٣٦] به المعتزلة والحمد لله رب العالمين كثيرا .

---

(٣٣١) التوبة : ١١١
(٣٣٢) البقرة : ١٥٤
(٣٣٣) فى (أ) : (لم يقبله) .
(٣٣٤) فى (أ) : (تمنى) .
(٣٣٥) فى (أ) : (المعاصى) .
(٣٣٦) فى (أ) : (شنعت) .

« الكلام فى اللطف والأصلح »

قال أبو محمد : وضل جمهور المعتزلة فى فصل من القدر ضلالًا بعيدا فقالوا بأجمعهم حاشى ضرار بن عمرو ، وحفصا الفرد وبشر بن المعتمر[٣٣٧]، ويسيراً ممن اتبعهم أنه ليس عند الله تعالى شيء أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى أهدى ممّا قد هدى به الكافر والمؤمن هُدىً مستويا ، وأنه ليس يقدر على شيء وهو أصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين .

ثم اختلف هؤلاء – فقال جمهورهم – إنه تعالى قادر على أمثال ما فعل من الصلاح بلا نهاية وقال الأقل منهم : وهم عباد ، ومن وافقه هذا باطل لأنه لا يجوز أن يترك الله تعالى شيئا يقدر عليه من الصلاح من أجل فعله لصلاحٍ مَّا . وحجّتهم فى هذا الكفر الذى أتوا به أنه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم إياه لكان بخيلًا ظالماً لهم ولو أعطى شيئاً من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابياً ظالماً والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار إذا أعطاهم إياه ثم منعهم إياه لكان ظالماً لهم غاية الظلم ، قالوا وقد علمنا أن إنساناً لو ملك أموالًا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج إليها فقصده جارٌ فقير له تحلّ له الصدقة فسأله درهما يحيى به نفسه وهو يعلم فقره إليه ويعلم أنه يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فإنه بخيل ، قالوا : فلو علم أنه إذا أعطاه الدرهم سهلت عليه أفعالٌ كلفه إياها فمنعه مع ذلك لكان بخيلا ظالما فلو علم أنه لا يصل إلى ما كلفه إلا بذلك الدرهم فمنعه لكان بخيلا ظالماً سفيها . فهذا كل ما احتجوا به لا حجة لهم غير هذه ألبته .

وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم إلى أن عند الله عزّ وجل ألطافا كثيرة لا نهاية لها لو أعطاها الكفار لآمنوا إيماناً إختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار إلى نحو هذا ولم يحققه أبو على الجبائى وابنه أبو هاشم[٣٣٨] وكان بشر ابن المعتمر يكفر من قال بالأصلح والمعتزلة اليوم تدعى أن بشرا تاب عن القول باللطف ورجع إلى القول بالأصلح .

قال أبو محمد : وحجة هؤلاء ، أنه تعالى قد فعل بهم ما يؤمنون عنده لو شاءوا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه أكثر من ذلك فعارضهم أصحاب الأصلح بأن قالوا إن الاختيار هو

---

(٣٣٧) مرت ترجمة هذه الأعلام فيما سبق من هذا الجزء .

(٣٣٨) سبقت ترجمتهما فى هذا الجزء .

ما يمكن فعله ويمكن تركه ، فلو كان الكفار عند إتيان الله تعالى لتلك الألطاف يختارون الإيمان لأمكن أن يفعلوه وأن لا يفعلوه أيضاً ، فعادت الحال إلى ما هى عليه إلا أن يقولوا إنهم كانوا يؤمنون ولابدّ فهذا اضطرار من الله تعالى لهم إلى الإيمان لا اختيار .

وقالوا[٣٣٩] نحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر على أن يضطرهم إلى الإيمان كما قال تعالى : « يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ »[٣٤٠].

قالوا فالذى فعل تعالى بهم أفضل وأصلح .

قال أبو محمد : وهذا لازم لمن لم يقل إن أفعال العباد مخلوقه لله تعالى لزوما لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا. وإنما سألناهم هل الله تعالى قادر على أن يأتى الكفار بألطافٍ يكون منهم الإيمان عندها باختيارٍ ولابدّ ويثيبهم على ذلك أتم ثواب يثيبه عبداً من عباده أم لا ؟

فقالوا : لا .

قال أبو محمد : كأن أصحاب الأصلح عمى[٣٤١] عن العالم أو كأنهم إذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا .

يقول تعالى : « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرونَ بِها ولهم آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا »[٣٤٢].

أترى هؤلاء القوم ما شاهدوا أن الله عز وجل منع الأموال قوما وأعطاها آخرين ونبأ قوما وأرسلهم إلى عباده ، وخلق آخرين فى أقاصى أرض الزنج يعبدون الأوثان وأمات قوما من أوليائه ومن أعدائه عطشاً وعنده مجاديح[٣٤٣] السموات وسقى آخرين الماء – العذب أما هذه محاباة ظاهرة فإن قالوا إن كلَّ ما فعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن إماتته تعالى الكفار وهم يصيرون إلى النار وإعطائه تعالى قوما مالًا ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواما ما فسرقوا وقتلوا وكانوا فى حال الغنى صالحين وأصحّ أقواماً وجمَّل صورهم فكان ذلك سببا لكون المعاصى مِنْهم وتركوها إذْ أَسَنُّوا وأمرض أقواما فتركوا الصلاة عمداً وضجروا وتبرموا[٣٤٤] فتكلموا بما هو الكفر أو قريب منه وكانوا فى صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذى فعل الله بهم كان أصلح لهم ؟ .

(٣٣٩) فى (أ) : (قالوا) بغير « واو » العطف .
(٣٤٠) الأنعام : ١٥٨
(٣٤١) فى (أ) : (غيب) .
(٣٤٢) الأعراف : ١٧٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) حيث لم يذكر (ولهم أعين لا يبصرون بها) .
(٣٤٣) مجاديح السماء : أنواؤها .
(٣٤٤) فى (أ) : (وثربوا) وهو تحريف .

فإن قالوا نعم كابروا الحواس[٣٤٥]. وإن قالوا لو عاشوا لزادوا كفرا[٣٤٦]. قلنا لهم فإنما كان أصلح لهم أن يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ أو أن يطيل أعمارهم ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الإسلام ويقوى أجسادهم وأذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل بجيش الفيومى . اليهودى وأبى ريطه اليعقوبى النصرانى والمتخففين[٣٤٧] بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية أما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم أن يميتهم صغارا ! ؟ !

قال أبو محمد : فانقطعوا فلجأ بعضهم إلى أن قال لعله قد سبق فى علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغارا لكفر خلق من المؤمنين .

قال أبو محمد : وفى هذا الجواب من السخافة وجوه جمة .

أولها : أنه دعوى بلا دليل[٣٤٨] .

والثانى : أنهم لم ينفكوا[٣٤٩] به مما ألزمناهم ونقول لهم أكان الله عز وجل قادراً على أن يميتهم ولا يوجب موتهم كفر أحد فإن قالوا : لا عَجَّزوا ربهم تعالى .

وإن قالوا : بل كان قادراً على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولابدّ من أحد الأمرين .

والثالث : ما سمع فى العالم بأسخف من قول من قال إن إنسانا مؤمنا يكفر من أجل صغير مات فهذا أمرٌ ما شوهد قط فى العالم ولا توهم ولا يدخل إلا مكابرة[٣٥٠] فى العقل وكم طفل يمت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا إلى يوم القيامة فهل كفر أحد قط من أجل موت ذلك الطفل ؟ وإنما عهدنا الناس يكفرون عندما يقع لهم من الغضب الذى يخلقه الله عز وجل فى طبائعهم وبالغضبة التى آتاهم الله عز وجل أسبابها ، وبذلك[٣٥١] الذى اتاهم الله إياه إذا عرضهم[٣٥٢] فيه عارض .

والرابع : أنه ليس فى الجور ولا فى العبث ولا فى الظلم ولا فى المحاباة أعظم من أن يبقى طفلا يكفر فيستحق الخلود فى النار ولا يميته طفلا فينجو من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما فى الظلم والمحاباة أقبح من هذا . وهل هذا إلا كمن وقف إنساناً

---

(٣٤٥) فى (أ) : (المحسوس) .
(٣٤٦) فى (أ) : سقطت كلمة (كفرًا) .
(٣٤٧) فى (أ) : (والمتحققين) .
(٣٤٨) فى (أ) : (بالدّليل) وهذا تحريف .
(٣٤٩) فى (أ) : (لا ينفكّون) .
(٣٥٠) فى (أ) : (فى الإمكان ولا فى العقل) .
(٣٥١) فى الأصل : (وما ذلك) .
(٣٥٢) فى (أ) : (عارضهم) .

للقتل فأخذ هو آخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون .

قال أبو محمد : وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون ..

قال أبو محمد : وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفارًا أضرَّ على الإسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم فى هذا الجواب السخيف وأيضًا فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ، ويثير الظلم ، ويميت الحق ، ويؤسس الضلالات[٣٥٣] والمنكرات حتى يُضِلّ بها خلق كثير حتى يظنوا أنها حق وسُنَّه فأىّ وجه لخلق هؤلاء على أصول المعتزلة الضُّلّال . نعم وأىُّ معنى وأى صلاح فى خلق إبليس ومردة الشياطين وأعطائهم القوة على إضلال الناس فى[٣٥٤] الحكمة المعهودة بيننا ، وبالضرورة نعلم أن من نصب المصايد للناس فى الطرقات وطرح الشَّوّك فى ممشاهم فإنه عابث[٣٥٥] سفيه فيما بيننا والله تعالى خلق كل ما ذكرنا بإقرارهم وهو الحكيم العليم ، ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بأنه علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، ثم أمات من ولى منهم أمور المسلمين سريعا . ووهَّن قوى بعضهم ، وملك عليهم زيادا[٣٥٦] و الحجاج[٣٥٧] وبغاة الخوارج . فأىُّ مصلحة فى هذا للحجاج ، ولقطرى[٣٥٨]. أو لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ، ولكن الحق هو قولنا وهو أن كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار وإضلال للحجاج المسلط ، ولقطرى ونظائرهما أراد الله تعالى بذلك هلاكهم فى الآخرة ونعوذ بالله من الخذلان ، ثم نسألهم ماذا تقولون . إذ[٣٥٩] أمر عز وجل بجلد الحرة فى الزنا مائة وجلد الأمة نصف ذلك أليس هذا محاباة للأمة ؟ وإذ خوَّل الله عز وجل قوما أموالًا جمة فماتوا فيها وحرم آخرين أما هذا عين المحاباة والجور على أصلهم الفاسد فى من منع

(٣٥٣) فى (أ) : (القتالات) .

(٣٥٤) فى (أ) : (من) .

(٣٥٥) فى (أ) : (عائب) .

(٣٥٦) هو : زياد ابن أبيه ، أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة من أهل الطائف ، اختلفوا فى اسم أبيه ، فقيل عبيد الثقفى ، وقيل أبو سفيان ، ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى ، وتبناه عبيد الثقفى ، مولى الحارث بن كلدة ، أدرك النبى ﷺ ولم يره ، وأسلم فى عهد أبى بكر ، ولّاه على بن إبى طالب إمرة فارس ، ولما توفى على امتنع زياد على معاوية ، وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه ، فكتب إليه بذلك ، فقدم زياد عليه ، وألحقه معاوية بنسبة سنة ٤٤ هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ت ٥٣ هـ (الأعلام) .

(٣٥٧)هو : الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى ، أبو محمد قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب ، ولد ونشأ بالطائف ، وانتقل إلى الشام ، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته ، ومازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة ، مات بواسط عام ٩٥ هـ ولإبراهيم الكيلانى كتاب : الحجاج بن يوسف ، وللمستشرق الفرنسى جان ببريه كتاب بالفرنسية سماه (حياة الحجاج بن يوسف الثقفى) . (الأعلام) .

(٣٥٨) هو : قطرى بن الفجاءة ، أبو نعامة بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن من رؤساء الأزارقة الخوارج ، وأبطالهم ، من أهل قطر بقرب البحرين . كان خطيبا فارسا ، شاعرًا ، استفحل أمره فى زمن مصعب بن الزبير ، وبقى قطرى ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وإمارة المؤمنين . اختلف المؤورخون فى مقتله فقيل عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات ، وجىء برأسه إلى الحجاج ، وقيل : توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى فقاتله وقتل فى المعركة بطبرستان عام ٧٨ هـ .

(٣٥٩) فى (أ) : (إذا) .

جاره الفقير إلا أن يطردوا قولهم فيصيروا إلى قول من ذكر . أن الواجب تساوى[٣٦٠] الناس فى الأموال والنشأة على السواء وبالجملة فإن القوم يدعون نفى التشبيه ويكفرون من شبه الله بخلقه ، ثم لا نعلم أحدًا أشد تشبيهًا لله تعالى بخلقه منهم فيلزمونه الحكم[٣٦١] ويحرمون عليه الأمر والنهى ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا أصولهم إذ من قولهم أن ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نبعده عن البارى تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابى أحد عبيده على الآخر فيجعل أحدهم مشرفا على ماله وعياله وحاضنًا لولده فيريضه[٣٦٢] لذلك من صغره بأن يعلمه الكتاب والحساب ويَجْعل الآخر رائضًا لدابته وجامعا للزبل لبستانه ومنقيًا لحشه ويريضه[٣٦٣] لذلك من صغره وكذلك الأماء فيجعل إحداهن محلّ إزاره ومطلبًا لولده ، ويجعل الثانية خادمًا لهذه فى الطبخ والغسل وهذا عدل بإجماع المسلمين كلهم فلم أنكروا أن يحابى البارى عز وجل من شاء من عباده بما أحب من التفضيل ووجدوا فى الشاهد من يعطى المجاويع من ماله فيعطى أحدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو ألف دينار ، ثم يعطى آخر مثله ألف دينار ويزيده ألف دينار فإنه وإن حابى فمحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوروه إذا فعله ؟ وهو تعالى بلا شك أتم ملكا لكل ما فى العالم من أحدنا لما خوّله عز وجل من الأملاك ونقضوا أصلهم فى أن ما حسن فى الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من البارى جل وعز ووجدوا فى الشاهد من يدخر أموالًا عظيمة فيؤوى جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا . فلأى شيء منعوا ربهم جل وعز من مثل ذلك وجوّروه وبخلّوه إذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا إشكال فيه .

قال أبو محمد : ونسألهم عن قول لهم عجيب وهو أنهم أجازوا أن يخلق الله عز وجل أضعف الأشياء ثم لا يكون قادرًا على أضعف منه فهكذا هو قادر فاعل أصلح الأشياء ثم لا يكون قادرًا على أصلح منه ، وعلى أصغر الأشياء . وهو الجزء الذى لا يتجزأ ولا يقدر على أصغر منه .

قال أبو محمد : هذا إيجاب منهم لتناهى قدرة الله عز وجل وتعجيز له تعالى وإيجاب بحدوثه وإبطال إلاهيته إذ التناهى فى القوة صفة المحدث المخلوق ، لا صفة الخالق الذى لم يزل وهذا خلاف القرآن وإجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه فى تناهى قدرتهم .

قال أبو محمد : ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذى لا يتجزأ وبالقياس لزوما صحيحًا

---

(٣٦٠) فى (أ) : (يواسى) .
(٣٦١) فى (أ) : (الحد) .
(٣٦٢) فى (أ) : (ويرتضيه) .
(٣٦٣) فى (أ) : (ويرتضيه) .

لا إنفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول . إن الله تعالى خلق كل ما خلق[٣٦٤] شيئًا صغيرًا أو ضعيفًا أو كبيرًا أو قويًا أو مصلحة فإنه أبدًا بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه وأضعف وأقوى وأصلح .

قال أبو محمد : ونسألهم أيقدر الله تعالى على ما لو فعله لكفر الناس كلهم ..؟ فإن قالوا لا . لحقوا بعلى الاسوارى وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لأكذبهم الله تعالى إذ يقول « وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لعبَادِهِ لَبَغَوْا فى الْأَرْضِ »[٣٦٥].

وبقوله تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدة لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحِمْنِ لِبيُوتِهِمْ سقفا مِنْ فِضَّةٍ »[٣٦٦].

وإن قالوا : نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بأنه تعالى يقدر على الشر ولايقدر على الخير هذه مصيبة على أصولهم ولزمهم أيضًا فسَاد أصلهم فى قولهم إن من قدر على شيء قدر على ضده ولأنهم يقولون إن الله تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على ما يؤمن جميعهم عنده .

قال أبو محمد : ونسأل من قال منهم إنه تعالى يقدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على أكثر من ذلك فنقول لهم : إن على أصولكم لم تنفكوا من تجوير البارى جل وعز لأن بضرورة الحس تدرى أنه إذا استضافت المصالح بعضها إلى بعض كانت أصلح من انفراد كلّ مصلحة عن الأخرى فإن هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعباده فقد لزمه ما ألزمتموه لو كان قادرًا على أصلح مما فعل ولم يفعله ، فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل ذلك مقدار فقد يصلح به من أعطيه فإذا استضافت إليه أمثاله كان ضررًا .

قال على رضى الله عنه : ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقائق الأمور أن دواء[٣٦٧] كذا مصلحة جملة وعلى كل حال . ولا أن الأكل مصلحة أبدًا وعلى الجملة ، ولا أن الشراب مصلحة بكل وجه أبدًا وإنما الحق أن مقدارًا من الدواء مصلحة لعله كذا فقط فإن زاد أو نقص أو تعدى تلك العلة كان ضررا وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة فى حال مًّا وبقدر ما فما زاد أو تعدّى به وقته كان ضررا ، وما نقص عن الكفاية كان ضررًا وليس إطلاق اسم الصلاح فى شيء من ذلك أولى من إطلاق إسم الضرر لأن كلا الأمرين موجود فى كل ذلك كما ذكرنا[٣٦٨] وليس الصلاح من

---

(٣٦٤) فى (أ) : سقطت كلمة (خلق) .
(٣٦٥) الشورى : ٢٧
(٣٦٦) الزخرف : ٣٣
(٣٦٧) جاء فى الأصل : « أن عصرًا » وفى (أ) : (غفار) وهذا تحريف يبعد عن المعنى .
(٣٦٨) فى (أ) : لا توجد كلمة (كل)

الله عز وجل للعبد والهدى له والخير من فعله[٣٦٩] عز وجل كذلك بل على الإطلاق والجملة وعلى كل حال بل كل ما زاد الصلاح وكثر ، وزاد الهدى وكثر[٣٧٠] وزاد الخير وكثر فهو أفضل فإن قالوا : نجد الصلاة والصيام إثمًا فى وقتٍ مًّا وأجْرا فى الآخرة .

قلنا ما كان من هذا منهيًا عنه فليس صلاحًا ألبتة ولا هو هدى ولا خير بل هو إثم وخذلان وضلال وليس فى هذا كلمناكم لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقية وخير حقيقة وهذا ما لا مخلص لهم منه.

قال أبو محمد : وقال أصحاب الأصلح منهم إن من علم الله تعالى أنه يؤمن من الأطفال إن عاش أو يسلم من الكفار إن عاش أو يتوب من الفساق إن عاش .

فإنه لا يجوز ألبتة أن يميته الله قبل ذلك قالوا وكذلك من علم الله تعالى أنه إن عاش فعل خيرا فلا يجوز ألبتة أن يميته الله قبل فعله .

قالوا ولا يميت الله تعالى أحدًا إلَّا وهو يدرى أنه إن أبقاه طرفه عين فما زاد فإنه لا يفعل شيئا من الخير أصلًا بل يكفر أو يفسق ، ولابدَّ .

قال أبو محمد : وهذا من طوامهم التى جمعت الكفر والسخف[٣٧١] ولم ينفكوا بها[٣٧٢] مما فرُّوا عنه من تجوير البارى عز وجل بزعمهم ، وأما الكفر فإنه يلزمهم بقولهم إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ لو بلغ لكفر أو فسق ، وليت شعرى إذ هذا عندهم كما زعموا فلم أمات بعضهم إثر ولادته ثم آخر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهرًا بعد شهر وعاما بعد عام إلى أن أمات بعضهم قبل بلوغه بيسير ؟ وكلهم عندهم سواء فى أنهم لو عاشوا لكفروا أو فسقوا كلهم وإذ عنى بهم هذه العناية فلم أبقى من الأطفال من درى أنه يكفر ويفسق ؟ نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق فى الفهم كالفيومى ، سعيد بن يوسف والمعمس داود بن قزوان وإبراهيم البغدادى وأبى كثير الطبرانى من متكلمى اليهود وأبى ريطه اليعقوبى ، ومقرونيش . الملكى من متكلمى النصارى ومرزان بخت المنانى . حتى أضلوا كثيرًا بشبههم وتمويهاتهم ومخارقهم[٣٧٣] ولا سبيل إلى وجود فرق أصلا ، وهذه محاباة وجور على أصولهم ثم نجده تعالى قد عذَّب بعض هؤلاء الأطفال باليتم والقمل والعُرْى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والأوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفّه مَخْدوم منعم حتى يموت كذلك ولعلهما لأب وأم وكذلك يلزمهم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسائر الصحابة رضى

---

(٣٦٩) فى (أ) : (قهلة) .
(٣٧٠) فى (أ) : (وكبر) .
(٣٧١) فى (أ) : (والسحق) .
(٣٧٢) فى (أ) : (فما) .
(٣٧٣) فى (أ) : ومخارفتهم .

الله عنهم نعم ومحمد ﷺ وموسى وعيسى وإبراهيم وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام أن كل واحد منهم لو عاش طرفة عين فجاء[٣٧٤] الوقت الذى مات فيه لكفر أو فسق ولزمهم مثل هذا فى جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام ، وإن[٣٧٥] كانوا يقولون بأنهم يموتون فإن تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهارًا وإن أبوا تناقضوا ولزمهم أن الله تعالى يميت من يدرى أنه يزداد خيرا ، ويبقى من يدرى أنه يكفر وهذا عنده على أصولهم عين الظلم والعبث .

قال أبو محمد : وأجاب بعضهم فى[٣٧٦] بدء السؤال بأن قال إن النبى ﷺ امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش إلى يوم القيامة .

قال أبو محمد : وهذا جور ناهيك به لوجوه .

أولها : أنه محاباة مجردة له عليه الصلاة والسلام على غيره وهلَّا فعل ذلك بغيره وعجَّل راحتهم من الدنيا .. ؟

وثانيها : أن هذا قول[٣٧٧] كذب بحت وذلك أن المحن فى العالم معروفة وهى إما فى الجسم بالعلل وإما فى المال بالإتلاف وإما فى النفوس بالخوف والهوان ، والهمّ بالأهل والأجنَّة والقطع دون الأمل لا محنة فى العالم تخرج عن هذه الوجوه إلا المحنة فى الدِّين فقط نعوذبالله من ذلك فأما المحنة فى الجسم فكذبوا وما مات عليه السلام إلاسليمالأعضاء سويّها معافى من مثل محنة أيوب عليه السلام وسائر أهل البلاء نعوذ بالله منه وأمَّا فى المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضى محنة فى فضوله ولا أحوجه إلى أحد بل أقامه على حدِّ الغنى بالوقوف ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقربه من ربه عز وجل وأما النفس فأىّ محنة لمن قال الله عز وجل له « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »[٣٧٨].

ولمن رفع له ذكره وضمن له إظهار دينه على الدين كله ولو كره أعداؤه وجعل شانيه الأبتر ، وأعزه بالنَّصر على كل عدوّ فأى خوف وأىُّ هوانٍ يتوقعه عليه السلام ؟ وأما أهله وأحبته فاخترم بعض فآجره فيهم كإبراهيم ابنه وخديجة وحمزه وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضى الله عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر أمهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلى والعباس

(٣٧٤) فى (أ) : (على الوقت) .
(٣٧٥) فى (أ) : (إن كانوا) بغير « واو » .
(٣٧٦) فى (أ) : (هذا) .
(٣٧٧) فى (أ) : (القول) .
(٣٧٨) المائدة ٦٧

والحسن والحسين وأولاد العباس[٣٧٩] وعبد الله بن جعفر[٣٨٠] وأبى سفيان[٣٨١] ابن الحارث رضى الله عن جميعهم فأىّ محنة هاهنا أليس قد أعاذ الله تعالى من مثل محنة خبيب[٣٨٢] بن عدى وسمية[٣٨٣] أم عمّار رضى الله عنه .. أليس من قتل من الأنبياء عليهم السلام ومن نشر بالمنشار وأحرق بالنيران أعظم محنة ؟ ! ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم إلا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم أعظم محنة وهل هذه إلا مكابرة وحماقة وقحة وأى محنة تكون لمن أوجب الله عز وجل على الجنِ والإنس طاعته وأكرمه برسالته وأمّنه من كل الناس وأكبَّ عدوه لوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهل هذه إلا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الإنس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنّث قبله زيد بن عمرو[٣٨٤] بن نفيل بن عبد العزى العدوى ، وقس بن ساعدة[٣٨٥] الأيادى وغيرهما فما أكرموا بشىء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس .

---

(٣٧٩) كان للعباس بن عبد المطلب من الولد الفضل وكان أكبره ولده وبه كان يكنى وأردفه رسول الله - ﷺ - فى حجته ومات بالشام فى طاعون عمواس وليس له عقب ، وعبد الله وهو الحبر دعا له رسول الله - ﷺ - ومات بالطائف وله عقب ، وعبيد الله كان جوادًا سخيًا ذا مال مات بالمدينة وله عقب ، وعبد الرحمن مات بالشام وليس له عقب ، وقُثَمْ وكان يشبَّه بالنبى - ﷺ - ، وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا فمات بسمرقند وليس له عقب ، ومعبد قتل بافريقيا شهيدًا وله عقب ، وأم حبيبة بنت العباس ، وأمهم جميعًا أم الفضل ، وهى لبابة الكبرى نبت الحارث بن حَزْن وفى ولد أم الفضل هؤلاء من العباس يقول : عبد الله بن يزيد الهلالى :

ما وَلَدت نَجيبَةٌ من فَحْلِ بجبلٍ تعلمُه أو سَهْلِ
كستَّةٍ من بَطْنِ أُمّ الفضل أَكْرِمْ بها من كَهْلَةٍ وكَهْلِ

ومن غير أم الفضل : كثير بن العباس وكان فقيهًا محدثًا ، وتمام بن العباس وكان من أشد أهل زمانه ، وصفية وأميمه وأمهم أم ولد ، والحارث ابن العباس وأمه حجيلة بنت جندب . راجع طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٦

(٣٨٠) عبد الله بن جعفر : هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ، صحابى ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأتى البصرة والكوفة والشام ، وكان كريمًا يسمى : بحر الجود ، وللشعراء فيه مدائح وكان أحد الأمراء فى جيش يوم صفين ، ومات بالمدينة عام ٨٠ هـ . الأعلام ص ٢٠٤ حـ ٤

(٣٨١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله - ﷺ - وكان أخًا لرسول الله - ﷺ - من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبى ذؤيب السعديه ، وكان من الشعراء المطبوعين ، وأسلم يوم الفتح وشهد غزوة حنين ، وأبلى فيها بلاء حسنًا ، وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله وكان الرسول يحبه وشهد له بالجنة توفى عام ٢٠ هـ . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٤ ص ١٦٧٣ وما بعدها) .

(٣٨٢) خبيب بن عدى الأنصارى من بنى جمح بن عوف شهد بدرًا وأسر يوم الرجيع فى السرية التى خرج فيها مرثد بن أبى مرثد وعاصم ابن ثابت وخالد بن البكير فى سبعة نفر فقتلوا وذلك فى ستة ثلاث وأسرخبيب وزيد بن الدثنه وانطلق المشركون بهما إلى مكة فباعوهما وعندما أرادوا قتله قال : دعونى أصلى ركعتين ، فكان أول من صلى ركعتين عند القتل ثم قال : اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدًا : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ٢ ص ٤٤٠ وما بعدها .

(٣٨٣) هى : سمية أم عمار بنت خياط صحابية كانت من أوائل الذين أظهروا الإسلام بمكة ، وكانت فى الجاهلية مولاة لأبى حذيفة ابن المغيرة ، عم أبى جهل ، وكان أبو حذيفة حليفا لياسر بن عمار الكنانى فزوجه بها فولدت له عمارًا على الرق ، فأعتقه ياسر ، ولما كان بدء الدعوة إلى الإسلام كانت سمية عجوزًا كبيرة ، فأسلمت سرًّا هى وزوجها وابنها ، ثم جاهروا بإسلامهم فعذبهم مشركو قريش ، وجاء أبو جهل فطعن سمية بحربة فقتلها ، فكانت أول شهيد فى الإسلام عام سبعة قبل الهجرة (الأعلام : للرزكلى) .

(٣٨٤) هو : زيد بن عمرو نفيل بن عبد العزى ، نصير المرأة فى الجاهلية ، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ، ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم ، وجاهر بعداء الأوثان ، رآه النبى ﷺ قبل النبوة ، ومسائل عنه بعدها ، فقال : يبعث يوم القيامة أمة واحده . توفى قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين (الأعلام) .

(٣٨٥) هو : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من بنى إياد ، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية ، كان =

قال أبو محمد : ومما سئلوا عنه أنه قيل لهم أليس قد علم تعالى أن فرعون والكفار إن أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم . فيقال لهم : فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم على قولكم من علم أنه إن عاش كفر ؟ وهذا تخليط لا يعقل . ونقول لهم أيضا : أيّما كان أصلح للجميع لا سيما لأهل النار خاصة أن يخلقنا[٣٨٦] الله تعالى كلنا فى الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين أم ما فعل بنا من خلقنا فى الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود فى الناس .

قال أبو محمد : ولجوا[٣٨٧] عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد . فقلنا لهم هبْكم أن الأمر كما قلتم فإنما كان أصلح للجميع أن يجعل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها أو يؤخر خلقنا حتى يخلقها ثم يجعلنا[٣٨٨] فيها أم خلقه لنا حيث خلقنا ؟ فإن عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهى القدرة ومشبها لخلقه وأبطلوا إلاهيته وجعلوه[٣٨٩] مخيرا ضعيفا وهذا كفر مجرد ، وبقى[٣٩٠] السؤال أيضا مع ذلك بحسبه فى أن يجعلنا كالملائكة وأن يجعلنا كلنا أنبياء كما فعل بعيسى ويحيى عليهما السلام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة فى ذلك ممّا يخرج هذا الأمر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة فى خلق الله تعالى لأفعال عباده وفى تكليفه الكافر والفاسق ما لا يطيق ثم تعذيبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه .

قال أبو محمد : وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على أن كل ما فعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وأن من أراد إجراء أفعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد ألحد[٣٩١] وأخطأ وضلَّ وشبَّه الله عز وجل بخلقه لأن الحكمة والعدل بيننا إنما هى طاعة الله عز وجل فقط ولا حكمة ولا عدل غير ذلك إلا ما أمرنا به أى شىء كان فقط وأما الله تعالى فلا طاعة لأحد عليه فبطل أن تكون أفعاله جارية على أحكام العبيد المأمورين المربوبين المسئولين عما يفعلون لكن أفعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له

= أسقف نجران ، ويقال : إنه أول عربى خطب متوكئا على سيف أو عصا ، وأول من قال فى كلامه : أمّا بعد ، وكان يفد على قيصر الروم زائرا فيكرمه ويعظمه ، طالت حياته وأدركه النبى قبل النبوة ، ورآه فى عكاظ ، وسئل عنه بعد ذلك فقال : سيحشر أمة وحده ، توفى عام ٣٣ قبل الهجرة (الأعلام) .

(٣٨٦) فى الأصول التى رجعنا إليها : (يخترعنا) .

(٣٨٧) فى (أ) : (فلحوا) بالحاء .

(٣٨٨) فى (أ) : (يخلقنا منها) .

(٣٨٩) فى (أ) : (محيزا) .

(٣٩٠) فى (أ) : (ونفى) .

(٣٩١) فى (أ) : (ألحدوا حظا) وهو تحريف .

وألا يُسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى ، وقد خاب من خالف ما قاله الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلَّصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على أصولهم على ربهم تعالى عن ذلك .

وقال متكلموهم لو خلقنا فى الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك وكنا أيضًا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وإدخالنا الجنة بعد استحقاقنا لها أتم فى النعمة وأبلغ فى اللذه . وأيضا فلو خلقنا فى الجنة لم يكن بدٌّ من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وأيضًا فإن الله تعالى قد علم أن بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة .

قال الإمام أبو محمد رضى الله عنه : هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق . وأما قولهم [لو خلقنا فى الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا فى ذلك فإننا نقول : وبالله تعالى نتأيد] أكان الله تعالى قادرًا على أن يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا فى ذلك أكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو يعلمنا ذلك أم كان غير قادر على ذلك ..؟

فإن قالوا : كان غير قادر على ذلك عجَّزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على أمر ما[٣٩٢] ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون إلا لعرض داخل أو لبنيه متناهية القوة وهذا كفر مجرد .

وإن قالوا : كان الله قادرًا على ذلك أقروا بأنه عز وجل لم يفعل بهم أصلح ما عنده وأن عنده أصلح ممَّا فعل بهم .

وأيضا فإن كانوا أرادوا بذلك أن اللّذة التى تَعْقُب البلاء والتعب أشد سرورًا وأبلغ ، لزمهم أن يبطلوا نعم الجنة جملة لأنه ليس نعيمها ألبتة مشوبًا بألم ولا بتعب وكل ألم بعد العهد به فإنه ينسى كما قال القائل .

كأنَّ الفتى لم يَغْزُ يَوْمًا إذا اكْتَسَ وَلَم يَفْتَقِرْ يَوْمًا إذا مَا تَمَوَّلا

فلزم على هذا الأصل أن يحدد الله عز وجل لأهل الجنة آلاما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الإسلام ويلزمهم أيضًا أن يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة فَتُضَاعف لهم اللذة والسرور أضعافا بذلك .

ويقال أيضًا كما نكون[٣٩٣] كالملائكة وحور العين ، فإن كانوا عالمين مقدار ما هم فيه من

(٣٩٢) فى (أ) : (أمرنا) .
(٣٩٣) فى (أ) : (كنّا) .

نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وإن كانوا غير عالمين بمقدار ما هم فيه من اللذة والنعيم فهلّا أعطاهم هذه المصلحة ولأى شيء منعهم[٣٩٤] من الفضيلة التى أعطاها لنا وهم أهل طاعته التى لم تشب بمعصية ..؟

فإن قالوا : إن الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار فى النار فقام لهم مقام الترهيب .

قلنا لهم : وهل المحاباة والجور الا أن يعُرَّض قومٌ للمعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا فى النار ليوعظ بهم قوم أخرون خلقوا فى الجنة والرفاهية سرمدا أبدًا لابد ..؟ وهل عين الظلم إلا هذا فيما بيننا على أصول المعتزلة ؟ وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فى صلاح الثلثين صلاح وهل فى الشاهد عبث وسفه أعظم من عبث من يقول لآخر : هات أضربك بالسياط وأرديك[٣٩٥] من جبل وأصفع فى قفاك وأنتف سِبَالك[٣٩٦] وأمشى بك فى طريق ذات شوك دون راحة فى ذلك ولا منفعة لكن لأعطيك بعد ذلك ملكا عظيما..؟ ولعلك فى خلال ضرْبى[٣٩٧] إياك أن تتقزز فتقع فى بئر منتنه لا تخرج منها أبدا . فأى مصلحة عند ذوى عقل فى هذه الحال لاسيما وهو قادر على أن يعطيه ذلك الملك دون أن يعرضه لشىْء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحيون[٣٩٨] من أن يصفوا أنفسهم بأن يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة .

قال أبو محمد : وأما نحن فنقول لو أن الله تعالى أخبرنا أنه يفعل هذا كله بعينه ما أنكرناه ولعلمنا أنه منه تعالى حق وعدل وحكمة .

قال أبو محمد : ومن العجب أن يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقا لا نجوع فيه أبدًا ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما فى صدورنا من غلٍّ ثم لا يقدر على أن يخلقنا فيها ولا على أن يخلقنا خلقًا نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا إلا من لا عقل له أو مستخف بالبارى تعالى وبالدين .

وأما قولهم : لو خلقنا الله تعالى فى الجنة لكنا غير مستحقين لذلك النعيم ، فإنا نقول لهم أخبرونا عن الأعمال التى استحققتم بها الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم أن من عملها

---

(٣٩٤) فى (أ) : (هذه) .
(٣٩٥) فى (أ) : (وأردك) .
(٣٩٦) سِبَالك : السبِّال جمع سَبَلَه : وهى ما على الشارب من الشعر أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها (المحيط) .
(٣٩٧) فى (خ) : (ضرَّى) .
(٣٩٨) فى (أ) : (لا يسحقون) .

فقد استحق الجنة دينا واجبا على ربه تعالى أم لم تعلموا ذلك ؟ ولا وجب ذلك إلا حتى أعلمنا الله عز وجل أنه يفعل(٣٩٩) وجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال ... ؟

فإن قالوا : بالعقل عرفنا استحقاق الجنة على هذه الأعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا لأنهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام . ولزمهم أن الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الأعمال لكن وجب ذلك عليه حتمًا لا باختياره ولا بأنه لو شاء غير ذلك لكان له ، وهذا كفر مجرد . وأيضا فإن شريعة موسى عليه السلام فى السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك فقد كانت(٤٠٠) الجنة جزاء على العمل بها ، ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل هاهنا إلا أن الله تعالى أراد ذلك فقط ؟ ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شئ فإن قالوا : بل ما علمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر الله تعالى أنه حكم بذلك فقط .

قيل لهم : فقد كان الله تعالى قادرًا على أن يخبرنا أنه جعل الجنة حقا لنا ويخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين . وأيضا فقد كذبوا فى دعواهم استحقاق الجنة بأعمالهم فإن رسول الله ﷺ قال : « ما من أَحَدٍ يُنْجيه عَمَلُه أَو يَدْخِلُه الجَنَّة عمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمه منه(٤٠١)» . أو كلاما هذا معناه وأيضا فبضرورة العقل ندرى أن ما زاد على المماثلة فى الجزاء فيما بيننا فإنه تفضل مجرد فى الإحسان وجور فى الإساءة هذا حكم المعهود فى العقل فعلى أصول المعتزلة يلزمهم أن بقاء أحدنا فى الجنة أو فى النار(٤٠٢) مثل زمن إحسانه أو إساءته جزاء على ما سلف منه فضل مجرد وعقاب زائِد على مقدار الجرم وقد فعله الله عز وجل بلا شك وهو عدل منه وحكمة وحق .

قال أبو محمد : وأمَّا قولهم إنَّ دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل أعلى درجة وأسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق : هذا خطأ محض لأننا قد علمنا أنَّ هذا الحكم إنما يقع من(٤٠٣) الأكفاء والمتماثلين وأما الله تعالى فليس له كفواً أحد ، ومن كان عبد لآخر فإن إقبال السيّد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة أسنى له وأعلى وأشرف لرتبته وأرفع لدرجته من أن لا يعطيه شيئا إلا بمقدار ما استحقه(٤٠٤) لخدمته وتسخيره إياه وهذا ما لا ينكره

(٣٩٩) فى (خ) : (تفضل) .
(٤٠٠) فى (أ) : (فقد كان) .
(٤٠١) فى (أ) : (أكثر من مثل) .
(٤٠٢) الحديث : رواه البخارى فى الرقاق ١٨ ، ومسلم فى المنافقين ٧١ ، والدارمى فى الرقاق ٢٤ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٤٥١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ ، ولفظ الحديث عند مسلم : لن ينجى أحدًا منكم عمله . قال رجل : ولا إياك يا رسول الله قال : ولا إياى إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة ، ولكن سددوا .
(٤٠٣) فى (أ) : (بين) .
(٤٠٤) فى (أ) : (ما يستحقه) .

إلا معاند فكيف وليس لأحد على الله حق مبتدأ[٤٠٥] وكل ما وهبه الله تعالى لأحد من[٤٠٦] أنبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى أنه أوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقا لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عز وجل واختصاص مبتدأ لو لم ينعم به عز وجل لم يجب عليه شيء منه لا يقول غير هذا إلامدخول الدين فاسد العقل .

قال أبو محمد : وهم يقولون[٤٠٧] إن الملائكة أفضل من الأنبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا فى هذا ثم نقضوا هذا الأصل بأصلهم هذا السخيف من قولهم إن من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والقرب[٤٠٨] فنحن على قولهم أفضل من الملائكة على جميعهم السلام .

وقد قالوا : إن الملائكة أفضل من الأنبياء فعلى هذا التقرير يجب أن نكون أفضل من الملائكة وأفضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر .

وأما قولهم إننا لو خلقنا فى الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذير[٤٠٩].

فإنا نقول لهم : وبالله تعالى التوفيق : حتى لو كان ما يقولون لما منع من ذلك أن يخلقوا فى الجنة ثم يطلعوا منها فيروا النار ويعاينوا وحشتها وهولها وفيحها[٤١٠] ونفار النفوس عنها كالذى يعرض لنا عند الاطلاع على النيران[٤١١] العميقة المظلمة وإن كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون أبلغ فى التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين وكون[٤١٢] ذلك أدعى لهم إلى الشكر والجهد[٤١٣] والاغتباط بمكانهم وإجتناب ما نهوا عنه خوف مفارقة ما قد حصلوا عليه .

ثم نقول لهم أيضا : قولوا هذا فيهم بعد دخولهم الجنة : أمباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم أم محظور عليهم ؟ لزمهم بهذا[٤١٤] التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنا فيها على الحال التى تكون فيها يوم القيامة .

---

(٤٠٥) فى (أ) : (وحينئذ) .
(٤٠٦) فى (أ) : (بين) .
(٤٠٧) فى (أ) : (يقرون) .
(٤٠٨) فى (أ) : (والتقريب) .
(٤٠٩) فى (أ) : (والتحذر) .
(٤١٠) فى (أ) : (وقبحها) .
(٤١١) فى (أ) : (والغيران) .
(٤١٢) فى (أ) : (فيكون) .
(٤١٣) فى (أ) : (والحمد) .
(٤١٤) فى (أ) : (تمادى) .

ولا فرق وكان يكون أصلح لجميعنا بلا شك .

فإن قالوا : قد سبقت الطاعة فى الدنيا .

قيل لهم : وكذلك كانت تسبق منهم فى الجنة كالملائكة سواء بسواء . وهم لا يقولون إن المعاصى ، والتضارب ، والتلاطم ، والتراكض ، والتشاتم ، مباح لهم فى الجنة ، ولا يقول هذا أحد ، فيحتاج إلى كسر هذا القول ، فإن لجئوا إلى قول أبى الهذيل : إن أهل الجنة مضطرون لا مختارون ، قيل لهم : وكنا نكون فيها كذلك أيضا ، كما نكون يوم القيامة فيها ، فهذا كان أصلح للجميع بلا شك ، وهذا ما لا انفكاك لهم منه .

* * *

قال أبو محمد : وأما قلوبهم إن الله علم أن بعضهم يكفر ولابد ، فيجب عليه الخروج من الجنة .

قلنا لهم : أيقدر الله على خلاف ما علم أم لا ؟

فإن قالوا : نعم يقدر ولكن لا يفعل ، أقرُّوا أنه فعله[٤١٥] من ترك ابتدائنا فى الجنة إمضاء لما سبق فى علمه غير ما كان أصلح لنا بلا شك ، ورجعوا إلى الحق الذى هو قولنا أنه تعالى فعل ما سبق فى علمه من تكليف ما لا يُطاق ، ومن خلقه تعالى الكفر ، والظلم ، وإنعامه على من يشاء[٤١٦] وحده لا شريك له ، وتركوا قولهم فى الأصلح .

وإن قالوا : لا يقدر على غير ما علم أنه[٤١٧] يفعله ، جعلوه مجبَرًا[٤١٨] مضطرًا عاجزًا متناهى القوة ، ضعيف القدرة ، محدثًا فى أسوأ حالة منهم ، وهذا كفر وخلاف للقرآن ولإجماع المسلمين ، نعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم أىّ مصلحة للحشرات ، والكلاب ، والبق ، والدود ، فى خلقها حشرات ، ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة ؟

فإن قالوا : لو جعلها ناسًا لكفروا .

---

(٤١٥) فى (أ) : (فعل) .
(٤١٦) فى (أ) : (شاء) .
(٤١٧) فى (أ) : (أن يفعله) .
(٤١٨) فى (أ) : (مخيّرا) .

قيل لهم : فقد جعل الكفار ناسًا فكفروا ، فهلّا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا ؟ فكان أصلح لهم[٤١٩] على قولكم ، وهذا ما لا مخلص منه .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم فنقول لهم : إذا قلتم إن الله – تعالى – لا يقدر على لطف لو أتى به الكفار لآمنوا إيمانا يستحقون معه الجنة ، لكنه قادر على أن لا يضطرهم إلى الإيمان !

أخبرونا عن إيمانكم الذى تستحقون به الثواب ، هل يشوبه عندكم شك ؟ أم يمكن بوجه من الوجوه أن يكون عندكم باطلا ؟

فإن قالوا : نعم يشوبه شك : ويمكن[٤٢٠] أن يكون باطلا .

أقرّوا على أنفسهم بالكفر وكفونا مئونتهم .

وإن قالوا : لا يشوبه شك ، ولا يمكن ألبتة أن يكون باطلا .

قلنا لهم : هذا هو الاضطرار بعينه ، ليست الضرورة فى العلم شيئًا غير هذا ، إنما هو معرفة لا يشوبها شك ، ولا يمكن[٤٢١] اختلاف ما عرف بها ، فهذا هو علم الضرورة نفسه ، وما عدا هذا فهو ظن وشك .

فإن قالوا : إن الاضطرار : ما علم[٤٢٢] بالحواس أو بأول العقل ، وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال .

قلنا : هذه دعوى فاسدة لأنها بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذى يعرف ضرورة وبالله – تعالى – التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ونسألهم أيما كان أصلح للعالم أن يكون بريًّا من السباع والأفاعى والدوابّ العادية ، أو أن يكون فيه كما هى مسلطة على الناس ، وعلى سائر الحيوان وعلى الأطفال ؟

فإن قالوا : خلق الله الأفاعى والسباع كخلق الحصى[٤٢٣] والحرث ، مزجرة للكفار .

---

(٤١٩) فى (أ) : سقطت (لهم) .
(٤٢٠) فى (خ) : (ولا يمكن) .
(٤٢١) فى (أ) : (لا يمكن) .
(٤٢٢) فى (خ) : (وما) .
(٤٢٣) فى (أ) : (الحفر) .

قال أبو محمد : وهذا من ظريف الجنون ، ولقد ضل بخلقتها جموع من المخذولين ممن جرى مجرى المعتزلة فى أن يتعقبوا على الله – عز وجل – فعله كالمنانية[٤٢٤] والمجوس[٤٢٥] الذين جعلوا إلهاً خالقًا غير الحكيم العدل .

ثم نقول للمعتزلة : إن كان كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصلحة أصلح وأبلغ فى الزجر والتخويف ، فكلّ[٤٢٦] هذه الدعاوى منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ، ليست أجوبتهم فيها بأصح من أجوبة المنّانية ، والمجوس ، وأصحاب التناسخ ، بل كلها جارية فى ميدان واحد من أنها كلها دعوى فاسدة بلا برهان ، بل البرهان ينقضها وكلها راجعة إلى أصل واحد ، وهو تعليل أفعال الله – عز وجل – التى لا علة لها أصلا والحكم عليه بمثل الحكم على خلقه فيما يحسن منه ويقبح ، تعالى الله عن ذلك .

* * *

قال أبو محمد : ويقال لأصحاب الأصلح خاصة : ما معنى دعائكم فى العصمة وأنتم تقولون إن الله – تعالى – قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين ، فلم يعتصموا وما معنى دعائكم فى الإعادة من الخذلان ، وفى الرغبة فى التوفيق ، وأنتم تقولون إنه ليس عنده أفضل مما قد أعطاكموه ، ولا فى قدرته زيادة على ما قد فعله بكم ؟

وأىّ معنى لدعائكم فى التوبة وأنتم تقطعون على أنه لا يقدر على أن يعينكم فى ذلك بمقدار شعرة زائدة على ما قد أعطاكموه ؟

فهل دعاؤكم فى ذلك إلّا ضلال ، وهزل ، وهزء كمن دعا إلى الله أن يجعله من بنى آدم ، أو أن يجعل النبى نبيًا ، والحجر حجرًا .

وهل بين الأمرين فرق ؟

فإن قالوا : إن الدعاء عمل أمرنا الله – تعالى – به .

قيل[٤٢٧] لهم : إن أوامره – تعالى – من جملة أفعاله بلا شك ، وأفعاله عندكم تجرى على

(٤٢٤) المنانية : هم أصحاب مانى بن فاتك الذى ظهر فى زمن شابور بن أزدشير ، وقتله بهرام بن حرمز . أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين : هما النور والظلمة ... (الملل والنحل : ٧٢/٢ ، ٧٣ بتصرف) .

(٤٢٥) المجوس : هم عبدة النيران القائلون بأن للعالم أصلين : نور وظلمة . قال قتادة : الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمان . وقيل المجوس فى الأصل : النجوس . لتدينهم باستعمال النجاسات ، والميم والنون يتعاقبان . وهم أقدم الطوائف ، وأصلهم من بلاد فارس ، وقد نبغوا فى علم النجوم (تفسير القرطبى : ٢٣/١٢) . بتصرف .

(٤٢٦) فى (أ) : (وكل) .

(٤٢٧) فى الأصل (فقيل) .

ما يحسن فى العقل ، ويقبح فيه فى المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا أنه لا يحسن فى الشاهد بوجه من الوجوه أن يأمر أحدًا يرغب إليه فيما ليس بيده ، ولا فيما قد أعطاه إياه ، وكلا هذين الوجهين عبث وسفه ، وهم مقرون بأجمعهم أن الله – تعالى – حكم بهذا ، وفعله وهو أمره لهم بالدعاء إليه أما فيما لا يوصف عندهم بالقدرة عليه وأما فيما قد أعطاهم إياه ، وهو عندهم عدل وحكمة ، فنقضوا أصلهم الفاسد بلا شك . وأمّا نحن فإننا نقول : إن الدعاء عمل أمرنا الله – عزَّ وجل – به فيما نقدر عليه ثم إن شاء أعطانا ما سألناه وإن شاء منعنا إياه لا معقب لحكمة ولا يسأل عما يفعل .

* * *

قال أبو محمد : وإن فى ابتداء كتاب الله – عز وجل – المنزل إلينا بقوله – تعالى – آمرًا لنا أن نقوله راضيًا منَّا أن نقوله « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمِ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِينَ » .

ثم ختم – تعالى – كتابه آمرًا لنا أن نقوله راضيًا بقوله : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ الَّذِى يُوَسْوِسُ فى صُدورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ[(٤٢٨)] » .

لأَبْيَنُ بَيَانٍ فى تكذيب القائلين بأنه ليس عند الله – تعالى – أصلح مما فعل وأنه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ، ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين ، لأنه – عزَّ وجل – نصَّ على أنه هو المطلوب منه العون لنا والهدى إلى صراط من خصَّه بالنعمة عليه ، لا إلى صراط من غضب عليه – تعالى – وضلَّ فلولا أنه – تعالى – قادر على الهدى المذكور ، وأن عنده عونًا على ذلك لا يؤتيه إلا من شاء دون من لم يشأ ، وأنه – تعالى – أنعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما أمرنا أن نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه أو ما قد أعطاه إياه ونص – تعالى – على أنه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا أنه – تعالى – يصرفها عمن يشاء لما أمرنا – عز وجل – أن نستعيذ مما لا يقدر على الإعاذة منه ، أو مِمَّا قد أعاذنا بعد منه .

قال أبو محمد : ولا مخلص لهم من هذا أصلا ثم نسألهم أىُّ مصلحة للعصاة فى أن جعل

---

(٤٢٨) سورة الناس كاملة آيات من ١ ، ٦

بعض حركاتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار ، وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ، ولقد كان أصلح أن يجعلها كلها صغائر مغفورة ؟

فإن قالوا : هذا أزجر عن المعاصى وأصلح .

قيل لهم : فهلّا إذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة ، فهو أبلغ فى الزجر .

قال أبو محمد : وقد نص الله – تعالى – فى القرآن فى[٤٢٩] آيات كثيرة لا تحتمل تأويلًا بتكذيب المعجِّزين لربهم – تعالى – وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلًا ، فمنها قوله – تعالى – : « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ[٤٣٠] » .

أفلم يكن عنه أصلح من فتنة يُضل بها بعض خلقه حاش الله من هذا الكفر والتعجيز .

وقال – تعالى – حاكيا عن الذين أثنى عليهم من مؤمنى الجن ، أنهم قالوا : « وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ ربهم رَشَدًا[٤٣١] » .

* * *

قال أبو محمد : وصدقهم الله – عز وجل – فى ذلك إذ لو أنكره لما أورده مثنيا عليهم عن ذلك ، وهذا فى غاية البيان ، الذى قد هلك من خالفه ، وبطل به قول الضُّلَّال الملحدين القائلين : إن الله – تعالى – أراد رشد فرعون وإبليس ، وأنه ليس عنده أصلح ، مما فعل بهما[٤٣٢] ولا يقدر لهما على هدى أصلا .

وقال – تعالى – : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ[٤٣٣] » .

فليت شعرى أىّ مصلحة لهم فى أن يذرأهم لجهنم ؟ نعوذ بالله من هذه المصلحة . وقال – تعالى – : « وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَه[٤٣٤] » .

فصح أنه – تعالى – هو الذى يقى السيئات ، وأن الذى رحمه هو الذى وقاه السيئات ، لأنَّ من لم يقه السيئات فلم يرحمه ، وبلا شك أن من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن

(٤٢٩) سقطت (فى) فى الأصل .
(٤٣٠) الأعراف : ١٥٥
(٤٣١) الجن : ١٠
(٤٣٢) فى (أ) : سقط قوله (مما فعل بهما) .
(٤٣٣) الأعراف : ١٧٩
(٤٣٤) غافر : ٩

لم يقه إياها ، هذا مع قوله – تعالى – « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا[٤٣٥] » « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعًا[٤٣٦] » .

ولا يشك من لدماغه أقل سلامة ، أو فى وجهه من برد الحياء شىء ، فى أن هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النار ، بأن لا يؤتيهم ذلك الهدى ، وإن كانوا كما يقولون : من دخولهم الجنة بغير استحقاق .

وقال – تعالى – : « وَحَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُم الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فِضْـلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً والله عَلَيمٌ حَكِيم[٤٣٧] » .

فليت شعرى أين فعله – تعالى – بهؤلاء ؟

– نسأل الله أن يجعلنا منهم – من فعله بالذين قال فيهم : « إِنَّهُ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ سوء أَعْمَالِهِمْ وَجَعَلَ صُدورَهُم ضيقة حرجة » .

إن من ساوى بين الأمرين وقال : إن الله – تعالى – لم يعط هؤلاء إلا ما أعطى هؤلاء ، ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى والملائكة – عليهم السلام – إلَّا ما أعطى إبليس وفروعون وأبا جهل وأبا لهب والذى حاجّ إبراهيم فى ربّه واليهود والنصارى والمجوس والثقلين[٤٣٨] والشرط والبغائيين ، والعواهر ، « وثمودَ الَّذينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذى الْأَوْتَادِ الذين طَغَوْا فى البِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيها الفَسَادَ[٤٣٩] » ، بل سوّى فى التوفيق بين جميعهم ، ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح ، لقليل الحياء عديم الدين ، وما جوابه إلا قوله – تعالى – : « إنَّ رَبّكَ لَبالْمِرْصَادِ[٤٤٠] » وقال – عز وجل – : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِين وَمُنْذِرين[٤٤١] » .

* * *

قال أبو محمد : فأيما كان أصلح للكفار المخلدين فى النار أن يكونوا مع المؤمنين أمة واحدة ، لا عذاب عليهم ، أم بعثه الرسل إليهم وهو – عز وجل يدرى أنهم لا يؤمنون فيكون ذلك سببًا إلى تخليدهم فى جهنم .

(٤٣٥) السجدة : ١٣
(٤٣٦) يونس : ٩٩
(٤٣٧) الحجرات : ٧
(٤٣٨) فى (أ) : والمتقيلين . وفى (خ) : (المثقلين) .
(٤٣٩) الفجر : ٩ – ١٢
(٤٤٠) الفجر : ١٤
(٤٤١) البقرة : ٢١٣

وقال تعالى : « وَأُمْلِى لَهُمْ انْ كَيْدِى مَتين(٤٤٢) » .

وقال – تعالى – : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّما نملى لَهُم خَيْرٌ لأَنْفِسِهِمْ إنَّما غلى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهين(٤٤٣) » .

وقال تعالى : « أيحْسَبون أنَّما نُمِدُّهم به مِنْ مالٍ وبنين ، نُسارِعُ لهم فى الخيرانِ بل لا يَشْعُرون(٤٤٤) » .

وقال – تعالى – : « سَنَسْتَدْرِجهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُون(٤٤٥) » .

قال أبو محمد : وهذا غاية البيان فى أن الله – عز وجل – أراد بهم ، وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم ، الذى هو ضد الصلاح ، وإلَّا فأىّ مصلحة لهم فى أن يستدرجوا إلى الهلاك(٤٤٦) من حيث لا يعلمون ، وفى الإملاء لهم ليزدادوا إثمًا ، ونص – تعالى – أن كل ذلك الذى فعله ليس مسارعه لهم فى الخير فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة – والحمد لله رب العالمين –

وقال – تعالى – : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسقُوا فِيهَا فحقَّ عَلَيْها الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا(٤٤٧) » .

فهل بعد هذا بيان فى أن الله عز وجل – أراد هلاكهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فأمر مترفيها بأوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا ؟

فأيما كان أصلح لهم أن لا يؤمروا فيسلموا ، أو(٤٤٨) أن يؤمروا وهو – تعالى – يدرى أنهم لا يأتمرون ، فيدخلون النار ؟

فإن قالوا : فاحملوا قوله – تعالى – : « أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا » على ظاهره ، قلنا : نعم هكذا نقول ولم يقل – تعالى – : إنه أمرهم بالفسق وإنما قال – تعالى – : « أمرناهم » . فقط ، وقد نص – تعالى – على أنه لا يأمر بالفحشاء فصح قولنا أيضًا وقال – عز وجل – : « وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ(٤٤٩) » . فنص – تعالى – على أن أصحاب النبى – ﷺ – لو تولَّوا لأبدل قومًا غيرهم ، لا يكونون أمثالهم .

---

(٤٤٢) الأعراف : ١٨٣

(٤٤٣) آل عمران : ١٧٨ وقد وردت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال (خيرًا) بالنصب .

(٤٤٤) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

(٤٤٥) الأعراف : ١٨٢ ، القلم : ٤٤

(٤٤٦) فى (أ) : (البلاد) .

(٤٤٧) الإسراء : ١٦

(٤٤٨) فى (أ) : (وأن) .

(٤٤٩) سورة محمد : ٣٨

وبالضرورة نعلم أنه – عز وجل – إنما أراد خيرًا منهم ، فقد صح أنه – عز وجل – قادر على أن يخلق أصلح منهم .

وقال – تعالى – : « إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُم(٤٥٠) » .

وفى هذا كفاية .

وقال – تعالى – : « عَسَىَ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ(٤٥١) » فهل فى البيان – فى أن الله – تعالى – قادر على أن يفعل أصلح مما فعل ، وأن عنده – تعالى – أصلح مما أعطى خلقه – أبين أو أوضح أو أصح من إخباره – تعالى – أنه قادر على أن يبدل نبيه – ﷺ – الذى هو أحب الناس إليه – خيرًا من الأزواج اللَّواتى أعطاه – واللواتى هن خير الناس بعد الأنبياء – عليهم السلام – ؟

قال أبو محمد : فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الأصلح فى أنه تعالى لا يقدر على أصلح مما فعل .

قال أبو محمد : نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ، ونسأله الهدى ، الذى حرمهم إياه ، وكان قادرًا على أن يتفضل عليهم به ، فلم يرد ، وما توفيقنا إلا بالله – عز وجل – وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

قال أبو محمد : كلُّ من منع قدرة الله – عز وجل – عن شىء مما ذكرنا فلا شكَّ فى كفره ، لأنه عجزَّ ربه – تعالى – وخالف جميع أهل الإسلام .

قال أبو محمد : وقالوا : إذا كان عنده أصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا إياه وليس بخيلا وخلق أفعال عباده وعذَّبهم عليها ولم يكن ظالما فلا تنكروا على من قال إنه جسم ، ولا يشبه خلقه وأنه يقول غير الحق ولا يكون كاذبًا .

قال أبو محمد : فجوابنا – وبالله تعالى التوفيق – أنه – تعالى – لم يقل إنه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ، ولم يقل – تعالى – إنه(٤٥٢) يقول غير الحق ، بل قد أبطل ذلك وقطع بأن قوله الحق ، فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله – عز وجل –

(٤٥٠) المعارج : ٤٠ ، ٤١
(٤٥١) التحريم : ٥
(٤٥٢) فى (أ) : (أن) .

وقد قال – تعالى – إنه خلق كل شيء وخَلَقَنا وما نعمل ، وأنه لو شاء لهدى كل كافر ، وأنه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك ، فقلنا ما قال من كل ذلك ، ولم نقل ما لم يقل ، وقلنا ما قام به البرهان العقلى ، من أنه – تعالى – خالق كلِّ موجود دونه ، وأنه – تعالى – قادر على كل ما يسأل عنه وأنه لا يوصف بشيء من صفات العباد ، لا ظلم ولا بخل ، ولا غير ذلك ، ولم نقل ما قد قام به البرهان العقلى على أنه باطل من أنه جسم ، أو أنه يقول غير الحق .

وقال بعض أصحاب الأصلح وهو ابن بَدَد[٤٥٣] الغزال تلميذ محمد بن شبيب[٤٥٤] تلميذ النظام : بلى إن عند الله ألطافًا لو أتى بها الكفار لآمنوا إيمانًا يستحقون معه الثواب ، إلا أن الثواب الذى يستحقونه على ما فعل بهم أعظم وأجل ، فلهذا منعهم تلك الألطاف .

قال أبو محمد : وهذا تمويه ضعيف لأننا إنما سألناهم هل يقدر الله تعالى على ألطاف[٤٥٥] إذا أتى بها[٤٥٦] أهل الكفر آمنوا إيمانًا يستحقون به مثل هذا الثواب الذى يؤتيهم على الإيمان اليوم أو أكثر من ذلك الثواب فلابد له من ترك قوله أو تعجيز ربه تعالى .

قال أبو محمد : ونسأل جميع أصحاب الأصلح ، فنقول لهم – وبالله تعالى التوفيق – : أخبرونا عن كل من شاهد براهين الأنبياء – عليهم السلام – ممن[٤٥٧] لم يؤمن به ، وصحت عنده بنقل التواتر ، هل صحَّ ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها أنها شواهد موجبة صدق نبوتهم ، أم لم يصح ذلك عندهم إلا بغالب الظن ، وبصفة إنها مما يمكن أن يكون تخييلًا أو سحرًا أو نقلًا مدخولًا ، ولابد من أحد الوجهين ؟

فإن قالوا : بل صحّ ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها ، وثبت ذلك فى عقولهم بلا شك .

قلنا لهم : هذا هو الاضطرار نفسه الذى لا اضطرار فى العالم غيره ، وهذه صفة كل من ثبت عنده شيء ثباتًا متيقنًا كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم ، موت فلان ، وكون صفين[٤٥٨] والجمل[٤٥٩]، وكسائر ما لم يشاهد المرء بحواسه ، فالكل على هذا مضطرون إلى الإيمان لا مختارون له .

---

(٤٥٣) لم نعثر له على ترجمة على كثرة بحثنا فى كتب التراجم .

(٤٥٤) هو محمد بن عبد الله بن شبيب البصرى ، من تلاميذ النظام ، ومن شيوخ المعتزلة ، ممن جمع بين الإرجاء فى الإيمان ، وبين القول بنفى القدر . وهو من رجال منتصف القرن الثالث الهجرى (الفرق بين الفرق : ٩٦) .

(٤٥٥) فى (خ) : سقط : (على ألطاف) .

(٤٥٦) فى (خ) : لم يذكر (بها) .

(٤٥٧) فى (خ) : (فمن) .

(٤٥٨) راجع ما كتبه الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك حـ ٣ .

(٤٥٩) راجع الكامل لابن الأثير حـ ٢ ص ٢١٦ .

وإن قالوا : لم يصح عندهم شيء من ذلك ، هذه الصحة .

قلنا لهم : فما قامت عليهم حجة النبوة قط ، ولا صحت لله – تعالى – عليهم حجة ، ومن كان هكذا فاختياره للإيمان إنما هو استحباب وتقليد واتباع لما مالت إليه نفسه ، وغلب فى ظنه فقط ، وفى هذا بطلان جميع الشرائع ، وسقوط حجة الله – تعالى – ، وهذا كفر مجرد .

« هل لله – تعالى – نعمة على الكفار أم لا ؟ »

قال أبو محمد : اختلف المتكلمون فى هذه المسألة .

فقالت المعتزلة : إن نعم الله – تعالى – على الكفار فى الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق .

وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفًا – ولله الحمد –

وقالت طائفة أخرى : إن الله – تعالى – لا نعمة له على كافر أصلا ، لا فى دين ولا دنيا .

وقالت طائفة : له – تعالى – عليهم نِعَمٌ فى الدنيا ، فأما فى الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلًا .

قال أبو محمد : قال الله – عز وجل – : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ(٤٦٠) » .

قال أبو محمد : فوجدنا الله – عز وجل – يقول : « الله الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنَّهارَ مُبْصِرًا إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٤٦١) » .

وقال – تعالى – : « الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا والسَّمْاءَ بناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُم الله رَبُّكُمْ(٤٦٢) » .

قال أبو محمد : فهذا عموم بالخطاب بإنعام الله – تعالى – على كل من خلق الله – تعالى وعموم لمن يشكر من الناس ، والكفار من جملة ما خلق الله – تعالى – بلا شك .

---

(٤٦٠) النساء : ٥٩
(٤٦١) غافر : ٦١
(٤٦٢) غافر : ٦٤

وأما أهل الإسلام فكلهم شاكر لله – تعالى – بالإقرار به ، ثم يتفاضلون فى الشكر ، وليس أحد من الخلق يبلغ كلَّ ما عليه من شكر الله – تعالى – فصح أن نعم الله – تعالى – فى الدنيا على الكفار كهى على المؤمنين ، وربما أكثر فى بعضهم ، فى بعض الأوقات قال – تعالى – : « بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرَار(٤٦٣)» .

وهذا نص جَلىٌّ على نعم الله – تعالى – على الكفار ، وأنهم بدّلوها كفرًا فلا يحل لأحد أن يعارض كلام ربه – تعالى – برأيه الفاسد .

وأما نعمةُ الله فى الدّين ، فإن الله – تعالى – أرسل إليهم الرسل هادين لهم إلى ما يرضى الله – تعالى – وهذه نعمةٌ عامَّةٌ بلا شك ، فلما كفروا وجحدوا نعم الله – تعالى – فى ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال – عز وجل – : « إنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم(٤٦٤)» .

– وبالله تعالى نتأيد وهو حسبنا ونعم الوكيل – .

---

(٤٦٣) إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩

(٤٦٤) الرّعد : ١١

كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد

قال أبو محمد : إختلف الناس فى ماهية الإيمان .

فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو : معرفة الله – تعالى – بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فإذا عرف الله – تعالى – بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة ، وهذا قول أبى محرز[1] الجهم بن صفوان وأبى الحسن[2] الأشعرى البصرى وأصحابهما .

وذهب قوم إلى أن الإيمان هو : إقرار باللسان بالله – تعالى – وإن اعتقد الكفر بقلبه ، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة ، وهذا قول محمد بن كرام[3] السجستانى وأصحابه .

وذهب قوم إلى أن الإيمان هو : المعرفة بالقلب ، والإقرار باللسان معًا فإذا عرف المرء الدين بقلبه ، وأقرّ به[4] بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام وأن الأعمال لا تسمى إيمانًا ولكنها شرائع الإيمان ، وهذا قول أبى حنيفة[5] النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء .

وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو : المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح ، وأن كل طاعة وعمل خير فرضًا كان أو نافلة فهى إيمان ، وكلما ازداد الإنسان خيرًا إزداد إيمانه ، وكلما عصى نقص إيمانه ، وقال محمد[6] بن زياد الحريرى الكوفى : من آمن بالله – عز وجل – وكذب برسول الله – ﷺ –

---

(١) هو : جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندى ، المبتدع ، رأس الجهمية قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ . وقد سبق الحديث عنه فى الجزء الثانى ... (لسان الميزان : ١٤٢/٢) .

(٢) هو : على بن إسماعيل أبو الحسن الأشعرى المتكلم البصرى ، صاحب المصنفات ، ناظر شيخه الجبائى وانتهت إليه رياسة الدنيا فى علم الكلام ، وكان إماما مقتدى به . من مؤلفاته : مقالات الإسلاميين ، والإبانة توفى سنة ٣٢٤ هـ . (لسان الميزان : ٣٠٣/٢) .

(٣) هو : من المتكلمين ، وشيخ الكرامية ، وقد ابتدع فى المعبود : أنه جسم لا كالأجسام ، وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ، ثم أفرج عنه ، فتوجّه إلى الشام ، وعندما عاد مرة أخرى إلى نيسابور حبسه محمد بن عبد الله بن طاهر . توفى سنة ٢٥٥ هـ (لسان الميزان : ٣٥٣/٥) .

(٤) فى (أ) : سقطت (به) .

(٥) هو : الإمام الفقيه الكوفى ، كان عالما عاملا زاهدًا عابدًا كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى ، صاحب مدرسة الأحناف ، من تلامذته : القاضى أبو يوسف ، ومحمد بن أبى الحسن الشيبانى ، وزفر ، وتوفى سنة ١٥٠ هـ (ابن خلكان . الجزء الثانى : ٢١٥) .

(٦) محمد بن زياد الحريرى لم نعثر له على ترجمة .

فليس مؤمنًا على الإطلاق ولا كافرًا على الإطلاق ، ولكنه مؤمن كافر معًا ، لأنه آمن بالله - تعالى - فهو مؤمن ، وكافر بالرسول - ﷺ - فهو كافر .

* * *

قال أبو محمد : فحجة الجهمية ، والكرامية ، والأشعرية ، ومن ذهب مذهب أبى حنيفة حجة واحدة وهى أنهم قالوا : إنما نزل[٧] القرآن بلسان عربى مبين ، وبلغة العرب خاطبنا الله - تعالى - ورسول الله - ﷺ - والإيمان فى اللغة هو : التصديق ، فقط ، والعمل بالجوارح لا يسمى فى اللغة تصديقًا فليس إيمانًا ، قالوا : والإيمان هو التوحيد ، والأعمال لا تسمى توحيدًا ، فليست إيمانًا ، قالوا ولو كانت الأعمال توحيدًا وإيمانا لكان من ضيع شيئا منها قد ضيع الإيمان ، وفارق الإيمان ، فوجب أن لا يكون مؤمنا ، قالوا : وهذه الحجة إنما تلزم أضحاب الحديث خاصة ، لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة ، لأنهم يقولون بذهاب الإيمان جملة بإضاعة الأعمال .

قال أبو محمد : ما لهم حجة غير ما ذكرنا ، وكل ما ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلًا لما نذكره - إن شاء عز وجل -

قال أبو محمد : إن الإيمان : هوالتصديق فى اللغة ، فهذا حجة على الأشعرية والجهمية والكراميه مبطلة لأقوالهم إبطالًا تامًا كافيًا لا يحتاج معه إلى غيره ، وذلك قولهم : إن الإيمان فى اللغة التى نزل بها القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الإطلاق ، وما سمى قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان إيمانًا فى لغة العرب ، وما قال قط عربى : أن من صدّق شيئا بقلبه فأعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فإنه يسمى مصدقًا به أصلًا ولا مؤمنًا به ألبتة ، وكذلك ما سمى قط التصديق باللّسان دون التصديق بالقلب إيمانًا فى لغة العرب أصلًا على الإطلاق ، ولا يسمى تصديقًا فى لغة العرب ولا إيمانًا مطلقا إلا من صدَّق بالشىء بقلبه ولسانه معًا ، فبطل تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة ، ثم نقول لمن ذهب مذهب أبى حنيفة فى أن الإيمان إنما هو التصديق باللسان والقلب معًا ، وتعلق فى ذلك باللغة ، إن تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلًا ، لأن اللغة يجب فيها : ضرورة أن كل من صدّق بشىء فإنه مؤمن به وأنتم والأشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الإيمان ، ولا تطلقونه على كل من صدّق بشىء مّا ، ولا تطلقونه إلا على صفة محدودة دون سائر الصفات ، وهى من صدق بالله - عز وجل - وبرسوله - ﷺ - وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الأمة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به ، وهذا خلاف اللغة مجرد .

(٧) فى (أ) : (أنزل) .

فإن قالوا : إن الشريعة أوجبت علينا هذا .

قلنا : صدقتم ، فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه فى اللغة كما فعلتم آنفا سواء بسواء ولا فرق .

* * *

قال أبو محمد : ولو كان ما قالوه صحيحا لوجب أن يطلق اسم الإيمان على كل من صدّق بشىء مّا ، ولكان من صدّق بالإهية[٨] الحلّاج ، وبالإهية المسيح ، وبالإهية الأوثان ، مؤمنين ، لأنهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمى إلى الإسلام ، بل قائله كافر عند جميعهم ، ونص القرآن يكفر من قال بهذا قال الله تعالى : « وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا »[٩].

فهذا الله – عز وجل – شهد بأن قومًا يؤمنون ببعض الرسل وبالله – تعالى – ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك أن يطلق عليهم اسم الإيمان أصلًا ، بل أوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن .

* * *

قال أبو محمد : وقول محمد بن زياد الحريرى لازم لهذه الطوائف كلها لا ينفكون عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان فى أنه كفر مجرد ، وأنه خلاف للقرآن كما ذكرنا .

قال أبو محمد : فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة .

وأما قولهم : إنه لو كان العمل يسمى إيمانًا لكان من ضيَّع منه شيئا فقد أضاع الإيمان ووجب أن لا يكون مؤمنًا .

فإنى قلت لبعضهم – وقد ألزمنى هذا الإلزام – كلامًا تفسيره وبسطه أننا لا نسمى فى الشريعة اسما إلا بأن يأمرنا الله – تعالى – أن نسميه أو يبيح لنا الله بالنص أن نسميه ، لأننا لا ندرى مراد الله – عز وجل – منا إلا بوحى وارد من عنده علينا ومع هذا فإن الله – عزَّ وجل –

(٨) هو : أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، أصله من البيضاء إحدى بلاد فارس ، نشأ بواسط العراق وصحب أبا القاسم الجنيد ، والناس فى أمره مختلفون فمنهم من يبالغ فى تعظيمه ، ومنهم من يكفره . وفى سنة ٣٠٩ هـ أمر المقتدر العباسى بضربه ألف سوط ثم قطع الجلاد أطرافه الأربعة ، ثم جز رأسه وأحرق جثته . فلما صار رمادًا ألقاه فى دجله ، وذكر أنه كان يعمل على قلب الدولة وإفساد الملك . (وفيات الأعيان : ١٨١) .

يقول منكرًا لمن سمى فى الشريعة شيئًا بغير إذنه – عز وجل – « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ، أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى(١٠) » .

وقال – تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا(١١) » .

فصح أنه لا تسميه مباحة لملك ولا لنبى دون الله – تعالى – ومن خالف هذا فقد افترى على الله – عزَّ وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لا نسمى مؤمنا إلا من سماه الله – عزَّ وجل عنه مؤمنا ولا نسقط الإيمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه الله – عزّ وجل – ووجدنا بعض الأعمال التى سمّاها الله – عز وجل – إيمانا لم يسقط الله – عز وجل – اسم الإيمان عن تاركها فلم يجز لنا أن نسقط عنه لذلك ، لكن نقول : إنه ضيَّع بعض الإيمان ولم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين – إن شاء الله تعالى .

* * *

قال أبو محمد : فإذا سقط كل ما موَّهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلنقل – بعون الله عز وجل وتأييده – فى بسط حجة القول الصحيح الذى هو قول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة وأهل السنة وأصحاب الآثار من أن الإيمان عقد وقول وعمل ، وفى بسط ما أجملناه مما نقدنا به قول المرجئة – وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد – رضى الله عنه : أصل الإيمان كما قلنا فى اللغة : التصديق بالقلب وباللسان معًا .

بأى شىء صدَّق المصدق – لا شىء دون شىء ألبتة إلا أن الله – عزَّ وجلّ – على لسان رسول الله – ﷺ – أوقع لفظة الإيمان على العقد بالقلب لأشياء محدودة مخصوصة معروفة ، لا على العقد لكل شىء وأوقعها أيضًا – تعالى – على الإقرار باللِّسان بتلك الأشياء خاصة لا بما سواها وأوقعها أيضًا على أعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له – تعالى – فقط ، فلا يحل لأحد خلاف الله – تعالى – فيما أنزله وحكم به وهو – تعالى – خالق اللغة وأهلها فهو أملك

---

(٩) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

(١٠) النجم : ٢٣ ، ٢٤

(١١) البقرة : ٣١ ، ٣٢

بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء . ولا عجب أعجب ممن أن وجد لا مرئ القيس[١٢] أو لزهير[١٣] أو لجرير[١٤] أو الحطيئه[١٥] أو الطرمّاح[١٦] أو للشماخ[١٧] أو لأعرابى أسدى ، أو سلمى ، أو تميمى ، أومن سائر أبناء العرب بوّال على عقبيه لفظًا فى شعر أو نثر جعله فى اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم إذا وجد لله – تعالى – خالق اللغات وأهلها كلامًا لم يلتفت إليه ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل فى حالته عما أوقعه الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله – ﷺ – كلامًا فعل به مثل ذلك .

وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل أن يكرمه الله – تعالى – بالنبوة وأيام كونه فتى بمكة بلا شك عند كل ذى مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وأفصح فيها وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفى[١٨]، وقيسى ، وربيعى ، وإيادى ، وتيمى ، وقضاعى ، وحميرى ، فكيف بعد أن اختصه الله – تعالى – للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه ، وأجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتى به ؟ فأىّ ضلال أضل ممن يسمع لبيد[١٩] بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب يقول :

فَعَلَتْ فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

---

(١٢) أمرؤ القيس : ترجم له فى ص ٢٨

(١٣) زهير بن أبى سلمى ترجم له فى ص ٩٤

(١٤) هو : جرير بن عطيه بن حذيفة الكلبى اليربوعى من تميم أشعر أهل عصره ، ولد ومات فى اليمامه وكان هجاء مقذعا فلم يثبت أمامه غير الفرزدق ، والأخطل ، وكان عفيفا ، وهو من أرذل الناس شعرًا ، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق فى ثلاثة أجزاء ، وديوان شعره فى جزئين . كتب عنه جميل سلطان (جرير : قصه حياته ودراسة أشعاره) (الأعلام : ١١١/٢) توفى عام (١١٠ هـ) .

(١٥) هو : جرول بن أوس بن مالك العبسى ، أبو مليكه ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . كان هجّاء عنيفا ، لم يكد يسلم من لسانه أحد . هجا أمه وأباه ونفسه ، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسجنه عمر بالمدينة ، فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس ، فقال إذن تموت عيالى جوعًا ، فدفع له عمر ما يعنيه على الحياة وشرى منه أعراض الناس . توفى عام ٤٥ هـ (له ديوان شعر ، كتب عنه رسالة جميل سلطان . الأعلام : ١١٠/٢) .

(١٦) هو : ابن حكيم بن الحكم . شاعر إسلامى فحل ، قال عنه بعض العلماء : لو تقدم قليلا لسبق الفرزدق . ولد ونشأ فى الشام ثم انتقل إلى الكوفة ، واعتقد مذهب الشراة من الأزارقة . ولكنه لم يشترك فى حروبهم . وسخر شعره للدفاع عنهم . والفخر بنفسه المتعصبة لقومه . حيث كان قحطانيا كما قال الجاحظ متعصبا . له ديوان شعر صغير . كما أن للمرزبانى كتاب اسمه أخبار الطرمّاح فى نحو مائة ورقة . وقد اتصل الطرماح بخالد بن عبد الله القسرى ، فكان يكرمه ويستجيد شعره . وكان صديقا للكميت معاصرًا له لا يفترقان . وقد توفى الطرمّاح سنة ٧٤٣ م (الأعلام : ٣/٢) .

(١٧) الشماخ : ابن ضرار بن حرملة بن سنان المازنى الأبيانى الغطفانى شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من طبقة لبيد والنابغة ، وكان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقا وكان أرجز الناس على البديهة جمع بعض شعره فى ديوان ، شهد القادسية ، توفى فى غزوة موقان ٢٢ هـ وأخباره كثيرة . (الأعلام حـ ٣ ص ٢٥٢)

(١٨) خندفى :

(١٩) هو : لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامرى ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبى ﷺ ، ويعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم . وترك الشعر فلم يقل فى الإسلام إلا بيتا واحدًا قيل هو :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

سكن الكوفة ، وعاش عمر طويلًا ، وهو أحد أصحاب المعلقات . وكان كريما ولا تهب الصبا إلّا نحر وأطعم جمع بعض شعره فى ديوان صغير ترجم إلى الألمانية . (توفى عام ٤١ هـ الأعلام : ١٠٤/٦) .

فجعله حجة وأبو زياد[٢٠] الكلابى يقول : « ما عرفت العرب قط الأيهقان وإنما هو اللهق بيت معروف » .

ويسمح قول ابن أحمر « كما نقَلق عن مأموسه الحجر »[٢١]. وعلماء اللغة يقولون إنه لم يعرف قط لأحد من العرب أنه سمى النار « مأموسة » إلا ابن أحمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الأعراب : « هذا حجر من خرب » وسائر الشواذ عن معهود اللغه مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم يمتنع من إيقاع اسم الإيمان على ما أوقعه عليه الله – تعالى – ورسوله – ﷺ – محمد بن عبد الله القرشى المسترضع فى بنى سعد ابن بكر ويكابر فى ذلك بكل باطل ، وبكل حماقة ، وبكل دفع للمشاهدة – ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

قال أبو محمد : فمن الآيات التى أوقع الله – تعالى – فيها اسم الإيمان على أعمال الديانة .

قوله عز وجل : « هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينِ لِيَزْدَادُوا إيمانًا مع إيْمَانِهِم »[٢٢].

قال أبو محمد : والتصديق بالشيء أىّ شيء كان لا يمكن ألبتة أن يقع فيه زيادة ولا نقص ، وكذلك التصديق بالتَّوحيد والنبوة لا يمكن ألبتة أن يكون فيه زيادة ولا نقص ، لأنه لايخلو كل معتقد بقلب أو مقر بلسانه بأى شيء أقرّ أو أى شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها :

إما أن يصدق بما أعتقد وأقر .

وإما أن يكذّب بما اعتقد .

وإما منزلة بينهما : وهى الشك .

فمن المحال أن يكون إنسان مكذبًا بما يصدق به .

ومن المحال أن يشك أحدٌ فيما يصدق به .

فلم يبق إلا أنه مصدّق بما اعتقد بلا شك ، ولا يجوز أن يكون تصديق واحد أكثر من

---

(٢٠) أبو زياد الكلابى اللغوى : ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد فقال : أعرابى قدم بغداد أيام المهدى بسبب المجاعة فأقام ببغداد أربعين سنة ومات وله شعر كثير وعلق الناس عنه أشياء كثيرة من اللغة وعلم العربية وقال الوزير أبو القاسم المغربى اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث بن هام ابن دهر بن ربيعه ، وكان إمامًا فى اللغة وقال على بن حمزه البصرى فى كتاب التنبيه على اغلاط الرواه وإنما بدأت بنوادر أبى زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها : تهذيب التهذيب حـ ١٢ ص ١٠٢ .

(٢١) فى (أ) : (كناه نقلق عن ماموسة الحجر) وهو تحريف .

(٢٢) الفتح : ٤

تصديق آخر لأن أحد التصديق إذا دخلت داخله فبالضرورة يدرى كلُّ ذى حس سليم أنه قد خرج عن التصديق ولابدّ ، وحصل فى الشك ، لأن معنى التصديق إنما هو أن يقطع ويوقن وجود ما صدّق به ، ولا سبيل إلى التفاضل فى هذه الصّفة ، فإن لم يقطع ولا أيقن بصحته فقد شكَّ فيه فليس مصدقا به وإذا لم يكن مصدقا به فليس مؤمنا به .

فصحَّ أن الزيادة التى ذكر الله – عزَّ وجل – فى الإيمان ليست فى التَّصديق أصلًا ولا فى الاعتقاد ألبتة فهى ضرورة فى غير التصديق وليس ها هنا إلا الأعمال فقط .

فصح يقينا أن أعمال البر إيمان بنصِّ القرآن وكذلك قول الله – عزَّ وجل : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُم إِيمَانًا[٢٣]» .

وقوله – تعالى : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الناسُ إِنَّ النَّاس قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُم فَزَادَهُمْ إِيمَانًا[٢٤]» .

فإن قال قائل : معنى زيادة الإيمان ها هنا إنما هو لمَّا نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها إيمانا وتصديقًا بشىء وارد لم يكن عندهم .

قيل لهم : وبالله تعالى التوفيق : هذا محال ، لأنه قد اعتقد المسلمون فى أول إسلامهم أنهم مصدقون بكل ما يأتيهم به نبيهم – عليه الصلاة والسلام – فى المستأنف فلم يزدهم نزول الآية تصديقًا لم يكونوا إعتقدوه .

فصحَّ أن الإيمان الذى زادتهم الآيات إنما هو العمل بها الذى لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدَّقوا به قط ، ولا كان جائزًا لهم أن يعتقدوه ويعملوا به ، بل كان فرضًا عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون إلا فى كمية عدد لا فيما سواه ، ولا عدد للاعتقاد ولا كمية ، وإنما الكمية والعدد فى الأعمال والأقوال فقط .

فإن قالوا : إن تلاوتهم لها زيادة إيمان .

قلنا : صدقتم . وهذا هوقولنا ، والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس إقرارًا بالمعتقد ، ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل . وقال – تعالى – : « وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ[٢٥]» .

ولم يزل أهل الإسلام – قبل الجهمية والأشعرية والكرّامية وسائر المرجئه – مجمعين على أنَّه – تعالى – إنما عنى بذلك صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن ينسخ بالصلاة إلى الكعبة وقال

---

(٢٣) التوبة : ١٢٤

(٢٤) آل عمران : ١٧٣

(٢٥) البقرة : ١٤٣

– عز وجل – : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا[٢٦]» .

وقال – عز وجل – : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين حنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دُينَ الْقِيِّمَة[٢٧]» .

فنص – تعالى – على أن عبادة الله – تعالى – فى حال إخلاص الدين له – تعالى – وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواردتين فى الشريعة كله دين القيمة وقال – تعالى – : « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلَامُ[٢٨]» .

وقال – تعالى – : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاَسِرِين[٢٩]» .

فنص – تعالى – أن الدين هو الإسلام ، ونصَّ قبلُ على أن العبادات كلها والصلاة والزكاة هى الدين فأنتج ذلك يقينًا أن العبادات هى الدين ، والدين هو الإسلام ، فالعبادات هى[٣٠] الإسلام وقال – عز وجل – : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين[٣١]» .

وقال – تعالى – : « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِين ، فَمَاوَجْدَنَا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمين[٣٢]» .

فهذا نصٌ جليٌ على أن الإسلام هو الإيمان ، وقد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البرّ كلها هى الإسلام ، والإسلام هو الإيمان ، فأعمال البرّ كلها إيمان وهذا برهان ضرورى لا محيد عنه – وبالله تعالى التوفيق .

وقال – تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنُهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلَيماً[٣٣]» .

---

(٢٦) المائدة : ٣
(٢٧) البينة : ٥
(٢٨) آل عمران : ١٩
(٢٩) آل عمران : ٨٥
(٣٠) فى (أ) : (هن) .
(٣١) الحجرات : ١٧
(٣٢) الذاريات : ٣٥ ، ٣٦
(٣٣) النساء : ٦٥

فنص – تعالى – واقسم بنفسه أنه لا يكون مؤمنا إلا بتحكيم النبى – ﷺ – فى كل ما عنَّ ثم يسلم بقلبه ولا يجد فى نفسه حرجًا مما قضى . فصح أن التحكيم شىء غير التسليم بالقلب ، وأنه هو الإيمان الذى لا إيمان لمن لم يأت به .

فصح يقينًا أن الإيمان اسم واقع على الأعمال فى كل ما فى الشريعة وقال – تعالى :« وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرَ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هم الْكَافِرُونَ حَقًّا »[٣٤].

فصحَّ أن لا يكون التصديق مطلقا إيمانا إلا حتَّى يستضيف إليه ما نصَّ الله –تعالى – عليه .

ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام قول الله – عز وجل – « وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلِئِنْ رُدِدْتُ ، رَبِّى لَأجِدَتَّ مِنْهَا مُنْقَلَباً ، قَالَ لَه صَاحِبُه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ من نضفة ثم سَوَّاكَ رَجُلًا » إلى قوله : « يَالَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً[٣٥]» .

فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربُه تعالى إذ شك فى البعث وقال – تعالى: « أَفَتُؤْمِنُون بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ[٣٦]» .

فصح أنَّ من آمن ببعض الدين وكفر بشىء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدِّق من ذلك .

قال أبو محمد : وأكثر الأسماء الشرعية فإنها موضوعة من عند الله – تعالى – على مسَّميات لم يعرفها العرب قط ، هذا أمر لا يجهله أحد من أهل الأرض ممَّن يدرى اللغة العربية ويدرى الأسماء الشرعية كالصلاة فإن موضوع هذه اللفظة فى لغة العرب : الدُعاء فقط .

فأوقعها الله – تعالى – عز وجل – على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف إلى جهة موصوفة لا تتعدى ، وركوع كذلك وسجودٍ كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك فى أوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود ، متى لم تكن على ذلك بطلت ، ولم تكن صلاة ، وما عرفت العرب قط شيئًا من هذا كله فضلًا عن أن تسمية حتى أتانا بهذا رسول الله – ﷺ – وقد قال بعضهم : « إن فى الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه فى اللغة » .

---

(٣٤) النساء : ١٥٠ ، ١٥١
(٣٥) الكهف : ٣٥ – ٤٢
(٣٦) البقرة : ٨٥

قال أبو محمد : وهذا باطل لأنه لا خلاف بين أحد من الأمة فى أن من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآنًا معها فى كل ركعة وأتى بعدد[٣٧] الركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلّى على النبى - ﷺ ، وسلم بتسليمتين فقد صلّى كما أمر وإن لم يدع بشىء أصلًا .

وفى الفقهاء من يقول : إن من صلى خلف الإمام فلم يقرأ أصلًا ولا تشهد ولا دعا أصلًا فقد صلى كما أمر .

وأيضًا فإن ذلك الدعاء فى الصلاة لا يختلف أحد من الأمة فى أنه ليس شيئًا ولا يسمى صلاة أصلًا عند أحد من أهل الإسلام .

فعلى كل[٣٨] قد أوقع الله - عز وجل - اسم الصلاة على أعمال غير الدعاء ولابد ، وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ، ولا عرفت أيقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء .

ومنها الزكاة ، وهى موضوع[٣٩] فى اللغة للنماء والزيادة فأوقعها الله - تعالى - على إعطاء مال محدود معدود من جملة أموال مّا موصوفه معدودة معينة دون سائر الأموال لقوم محدودين فى أوقات محدودة فإن هو تعدّى شيئًا من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات .

والصيام فى لغة العرب : الوقوف .

نقول : صام النهار إذا طال حتى صار كأنه واقف لطوله

قال أمرؤ القيس[٤٠]: « إذا صَامَ النَّهار وهجَّرا .

وقال آخر وهو : النابغة الذبيانى[٤١]:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيرُ صَائِمةٍ   تحتَ العَجاجِ وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما

فأوقع الله - تعالى - اسم الصيام على الامتناع من الأكل والشرب والجماع وتعمد القىء من

(٣٧) فى (أ) : (بعد) .
(٣٨) فى (خ) : زاد (من) .
(٣٩) فى (خ) : (وهى فى موضوع اللغة) .
(٤٠) سبق أن ترجم له فى ص ٢٨
(٤١) هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى الغطفانى المضرى . شاعر جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرضون شعرهم عليه ، وهو أحد الأشراف فى الجاهلية ، وكان من أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف فى شعره ولا حشو . (الأعلام : ٩٢/٣) .

وقت محدود بتبين الفجر الثانى إلى غروب الشمس فى أوقات من السنة محدودة فإن تعدَّى لم يسمَّ صياما وهذا أمر لم تعرفه العرب قط .

فظهر فساد قول من قال : إن الأسماء لا تنقل فى الشريعة عن موضوعها فى اللغة .

وصح أن قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة .

قال أبو محمد : فإذ قد وضح وجود الزيادة فى الإيمان بخلاف قول من قال إنه التصديق ، فبالضرورة ندرى أن الزيادة تقتضى النقص ضرورة و لابدّ لأن معنى الزيادة إنما هى عدد مضاف إلى عدد ، وإذا كان ذلك فذلك العدد المضاف إليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله - ﷺ - المشهور المنقول نقل الكواف أنه قال للنساء : « مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَسْلَبُ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِنْكُنَّ » قلن يا رسول الله وما نقصانُ دِينِنا ؟ قال - عليه السلام : « أَلَيسَ تُقِيمُ الْمَرْأَةُ العدَدَ مِنَ الأيَامِ واللَّيَالِي لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّى فَهَذَا نُقْصانُ دِينِها[٤٢]» .

قال أبو محمد : ولو نقص من التصديق شيء لبطل عن أن يكون تصديقًا ، لأن التصديق لا يتبعض أصلًا ، ولصار شكا - وبالله تعالى التوفيق - وهم مقرُّون بأن امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل إيمانه .

فصحَّ أن التصديق لا يتبعض أصلًا .

قال أبو محمد : وقد نص الله - عزّ وجل - على أن اليهود يعرفون النبى - ﷺ - كما يعرفون أبناءهم ، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل وقال - تعالى : « فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ الله يَجْحَدُون[٤٣]» .

وأخبر - تعالى - عن الكفار فقال : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله[٤٤]» .

فأخبر - تعالى - أنهم يعرفون صدقة ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الأمة ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحد من الأمة فى كفره وخروجه عن الإسلام .

---

(٤٢) الحديث رواه مسلم فى إيمان واحمد بن حنبل فى مسنده ٦٧/٢ .

(٤٣) الأنعام : ٣٣

(٤٤) الزخرف : ٨٧

ونصَّ – تعالى – عن إبليس أنه عارف بالله – تعالى – وبملائكته وبرسله وبالبعث ، وأنه قال : « رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إلى يَوْمَ يُبْعثُونَ(٤٥) » .

وقال : « لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خلقته مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَأ مَسْنُونٍ(٤٦) » .

وقال : « خَلَقْتِنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتِه مِنْ طِين »(٤٧).

وكيف لا يكون مصدقا بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق الله – تعالى – لآدم ، وخاطبه – تعالى – خطابًا كثيرًا ، وسأله « مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ؟ »(٤٨)، وأمره بالخروج من الجنة ، وأخبره أنه منظر إلى يوم الدّين وأنه ممنوع من إغواء من سبقت له الهداية ؟

وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف .

إما بقوله عن آدم : أَنَا خَيرٌ مِنْه .

وإما بامتناعه للسجود .

لا يشك أحد فى ذلك ولو كان الإيمان هو بالتصديق والإقرار فقط لكان جميع المخلدين فى النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين حينئذ(٤٩)، لأنهم كلهم مصدقون بكل ما كذّبوا به فى الدنيا ، مقرون بكل ذلك ولكان إبليس واليهود والنصارى فى الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن أجازه ، وإنما كفر أهل النار بمنعهم من الأعمال .

قال – تعالى :« يَوْمَ يكشف عن ساق ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجودِ فَلَا يَسْتَطِيعُون(٥٠) » .

* * *

قال أبو محمد : فلجأ هؤلاء المخاذيل إلى أن قالوا : إن اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمدًا رسول الله ، ومعنى قول الله – تعالى : « يَعْرِفُونَه كَما يَعْرِفُونَ ابْنَاءَهُمْ(٥١) » .

أى أنهم يُميِّزون صورته ويعرفون أن هذا الرجل هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمى فقط .

---

(٤٥) الحجر : ٣٦

(٤٦) الحجر : ٣٣

(٤٧) الأعراف : ١٢

(٤٨) ص : ٧٥

(٤٩) فى (أ) : سقطت (حينئذ) .

(٥٠) القلم : ٤٢ . وهذه الآية قد جاءت محرفة فى (أ) : حيث قال (يوم يدعون إلى السجود) .

وأن معنى قوله – تعالى : « يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ(٥٢) » .

إنما هو أنهم يجدون سوادًا فى بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه ، وأن إبليس لم يقل شيئًا مما ذكر الله – عز وجل – عنه أنه قال مجدًا ، بل قاله هازلاً .

وقال هؤلاء أيضًا : إنَّه ليس على ظهر الأرض ولا كان قط كافر يدرى أن الله حق ، وأن فرعون قط لم يتبين له أن موسى نبى بالآيات التى عمل .

قال أبو محمد : وقالوا : إذا كان الكافر يصدِّق أن الله حق ، والتصديق إيمان فى اللغة فهو مؤمن إذًا أوجد فيه إيمان ليس به مؤمنًا وكلا القولين محال .

قال أبو محمد : هذه نصوص أقوالهم التى رأيناها فى كتبهم وسمعناها منهم وكان ممّا احتَّجوا به لهذا الكفر المجرد أن قالوا : إن الله – عزَّ وجل – سمَّى كل من ذكرنا كفارًا ومشركين فدلَّ ذلك على أنه علم أن فى قولهم كفرًا وشركًا وجحدًا .

وقال هؤلاء : إن شَتْمَ الله – عزَّ وجل – وشتم رسول الله – ﷺ ليس كفرًا لكنه دليل على أن فى قلبه كفرًا .

* * *

قال أبو محمد : أما قولهم فى أخبار الله – تعالى – عن اليهود : أنهم يعرفون رسول الله – ﷺ – كما يعرفون أبْنَاءهم .

وعن اليهود والنّصارى أنهم يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل .

فباطل بحت ومجاهرة لا حياء معها ، لأنه لو كان كما ذكروا لما كان فى ذلك حجة لله – تعالى – عليهم ، وأىُّ معنى أو أى فائدة فى أن يجيزوا صورته ويعرفوا أنه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فقط .

أو فى أن يجدوا كتابًا لا يفقهون معناه ؟

فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم ؟ لأنه – تعالى – يقول : « الَّذِينَ آتَيْنَاهَم الكِتَابَ يَعْرِفُونَه كَما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتِمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون(٥٣) » .

---

(٥١) البقرة : ١٤٦ ، الأنعام : ٢٠
(٥٢) الأعراف : ١٥٧
(٥٣) البقرة : ١٤٦

فنصَّ – تعالى – أنهم يعلمون الحق فى نبوته .

وقال فى الآية الأخرى : « يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمعْرُوفِ وَيَنْهَاهم عَنِ الْمُنْكَرِ ويحل لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويحرم عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِم[٥٤]» .

وإنما أورد – تعالى – معرفتهم لرسول الله – ﷺ – محتجًا عليهم بذلك لا أنه أتى من ذلك بكلام لا فائدة فيه .

وأما قولهم فى إبليس فكلام داخل فى الاستخفاف بالله – عز وجل – وبالقرآن لا وجه له غير هذا ، إذ من المحال الممتنع فى العقل وفى الإمكان غاية الامتناع أن يكون إبليس يوافق فى هزله عين الحقيقة فى أن الله – تعالى – كرَّم آدم عليه السلام ، عليه ، وأنه – تعالى – أمره بالسجود فامتنع .

وفى أن الله – تعالى – خلق آدم من طين وخلقه من نار .

وفى إخباره آدم أن الله – تعالى – نهاه عن الشجرة وفى دخوله الجنة و خروجه عنها إذ أخرجه الله – تعالى –

وفى سؤاله الله – تعالى – النظرة .

وفى ذكره يوم يبعث العباد .

وفى اخباره أن الله – تعالى – أغواه .

وفى تهديده ذرية آدم قبل أن يكونوا .

وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ، ولا سبيل إلى موافقة هازل بمعان صحيحة[٥٥] لا يعلمها ، فكيف بهذه الأمور العظيمة ؟

وأخرى أن الله – تعالى – حاشا له من أن يجيب هازلًا بما يقتضيه معنى هزله فإنه تعالى – أمره بالسجود ثم سأله عما منعه من السجود ثم أجابه إلى النظرة التى سأل ثم أخرجه من الجنة وأخبره أنه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الإسلام لتكذيبه القرآن ، وفارق المعقول لتجويزه هذه المحالات ، ولحق بالمجانين الوقحاء .

---

(٥٤) الأعراف : ١٥٧

(٥٥) فى الأصل (معنيين صحيحين) .

وأما قولهم إن أخبار الله – تعالى – بأن هؤلاء كلهم كفار دليل على أن فى قلوبهم كفرًا وأن شتم الله – تعالى – ليس كفرًا ولكنه دليل على أن فى القلب كفرًا وإن كان كافرًا لم يعرف الله – تعالى – قط .

فهذه منهم دعاوى كاذبة مفتراه لا دليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا سنه صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلا ولا من إجماع ولا من قياس ولا من قول أحد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وإفك وزور فسقط قولهم هذا من قرب – ولله الحمد رب العالمين .

فكيف والبرهان قائم بإبطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والإجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية .

فأمّا القرآن فإن الله – عز وجل – يقول : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وسَخَّرَوا الشَّمْسَ وَالْقَمَّر لَيَقُولُنَّ الله[٥٦]» .

وقال – تعالى : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُون[٥٧]» .

فأخبر – تعالى – بأنهّم يصدِّقون بالله – تعالى – وهم مع ذلك مشركون .

وقال – تعالى : « وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ[٥٨]» .

قال أبو محمد : هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضُّلال لا يردها مسلم أصلًا .

* * *

قال أبو محمد : وبلغنا عن بعضهم أنه قال فى قوله – تعالى : « يَعْرِفُونَه كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ[٥٩]» .

أن هذا إنكار من الله – تعالى – لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله – ﷺ .

قال : وذلك لأن الرجال لا يعرفون صحة أبنائهم على الحقيقة وإنما هو ظنٌ منهم .

قال أبو محمد : وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ، ويرد ما يثبت[٦٠] منه .

---

(٥٦) العنكبوت : ٦١

(٥٧) يوسف : ١٠٦

(٥٨) البقرة : ٤٤

(٥٩) سورة الأنعام آية رقم ٢٠

(٦٠) فى (أ) : (شئت) .

قال أبو محمد : فأول ذلك أن هذا ا لخطاب من الله – تعالى – عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب، لا يجوز أن يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل مفتريا على الله – تعالى – وبيقين يدرى كل مسلم أن رسول الله – ﷺ – بعث إلى النساء كما بعث إلى الرجال .

والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من أهل اللغة النساء والرجال . وقد علمنا أن النساء يعرفن أبناءهن على الحقيقة بيقين .

والوجه الثانى : هو أن الله – تعالى – لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الرجل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه أيضًا وإنما قال – تعالى : « كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ » .

فأضاف – تعالى – البنوة إليهم فمن لم يقل إنَّهم أبناؤهم بعد أن جعلهم الله أبناءهم فقد كذَّب الله – تعالى – وقد علمنا أنه ليس كل من خلق من نطفه الرجل يكون ابنه ، فولد الزنا مخلوق من نطفة إنسان ليس هو أباه فى حكم الديانة أصلًا ، وإنما أبناؤنا من جعلهم الله أبناءنا فقط .

كما أن الله – تعالى – جعل أزواج رسول الله – ﷺ – أمهات المؤمنين منهن أمهاتنا وإن لم يلدننا ونحن أبناءهُنَّ وإن لم نُخرج من بطونهن فمن أنكر هذا فنحن نصدّقه ، لأنه حينئذٍ ليس مؤمنا ، فلسن أمهاته ولا هو ابن لهن .

والوجه الثالث : هو أن الله – تعالى – إنما أورد الآية مبكِّتا للذين أوتوا الكتاب لا معتذرًا عنهم لكن مخبرًا بأنهم يعرفون صحة نبوة النبى – ﷺ – بآياته وبما وجدوا فى التوراة والإنجيل معرفة قاطعة لا شك فيها كما يعرفون أبناءهم .

ثم أتبع ذلك – تعالى – بأنهم يكتمون الحق وهم عالمون به ، فبطل هذر هذا الجاهل المخذول – والحمد لله رب العالمين .

وقال – عزَّ وجل : « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ[٦١] » .

فنص – تعالى – على أن الرشد قد تبين من الغىِّ عموما .

وقال – تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى[٦٢] » .

---

(٦١) البقرة : ٢٥٦
(٦٢) النساء : ١١٥

وقال – تعالى : « الَّذِينَ كَفَروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا الله شَيْئًا(٦٣) » .

وهذا نص جلى من خالفه كفر فى أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى فى التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدرى كل ذى حس سليم أنه مصدق بلا شك بقلبه .

وقال – تعالى : « فَلَمَّا جَاءَتْهِمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهم ظَلْمًا وَعُلُوًّا(٦٤) » .

قال أبو محمد : وهذا أيضا نص جلى لا يحتمل تأويلا على أن الكفار جحدوا بألسنتهم الآيات التى أتى بها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – واستيقنوا بقلوبهم أنها حق ولم يجحدوا قط أنها كانت وإنما جحدوا أنها من عند الله .

فصح أن الذى استيقنوا منها هو الذى جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة أنهم إنما استيقنوا كونها وهى عندهم حيل لا حقائق إذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله – تعالى – كذبا – تعالى الله عن ذلك – لأنهم لم يجحدوا كونها وإنما جحدوا أنها من عند الله ، وهذا الذى جحدوا هو الذى استيقنوا بنص الآية .

وقال – تعالى – حاكيا عن موسى – عليه السلام – أنه قال لفرعون : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلَّا رَبَّ السَّمواتِ وَالأَرْضَ بَصَائِرَ(٦٥) » .

فمن قال : إنّ فرعون لم يعلم أن الله – تعالى – حق ولا علم أن معجزات موسى حق من عند الله –تعالى – فقد كذّب ربه – تعالى – وهذا كفر مجرد .

وقد شغب بعضهم بأن هذه الآية قرئت « ولقد علمت » بضم التاء .

قال أبو محمد : وكلا القراءتين حق من عند الله – تعالى – لا يجوز أن يرد منهما شىء .

فنعَم موسى – عليه السلام – علم ذلك ، وفروعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن وأمَّا من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فإنَّا نقول لهم :

هل قامت حجة الله – تعالى – على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه – عزَّ وجل – لهم ، أم لم تقم حجة الله – تعالى – عليهم قط إذ لم يتبين الحق قط لكافر ؟

(٦٣) محمد : ٣٢
(٦٤) النمل : ١٣ ، ١٤
(٦٥) الإسراء : ١٠٢

فإن قالوا : إن حجة الله – تعالى – لم تقم قط على كافر إذ لم يتبين الحق للكفار ، كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الإجماع . وإن أقرّوا أنَّ حجة الله – تعالى – قد قامت على الكفّار بأن الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا إلى الحقِّ وإلى قول أهل الإسلام .

وبرهان آخر : أن كلَّ أحد منا مذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما سمعهم أحد إلا مقرين بالله – تعالى – وبنبوّة موسى – عليه السلام – وأن الله – تعالى – حرَّم على اليهود العمل فى السبت والشحوم[٦٦].

فمن الباطل أن يتواطئوا كلهم فى شرق الأرض وغربها على[٦٧] إعلان ما يعتقدون خلافه بلا سبب داع إلى ذلك .

وبرهان آخر : وهو أننا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عددهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكلهم أولهم عن آخرهم يخبر من استخبره – متى بقوا – أنهم فى إسلامهم يعرفون أن الله تعالى حق ، وأن نبوة موسى وهارون حق ، كما كانوا يعرفون ذلك فى أيام كفرهم ولا فرق .

ومن أنكر هذا فقد كابر عقله وحسَّه ولحق بمن لا يستحق أن يكلَّم .

وبرهان آخر : وهو أنهم لا يختلفون فى أن نقل التواتر يوجب العلم الضرورى فوجب من هذين الحكمين أن اليهود والنَّصارى الذين نقل إليهم ما أتى به – عليه السلام – من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضرورى بصحة نبوته من أجلها وهذا لا محيد لهم عنه – وبالله تعالى التوفيق – .

وأما قولهم : إن شتم الله – تعالى – ليس كفرًا وكذلك شتم رسول الله – ﷺ – .

فهو دعوى لأن الله – تعالى – قال : « يَحْلِفُونَ بِالله مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ[٦٨]» .

فنص – تعالى – على أن من الكلام ما هو كفر .

وقال – تعالى – : « وإذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بها وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إنكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ[٦٩]» .

---

(٦٦) فى (أ) : (التحوم) .
(٦٧) فى (أ) : (فى) .
(٦٨) التوبة : ٧٤
(٦٩) النساء : ١٤٠ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال (وإذا سمعتم) وصوابها (أن إذا سمعتم) .

فنصّ – تعالى – أن من الكلام فى آيات الله – تعالى – ما هو كفر بعينه مسموع .

وقال – تعالى – : « قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءوَن لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانُكِمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً[٧٠]» .

فنص – تعالى – على أن الاستهزاء بالله – تعالى – أو بآياته أو برسول من رسله كفر مُخرج[٧١] عن الإيمان ولم يقل[٧٢] – تعالى – فى ذلك أنى علمت أن فى قلوبكم كفرًا ، بل جعلهم كفارًا بنفس الاستهزاء .

ومن إدّعى غير هذا فقد قوّل الله – تعالى – ما لم يقل وكذب على الله – تعالى – .

وقال – عز وجل – : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الكُفْرِ يُضَلَّ بِهِ الَّذينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرَّمونَه عَامًا لِيُواطِؤُا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ[٧٣]» .

قال أبو محمد : وبحكم اللغة التى نزل بها القرآن أن الزيادة فى الشىء لا تكون ألبتة إلا منه لا من غيره .

فصح أن النسىء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله – تعالى –

فمن أحلَّ ما حرَّم الله – تعالى – وهو عالم بأن الله – تعالى – حرَّمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه .

وكل من حرَّم ما أحل الله – تعالى – فقد أحل ما حرم الله – عز وجل – لأن الله – تعالى – حرّم على الناس أن يحرِّموا ما أحل الله .

وأما خلال الإجماع فإن جميع أهل الإسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله – تعالى – أو جحد رسوله – ﷺ – فإنه محكوم له بحكم الكفر قطعًا ، إما القتل ، وإما أخذا الجزية ، وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد فى هل هم فى باطن أمرهم مؤمنون أم لا ؟

ولا فكَّروا فى هذا لا رسول الله – ﷺ – ولا أحد من أصحابه ولا أحد ممن بعدهم .

وأما قولهم : إن الكفار إذا كانوا مصدّقين بالله – تعالى – وبنبيه – ﷺ – بقلوبهم والتصديق فى اللغة التى بها نزل القرآن هو الإيمان ففيهم بلا شك إيمان ، فالواجب أن يكونوا بإيمانهم ذلك مؤمنين ، أو أن يكون فيهم إيمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولابدّ من أحد الأمرين .

---

(٧٠) توبة : ٦٥ ، ٦٦ .

(٧١) ف ( ) : فخرج .

(٧٢) ف ( ) : (ولم يفعل) وهو تحريف .

(٧٣) توبة : ٣٧ .

قال أبو محمد : وهذا تمويه فاسد لأن التسمية كما قدمنا لله – تعالى – لا لأحد دونه وقد أوضحنا البراهين على أن الله – تعالى – نقل اسم الإيمان فى الشريعة عن موضوعه فى اللغة إلى معنى آخر وحرَّم فى الديانة إيقاع إسم الإيمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله – تعالى – للفظة الإيمان كما ذكرنا لوجب أن يسمى كل كافر على وجه الأرض مؤمنا ، وأن يخبر عنهم بأن فيهم إيمانا لأنهم مؤمنون ولابدّ بأشياء كثيرة مما فى العالم يصدقون بها . هذا لا ينكره ذو مسكة من عقل .

فلمَّا صحّ إجماعنا وإجماعهم وإجماع كل من ينتمى إلى الإسلام على أنهم وإن صدقوا بأشياء كثيرة فإنه لا يحلّ لأحد أن يسميهم مؤمنين على الإطلاق ولا أن يقول إن لهم إيمانا مطلقًا أصلًا لم يجز لأحد أن يقول فى الكافر المصدق بقلبه ولسانه بأن الله – تعالى – حقٌّ والمصدق بقلبه أن محمدًا رسول الله أنه مؤمن ، ولا أن فيه إيمانا أصلا إلا حتى يأتى بما نقل الله – تعالى – إليه اسم الإيمان من التصديق بقلبه ولسانه وبأن[٧٤] لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأن كل ما جاء به حق وأنه برىء من كل دين غير دينه ثم يتمادى بإقراره على ما لا يتم إيمان إلَّا بالإقرار به حتى يموت لكنا نقول : إن فى الكافر تصديقًا بالله – تعالى – هو به مصدِّق بالله – تعالى – وليس بذلك مؤمنًا ، ولا فيه إيمان كما أمرنا الله – تعالى – لا كما أمر جهم والأشعرى .

* * *

قال أبو محمد : فبطل هذا القول المتفق على تكفير قائله .

وقد نصّ على تكفيرهم أبو عبيد[٧٥] القاسم فى كتابه المعروف برسالة الإيمان ، وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه أهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس ، من أهل قيروان أفريقية – وبالله تعالى التوفيق –

قال أبو محمد : وأما من قال إن الإيمان إنما هو الإقرار باللسان فإنهم إحتجوا بأن النبى – ﷺ – وجميع أصحابه – رضى الله عنهم – وكل من بعدهم قد صحَّ إجماعهم على أن من أعلن بلسانه بشهادة الإسلام فإنه عندهم مسلم محكوم له بحكم الإسلام وبقول رسول الله – ﷺ – فى السوداء : « اعتقها فإنها مؤمنة[٧٦] » .

---

(٧٤) فى (أ) : حذفت (واو) العطف .

(٧٥) هو : القاسم بن سلام البغدادى أبو عبيد الفقيه القاضى صاحب التصانيف روى عن هشيم واسماعيل بن عياش واسماعيل جعفر وغيرهم وروى عنه سعيد بن أبى مريم المصرى ، وعباس العنبرى وعباس الدورى وعبد الله الدارمى ، ولد بهراه وكان أبوه سلام عبدًا لبعض أهلها وقال أبو عبيد كان مؤدبًا صاحب نحو وعربية ، وطلب للحديث والفقه وولى قضاء طرسوس وصنف كتبا وسمع الناس منه وحج وتوفى بمكه سنة ٢٢٤ هـ (تهذيب التهذيب حـ ٨ ص ٣١٥) .

(٧٦) رواه مسلم فى المساجد : ٣٣ ، وأبو داود فى الصلاة : ١٦٧ . وفى الإيمان : ١٦ . ورواه النسائى فى السهو : ٣٠ ، والدارمى فى النذور ، وصاحب الموطأ فى العتق . وأحمد بن حنبل حـ ٢ : ٣٩١ ، حـ ٤٥٣/٣ ولفظ الحديث كما جاء فى مسلم قال : « كانت لى جارية ترعى =

وبقوله – ﷺ – لعمه أبى طالب : « قل كلمة أحاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله – عزَّ وجل –[٧٧] » .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه .

أما الإجماع المذكور فصحيح وإنما حكمنا لهم بحكم الإيمان فى الظاهر . ولم نقطع على أنه عند الله – تعالى – مؤمن ، وهكذا قال رسول الله – ﷺ – : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بما أرسلت به فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مِنّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها وحسابهم على الله[٧٨] » .

وقال – عليه السلام – : « من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه[٧٩] » . وإما قوله غليه السلام فى السوداء « انها مؤمنه » .

فظاهر الأمر كما قال – عليه السلام – إذ قال له خالد بن الوليد : « رُبَّ مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال – عليه السلام – : « إنِّى لم أُبْعَث لأَشُقَّ عن قلوبِ الناس[٨٠] » .

وأما قوله لعمه : « أُحاجُّ لك بها عند الله » .

فنَعم يحاجّ بها على ظاهر الأمر وحسابه على الله – تعالى – فبطل كل ما موهوا به ثم نبيّن بطلان قولهم – إن شاء الله تعالى – .

فنقول – وبالله تعالى نتأيد – : إنه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله – عز وجل – : « وَمِنَ النَّاسِ من يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنينَ ، يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذينَ آمَنُوا

= غنما لى قبل أحد ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون ، لكنى صككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علىّ . قلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : أئتنى بها فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟ قالت فى السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة » .

(٧٧) ذكره البخارى فى مناقب الأنصار برقم : ٤٠ . وفى التفسير فى سورة التوبة وفى باب الإيمان : ١٩ ، وذكره أحمد بن حنبل حـ ٥ : ٤٢٣ .

(٧٨) رواه البخارى فى كتاب الإيمان باب ١٧ ، ٢٨ . وأبو داود فى كتاب الجهاد . باب : ٩٥ . والنسائى فى كتاب الزكاه باب : ٣ ، وابن ماجه ، فى كتاب الفتن باب : ١ ، ٣ . ولفظ الحديث كما فى رواية البخارى : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلّا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

(٧٩) رواه البخارى فى العلم : ٣٣ . ومسلم فى الصلاة : ١٢ .. وأحمد بن حنبل فى مسنده : ٢٣٦/٥ . ونص الحديث كما رواه مسلم : قال رسول الله ﷺ : « من قال أشهد ألا إله إلا الله ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله إلى قوله : من قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » .

(٨٠) رواه البخارى فى المغازى ٤٠ ، ٦٠ ، ورواه ابن ماجه فى الفتن : ٣٦ . ولفظ الحديث كما ورد فى رواية ابن ماجه : عن عمران ابن حصين قال : ... شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين فلما لقوهم قاتلوهم قتالًا شديدًا فمنحوهم أكتافهم فحمل رجل من لحمتى على رجل من المشركين بالرمح فلما غشيه قال : أشهد ألا إله إلا الله .. إنى مسلم . فطعنه فقتله : ... فأتى رسول الله ﷺ : فقال : يا رسول الله هلكتُ قال وما الذى صنعت مرة أو مرتين فأخبره بالذى صنع فقال له رسول الله ﷺ : فلا شققت عن بطنه. فعلمت ما فى قلبه ؟ .

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِى قُلوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون[٨١]» .

وقوله – عز وجل – : « يَا أَيُّها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهم[٨٢]» .

وقوله : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَماَّ يَدْخُلِ الإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ[٨٣]» .

وقال – تعالى – : « إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمَ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكّلُونَ الَّذينَ يُقِيمُون الصَّلَاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[٨٤]» .

* * *

قال أبو محمد : فإن قالوا إنما هذه الآية بمعنى أن هذه الأفعال تدل على أن فى القلب إيمانا .

قلنا لهم : لو كان ما قلتم لوجب ولابد أن يكون ترك من ترك شيئًا من هذه الأفعال دليلا على أنه ليس فى قلبه إيمان وأنتم لا تقولون هذا أصلا مع أن هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز إلا ببرهان . وقولهم هذا ودعوى بلا برهان .

وقال – تعالى – : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فى سَبِيلِ اللهِ أُولَئكَ هُمُ الصَّادِقُون[٨٥]» .

وقال – تعالى – : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتِهِمْ مِنْ شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا[٨٦]» .

فأثبت – عزَّ وجل – لهم الإيمان الذى هو التصديق ثم أسقط عنا ولا يتهم إذ لم يهاجروا فأبطل بذلك إيمانهم المطلق ، ثم قال – تعالى – : « والَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[٨٧]» .

(٨١) البقرة : ٨ – ١٠
(٨٢) المائدة : ٤١
(٨٣) الحجرات : ١٤
(٨٤) الأنفال : ٢ – ٤
(٨٥) الحجرات : ١٥
(٨٦) الأنفال : ٧٢
(٨٧) الأنفال : ٧٤

فصح يقينا أن هذه الأعمال إيمان حق وعدمها ليس إيمانا وهذا غاية البيان – وبالله تعالى التوفيق –

* * *

وقال – تعالى – : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله ، والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون(٨٨) » .

فنصَّ – عز وجل – فى هذه الآية على من آمن بلسانه ولم يعتقد الإيمان بقلبه فإنه كافر .

ثم أخبرنا – تعالى – المؤمنون(٨٩) من هم ؟ وأنهم الذين آمنوا وأيقنوا بألسنتهم وقلوبهم معًا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

وأخبر – تعالى – أن هؤلاء هم الصّادقون .

قال أبو محمد : ويلزمهم أن المنافقين مؤمنون لإقرارهم بالإيمان بألسنتهم وهذا قول مخرج عن الإسلام وقد قال – تعالى – : « إن الله جَامِعُ المنافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعًا(٩٠) » .

وقال – تعالى – : « إذا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه والله يَشْهَدُ إِنَّ المنَا فِقينَ لَكَاذِبُون ، اتَّخذَوُا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ، ذَلِكَ بِأَنَّهُم آمَنوُا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبَع عَلَى قُلوبِهمْ(٩١) » .

فقطع الله – تعالى – عليهم بالكفر كما ترى لأنهم أبطنوا الكفر .

* * *

قال أبو محمد : وبرهان آخر وهو أن الإقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله – عزَّ وجل – لأن أحدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئًا له فى القرآن فلا يكون بذلك كافرًا حتَّى يقرّ أنه عقده .

قال أبو محمد : فإن احتج بهذا أهل المقالة الأولى وقالوا هذا يشهد بأن الإعلان بالكفر ليس كفرًا .

(٨٨) المنافقون : ١
(٨٩) فى (أ) : (بالمؤمنين) .
(٩٠) النساء : ١٤٠
(٩١) المنافقون : ١ – ٣

قلنا له : – وبالله تعالى التوفيق – قد قلنا إنَّ التسمية ليست لنا وإنما هى لله – تعالى – فلما أمرنا – تعالى – بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول أهل الكفر وأخبرنا – تعالى – أنه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارىء للقرآن بذلك عن الكفر إلى رضى الله – عز وجل –

والإيمان بحكايته ما نصَّ الله – تعالى – بأداء الشهادة بالحق فقال – تعالى – : « إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٩٢] » .

خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن أن يكون بذلك كافرًا إلى رضى الله – عزَّ وجلٍ – والإيمان ولما قال – تعالى – : « إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ولكنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا[٩٣] » .

خرج من ثبت إكراهه عن أن يكون بإظهار الكفر كافرًا إلى رخصة الله – تعالى – والثبات على الإيمان وبقى من أظهر الكفر لا قارئًا ولا شاهدًا ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له بإجماع الأمة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله – ﷺ – بذلك ، وبنص القرآن على من قال كلمة الكفر إنه كافر وليس قول الله – عز وجل – : « وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا » .

على ما ظنوه من اعتقاد الكفر فقط ، بل كلُّ من نطق بالكلام الذى يحكم لقائله عند أهل الإسلام بحكم الكفر لا قارئًا ولا شاهدًا ولا حاكيا ولا مكرها فقد شرح بالكفر صدرًا بمعنى أنه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على أهل الإسلام[٩٤] وعلى أهل الكفر أن يقولوه وسواء اعتقدوه[٩٥] أو لم يعتقدوه[٩٦]، لأن هذا العمل من إعلان الكفر على غير الوجوه المباحة فى إيراده وهو شرح الصدر به فبطل تمويههم بهذه الآية – وبالله تعالى التوفيق –

وبرهان آخر وهو قول الله – عز وجل – : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[٩٧] » .

فنصَّ الله تعالى – على الإيمان أنه شىء قبل نفى الارتياب ، ونفى الارتياب لا يكون ضرورة إلا بالقلب وحده .

---

(٩٢) الزخرف : ٨٦
(٩٣) النحل : ١٠٦
(٩٤) فى (أ) : سقط قوله)الإسلام وعلى أهل) فاضطرب المعنى .
(٩٥) فى (أ) : اعتقده .
(٩٦) فى (أ) : يعتقده .
(٩٧) الحجرات : ١٥

فصح أن الإيمان إذ هو قبل نفى الارتياب شيء[٩٨] آخر غير نفى الارتياب ، والذى قبل نفى الارتياب هو القول باللّسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الإيمان بنص كلام الله – عز وجل – إلا بهذه الأقسام كلها .

فبطل بهذا النص قول من زعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب وحده أو القول باللّسان وحده ، أو كلاهما فقط دون العمل بالبدن .

وبرهان آخر : وهو أن نقول لهم أخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر .

أهم حين كونهم فى النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذى بجحدهم لكل ذلك أدخلوا النار ؟

وهل هم حينئذٍ مقرّون بذلك بألسنتهم أم لا ؟

ولابدّ من أحدهما !

فإن قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرّون به بألسنتهم وقلوبهم .

قلنا : إنهم مؤمنون أو غير مؤمنين ؟

فإن قالوا : هم غير مؤمنين .

قلنا : قد تركتم قولكم إن الإيمان هو المعرفة بالقلب أو الإقرار باللسان فقط أو كلاهما فقط .

فإن قالوا : هذا حكم الآخرة .

قلنا لهم : فإذ جوَّزتم نقل الأسماء عن موضوعها فى اللغة فى الآخره فمن أين منعتم من ذلك فى الدنيا ولم تجوزوه لله – عزَّ وجل – فيها ؟

وليس فى الحماقة أكثر من هذا .

وإن قالوا : بل هم مؤمنون .

قلنا لهم : فالنار إذن أعدَّت للمؤمنين ، لا للكافرين وهى دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن وإجماع أهل الإسلام المتيقن .

وإن قالوا : بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة فى حال كونهم فى النار . أكذبهم

---

(٩٨) فى (خ) : (فهو شيء) .

نصوص القرآن وكذَّبوا ربهم – عزَّ وجل – فى إخباره أنهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بألسنتهم راغبون فى الرجعة والإقالة ، نادمون على ما سلف منهم وكذّبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال .

إذ جعلوا من شاهد القيامة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصحَّ بهذا أنه لا إيمان ولا كفر إلا ما سمَّاه الله – تعالى ايمانا وكفرا وشركًا فقط ، ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك إلا من سمَّاه الله – تعالى بشىء من ذلك إمَّا فى القرآن وإمَّا على لسان النبى – ﷺ .

* * *

قال أبو محمد : وأما من قال إن الإيمان هو العقد بالقلب والإقرار باللِّسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وإن كانت خطأ وبدعة .

واحتجوا بأن قالوا : أخبرونا عمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله وبرىء من كل دين حاشا الإسلام وصدَّق بكل ما جاء به النبى ﷺ واعتقد ذلك بقلبه ومات إثر ذلك أمؤمن هو أم لا ؟

فإنَّ جوابنا أنه مؤمن بلا شك عند الله – عزَّ وجل – وعندنا .

قالوا : فأخبرونا أناقص الإيمان هو أم كامل الإيمان ..؟

قالوا : فإن قلتم إنه كامل الإيمان فهذا قولنا .

وإن قلتم : إنه ناقص الإيمان سألناكم ماذا نقصه من الإيمان ؟ وماذا معه من الإيمان ؟

قال أبو محمد : فجوابنا – وبالله تعالى التوفيق – أنه مؤمن ناقص الإيمان بالإضافة إلى من له إيمان زائد بأعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الإيمان بالإضافة إلى من هو أفضل أعمالًا منه حتى يبلغ الأمر إلى رسول الله – ﷺ – الذى لا أحد أتم إيمانًا منه بمعنى أحسن أعمالًا منه .

وأما قولهم : ما الذى نقصه من الإيمان ؟ فإنه نقصه الأعمال التى عملها غيره ، والتى ربنا – عز وجل – أعلم بمقاديرها .

قال أبو محمد : ومما يبين أن اسم الإيمان فى الشريعة منقول عن موضوعه فى اللغة وأن الكفر أيضًا كذلك .

فإن الكفر فى اللّغة : التغطية .

وسمّى الزرَّاع كافرًا لتغطيته الحب .

وسمى اللَّيل كافرًا لتغطيته كل شيء .

قال الله – عز وجل – « فَاسْتَغْلَظَ فَاستَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ[٩٩]» .

وقال تعالى : « كمَثلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه[١٠٠]» .

يعنى الزراع .

وقال لبيد بن ربيعة :

ألقت زكاة يمينها فى كافر[١٠١]...

يعنى الليل .

ثم نقل الله – تعالى – اسم الكفر فى الشريعة إلى جحد الربوبية وجحد نبوة نبى من الأنبياء صحَّتْ نبوته فى القرآن .

أو جحد شيء مما أتى به رسول الله – ﷺ – مما صحّ عند جاحده بنقل الكافة .

أو عمل شيءٍ قام البرهان بأن العمل به كفر ، مما قد بيناه فى كتاب الإيصال – والحمد لله رب العالمين .

فلو أن إنسانا قال : إن محمدًا – عليه الصلاة والسلام – كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطَّاغوت كما قال – تعالى : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بِالله فَقَد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوثقى لَا انْفِصَامَ لَها[١٠٢]» .

لما اختلف أحد من أهل الإسلام فى أن قائل هذا محكوم له بالكفر .

وكذلك لو قال إن إبليس وفرعون وأبا جهل[١٠٣] مؤمنون لما اختلف أحدٌ من أهل الإسلام فى أن قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصحّ عند كل ذى مسكة من تمييز[١٠٤] أن اسم الإيمان والكفر منقولان فى الشريعة عن موضوعهما فى اللغة بيقين لا شك فيه ، وأنه لا يجوز إيقاع اسم الإيمان المطلق على معنى التصديق بأى شيء صدق به المرء .

---

(٩٩) الفتح : ٢٩

(١٠٠) الحديد : ٢٠ والآية وردت فى الأصل محرفة هكذا (كزرع أعجب الكفار نباته) .

(١٠١) فى (أ) : جاء هذا البيت محرّفا على هذا النحو : (يمينها ألقت زكاة فى كافر) .

(١٠٢) البقرة : ٢٥٦ . وفى (أ) : جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكر (لانفصال) .

(١٠٣) الترجمة له فى ص ٢٣

(١٠٤) فى (أ) : (من يتميز) وهو تحريف .

ولا يجوز إيقاع اسم الكفر على معنى التغطية لأى شيء غطاه المرء لكن على ما أوقع الله – تعالى – عليه اسم الإيمان واسم[١٠٥] الكفر ولا مزيد .

وثبت يقينًا أن ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولإجماع أهل الإسلام أوّلهم عن آخرهم – وبالله تعالى التوفيق .

وبقى حكم التصديق على حالة فى اللّغة لا يختلف فى ذلك إنسى ولا جنى ولا كافر ولا مؤمن فكلّ من صدق بشيءٍ فهو مصدّق به .

فمن صدَّق بالله – تعالى – وبرسوله – ﷺ – ولم يصدق بما لا يتم الإيمان إلا به فهو مصدق بالله – تعالى – أو برسوله – ﷺ – وليس مؤمنا ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا – وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥) فى (خ) : لم يذكر (الإيمان وأسمه) .

اعتراضات للمرجئة الطبقات الثلاث المذكورة

قال أبو محمد : إن قال قائل : أليس الكفر ضدَّ الإيمان ؟

قلنا – وبالله تعالى التوفيق : إطلاق هذا القول خطأ لأن الإيمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا .

فمن تلك المعانى شيء يكون الكفر ضدًا له .

ومنها ما يكون الفسق ضدًا له لا الكفر .

ومنها ما يكون الترك ضدًا له لا الكفر ولا الفسق .

فأما الإيمان الذى يكون الكفر ضدًا له فهو العقد بالقلب والإقرار باللسان فإن الكفر ضدٌ لهذا الإيمان .

وأما الإيمان الذى يكون الفسق ضدًا له لا الكفر فهو ما كان من الأعمال فرضًا فإن تركه[1] ضد للعمل وهو فسق لا كفر .

وأما الإيمان الذى يكون الترك له ضدًا فهو كل ما كان من الأعمال تطوعًا فإن تركه ضدّ العمل به وليس فسقًا ولا كفرًا .

برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله – عز وجل – أعمال البر كلها إيمانًا وتسميته – تعالى – ما سمى[2] كفرًا وما سمى[3] فسقا وما سمى معصية وما سمى إباحة لا معصية ولا كفرًا ولا إيمانًا .

---

(١) ف (خ) : (شرطه) .
(٢) ف (خ) : (ما يسمى) .
(٣) ف (خ) : (ما يسمّى) .

وقد قلنا : إن التسمية لله – عز وجل – لا لأحد غيره .

فإن قال قائل منهم : أليس جحدا لله – عزَّ وجل – بالقلب فقط لا باللسان كفرًا ؟ فلابدّ من نعم .

قال : فيجبُ على هذا أن يكون التصديق وحده إيمانًا .

فجوابنا : وبالله تعالى التوفيق – إن هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده ، أو باللسان وحده إيمانًا ، وقد أوضحنا آنفا أنه ليس شيء من ذلك على انفراده إيمانا ، وأنه ليس إيمانًا إلا ما سمّاه الله – عز وجل – إيمانا وليس الكفر إلا ما سمَّاه الله – عز وجل – كفرًا فقط .

فإن قال قائل : من أهل الطائفة الثالثة : أليس جحدُا لله – تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله ؟

فكذلك يجب أن يكون الإقرار بالله – تعالى – باللسان والقلب هو الإيمان كله .

قلنا : وبالله تعالى نتأيد – ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صحَّ البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفر كفر ، والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفرٌ كفر ، فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر ، والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقى منه وما نقص فكله كفر ، وبعض الكفر أعظم وأشد وأشنع من بعض ، وكله كفر .

وقد أخبر – الله – تعالى – عن بعض الكفر أنه « تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا[٤] » وقال – عز وجل : « هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[٥] » ثم قال : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[٦] » .

وقال – تعالى : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ[٧] » .

فأخبر – تعالى – أن قومًا يضاعف لهم العذاب فإذ كل هذا قول الله – عز وجل – وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنّص وبعض الجزاء أشدُّ من بعض بالنصوص ضرورة .

والإيمان أيضا يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله – ﷺ – والجزاء عليه فى الجنة يتفاضل بلا خلاف .

(٤) مريم : ٩٠
(٥) النمل : ٩٠
(٦) النساء : ١٤٥
(٧) غافر : ٤٦

فإن قال من الطبقتين الأولين : أليس من قولكم من عرف الله – عز وجل – والنبى – ﷺ – وأقرَّ بهما بقلبه فقط إلا أنه منكر بلسانه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر ؟

وكذلك من قولكم أن من أقر بالله – عز وجل – وبرسوله – ﷺ – بلسانه فقط إلا أنه منكر بقلبه لكل ذلك أو لبعضه فإنه كافر ؟

* * *

قال أبو محمد : فجوابنا نعم هكذا نقول .

قالوا فقد وجب من قولكم إذا كان بما ذكرنا كافرًا أن يكون فعله ذلك كفرًا ولا بدَّ إذ لا يكون كافرًا إلا بكفره فيجب على قولكم أن الإقرار بالله – تعالى – وبرسوله – ﷺ – بالقلب كفر ولا بدُّ ويكون الإقرار بالله – تعالى – أيضًا وبرسوله – ﷺ – باللسان أيضًا كفر ولابدَّ .

وأنتم تقولون إنهما إيمان ، فقد وجب على قولكم أن يكونا كفرًا إيمانًا معًا وفاعلهما كافرًا مؤمنًا معًا وهذا كما ترون .

قال أبو محمد : فجوابنا – وبالله تعالى التوفيق – أن هذا شغب ضعيف وإلزام كاذب مموه[٨]، لأننا لم نقل قط أن من اعتقد وصدَق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله – ﷺ – وأنكر بلسانه أو بعضه فإنّ اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا أنه كان بذلك كافرًا ، وإننا قلنا إنه كفر بترك إقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر ، وبه صار كافرًا وبه أباح الله تعالى دمه ، أو أخذ الجزية منه باجماعكم معنا ، وإجماع جميع أهل الإسلام . وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغوًا محبطًا كأنه لم يكن ليس إيمانًا ولا كفرًا ، ولا طاعة ولا معصية قال تعالى : « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ[٩]» .

وقال تعالى : « يأَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبىِّ وَلَا تَجْهَرُوا له بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأنتم لَا تَشْعُرون[١٠]» .

وبالضرورة يدرى كل مسلم أن من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتأثيره ، ولم يبق له رسم ، وكذلك لم نقل قط[١١] أن من أقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، وجحد بقلبه أن

(٨) فى (أ) : (سموه) وهو تحريف .
(٩) سورة الزمر آية ٦٥ .
(١٠) الحجرات : ٢

إقراره بذلك بلسانه كفر ، ولا أنه كان به كافرًا لكنه كان كافرًا بجحده بقلبه لما جحد من ذلك ، وجحده لذلك هو الكفر ، وكان إقراره بكل ذلك بلسانه لغوًا محبطًا كما ذكرنا ، لا إيمانًا ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق ، فقط هذا الإبهام الفاسد .

فإن قال قائل منهم : أليس بعض الإيمان إيمانًا ، وبعض الكفر كفرًا ، وأراد أن يلزمنا من هذا أن العقد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح إذا كان ذلك إيمانًا فأبعاضه إذا انفردت إيمان . أو أن نقول إنَّ أبعاض الإيمان ليست إيمانا فيموِّه بهذا .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أننا نقول ونصرِّح أنه ليس بعض الإيمان إيمانًا أصلًا ، بل الإيمان متركب من أشياء إذا اجتمعت صارت إيمانًا كالبلق ليس السوادُ وحده بلقا ، ولا البياض وحده بلَقًا ، فإذا اجتمعا صارا بلقا . وكالباب ليس الخشب وحده بابا ، ولا المسامير وحدها بابًا ، فإذا اجتمعا على شكل سمى حينئذ بابًا وكالصلاة فإن القيام وحده ليس صلاة ، ولا الركوع وحده صلاة ، ولا الجلوس وحده صلاة ، ولا القراءة وحدها صلاة ، ولا الذكر وحده صلاة ، ولا استقبال القبلة وحده صلاة أصلًا ، فإن[١٢] اجتمع كل ذلك سمى المجتمع حينئذ صلاة ، وكذلك الصيام المفترض والمندوب إليه ، ليس صياما كلُّ ساعة من النهار على انفرادها صيامًا ، فإذا اجتمع صيامها كلها تَسمَّى صياما ، وقد يقع فى اليوم الأكل والجماع والشراب سهوا فلا يمنع ذلك من أن يكون صيامه صحيحا ، والتسمية لله عز وجل كما قدمنا ، لا لأحد دونه بل من الإيمان شيء إذا انفرد كان كفرًا ، كمن قال مصدقا بقلبه ، لا إله إلا الله محمد رسول الله فهذا إيمان فلو أفرد لا إله وسكت سكوت قطع للكفر بلا خلاف من أحد ، ثم نسألهم فنقول لهم : فإذا انفرد صيامه أو صلاته دون إيمان أهى طاعة ؟

فَمَنْ قَوْلُهُمْ لَا ، فقد صاروا فيما أرادوا أن يمِّوهوا به علينا من أنَّ أبعاض الطاعات إذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية ، وإذا اجتمعت كانت طاعة .

قال أبو محمد : فإن قالوا : إذا كان النطق باللسان عندكم إيمانا فيجب إذ اعدم المنطق[١٣] بأن يسكت الإنسان بعد إقراره أن يكون سكوته كفرًا ، فيكون بسكوته كافرًا .

قلنا : إن هذا يلزمنا عندكم فما تقولون إن سألكم أصحاب محمد بن كرَّام فقالوا لكم : إذا كان الاعتقاد بالقلب هو الإيمان عندكم فيجب إذا سها عن الاعتقاد وإحضاره ذكره أما فى حالة حديثه مع من يتحدث أو فى حال فكره أو نومه أن يكون كافرًا ، وأن يكون ذلك السهو كفرًا ، فجوابهم أنه محمول على ما صحّ منه من الإقرار باللسان .

---

(١١) فى (أ) : لم يذكر كلمة (قط) .
(١٢) فى (أ) : (فإذا) .
(١٣) فى (أ) : (النطق) .

قال أبو محمد : ونقول للجهمية والأشعرية فى قولهم : إن جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول ﷺ إذا كان كل ذلك باللسان فإنه ليس كفرًا لكنه دليل على أن فى القلب كفرًا .

أخبرونا عن هذا الدليل الذى ذكرتم أتقطعون به وتثبتونه يقينا ولا تشكون فى أن فى قلبه جحدا للربوبية ، وللنبوة أم هو دليل مدخول(١٤) ويدخله الشك ، ويمكن ألا يكون فى قلبه كفر ؟ ولابدّ من أحدهما .

فإن قالوا : إنه دليل لا نقطع به قطعا ، ولا نثبته يقينا .

قلنا لهم : فما بالكم تحتجون بالظن ، الذى قال تعال فيه : « إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئًا(١٥) » .

وأعجب من هذا أنكم تشنعون على خصومكم فى هذا المكان بما ينعكس عليكم إذ تقولون(١٦): إنكم إنما قلتم إن إعلان الكفر دليل على أن فى القلب كفرًا ، لأن الله تعالى سماهم كفارًا ، فلم يمكننا(١٧) ردّ شهادة الله تعالى ، فعاد هذا البلاء عليكم لأنكم قطعتم أنها شهادة الله عز وجل ، ثم لم تصدقوا شهادته . ولا قطعتم بها بل شككتم فيها . وهذا تكذيب لله(١٨) لا خفاء فيه . وأما نحن فمعاذ من أن نقول أو نعتقد أن الله تعالى شهد بهذا قط بل من ادّعى أن الله شهد بأن من أعلن الكفر فإنه جاحدٌ بقلبه ، فقد كذب على الله عزَّ وجل، وافترى عليه ، بل هذه شهادة الشيطان التى أضلَّ بها أولياءه ، وما شهد الله تعالى إلَّا بضد هذا ، وبأنهم يعرفون الحق ، ويكتمونه ، ويعرفون أن الله تعالى حق ، وأن محمدًا رسول الله ﷺ حق ، ويظهرون بألسنتهم خلاف ذلك ، وما سماهم(١٩) الله عزَّ وجل قط(٢٠) كفارًا إلَّا بما ظهر منهم بألسنتهم ، وأفعالهم كما فعل إبليس وأهل الكتاب ، وغيرهم .

وإن قالوا : بل نثبت بهذا الدليل ونقطع به ، ونوقن أن كل من أعلن بما يوجب إطلاق اسم الكفر عليه فى الشريعة فإنه جاحد بقلبه .

قلنا لهم : وبالله تعالى التوفيق . هذا باطل من وجوه .

أولها : أنه دعوى بلا برهان .

---

(١٤) فى (أ) : (يجوز) وهو تحريف .
(١٥) سورة النجم آية رقم ٢٨
(١٦) فى (أ) : سقط سطر من الناسخ من قوله (أنكم تشنعون إلى قوله : إنكم) إنما قلتم . فأدى إلى اضطراب المعنى .
(١٧) فى (أ) : (فلا يمكننا) .
(١٨) فى (أ) : لم يذكر لفظ (الله) .
(١٩) فى (أ) : (سمّاه) .
(٢٠) فى (أ) : لم يذكر كلمة (قط) .

وثانيها : أنه علم غيب لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل والذى يضمره . وقد قال الرسول ﷺ : « إنّى لم أُبْعَث لأشق عن قلوب الناس »[٢١].

فمدّعى هذا مدَّعٍ علم غيب ، ومدّعى علم الغيب كاذب .

وثالثها : أن القرآن والسنن كما ذكرنا – قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل .

ورابعها : إن كان الأمر كما تقولون فمن أين اقتصرتم بالإيمان على عقد القلب فقط ، ولم تراعوا إقرار اللسان .. ؟ وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهذا يبطل قولكم إنه إذا اعتقد الإيمان بقلبه لم يكن كافراً بإعلانه الكفر فجورتم أن يعلن[٢٢] الكفر من يبطن الإيمان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده .

وخامسها : أنه كان يلزمهم إذا كان إعلان الكفر باللسان دليلًا على الجحد بالقلب ، والكفر به ولابد ، فإن إعلان الإيمان باللسان يجب أيضاً أن يكون دليلًا قاطعاً باتاً ولابد على أن فى القلب إيماناً وتصديقاً لا شك فيه لأن الله تعالى سمى هؤلاء مؤمنين كما سمى أولئك كفاراً ، ولا فرق بين الشهادتين .

فإن قالوا : إن الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالإيمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم ، وكذلك أعلمنا الله تعالى وأخبرنا أن إبليس وأهل الكتاب والكفار بالنبوة أنهم يعلنون الكفر ، ويبطنون التصديق ويؤمنون بأن الله تعالى حق وأن رسوله حق ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولا فرق ، وكل ما موهتم به من الباطل والكذب فى هؤلاء أمكن الكرامية مثله سواء بسواء فى المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بإبطانهم الكفر لكن مما سماهم الله بأنهم آمنوا ثم كفروا علمنا بأنهم نطقوا بعد ذلك بالكفر– ولابد –[٢٣] بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم أنتم شهادته تعالى على ما فى نفوس الكفار ولا فرق .

قال أبو محمد : رضى الله عنه – وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب على الله عز وجل ، وما شهد الله عز وجل قط على إبليس وأولى الكتاب بالكفر إلا بما أعلنوه من الاستخفاف بالنبوة ، وبآدم وبالنبى – ﷺ – فقط ، ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر إلا بما ابطنوه من الكفر فقط ، وأما هنا فتحريف للكلم عن مواضعه ، وإفك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(٢١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٤٨٠

(٢٢) فى الأصل : (يكون يعلن) وعليه لا يستقيم المعنى .

(٢٣) كلمة ولابد – سقطت من النسخة (أ) .

قال أبو محمد : رضى الله عنه : ونظروا قولهم : قالوا : مثل هذا أن يقول رسول الله – ﷺ – لا يدخل هذه الدار اليوم إلا كافر ، أو يقول : كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر ، قالوا : فدخول تلك الدار دليل على أنه يعتقد الكفر ، لا أن دخول الدار كفر .

قال أبو محمد – رضى الله عنه – وهذا كذب وتمويه ضعيف بأن دخول تلك الدار فى ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن أن يكون الداخل فيها مصدقاً بالله تعالى وبرسوله – ﷺ – إلا أن تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار ، برهان ذلك أنه لا يختلف إثنان من أهل الإسلام فى أن دخول تلك الدار فى ذلك اليوم[٢٤] لا يحل ألبتة لعائشة ، ولا لأبى بكر ، ولا لعلى ، ولا لأحد من أزواج النبى – ﷺ – ولا لأحد من أصحابه – رضى الله عنهم – كما أن الله تعالى قد نص على أنه علم ما فى قلوبهم ، وأنزل السكينة عليهم ، وإذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة أن هؤلاء – رضى الله عنهم – لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفاراً بلا شك بنفس دخولهم فيها ، ولحبط إيمانهم ، فإن قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا وكانوا هم قد كفروا لأنهم بهذا القول قاطعون بأن كلامه – ﷺ – كذب فى قوله : لا يدخلها إلا كافر ، واحتج بعضهم فى هذا المكان بقول الأخطل[٢٥] النصرانى لعنه الله إذ يقول :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قال أبو محمد – رضى الله عنه – فجوابنا على هذا الاحتجاج أن نقول ملعون ، ملعون قائل هذا البيت ، وملعون ، ملعون من جعل قول ها النصرانى حجة فى دين الله عز وجل ، وليس هذا من باب اللغة التى يحتج فيها بالعربى ، وإن كان كافراً ، وإنما هى قضية عقلية فالعقل والحس يكذبان هذا البيت ، وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصرانى اللعين إذ يقول عز وجل : « يَقُولُون بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ »[٢٦].

فقد أخبر عز وجل بأن من الناس من يقول بلسانه ما ليس فى فؤاده بخلاف قول الأخطل – لعنه الله – إن الكلام لفى الفؤاد ، واللسان دليل على الفؤاد ، فأما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الأخطل ، ولعن الله من يجعل الأخطل حجة فى دينه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فإن قالوا : إن الله عز وجل قال : « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ[٢٧]» . قلنا : لولا أن الله

---

(٢٤) سقطت (فى ذلك اليوم) من (أ) .

(٢٥) هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو من بنى تغلب أبو مالك شاعر اتصل بالأمويين فكان شاعرهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق ، كانت إقامته فى دمشق مقر الخلفاء من بنى أمية وحينا فى الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه ، وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة . له ديوان شعر مطبوع ، ولفؤاد البستانى كتاب عن الأخطل توفى عام ٩٠ هـ . (الأعلام : للزركلى) .

(٢٦) سورة آل عمران آية ١٦٧

(٢٧) سورة محمد آية ٣٠

عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلًا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل أحد بل على أولئك خاصة ، بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول : « وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ(٢٨) » .

فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلهم قط رسول الله – ﷺ – بلحن قولهم ، ولو أن الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض وأخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن : من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا .

وقد قال عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِين كَرِهُوا مَا نَزَّلَ الله سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الْأَمْرِ والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوانَه فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٢٩) » .

فجعلهم تعالى مرتدين كفارًا بعد علمهم الحق ، وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط ، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم ، ولم يقل تعالى أنها جحد أو تصديق ، بل قد صح أن فى سرهم التصديق ، لأن الهدى قد تبين لهم ، ومن تبين له شيء فلا يمكن ألبتة أن يجحده بقلبه أصلًا ، وأخبرنا تعالى أنه قد أحبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه ، وقال تعالى : « يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرون(٣٠) » .

فهذا نص جلى وخطاب للمؤمنين بأن إيمانهم يبطل جملة وأعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبى – ﷺ – دون جحد كان منهم أصلًا ولو كان منهم جحد لشعروا به ، والله تعالى أخبرنا بأن ذلك يكون وهم لا يشعرون فصح أن من أعمال الجسد ما يكون كفرًا مبطلًا لإيمان فاعله جملة ، ومنه ما لا يكون كفرًا لكن على ما حكم الله تعالى به فى كل ذلك ولا مزيد .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فإن قال قائل من أين قلتم إن التصديق لا يتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة ، وشجاعة أشد من شجاعة ، لاسيما والشجاعة والتصديق كيفيتان من صفات النفس معًا ، فالجواب وبالله تعالى التوفيق أن كل ما قيل من الكيفيات الأشد

---

(٢٨) سورة التوبة آية ١٠١

(٢٩) سورة محمد آية رقم ٢٥ إلى ٢٨

(٣٠) سورة الحجرات آية رقم ٢

(٣١) رواه البخارى فى الإيمان ١٥ والرقاق ٣٥ ، والفتن ١٣ والتوحيد ٣٤ ورواه الإمام مسلم فى الإيمان ١٤٧ – ١٤٩ وأبو داود فى اللباس ٣٦ والترمذى فى الفتن ١٧ وابن ماجه فى المقدمة ٩ والزهد ١٦ واحمد ١ – ٢٨٣ ، ٢٩٦ .

والأضعف فإنما يقبلهما بمزاج يداخله من كيفية أخرى ، ولا يكون ذلك إلا فيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو فيما جاز امتزاج الضدين فيه ، كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجهما فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التى هى اعتدال مزاج العضو ، فإذا مازج ذلك الاعتدال فضل ما كان مرضه بحسب ما مازجه فى الشدة والضعف ، والشجاعة ، إنما هى استسهال النفس للثبات والإقدام عند المعارضة فى اللقاء ، فإذا ثبت الإثنان فإثباتًا واحدًا ، وإقدامهما إقدامًا مستويًا فهما فى الشجاعة سواء ، وإذا ثبت أحدهما أو أقدم فوق ثبات الآخر وإقدامه كان أشجع منه ، وكان الآخر قد مازج ثباته أو إقدامه جبن ، وأما ما كان من الكيفيات لا يقبل المزاج أصلًا فلا سبيل إلى وجود التفاضل فيه ، وكل ذلك على حسب ما خلقه الله عز وجل من كل ذلك ولا مزيد ، كاللّون فإنه لا سبيل إلى أن يكون لون أشد دخولًا فى أنه من لون آخر إذ لو مازج الصدق غيره لصار كذبًا فى الوقت ، ولو مازج التصديق شيء غيره لصار شكاً فى الوقت ، وبطل التصديق جملة ، وبالله تعالى التوفيق ، والإيمان قد قلنا إنه ليس هو التصديق وحده بل أشياء مع التصديق كثيرة فإنما دخل التفاضل فى كثرة تلك الأشياء وقلتها ، وفى كيفية إيرادها وبالله تعالى التوفيق ، وهكذا قال رسول الله – ﷺ – : « أنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، ثم من فى قلبه مثقال برة من إيمان ، ثم من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، إلى أدنى أدنى من ذلك[٣١] » . إنما أراد عليه السلام من قصد إلى عمل شيء من الخير أوهمَّ به ولم يعمله بعد أن يكون مصدقًا بقلبه بالإسلام مقرًا بلسانه كما فى الحديث المذكور « من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال كذا » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ومن النصوص على أن الأعمال إيمان قول الله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[٣٢] » .

فنص تعالى نصًا جليًا لا يحتمل تأويلًا وأقسم تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد إلا من حكم رسوله – ﷺ – فيما شجر بينه وبين غيره ، ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد فى نفسه حرجًا مما قضى ، وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلا شك وتسليم أيضًا بالقلب غير التصديق[٣٣] وفى هذا كفاية لمن عقل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ومن العجب قولهم إن الصلاة والصيام والزكاة ليست إيمانًا لكنها شرائع الإيمان .

---

(٣٢) سورة النساء اية رقم ٦٥

(٣٣) سقطت العبارة (وتسليم أيضًا لقلب غير التصديق) من (أ) .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله ﷺ – ولا أحدٌ من الصحابة – رضى الله عنهم – بل الإسلام هو الإيمان وهو الشرائع ، والشرائع هى الإيمان والإسلام ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : – رضى الله عنهم – واختلف الناس فى الكفر والشرك فقالت طائفة : هما اسمان واقعان على معنيين وأن كل شرك كفر ، وليس كل كفر شركًا وقال هؤلاء : لا شرك إلا قول من جعل لله شريكًا . قال هؤلاء : واليهود والنصار كفار لا مشركون[٣٤]، وسائر الملل كفار مشركون ، وهو قول أبى حنيفة[٣٥] وغيره وقال آخرون : الكفر والشرك سواء ، وكل كافر فهو مشرك ، وكل مشرك فهو كافر ، وهو[٣٦] قول الشافعى وغيره .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – واحتجت الطائفة الأولى بقول الله عز وجل : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ[٣٧]» .

قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكًا فليس مشركًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجة غير هاتين .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – أما احتجاجهم بقول الله عز وجل : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » .

فلو لم يأت فى هذا المعنى ، غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذى أنزل هذه الآية هو القائل : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ الله والمسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدوا إِلَهاً وَاحِدًا[٣٨]» .

---

(٣٤) سقطت كلمة (لا مشركون) من (أ) وهذا السقط يخل بالمعنى .

(٣٥) هو : النعمان بن ثابت التيمي بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد ، المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، قيل أصله من أبناء فارس . ولد ونشأ بالكوفة ، كان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، وأراده عمر بن هبيرة أمير العراقين على القضاء فامتنع ورعا ، وأراده المتصور العباسى فأبى ، فحبسه إلى أن مات عام ١٥٠ هـ . (الأعلام) .

(٣٦) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبت الشافعية كافة . ولد فى غزة بفلسطين ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين ، وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ . فبقى فيها إلى أن توفى عام ٢٠٤ هـ . وقبره معروف فى القاهرة . قال الإمام أحمد بن حنبل : « ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلّا وللشافعى فى رقبته منه . له تصنايف كثيرة من أشهرها كتاب : الأم ، والرسالة ، وأدب القاضى . للشيخ مصطفى عبد الرازق رسالة الامام الشافعى وللشيخ محمد أبو زهرة كتاب (الشافعى) (الأعلام) » .

(٣٧) سورة البينة : ١

(٣٨) سورة التوبة آية رقم ٣١

وقال تعالى : « يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ[٣٩] » . وقال تعالى عنهم أنهم قالوا : إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ[٤٠]، وهذا كله تشريك ظاهر لا خفاء فيه[٤١]، فإذ قد صح الشرك والتشريك فى القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشركون ، وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد ، وقد قلنا إن التسمية لله عز وجل لا لنا ، فإذ ذلك كذلك فقد صح أن قوله تعالى : الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِين[٤٢] » . كقوله تعالى : « إِنَّ اللهَ جَامِعُ المنافِقِينَ والكَافِرِينَ فِى جَهَنَّم جَمِيعًا[٤٣] » .

ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فى أن المنافقين كفار وكقوله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ الله عَدُوٌّ لِلكَافِرِين[٤٤] » ولا خلاف فى أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى : « فِيهِما فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ[٤٥] » والرمان : الرمان من الفاكهة ، والقرآن نزل بلغة العرب ، والعرب تعيد[٤٦] الشىء باسمه ، وإن كانت قد أجملت ذكره تأكيدًا لأمره ، فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين فى اللفظ وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بأن لفظ الشرك ، مأخوذ من الشريك فقد قلنا إن التسمية لله عز وجل لا لأحد دونه ، وله تعالى أن يوقع أى اسم شاء على أى مسمى شاء . برهان ذلك أن من أشرك بين عبدين له فى عمل ما ، أو بين إثنين فى هبة وهبها لهما ، فإنه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال إن فلانًا أشرك ، ولا أن عمله شرك ، فصح أنها لفظة منقولة أيضًا عن موضوعها فى اللغة كما أن الكفر لفظة منقوله أيضًا عن موضوعها فى اللغة[٤٧] إلى ما أوقعها الله تعالى عليه ، والتعجب من أهل[٤٨] هذه المقالة وقولهم أن النصارى ليسوا مشركين وشركهم أظهر وأشهر من أن يجهله أحد ، لأنهم يقولون كلهم بعبادة الآب ، والابن ، وروح القدس ، وأن المسيح إله حق ، ثم يجعلون البراهمة مشركين ، وهم لا يقرون إلا بالله وحده ، ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافرًا إلا من جحد الله تعالى فقط .

---

(٣٩) سورة المائدة آية رقم ١١٦
(٤٠) سورة المائدة آية رقم ٧٣
(٤١) فى (خ) : به .
(٤٢) سورة البينة آية رقم ١
(٤٣) سورة النساء آية رقم ١٤٠
(٤٤) سورة البقرة آية رقم ٩٨
(٤٥) سورة الرحمن آية رقم ٦٨
(٤٦) فى (أ) : تعبد بالباء الموحدة وهذا تحريف يؤدى إلى فساد المعنى .
(٤٧) سقطت من (أ) كلمة : فى اللغة .
(٤٨) سقطت من (خ) كلمة : أهل .

فإن قال قائل : كيف اتخذ اليهود والنصارى أربابًا من دون الله وهم ينكرون هذا .. ؟ قلنا : وبالله تعالى التوفيق – إن التسمية لله عز وجل ، فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ، ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة ، وعبادة صحيحة ، قد دانوا بها ، وسمى الله تعالى هذا العمل[٤٩] اتخاذ أرباب من دون الله ، وعبادة ، وهذا هو الشرك بلا خلاف كما سمى كفرهم بأن رسول الله – ﷺ – نبى ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل ، وإن كانوا مصدقين به تعالى ، لكن لما أحبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة .

فإن قالوا : كيف تقولون إن الكفار مصدقون بالله تعالى ، والله تعالى يقول : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقِى الَّذِى كَذَّبَ وَتوَلَّى[٥٠]» .

ويقول تعالى : « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ[٥١]» .

قلنا وبالله تعالى نتأيد إن كل من خرج إلى الكفر بوجه من الوجوه ، فلا بدله من أن يكون مكذبًا بشىء مما لا يصح الإسلام إلا به ، أوردَّ أمرًا من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به فهو مكذب بذلك الشىء الذى رده أو كذب به ، ولم يقل الله تعالى الذى كذب بالله عز وجب لكن قال كذَّبَ وَتَوَلّى » . ولا قال تعالى وأما إن كان من المكذبين بالله « وإنما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط . [فمن كذب بأمر من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به[٥٢]] فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى ، وإن كان[٥٣] مصدقًا بالله تعالى ، وبما صدق به .

قال أبو محمد : ـــ رضى الله عنه – فإن قالوا كيف تقولون : إن اليهود عارفون بالله والنصارى والله تعالى يقول : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولَه ، وَلَا يَدِينُون دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب .. ؟[٥٤]» .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : قد قلنا إن التسمية إلى الله عز وجل لا لأحد دونه وقلنا إن اسم الإيمان منقول عن موضوعه فى اللغة عن التصديق المجرد إلى معنى آخر زائد على[٥٥] التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعانى بطل تصديقهم جملة ، واستحقوا ببطلانه أن يسموا غير مؤمنين بالله

(٤٩) سقطت من (خ) كلمة : هذا العمل .
(٥٠) سورة الليل آية : ١٥ – ١٦
(٥١) سورة الواقعة آية رقم ٩٢ – ٩٤
(٥٢) ما بين القوسين سقط من (خ) .
(٥٣) سقطت كلمة : وإن كان من (خ) .
(٥٤) سورة التوبة آية رقم ٢٩
(٥٥) فى (خ) : مع التصديق .

ولا باليوم الآخر ، فإن قيل فهل هم مصدقون بالله وباليوم الآخر .. ؟ قلنا : نعم ، فإن قيل ففيهم موحدون لله تعالى .. ؟ قلنا : نعم ، فإن قيل فهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر .. ؟ قلنا : لا لأن الله تعالى نص على كل[٥٦] ما قلنا ، فأخبر تعالى أنهم يعرفونه ، ويقرون به ، ويعرفون نبيه - ﷺ - وأنه نبى فأقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الإيمان ، فأسقطناه عنهم ، ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى ، وخالف القرآن ، وعاند الرسول ، وخرق إجماع أهل الإسلام ، وكابر حسه وعقله مع ذلك وبالله تعالى التوفيق .

وهكذا نقول : فيمن كان مسلمًا ثم أطلق لو اعتقد ما يوجب الخروج عن الإسلام كالقول بنبوة إنسان بعد النبى - ﷺ - أو بتحليل الخمر ، أو غير ذلك فإنه مصدق بالله عز وجل وبرسوله - ﷺ - موحد عالم بكل ذلك ، وليس مؤمنًا مطلقًا ولا مؤمنًا بالله تعالى ولا بالرسول - ﷺ - ولا باليوم الآخر كما ذكرنا[٥٧] آنفًا ، ولا فرق لاجماع الأمة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا وبالله تعالى التوفيق - وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(٥٦) سقطت من (أ) كلمة : كل .
(٥٧) فى (أ) : لما ذكرنا .

الكلام فى تسمية المؤمن بالمسلم ، والمسلم بالمؤمن ، وهل الإيمان والإسلام إسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين .. ؟[1]

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – ذهب قوم إلى أن الإسلام والإيمان اسمان واقعان على معنيين ، وأنه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عز وجل : « قَالَتْ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فى قلوبِكُمْ[2] » . وبالحديث المأثور عن رسول الله ﷺ إذ قال له سعد هل لك يا رسول الله فى فلان فإنه مؤمن .. ؟ فقال له رسول الله – ﷺ – أو مسلم[3] » .

وبالحديث المأثور عن رسول الله – ﷺ – إذ أتاه جبريل – ﷺ – فى صورة فتى غير معروف العين فسأله عن الإسلام فاجابه بأشياء فى جملتها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأعمال أخرى مذكورة فى ذلك الحديث وسأله عن الإيمان فأجابه بأشياء من جملتها أن تؤمن بالله وملائكته ، وبحديث لا يصح من أن المرء يخرج عن الإيمان إلى الإسلام ، وذهب آخرون إلى أن الإيمان والإسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عز وجل « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المُؤْمِنينَ فَماَ وَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتَ مِنَ المُسْلِمين[4] » . وبقوله تعالى : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِين[5] » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق أن الإيمان أصله فى اللغة : التصديق على الصفة التى ذكرنا قبل ثم أوقعه الله عز وجل فى الشريعة على جميع الطاعات ،

---

(١) جاء فى (خ) : الكلام فى تسمية المذنبين من المسلمين وحكمهم ، وهل الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد الخ .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٤

(٣) الحديث رواه مسلم فى الإمام ٣٣٦ ، وأبو داود فى السنه ١٥ ، والنسائى فى الإمام ٧ ، وأحمد بن حنبل ١ : ١٧٦ .

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٣٥ / ٣٦

(٥) سورة الحجرات آية رقم ١٧

واجتناب المعاصى ، إذا قصد بكل ذلك من عمل أو ترك وجه الله عز وجل وأن الإسلام أصله فى اللغة : التبرؤ ، تقول أسلمت أمر كذا إلى فلان إذا تبرأت منه إليه ، فسمى المسلم مسلمًا لأنه تبرأ من كل شىء إلى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الإسلام أيضًا إلى جميع الطاعات ، وأيضًا فإن التبرؤ إلى الله من كل شىء هو معنى التصديق ، لأنه لا يبرأ إلى الله تعالى من كل شىء حتى يصدق به ، فإذا أريد بالإسلام المعنى الذى هو خلاف الكفر ، وخلاف الفسق ، فهو والإيمان شىء واحد كما قال تعالى : « لَا تَمُنُّوا علىَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ[٦] » .

وقد يكون الإسلام أيضًا بمعنى الاستسلام أى أنه استسلم للملة خوف القتل ، وهو غير معتقد لها ، فإذا أريد بالإسلام هذا المعنى فهو غير الإيمان ، وهو الذى أراد الله تعالى بقوله : « لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قولوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخلُ الإيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ[٧] » .

وبهذا تتألف النصوص المذكورة من القرآن والسنن ، وقد قال تعالى : « وَمَنْ يبْتَغِ غَيرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ[٨] » .

وقال رسول الله – ﷺ – لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة[٩] » فهذا هو الإسلام الذى هو الإيمان فصح أن الإسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على أنها لفظة منقولة عن موضوعها فى اللغة أن الإسلام فى اللغة : هو التبرؤ فأى شىء تبرأ منه المرء فقد أسلم من ذلك الشىء وهو مسلم له كما أن من صدق بشىءْ فقد آمن به ، وهو مؤمن به وبيقين لا شك فيه يدرى كل احد أن كل كافر على وجه الأرض فإنه مصدق بأشياء كثيرة من أمور دنياه ومتبرىء من أشياء كثيرة ، ولا يختلف اثنين من أهل الإسلام فى أنه لا يحل لأحد أن يطلق على الكافر من أجل ذلك أنه مؤمن ، ولا أنه مسلم ، فصح يقينا أن لفظة الإسلام والإيمان منقولة عن موضوعها فى اللغة إلى معان محدودة معروفة ، لم تعرفها العرب قط ، حتى أنزل الله عز وجل بها الوحى على رسوله – ﷺ – أنه من أتى بها استحق اسم الإيمان والإسلام وسمى مؤمنا مسلمًا ، ومن لم يأت بها لم يسم مؤمنًا ولا مسلمًا ، وإن صدق بكل شىء غيرها ، أو تبرأ من كل شىء حاشى ما أوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما فى اللغة لأن الكفر فى اللغة : التغطية والشرك أن تشرك شيئا مع آخر فى أى معنى جمع بينهما ، ولا خلاف بين أحد من

---

(٦) سورة الحجرات آية رقم ١٧

(٧) سورة الحجرات آية رقم ١٤

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٨٥

(٩) رواه مسلم فى الإيمان ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، والترمذى فى الحج ٤٤ والنسائى فى المناسك ١٦١ ، وابن ماجه فى الصيام ٣٥ والدارمى فى السير ٦٣ واحمد بن حنبل ١ : ٣ ، ٢ : ٣٠٩

أهل التمييز فى أن كل مؤمن فى الأرض فى أنه يغطى أشياء ، ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فى أنه لا يجوز أن يطلق عليه من أجل ذلك الكفر ، ولا الشرك ، ولا أن يسمى كافرًا ولا مشركًا ، وصح يقينا أن الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك إلى أنكار أشياء لم تعرفها العرب ، وإلى أعمال لم تعرفها العرب قط ، كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان ، أو غير ذلك من الشرائع التى لم تعرفها العرب قط ، حتى أنزل الله تعالى بها[١٠] وصيه ، أو كمن عبد وثنًا فمن أتى بشىء من تلك الأشياء سمى كافرًا أو مشركًا ، ومن لم يأت بشىء من تلك الأشياء لم يسم كافرًا ولا مشركًا ، ومن خالف هذا فقد كابر الحس ، وجحد العيان ، وخالف الله تعالى ورسوله - ﷺ - والقرآن ، والسنن وإجماع المسلمين ، وبالله تعالى التوفيق .

فصـــل

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - واختلف الناس فى قول المسلم : أنا مؤمن فروينا عن ابن مسعود ، وجماعة من أصحابه الأفاضل ، ومن بعده من الفقهاء أنه كره ذلك وكان يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، وقال بعضهم آمنت بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، وكانوا يقولون : من قال : أنا مؤمن فليقل إنه من أهل[١١] الجنة .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فى اللغة فأين جهال المرجئة المموهون اللغة[١٢] فى نصر بدعتهم .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - والقول عندنا فى هذه المسألة أن هذه صفة يعلمها المرء من نفسه ، فإنه كان يدرى أنه مصدق بالله عز وجل ، وبمحمد ﷺ ، وبكل ما أتى به عليه السلام ، وأنه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه أن يعترف بذلك كما أمر تعالى إذ قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث[١٣]» .

ولا نعمة أوكد ، ولا أفضل ، ولا أولى بالشكر من نعمة الإسلام ، فواجب عليه أن يقول : أنا مؤمن مسلم قطعًا عند الله تعالى فى وقتى هذا ولا فرق بين قوله أنا مؤمن مسلم ، وبين قوله : أنا أسود ، أو أنا أبيض ، وهكذا سائر صفاته التى لا يشك فيها ، وليس هذا من باب الامتداح

(١٠) سقطت من (أ) كلمة : بها .
(١١) فى (خ) : فى الجنة .
(١٢) سقطت من (أ) كلمة : اللغة .
(١٣) سورة الضحى آية رقم ١١

والعجب فى شيء ، لأنه فرض عليه أن يحقن دمه بشهادة التوحيد ، قال تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيعْقُوبَ والأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنَ لَهُ مُسْلِمُون[١٤]» .

وقول ابن مسعود عندنا صحيح ، لأن الإسلام والإيمان اسمان منقولان عن موضوعهما فى اللغة إلى جميع البر والطاعات ، فإنما منع ابن مسعود من القول بأنه مسلم مؤمن ، على معنى أنه مستوف لجميع الطاعات ، وهذا صحيح ، ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك ، وما منع . رضى الله عنه من أن يقول المرء : إنى مؤمن بمعنى[١٥] مصدق ، كيف وهو يقول : قل آمنت بالله ورسله : أى صدقت .

وأما من قال : فقل إنك فى الجنة ، فالجواب أننا نقول : إن متنا على ما نحن عليه الآن فلابد لنا من الجنة بلا شك ، وبرهان ذلك أنه قد صح من نصوص القرآن والسنن والإجماع أنَّ من آمن بالله ورسوله – ﷺ – ، وبكل ما جاء به ، ولم يأت بما هو كفر ، فإنَّه فى الجنة ، إلا أننا لا ندرى ما يفعل بنا فى الدنيا ، ولا نأمن مكر الله تعالى ولا إضلاله ولا كيد الشيطان ، ولا ندرى ماذا نكسب غدًا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٤) سورة البقرة آية رقم ١٣٦

(١٥) سقطت من (خ) كلمة : بمعنى .

« اختلاف الناس فى تسمية المذنب »

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – اختلف الناس فى تسمية المذنب من أهل ملتنا . فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الإيمان ، وإن لم يعمل خيرًا قط ، ولا كف عن شر قط وقال بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن ، بأى ذنب كان منه صغيرًا كان الذنب[1] أو كبيرًا ، ولو فعله[2] على سبيل المزاج .

وقالت الصفارية[3]: إن كان الذنب كبيرًا فهو مشرك كعابد الوثن ، وإن كان الذنب صغيرًا فليس كافرًا[4].

وقالت الأباضية[5]: إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ، ومنكاحته وأكل ذبيحته ، وليس مؤمنًا ولا كافرًا على الإطلاق .

وروى عن الحسن البصرى وقتاده – رضى الله عنهما – أن صاحب الكبيرة منافق ، وقالت المعتزلة : إن كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمنا ولا كافرًا ولا منافقًا وأجازوا مناكحته ، وموارثته وأكل ذبيحته ، قالوا : وإن كان من الصغائر فهو مؤمن ولا شيء عليه .

---

(١) سقطت كلمة (كان الذنب) من (أ) .

(٢) فى (خ) : « كذبه » بدلًا من فعله .

(٣) الصفارية : من الخوارج أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم فى الجملة كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفارية لا يرَون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون ذلك ، وقد زعمت فرقة من الصفارية ، أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه كافرًا ولا مشركًا ، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر .

وكل الصفارية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى . (الفرق بين الفرق ص ٧٠ ، ٧١) .

(٤) فى (أ) : سقط الكلام من : قالت الصفارية إلى : فليس كافرًا .

(٥) الأباضية : أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن أباض ، وأفترقت فيما بينها فرقًا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة – يعنون بذلك مخالفيهم – براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ، ولا مشركين ولكنهم كفار ، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم فى السر واستحلوها فى العلانية وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم ، وقالوا : باستحلال بعض أموالهم كالخيل والسلاح ، فإما الذهب والفضة فهم يردونهما على أصحابهما فى الغنمية ثم افترقت الأباضية أربع فرق : وهى الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها . (الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، ٨٣) .

وذهب أهل السنة من أصحاب الحديث والفقهاء إلى أنه مؤمن فاسق ناقص الإيمان وقالوا : الإيمان اسم معتقده وإقراره ، وعمله الصالح ، والفسق اسم عمله السيء إلا أن بين السلف منهم والخلف اختلافًا فى تارك الصلاة عمدًا ، حتى يخرج وقتها ، وتارك الصوم لو مضى كذلك ، وتارك الزكاة ، وتارك الحج كذلك ، وفى قاتل المسلم عمدًا ، وفى شارب الخمر ، وفيمن سب نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام وفيمن ردَّ حديثًا قد صح عنده عن النبى - ﷺ .

فروينا عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ، ومعاذ بن جبل[٦]، وابن مسعود ، وجماعة من الصحابة - رضى الله عنهم ، وعن ابن المبارك[٧]، وأحمد بن حنبل[٨]، وإسحاق بن راهوية[٩]، رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلًا من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، أن من ترك صلاة فرض عامدًا ذاكرًا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد ، وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون[١٠]، صاحب مالك ، وبه يقول عبد الملك ابن حبيب الأندلسى[١١]، وغيره . وروينا عن عمرو رضى الله عنه مثل ذلك فى تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك فى تارك الزكاة والصيام ، وفى قاتل المسلم عمدًا ، وعن أبى موسى الأشعرى[١٢] وعبد الله بن عمرو ابن العاص[١٣] فى شارب الخمر ،

---

(٦) معاذ بن جبل : هو ابن عمر بن أوس الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن فى عهد الرسول - وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، ارسله الرسول قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن له ١٥٧ حديثًا وتوفى عقيمًا بناحية الأردن عام ١٨ هـ ومن كلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لولا معاذ لهلك عمر » (الأعلام للزركلى)

(٧) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك ابن واضح الحنظلى بالولاء التميمى أبو عبد الرحمن الحافظ ، شيخ الاسلام المجاهد ، التاجر صاحب الرحلات والتصانيف ، أفنى عمره فى الأسفار حاجًا ومجاهدًا ، وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه والعربية . كان من سكان خراسان ، ومات بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم عام ١٨١ هـ له كتاب فى الجهاد وهو أول من صنف فيه . (الاعلام للزركلى) .

(٨) احمد بن حنبل : هو احمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى الوائلى امام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ، أصله من مرو ، وكان أبوه والى سرقس ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ سافر إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة وغيرها من البلدان صنف المسند وله كتب فى التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على من ادعى التناقض » منى بالمحنة وهى خلق القرآن وتوفى عام ٢٤١ هـ صنف ابن الجوزى فى سيرته (مناقب الامام احمد) .

(٩) إسحاق بن راهوية : هو إسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى التميمى أبو يعقوب بن راهويه ، عالم خراسان فى عصره ، من سكان مرو ، وهو أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد لجمع الحديث ، وأخذ عنه أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وقيل فى سبب تلقيدية ابن راهويه : أن أباه ولد فى طريق مكه فقال أهل مرو أراهويه أى : ولد فى الطريق . رحل إلى العراق ، والحجاز ، واليمن ، واستوطن نيسابور ، وتوفى بها عام ٢٣٨ هـ .

(الاعلام للزركلى) .

(١٠) عبد العزيز الماجشون : هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمى ، أبو عبد الله فقيه من حفاظ الحديث الثقات ، له تصانيف ، كان وقورًا عاقلا ثقة أصله من أصبهان ، نزل المدينة ، ثم قصد بغداد فتوفى فيها . وصلى عليه الخليفة المهدى . ودفن فى مقابر قريش عام ١٦٤ هـ ، ويعد من فقهاء المدينة . (الاعلام للزركلى)

(١١) عبد الملك بن حبيب الأندلسى : هو ابن سليمان بن هارون السلمى ، القرطبى ، أبو مروان عالم الأندلسى ، وفقيهها فى عصره ، أصله من طليطلة ، ولد فى « البيرة » وسكن قرطبة ، وزار مصر ، ثم عادا إلى الأندلس فتوفى بقرطبة ، عام ٢٣٨ هـ كان عالمًا بالتاريخ والأدب رأسًا فى فقه المالكية . له تصانيف كثيرة ، منها : حروب الإسلام طبقات الفقهاء والتابعين ، تفسير موطأ مالك ، وكان ابن لبابه يقول : عبد الملك ابن حبيب عالم الأندلسى ، ويحيى بن يحيى عاقلها وعيسى بن دنيار فقيهها » . (الاعلام للزركلى)

(١٢) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب أبو موسى ، من بنى الأشعر ، من قحطان ، صحابى من الشجعان الولاة ، الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضيا بهما على ومعاوية . ولد فى زبيد باليمن ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ ، فافتتح اصبهان والاهواز له ٣٥٥ حديثاً توفى عام ٤٤ هـ . الاعلام للزركلى

(١٣) عبد الله بن عمرو بن العاص : من قريش صحابى من النساك . كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية . أسلم قبل أبيه ، واستأذن رسول الله - ﷺ - فى أن يكتب ما يسمع منه فأذن له ، وكان كثير العبادة له ٧٠٠ حديثا توفى عام ٦٥ هـ . الاعلام للزركلى

وعن إسحاق بن راهويه ، أن من رد حديثًا صحيحًا عنده عن النبى - ﷺ - فقد كفر[١٤].

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - واحتج من كفَّر المذنبين بقول الله عز وجل : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُم الكَافِرُون[١٥]» وبقوله تعالى : « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّى لا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى[١٦]» .

فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى ، والمكذب المتولى كافر فهؤلاء كفار .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - والعجب أن المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقالوا قد أخبرنا الله عز وجل أن النار لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى فصح أن من لم يكذب ولا يتولى لا يصلاها . قالوا : ووجدنا هؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا ، بل هم مصدقون معترفون بالإيمان ، فصح أنهم لا يصلونها ، وأن المراد بالوعيد المذكور فى الآيات المنصوصة إنما هو فعل من[١٧] تلك الأفاعيل من الكفار[١٨] خاصة .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - واحتج أيضًا من كفَّر من ذكرنا بأحاديث كثيرة منها « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[١٩]» « ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينهب نهبة ذات شر حين ينهبها وهو مؤمن[٢٠]» وترك الصلاة شرك[٢١]» وإن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم[٢٢]» ومثل هذا كثير .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلًا ولا لمن قال: إنه كافر نعمة ، إلا أنهم نزعوا بقول الله عز وجل ، « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرار[٢٣]» .

---

(١٤) هذا أثر عن إسحاق بن راهويه .
(١٥) سورة المائدة آية رقم ٤٤
(١٦) سورة الليل آية رقم ١٤
(١٧) سقطت من (أ) كلمة (من) .
(١٨) فى (أ) : (الكفر) .
(١٩) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ٣٦ ، والأدب ٤٤ ، والفتن ٨ ورواه مسلم فى الإيمان ١٦ ، والترمذى فى البراه والإيمان ١٥ والنسائى فى التحريم ٣٧ ، وابن ماجه فى الفتن ٤ والمقدمة ٧ ، ٩ واحمد بن حنبل فى المسند ١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٨٥ ، ٤١١ .
(٢٠) الحديث رواه ابن ماجه فى الفتن ٣ .
(٢١) الحديث رواه الطبرانى فى الكبير .
(٢٢) رواه البيهقى فى سننه .
(٢٣) سورة إبراهيم آية ٢٨

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر ، وليس هو ملة ولا اسم دين ، فمن ادعى اسم دين وملة غير الإيمان المطلق ، والكفر المطلق ، فقد أتى بما لا دليل عليه .

وأما من قال هو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، فما لهم حجة أصلًا إلا أنهم قالوا : قد صح الإجماع على أنه فاسق ، لأن الخوارج[٢٣] قالوا : هو كافر فاسق . وقال غيرهم : هو مؤمن فاسق ، ، فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ، ولم يتفقوا على إيمانه ولا على كفره فلم يجز القول بذلك .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا خلاف لإجماع من ذكر لأنه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه ، وإنما سموا بذلك عمله والإجماع والنصوص قد صح كل ذلك على أنه لا دين إلا الإسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل فى الآخر ، ولابد إذ ليس بينهما وسيطة ، وكذلك قال رسول الله - ﷺ - : لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم[٢٤].

وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية إلى الإسلام على صحته ، وعلى القول به فلم يجعل عليه السلام دينًا غير الكفر والإسلام ، ولم يجعل هاهنا دينًا ثالثًا أصلًا .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - واحتجت المعتزلة أيضًا بأن قالت : قال الله تعالى : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ[٢٥]» .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى قال : أَفَنَجْعَلُ المسلمينَ كَالْمُجْرِمِينَ ما لكم كَيْفَ تَحْكُمُون[٢٦]» . فصح أن هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقًا ، وأخرجهم عن المؤمنين نصًا ، فإنهم ليسوا على دين الإسلام وإذا لم يكونوا على دين الإسلام فهم كفار بلا شك ، إذ لا دين هاهنا غيرهما أصلًا ، برهان هذا قوله تعالى : « فَأَنْذَرتكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى » .

وقد علمنا ضرورة أنه لا دار إلا الجنة أو النار ، وأن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون المسلمون فقط ، ونص الله تعالى على أن النار لا يدخلها إلا المكذب المتولى ، والمتولى المكذب كافر بلا خلاف ، فلا يخلد فى النار إلا كافر ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، فصح أنه لا دين إلا الإيمان والكفر فقط ، وإذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين ،

---

(٢٣) سبق أن تحدثنا عن الخوارج فى كلمة مختصرة فى ص ١٠١ من هذا الجزء وما قلناه هناك يكفى عن إعادته هنا .

(٢٤) الحديث رواه البخارى فى الحج ٤٤ ، والمغازى ٤٨ ، والفرائض ٢٦ ، والامام مسلم فى الفرائض ١ وأبو داود فى الفرائض ١٠ والترمذى فى الفرائض ١٥ ، ورواه الامام ماجه فى الفرائض ٦ ، والدارمى فى الفرائض ٢٩ .

(٢٥) سورة السجدة آية رقم ١٨

(٢٦) سورة القلم آية رقم ٣٥

وأخرجهم عن المؤمنين ، فهم كفار مشركون ، لا يجوز غير ذلك ، وقالوا المؤمن ، محمود ، محسن ولى لله عز وجل ، والمذنب مذموم ، مسيء عدو لله ، قالوا : ومن المحال أن يكون إنسان واحد ، محمودًا مذمومًا محسنًا مسيئًا عدوًا لله وليًا له معًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا الذى أنكروه ، لا نكرة فيه ، بل هو أمر موجود مشاهد ، فمن إحسن من وجه ، وأساء من وجه آخر ، كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ، ولى لله فيما أحسن فيه ، من صلاة وهو مسيء مذموم عدو لله فيما أساء فيه ، من الزنا قال عز وجل : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وآخَرَ سيئًا[٢٧]» .

فالبضرورة ندرى أن العمل الذى شهد الله عز وجل له أنه عمل صالح فإن عامله فيه محمود محسن مطيع لله تعالى وأن العمل الذى شهد الله عز وجل[٢٨] أنه سيء ، فإن عامله فيه مذموم مسيء عاص لله تعالى ، ثم يقال لهم ما تقولون : إن عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا : من المحال أن يكون إنسان واحد محمودًا مذمومًا محسنًا مسيئًا عدوًا لله وليًا له معًا ثم أرادوا تغليب الحمد والإحسان والولاية ، وإسقاط الذم والإساءة والعداوة كما أردتم أنتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والإساءة والعداوة ، وإسقاط الحمد والإحسان والولاية ، بما ينفصلون عنهم ، فإن قالت المعتزلة : إن الشرط فى حمده وإحسانه وولايته أن يجتنب الكبائر قلنا لهم : فإن عارضتكم المرجئة فقالت : إن الشرط فى ذمه وإساءته ولعنه ، وعداوته ، ترك شهادة التوحيد .

فإن قالت المعتزلة : إن الله قد ذم المعاصى ، وتوعد عليها ، قيل لهم : فإن المرجئة تقول لكم : إن الله تعالى : قد حمد الحسنات ووعد عليها ، وأرادوا بذلك تغليب الحمد كما أردتم ، تغليب الذم ، فإن ذكرتم آيات الوعيد ، ذكروا آيات الرحمة .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ، ولا للمرجئة أيضًا فوضح بهذا أن كلا الطائفتين مخطئة ، وأن الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التى فى القرآن والسنن ، ويكفى من هذا كله قول الله عز وجل : « إِنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ منكم مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى[٢٩]» .

وقوله تعالى : « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ[٣٠]» . وقوله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يره ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه[٣١]» وقال تعالى : « مَنْ جَاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ

(٢٧) سورة التوبة آية رقم ١٠٢
(٢٨) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .
(٢٩) سورة آل عمران آية رقم ١٩٥
(٣٠) سورة غافر آية رقم ١٧
(٣١) سورة الزلزلة آية رقم ٧

عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَها(٣٢)» وقال تعالى : « وَنَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِها وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين(٣٣)» .

فصح بهذا كله أنه لا يخرجه عن اسم الإيمان إلا الكفر ، ولا يخرجه عن اسم الكفر إلا الإيمان ، وأن الأعمال حسنها حسن إيمان ، وقبيحها قبيح ليس إيمانًا والموازنة تقضى على كل ذلك ، ولا يحبط الأعمال(٣٤) إلا الشرك قال تعالى : « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ(٣٥)» . وقالوا إذا أقررتم أن أعمال البر كلها إيمان ، وأن المعاصى ليست إيمانًا فهو عندكم مؤمن غير مؤمن . قلنا : نعم ، ولا نكرة فى ذلك ، وهو مؤمن بالعمل الصالح ، غير مؤمن بالعمل السيء ، كما نقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن معًا بما أساء فيه ، وليس الإيمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبى – ﷺ – : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، أى ليس مطيعًا فى زناه ذلك ، وهو مؤمن بسائر حسناته ، واحتجوا بقول الله تعالى : « وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون(٣٦)» . ففرق تعالى بين الفسق والإيمان .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – نعم وقد أوضحنا أن الإيمان هو كل عمل صالح فبيقين ندرى أن الفسق ليس إيمانًا ، فمن فسق فلم يؤمن بذلك(٣٧) العمل الذى هو الفسق ولم يقل عزَّ وجل أنه لا يؤمن فى شيءٍ من سائر أعماله ، وقد قال تعالى : « إِنَّما المؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِم(٣٨)» .

فهؤلاء قد شهد الله تعالى لهم بالإيمان فإذا وقع منهم فسق ليس إيمانًا فمن المحال أن يبطل فسقه إيمانه فى سائر أعماله ، وأن يبطل إيمانه فى سائر الأعمال فسقه ، بل شهادة الله تعالى له بالإيمان فى جهاده حق ، وبأنه لم يؤمن فى فسقه حق وأيضا فإن الله عز وجل قال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الكَافِرُون(٣٩)» . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون(٤٠)» « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون(٤١)» .

---

(٣٢) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠
(٣٣) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧
(٣٤) فى (خ) : « عملك » .
(٣٥) سورة الزمر آية رقم ٦٥
(٣٦) سورة يونس آية رقم ٣٣
(٣٧) فى (خ) : « فى ذلك » .
(٣٨) سورة الحجرات آية رقم ١٥
(٣٩) سورة المائدة آية ٤٤
(٤٠) سورة المائدة آية ٤٧
(٤١) سورة المائدة آية ٤٥

فيلزم المعتزلة أن يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق ، لأن كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما أنزل الله .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وأما نحن فنقول إن كل من كفر فهو فاسق ظالم عاصي ، وليس كل فاسق ظالم عاص كافرًا بل قد يكون مؤمنًا وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى : « وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ[٤٢] » فبعض الظلم مغفور بنص القرآن .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقالوا قد وجب لعن الفساق ، والظالمين ، وقال تعالى : « أَلَا لَعْنَةُ عَلَى للظَّالِمِين[٤٣] » . والمؤمن يجب ولايته ، والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله – ﷺ – السارق ومن لعن أباه ، ومن غيَّر منار الأرض فيلزمكم أن تدعو على المرء الواحد باللعنة والرحمة[٤٤] والمغفرة معًا .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فنقول : إن المؤمن الفاسق يتولى دينه ، وملته وعقده وإقراره ، ويتبرأ من عمله الذى هو الفسق والبراءة ، والولاية ليست من[٤٥] عين الإنسان مجردة فقط ، وإنما هى له أو منه بعمله الصالح أو الفاسد ، فإذ ذلك كذلك فبيقين ندرى أن المحسن فى بعض أفعاله من المؤمنين نتولاه من أجل ما أحسن فيه ، ونبرأ من عمله السيء فقط ، وأما الله تعالى فإنه يتولى عمله الصالح عنده ، ويعادى عمله الفاسد ، وأما الدعاء باللعنة والرحمة معًا فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح ، وما جاء عن الله تعالى قط ، ولا عن رسوله – ﷺ – نهى أن يلعن العاصى على معصيته ، ويترحم عليه لإحسانه ، ولو أن أمرأ زنى أو سرق ، وحال الحول على ما له وجاهد لوجب أن يحد للزنا والسرقة ، ولو لُعن لأحسن لاعنه ، ويعطى نصيبه من المغنم ، ونقبض زكاة ما له ونصلى عليه عند ذلك لقول الله تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ[٤٦] » .

وبيقين ندرى أن قد كان فى أولئك الذين كان عليه السلام يقبض صدقاتهم ويصلى علهم مذنبون عصاة ، لا يمكن ألبتة أن تخلو جميع جزيرة العرب من عاصى وكذلك كل من مات فى عصره عليه السلام ، وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه ، وبعده فبيقين ندرى أنه قد[٤٧] كان فيهم مذنب بلا شك وإذا صلى عليه دعا له بالرحمة وإن ذكر عمله القبيح لعن وذم .

---

(٤٢) سورة الرعد آية رقم ٦
(٤٣) سورة هود آية رقم ١٨
(٤٤) سقطت من (أ) كلمة : (الرحمة) .
(٤٥) سقطت من (أ) كلمة : (من) .
(٤٦) سورة التوبة آية رقم ١٠٣
(٤٧) سقطت من (أ) كلمة (قد) .

قال أبو محمد : — رضى الله عنه — ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه فى أصحاب الصغائر الذين يوقع عليهم المعتزلة اسم الإيمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم إذ الصغائر ذنوب ومعاصى بلا شك إلا أننا لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم إذا انفردت عن الكبائر لأن الله تعالى ضمن غفرانها انها لمن اجتنب الكبائر ، ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسق ، أو اسم ظالم ، لأن هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ، ومجتنب الكبائر ، وإن تستر بالصغائر فشهاداته مقبولة ، لأنه لا ذنب له وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : — رضى الله عنه — ولنا على المعتزلة إلزامات أيضًا تعمهم ، والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا أقوال المكفرة[٤٨] إن شاء الله تعالى ، وبه نتأيد .

قال أبو محمد : — رضى الله عنه — ويقال لمن قال إن صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الحُرّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ والأُنْثي بالأنثى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ من أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَن اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٤٩]» . فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان ، من كان فيهم من قاتل أو مقتول ، ونص تعالى على أن القاتل عمدًا ، وولى المقتول أخوان وقد قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ[٥٠]» ، فصح أن القاتل عمدًا مؤمن بنص القرآن وحكمه له بأخوة الإيمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الإخوة ، وقال تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقتتلوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىَ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالعدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِين ، إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله[٥١]» فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى : إن الطائفة الباغية على الطائفة الأخرى ، من المؤمنين المأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء إلى أمر الله تعالى إخوة للمؤمنين المقاتلين ، وهذا أمر لا يضل عنه إلا ضال هاتان الآيتان حجة قاطعة أيضًا على المعتزلة المسقطة اسم الإيمان عن القاتل ، وعلى كل من أسقط عن صاحب الكبائر اسم الإيمان ، وليس لأحد أن يقول : إنه تعالى إنما جعلهم إخواننا إذا تابوا لأن نص الآية أنهم إخوان فى حالة البغى وقبل الفيئة إلى الحق .

قال أبو محمد : — رضى الله عنه — وقال بعضهم إن هذا الاقتتال إنما هو التضارب .

قال أبو محمد : — رضى الله عنه — وهذا خطأ فاحش لوجهين أحدهما أنه دعوى

(٤٨) فى (أ) : الكفرة .
(٤٩) سورة البقرة آية رقم ١٧٨
(٥٠) سورة الحجرات آية رقم ١٠
(٥١) سورة الحجرات آية رقم ٩ ، ١٠

بلا برهان ، وتخصيص الآية بلا دليل ، وما كان هكذا فهو باطل بلا شك .

والثانى : أن ضرب المسلم للمسلم ظلمًا وبغيًا فسق ومعصية ، ووجه ثالث وهو أن الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما أمرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغى فكل بغى فهو داخل تحت هذا الحكم .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقد ذكروا قول الله عز وجل : « وَمَا كَانَ لِمؤمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً[٥٢] » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فهذه الآية بظاهرها دون تأويل حجة لنا عليهم لأنه ليس فيها أن القاتل العامد ليس مؤمنًا ، وإنما فيها نهى المؤمن عن قتل المؤمن عمدًا فقط لأنه تعالى قال : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا » وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمدًا ثم قال تعالى : إلا خطأ . فاستثنى عز وجل الخطأ فى القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لأنه لا يجوز النهى عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه ، لأن الله تعالى أمننا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطأ فلم ننه عنه ، بل قد قال تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولكن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[٥٣] » فبطل تعلقهم بهذه الآية ، وكذلك قول رسول الله – ﷺ – لَا تَرْجِعُوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض[٥٤] » . فهو أيضًا على ظاهره ، وإنما فى هذا اللفظ النهى عن أن يرتدوا بعده إلى الكفر فيقتتلوا فى ذلك فقط ، وليس فى هذا اللفظ أن القاتل كافر ولا فيه أيضًا النهى عن القتل المجرد أصلًا وإنما نهى عنه فى نصوص أخر من القرآن والسنن كما ليس فى هذا اللفظ أيضًا نهى عن الزنا ولا عن السرقة ، وليس فى كل حديث حكم كل شريعة ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قوله عليه السلام : سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر[٥٥] . فهو أيضًا على عمومه لأن قوله عليه السلام : المسلم هاهنا عموم للجنس ، ولا خلاف فى أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم فهو كافر ، برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن فى أن القاتل عمدًا والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف ، وكذلك قوله عليه السلام : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر لكم ، أن ترغبوا عن آبائكم[٥٦] » فإنه عليه السلام لم يقل كفر منكم ، ولم يقل إنه كفر بالله تعالى ، نعم ونحن نقرأ أن من رغب عن أبيه فقد كفر بأبيه وجحده ، ويقال لمن قال : إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنًا ، ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله

(٥٢) سورة النساء آية رقم ٩٢

(٥٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥

(٥٤) الحديث رواه الامام مسلم فى الإيمان ١١٨ – ١٣٠ وفى القسامة ٣٩ ، ورواه الامام البخارى فى العلم ٤٣ ، وفى الأضلحى ٥ ، وأبو داود فى السنة ١٥ والترمذى فى الفتن ٣٨ ، والدارمى فى المناسك ٧٦ واحمد بن حنبل ٣ – ٨٥ – ٨٧

(٥٥) سبق تخريج هذا الحديث

(٥٦) سبق تخريج هذا الحديث

عز وجل : « ولا تَنْكِحُوا المشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ، ولا تُنْكِحُوا المشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ[٥٧]» .

وقال تعالى : فَإِنْ عَلِمْتُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ[٥٨]» .

وقال تعالى : « ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ[٥٩]» . وقال تعالى : « اليَوْمَ أُحَلَّ لكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حل لهم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمؤْمِنَاتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُموهُنَّ أجورهن مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِين[٦٠]» وفى سورة النساء : محصنات غير مسافحات[٦١]. فهذه آيات فى غاية البيان فى أنه ليس فى الأرض إلا مؤمن أو كافر ، أو مؤمنة أو كافرة ، ولا يوجد دين ثالث ، وأن المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن ، وحرام نكاحها على الكافر ، وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر ، فخبرونا إذا زنت المرأة ، وهى غير محصنة ، أو وهى محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو أكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهى عالمة بذلك ، أو لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة ، أو بريئة من الإسلام ، خارجة عن الإيمان ، وخارجة عن[٦٢] جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها ، أو البقاء معها على الزوجية إن كان قد تزوجها قبل ذلك .. ؟ أو يحرم على أبيها الفاضل أو أخيها البر أن يكون لها وليين فى تزويجها وأخبرونا إذا زنى الرجل أو سرق أو قذف ، أو أكل مال يتيم ، أو فرَّ من الزحف أو سحر ، أو ترك صلاة عمدًا حتى خرج وقتها ، أو لم يخرج زكاة ماله ، فصار بذلك عندكم كافرًا ، أو برىء من الإسلام ، وخرج عن الإيمان ، وعن جملة المؤمنين أيحرم عليه ابتداء نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين ، أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التى فى عصمته ، فينفسخ نكاحها منه أو يحرم عليه أن يكون وليًا لابنته المؤمنة ، أو اخته المؤمنة فى تزويجها ، وهل يحرم على التى ذكرنا ، والرجل الذى ذكرنا ميراث وليهما المؤمن ، أو يحرم على وليهما المؤمن ميراثهما ، أو يحرم أكل ذبيحته ، لأنه قد فارق الإسلام فى زعمكم[٦٣]، وخرج عن جملة المؤمنين ، فإنهم كلهم لا يقولون بشىء من هذا ، فمن الخلاف المجرد منهم لله تعالى أن يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونهاهم ، ويحرم

---

(٥٧) سورة البقرة آية رقم ٢٢١

(٥٨) سورة الممتحنة آية رقم ١٠

(٥٩) سورة الممتحنة آية رقم ١٠

(٦٠) سورة المائدة آية رقم ٥

(٦١) سقطت من (خ) (وفى سورة النساء : محصنات غير سافحات) .

(٦٢) فى (خ) : (من) .

(٦٣) فى (خ) : سقطت كلمة (فى زعمكم) .

الله تعالى التى ليست مؤمنة على المؤمن إلا أن تكون كتابية فيحلونها هم ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيبقونهاهم فى النكاح ، ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمنا إلا أن يكون كتابيًا فيحلونهاهم ، ويقطع عز وجل الموارثة بين المؤمن ، ومن ليس مؤمنًا فيثبتونهاهم ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ إلى الله تعالى منه .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وأكثر هذه الأمور التى ذكرنا فإنه لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام فيها ، ولا بين فرقة من الفرق المنتمية إلى الإسلام وفى بعضها خلاف نشير إليه لئلا يظن ظان أننا أغفلناه فمن ذلك الخلاف فى الزانى والزانية ، فإن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من أحدهما ، والحسن البصرى(٦٤)، وغيره من السلف لا يجيزون للزانى ابتداء نكاح مع مسلمة ألبتة ولا للزانية أيضًا إلا أن يتوبا ، وبهذا نقول نحن ليس لأنهما ليس مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة فى القرآن فى ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرمًا وبالله تعالى التوفيق ، وذلك قوله تعالى : « الزَّانِى لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِين(٦٥)» .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وفى هذه الآية أيضًا نص جلى على أن الزانى والزانية ليسا مشركين ، لأن الله تعالى فرق بينهما فرقًا لا يحتمل ألبتة أن يكون على سبيل التأكيد بل على أنهما صفتان مختلفتان ، وإذا لم يكونا مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من أن كل كافر فهو مشرك ، وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافرًا مشركًا فهو مؤمن إذ لا سبيل إلى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق .

ومن الخلاف فى بعض ما ذكرنا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإبراهيم النخعى(٦٦) أن المسلم إذا ارتد والمسلمة إذا لم يسلم زوجها فهى امرأته كما كانت إلا أنه لا يطؤها ، وروى عن عمر أيضًا أنها تخير فى البقاء معه أو فراقه ، وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة إلا فى نص قرآن أو سنة واردة عن رسول الله – ﷺ .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وأيضًا فإن الله عز وجل قد أمر بقتل المشركين جملة ، ولم يستثن(٦٧) منهم أحدًا إلا كتابيًا يغرم الجزية مع الصغار ، أو رسولًا حتى يؤدى رسالته ، ويرجع إلى مأمنه ، أو مستجيرًا ليسمع كلام الله تعالى ، ثم يبلغ إلى مأمنه ، وأمر رسول الله – ﷺ –

(٦٤) سبق أن ترجم له .

(٦٥) سورة النور آية رقم ٢

(٦٦) هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعى من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظا للحديث من أهل الكوفة ، مات مختفيا من الحجاج عام ٩٦ هـ . قال فيه صلاح الصفدى فقيه العراق : كان إماما مجتهدًا ، له مذهب ، ولما بلغ الشعبى موته قال : والله ما ترك بعده مثله (الأعلام) .

(٦٧) فى (أ) : يستأذن وهذا تحريف .

بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال : بأن صاحب الكبيرة قد خرج من الإيمان وبطل إسلامه ، وصار فى دين آخر إما الكفر وإما الفسق ، إذا كان الزانى ، والقاتل ، والسارق والشارب للخمر ، والقاذف ، والفار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، قد خرج عن الإسلام ، وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله - ﷺ - عن الله أم لا يقتلونه فيخالفون الله تعالى ورسوله - ﷺ .. ؟ ومن قولهم كلهم خوارجهم ، ومعتزليهم ، أنهم لا يقتلونه ، وأما فى بعض ذلك حدود معروفة ، من قطع يد أو جلد مائة ، أو ثمانين ، وفى بعض ذلك أدب فقط وأنه لا يحل الدم بشىء من ذلك ، وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لا خفاء به .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وبعض شاذة الخوارج جسر فقال : تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا خلاف الإجماع المتيقن ، وخلاف للقرآن مجرد لأن الله تعالى يقول : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُم الْفَاسِقُون إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا(٦٨) » .

فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع إصرارهم ، ولم يجعل فيهم إلا رد شهادتهم فقط ، ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم .. ؟

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وقال الله عز وجل « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا(٦٩) » .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - لا خلاف بيننا وبينهم ، ولا بين أحد من الأمة فى أن من كفر بالطاغوت ، وآمن بالله ، واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها فإنه مؤمن مسلم ، فلو كان الفاسق غير مؤمن ، لكان كافرًا ولابُدَّ ، ولو كان كافرًا لكان مرتدًا يجب قتله ، وبالله تعالى التوفيق ، قال الله عز وجل : « مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ(٧٠) » .

وقال تعالى : إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وآتى الزَّكَاةَ ، وَلَمْ يَخْشَى إِلَّا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِين(٧١) » فوجب يقينًا بأمر الله عز وجل أن لا يترك [من] يعمر مساجد الله بالصلاة فيها إلا المؤمنون .

---

(٦٨) سورة النور آية رقم ٣ ، ٤
(٦٩) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦
(٧٠) سورة التوبة آية رقم ١٧
(٧١) سورة التوبة آية رقم ١٨

وكلهم متفق معنا على أن الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة ، مجبر على ذلك ، وفى إجماع الأمة كلها على ذلك ولو تركهم يصلون معنا ، وإلزامهم أداء الزكاة وأخذها منهم ، وإلزامهم صيام رمضان ، وحج البيت برهان واضح لا إشكال فيه ، على أنه لم يخرج عن دين المؤمنين ، وأنه مسلم مؤمن ، وقال عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْىَ ، إلى قوله تعالى . « الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ[٧٢]» .

فخاطب تعالى المؤمنين بإياس الكافرين عن دينهم ، ولا سبيل إلى قسم ثالث وقال تعالى : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ[٧٣]» .

فصح أن لا دين إلا دين الإسلام ، وما عداه شيء غير مقبول ، وصاحبه يوم القيامة خاسر ، وبالله تعالى التوفيق ، وقال عز وجل : « الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ[٧٤]» . وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهم أَوْلِيَاء بُعَضٍ[٧٥]» . وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٧٦]» .

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ومنكم مُؤْمِنَ والله بِمَا تَعْمَلُون بَصِير[٧٧]» فصح يقينا أنه ليس فى الناس ولا فى الجن إلا مؤمن أو كافر ، فمن خرج عن أحدهما دخل فى الآخر ، فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكبائر وله أختان إحداهما نصرانية ، والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسق وليًا فى النكاح ووارثًا ، وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودى والآخر مسلم فاضل أيهما يحل له نكاحها وهذا ما لا خلاف فيه ولا خفاء به فصح أن صاحب الكبائر مؤمن .

وقال الله تعالى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتًا[٧٨]» .

وقال تعالى : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المتَّيقن[٧٩]» .

فأخبرونا أتأمرون الزانى والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبوه إن لم يصل أم لا ؟ فمن

(٧٢) سورة المائدة آية رقم ٢ – ٣
(٧٣) سورة آل عمران آية رقم ٨٥
(٧٤) سورة التوبة آية رقم ٧١
(٧٥) سورة الأنفال آية رقم ٧٣
(٧٦) سورة المائدة آية رقم ٥١
(٧٧) سورة التغابن آية رقم ٢
(٧٨) سورة النساء آية رقم ١٠٣
(٧٩) سورة المائدة آية رقم ٢٧

قولهم نعم ولو قالوا : لا لخالفوا الإجماع المتيقن فنقول لهم أفتأمرونه بما هو عليه أم بما ليس عليه وبما يمكن أن يقبله الله تعالى أم بما يوقن أنه لا يقبله .. ؟

فإن قالوا نأمره بما ليس عليه ظهر تناقضهم إذ لا يجوز أن يلزم أحد بما لا يلزمه .

وان قالوا بل ما عليه قطعوا بأنه مؤمن لأن الله تعالى أخبر أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا . وإن قالوا نأمره بما لا يمكن أن يقبل منه أحالوا ؟ إذ من المحال أن يؤمر أحد بعمل هو على يقين من أنه لا يقبل منه وإن قالوا : بل نأمره بما نرجوا أن يقبل منه قلنا : صدقتم ، وقد صح بهذا أن الفاسق من المتيقن فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصى ، ونسألهم أتأمرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلّقة إن طلقها أم لا ؟ فإن قالوا : نأمره بذلك لزمهم أنه من المحسنين المتيقن لأن الله تعالى يقول فى المتعة : حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِين(٨٠) وحقّاً عَلَى المتَّقِين(٨١).

فصح أن الفاسق محسن فيما عمل صالح ومسىء فيما عمل من سَيِّء ، فإن قالوا : إن الصلاة عليه كما هى عندكم على الكفّار أجمعين قلنا لا سواء لأنها وإن كان الكافر وغير المتوضىء والجنب مأمورين بالصلاة معذبين على تركها فإنا لا نتركهم يقيمونها أصلًا بل نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضأ المحدث ، ويغتسل الجنب ويتوضأ أو يتيمم وليس كذلك الفاسق بل مجبر على إقامتها .

قال أبو محمد : وهذا لا خلاف فيه من أحد إلّا أن الجبائى المعتزلى ومحمد بن الطيب الباقلانى(٨٢) ذهبا من بين جميع الأمة إلى أن من كانت له ذنوب فإنه لا تقبل له توبة من شىء منها حتى يتوب من الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد ناظرنا بعضهم فى ذلك وألزمناه أن يوجبوا على كل من أذنب ذنبًا واحدًا إن ترك الصلاة الفرض ، والزكاة ، وصوم رمضان والجمعة والحج ، والجهاد ، لأن إقامة كل ذلك توبة إلى الله من تركها فإن كانت توبته لا تقبل من شىء حتى يتوب من كل ذنب له فإنه لا تقبل له توبة ، من ترك صلاة ولا من ترك صوم ولا من ترك زكاة إلا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف لجميع الأمة إن قالوه أو تناقض إن لم يقولوه مع أنه قول لا دليل لهم على تصحيحه أصلًا وما كان هكذا فهو باطل قال الله تعالى : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين(٨٣)» .

---

(٨٠) سورة البقرة آية رقم ٢٣٦

(٨١) سورة البقرة ١٨٠ ، ٢٤١

(٨٢) هو : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد جعفر القاسم الباقلانى البصرى المتكلم على مذهب أبى الحسن الأشعرى الذى أيد اعتقاده ونصر صديقه ، صنف كثيرًا من التصانيف ، وانتهت إليه الرياسة فى مذهبه ، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط وقوة الحجة ، وسرعة الجواب ، توفى سنة ٤٠٣ هـ ودفن فى داره ثم نقل إلى مقره باب حرب : (ابن خلكان الترجمة رقم ٥٨٠ ، وتاريخ بغداد حـ ٥ ص ٣٧٩) .

(٨٣) سورة البقرة اية رقم ١١١

وقال تعالى : « وأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ[٨٤]» .

وقال تعالى : « وَصَالِحُ المُؤْمِنين[٨٥]» .

فصح يقينًا بهذا اللفظ أن فينا غير عدل ، وغير صالح ، وهما منا ، ونحن المؤمنين فهو مؤمن بلا شك وقال تعالى : فإنْ تَابُوا – يعنى من الشرك – وأَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فى الدِّين[٨٦]» .

وهذا نص جلى على أن من صلى من أهل شهادة الإسلام وزكّى فهو أخونا فى الدين ولم يقل تعالى ما لم يأت بكبيرة فصح أنه منا وإن أتى بالكبائر .

قال أبو محمد : فإن ذكروا قول الله تعالى : « مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إلى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاء[٨٧]» .

وقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عُلَيْهِمْ مَا هُمْ منكم وَلَا مِنْهُمْ[٨٨]» .

وراموا بذلك إثبات أنه لا مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى إنما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفر المظهرين للإسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا إليهم لأن هؤلاء يظهرون الإسلام وأولئك لا يظهرونه ولا هم مع المسلمين ولا منهم ولا إليهم لإبطانهم الكفر وليس فى هاتين الآيتين أنهم ليسوا كفارًا وقد قال عز وجل : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٨٩]» . فصح يقينًا أنهم كفار لا مؤمنون أصلًا وبالله تعالى التوفيق .

ويقال لمن قال : إن صاحب الكبيرة منافق ما معنى هذه الكلمة فجوابهم الذى لا جواب لاحد فى هذه المسألة غيره هو أن المنافق من كان النفاق صفته ، ومعنى النفاق فى الشريعة هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، فيقال له وبالله تعالى التوفيق : لا يعلم ما فى النفس إلّا الله تعالى ثم تلك النفس التى ذلك الشىء فيها فقط ولا يجوز أن يقطع على اعتقاد أحد الكفر إلّا بإقراره بلسانه بالكفر أو بوحى من عند الله تعالى ومن تعاطى علم ما فى النفوس فقد تعاطى علم الغيب ، وهذا خطأ متيقن يعلم ضرورة وحسبك من القول سقوطًا أن يؤدى إلى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله ﷺ : « رُبَّ مُصَلٍّ يَقُولُ بلسانِه مِاَ لَيْسَ فِى قَلْبِه فقال عليه السلام : انى لم ابُعث لأشق عن

(٨٤) سورة الطلاق اية رقم ٢
(٨٥) سورة التحريم آية رقم ٤
(٨٦) سورة التوبة آية رقم ١١
(٨٧) سورة النساء آية رقم ١٤٣
(٨٨) سورة المجادلة آية رقم ١٤
(٨٩) سورة المائدة آية رقم ٥١
(٩٠) سبق ترجمة هذا الحديث ص ٤٨٠

قلوب الناس وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول ﷺ : وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ[٩١]» . فإذا كان رسول الله ﷺ لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد أفعالهم فمن بعده أحرى أن لا يعلمهم وقد كان الزناة على عهدة ﷺ والسّرّقه وشرّاب الخمر ومضيّعوا فرض الصلاة فى الجماعة والقليلون عهدًا والقذفة فما سمى عليه السلام قط أحدًا منهم منافقين بل أقام الحدود فى ذلك وتوعد بحرق المنازل وأمر بالدية والعفو وأبقاهم فى جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم المؤمنين واسمه[٩٢] واسمه وقد قلنا إن التسمية فى الشريعة لله عز وجل لا لأحد دونه ولم يأت قط عن الله عز وجل تسمية صاحب الكبيرة منافقًا فإن قالوا قد صح عن النبى ﷺ أنه قال وقد ذكر خصالًا من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا وإن صام وصلّى وقال إنى مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر . وذكر عليه السلام أن من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

قلنا له وبالله تعالى التوفيق : صدق رسول الله ﷺ وقد أخبرناك أن المنافق هو من أظهر شيئًا وأبطن خلافه مأخوذ فى أصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب فى جانب جحره مفتوح قد غطاه بشيء من تراب وهذه الخلال التى ذكر رسول الله ﷺ كلها باطن صاحبها خلاف ما يظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذى يبطن صاحبه الكفر بالله برهان ذلك ما ذكرناه آنفًا من إجماع الأمة على أخذ زكاة مال كل من وصفة رسول الله ﷺ بالنفاق وعلى إنكاحه ونكاحها إن كانت إمرأة وموارثته وأكل ذبيحته وتركه يصلى مع المسلمين وعلى تحريم دمه وماله ولو تيقنا أنه مبطن للكفر لوجب قتله وحرم إنكاحه ونكاحها وموارثته وأكل ذبيحته ولم نتركه يصلى مع المسلمين ولكن تسمية النبى ﷺ من ذكرنا منافقًا كتسمية الله عز وجل الزراع كفارًا إذ يقول تعالى : « كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُه[٩٣]» .

لأن أصل الكفر فى اللغةِ التغطية فمن ستر شيئًا فهو كافر له وأصل النفاق فى اللغة ستر شيء وإظهار خلافه فمن ستر شيئًا وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الديانى ولا من النفاق الشريعى فى شيء وبهذا تتآلف الآيات والأحاديث كلها وبالله تعالى التوفيق .

ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط ..؟ فإن قال لا قيل له هذا القول كبيرة لأنه تزكية وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال : « فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ[٩٤]» .

---

(٩١) سورة التوبة آية رقم ١٠١ وقد جاءت الآية فى (أ) : محرفة حيث لم يذكر ومن أهل المدينة مردوا على النفاق .
(٩٢) فى (أ) : حكم الإيمان واسمه
(٩٣) سورة الحديد آية رقم ٢٠
(٩٤) سورة النجم آية رقم ٣٢

وقد علمنا أنه لا يعرى أحد من ذنب إلّا الملائكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأما من دونهم فغير معصوم بل قد اختلف الناس فى عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وإن كنا قاطعين على خطأ من جوّز على أحد من الملائكة ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا بعمد أو خطأ وعلى خطأ من جوّز على أحد من النبيين ذنبا بعمد صغيرًا أو كبيرًا لكنا أعلمنا أنه لم يتفق على ذلك فقط ، وإن قال بلى قد كانت لى كبيرة قيل له هل كنت فى حال موافقتك الكبيرة شاكًا فى الله عز وجل أو فى رسوله ﷺ أو كافرًا بهما أم كنت موقنًا بالله تعالى وبالرسول ﷺ ؟ وبما أتى به موقنًا بأنك مسىء مخطىء فى ذنبك ، فإن قال : كنت كافرًا أو شاكًا فهو أعلم بنفسه ويلزمه أن يفارق امرأته وأمته المسلمتين ولا يرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك فلا يجوز له أن يقطع على غيره من المذنبين بمثل اعتقاده فى الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندرى أننا فى حيز ما كان منا من ذنب مؤمنون بالله تعالى وبرسوله ﷺ وان قال بل كنت مؤمنا بالله تعالى وبرسوله ﷺ فى حال ذنبى قيل له هذا إبطال منك للقول بالنفاق والقطع به على المذنبين .

قال أبو محمد : ففى إجماع الأمة كلها دون مختلف من أحد منهم على أن صاحب الكبيرة مأمور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وبأخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته وأكل ذبيحته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الأمة المسلمة الفاضلة ويطأها وتحريم دمه وماله وأن لا تؤخذ منه جزية ولا يصغر برهان صحيح على أنه مسلم مؤمن وفى إجماع الأمة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهانٌ على أنه فاسق فصح يقينًا أنه مؤمن فاسق ناقص للإيمان عن المؤمن الذى ليس بفاسق قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادِمِين(٩٥)» .

فأما من قال إنه كافر نعمة فما لهم حجة أصلًا إلّا أن بعضهم فزع بقول الله تعالى : « الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرَار(٩٦)» .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن نص الآية مبطل لقولهم لأن الله تعالى يقول متصلًا وبئس القرار : « وَجَعَلُوا لله أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِه(٩٧)» .

فصح أن الآية فى المشركين بلا شك وأيضًا فقد يكفر المرء بنعمة الله ولا يكون كافرًا بل مؤمنًا بالله تعالى كافرًا لأنعمه بمعاصيه لا كافرًا على الإطلاق وبالله تعالى التوفيق .

---

(٩٥) سورة الحجرات آية رقم ٦

(٩٦) سورة إبراهيم آية رقم ٢٨

(٩٧) سورة إبراهيم آية رقم ٢٩

« الكلام فيمن يكفر ولا يكفر »

قال أبو محمد : اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة إلى أن من خالفهم فى شىء من مسائل الاعتقاد أو فى شىء من مسائل الفتيا فهو كافر ، وذهبت طائفة إلى أنه كافر فى بعض ذلك فاسق غير كافر فى بعضه على حسب ما أدتهم إليه عقولهم وظنونهم ، وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم فى مسائل الاعتقاد فهو كافر وأن من خالفهم فى مسائل الأحكام والعبادات فليس كافرًا ولا فاسقًا ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ مأجور بنيته ، وقالت طائفة بمثل[1] هذا فيمن خالفهم فى مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم فى مسائل الاعتقادات إن كان الخلاف فى صفات الله عز وجل فهو كافر ، وإن كان فيما دون ذلك فهو فاسق ، وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد أو فتيا وأن كل من اجتهد فى شىء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبى ليلى[2] وأبى حنيفة والشافعى وسفيان الثورى[3] وداود[4] بن على رضى الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولًا فى هذه المسألة من الصحابة رضى الله عنهم ما نعلم[5] منهم فى ذلك خلافًا أصلًا

---

(١) فى (خ) : « مثل » .

(٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى يسار ، وقيل داود بن بلال الأنصارى الكوفى ، قاض فقيه ، من أصحاب الرأى ، ولى القضاء والحكم لبنى أمية ، ثم لبنى العباس ، واستمر ثلاثا وثلاثين سنة ، له أخبار مع الإمام أبى حنيفة وغيره ، مات بالكوفة عام ١٤٨ هـ (الأعلام) .

(٣) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور ابن عبد مناة من مضر ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين فى الحديث كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، راوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى ، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدى فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا . له من الكتب : الجامع الصغير ، والجامع الكبير ، ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه .. مات سنة ١٦١ هـ (الأعلام) .

(٤) هو : داود بن على بن خلف الأصبهانى ، أبو سليمان الملقب بالظاهرى ، أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة ، وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، وكان داود أول من جهر بهذا القول ، وهو أصبهانى الأصل من أهل (فاشان) (بلدة قريبة من أصبهان) ، سكن بغداد ، وانتهت إليه رياسة العلم فيها . قال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه ، وله تصانيف أوردها ابن النديم . توفى فى بغداد عام ٢٧٠ هـ (الأعلام) .

(٥) فى (أ) : (لا نعلم) .

إلّا ما ذكرنا من اختلافهم فى تكفير من ترك صلاة متعمدًا حتى خرج وقتها أو ترك أداء الزكاة أو ترك الحج أو ترك صيام رمضان أو شرب الخمر . واحتج من كفّر بالخلاف فى الاعتقادات بأشياء نوردها إن شاء الله عز وجل .

قال أبو محمد : ذكروا حديثًا عن رسول الله ﷺ : أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة[٦] . وحديثًا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة فهى فى الجنة[٧].

قال أبو محمد : هذان حديثان لا يصحان أصلًا من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بالكفر أحدهما[٨] » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن لفظه يقتضى أنه يأثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام إنه بذلك كافر .

قال أبو محمد : والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر فى مشاتمةٍ تجرى بينهما فقد[٩] خالفوا الخبر الذى احتجوا به .

قال أبو محمد : والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلّا بنفى أو إجماع وأما[١٠] بالدعوى والإفتراء فلا . فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلّا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله أو أن رسول الله ﷺ قاله فيستجير خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك فى عقد دين أو فى نحلة أو فى فتيا وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولًا نقل إجماع تواترًا أو نقل آحاد إلّا أن من خالف الإجماع المتيقن المقطوع على صحته فهو أظهر فى قطع حجته ووجوب تكفيره لإتفاق الجميع على معرفة الإجماع وعلى تكفير مخالفته[١١] برهان صحة قولنا قول الله تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(٦) الحديث : رواه أبو داود فى السنة ١٦ ، ورواه أحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٨٦ حـ ٥ ص ٤٠٧ ورواه ابن ماجه فى المقدمة ١٠ ولفظه عند ابن ماجه « إن مجوس هذه الأمة المكذبون باقدار الله ، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم .

(٧) الحديث رواه أبو داود فى السنة ١ ، والترمذى فى الإيمان ١٨ وابن ماجه فى الفتن ١٧ ، واحمد بن حنبل حـ ٢ ، ٣٣٢ ، حـ ٣ ، ١٤٥ ولفظة عند ابن ماجه : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فرقة فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفس محمد بيده لتفرقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار . قيل يا رسول الله : من هم .. ؟ قال : الجماعة .

(٨) الحديث رواه البخارى فى الأدب ٧٣ ، ومسلم فى الإيمان ١١١ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ١٨ .

(٩) فى (أ) : (وبهذا) .

(١٠) فى (خ) : (وإنما) .

(١١) فى (خ) : (مخالفة) .

لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[١٢]» .

قال أبو محمد : هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فإن قال قائل إن من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له وبالله تعالى التوفيق : ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافرًا لأن الزنا وشرب الخمر وأكل أموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا أن من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافرًا ولكن البرهان فى هذا قول الله عز وجل : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[١٣]» .

قال أبو محمد : فهذا هو[١٤] النص الذى لا يحتمل تأويلًا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلًا ولا جاء برهان بتخصيصه فى بعض وجوه الإيمان .

قال أبو محمد : وأما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق فى أى شىء كان فلا يكون كافرًا إلا أن يأتى نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو [فى] أقاصى الزنج ذكْر النبى ﷺ فقط فتمسك عن البحث عن خبره فإنه كافر فإن قال قائل فما تقولون فيمن قال أنا أشهد أن محمدًا رسول الله ولا أدرى أهو قرشى أم تميمى أم فارسى ولا هل كان بالحجاز أو بخراسان ولا أدرى أحى هو أم ميت ولا أدرى لعله هذا الرجل الحاضر أم غيره .. ؟[١٥] قيل له : إن كان جاهلًا لا علم عنده بشىء من الأخبار والسير لم يضره ذلك شيئًا ووجب تعليمه فإذا علم وصح عنده الحق فإن عاند فهو كافر حلال دمه وماله ، محكوم عليه بحكم المرتد ، وقد علمنا أن كثيرًا ممن يتعاطى الفتيا فى دين الله عز وجل نعم وكثيرًا من الصالحين لا يدرى كم لموت النبى ﷺ ولا أين كان ولا فى أى بلد كان ويكفيه من كل ذلك إقراره بقلبه ولسانه أن رجلًا اسمه محمد أرسله الله تعالى إلينا بهذا الدين .

قال أبو محمد : وكذلك من قال : إن ربه جسم من الأجسام فإنه إن كان جاهلًا أو متأولًا فهو معذور لا شىء عليه ، ويجب تعليمه فإذا قامت عليه الحجه من القرآن والسنن مخالف ما فيها عنادًا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال إن الله عز وجل هو فلان لإنسانٍ بعينه أو أن الله تعالى يحل فى جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد ﷺ نبيًا غير عيسى بن مريم فإنه لا يختلف اثنان فى تكفيره لصحة قيام الحجه بكل هذا على كل أحد ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم عليه الحجه .

---

(١٢) سورة النساء آية رقم ١١٥

(١٣) سورة النساء آية رقم ٦٥

(١٤) سقطت من (خ) (هو) .

(١٥) سقطت من (خ) (أم غيره) .

قال أبو محمد : وأما من كفّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفرًا بل قد أحسن إذ قد[١٦] فر من الكفر . وأيضًا فإنه ليس للناس قول إلا ومخالف ذلك القول ملزم[١٧] خصمه الكفر فى فساد قوله وطرقه[١٨]، فالمعتزلة تنسب إلينا تجوير الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب إليهم مثل ذلك سواءً بسواء ، ويلزمهم أيضًا تعجيز الله عز وجل وأنهم يزعمون أنهم يخلقون كخلقه وأن له شركاء فى الخلق وأنهم يستغنون[١٩] عن الله عز وجل ومن أثبت الصفات يسمى من نفاها باقية لأنهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لأن الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها أنتم تجعلون مع الله عز وجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لأن الله تعالى لا أحد معه ولا شىء معه فى الأزل وأنتم تعبدون شيئًا من جملة أشياء لم تزل وهكذا فى كل ما اختلف فيه حتى فى الكون والجزء وحتى فى مسائل الأحكام والعبادات فأصحاب القياس يدعون علينا خلاف الإجماع وأصحابنا يثبتون عليهم خلاف الإجماع وإحداث شرائع لم يأذن الله عز وجل بها وكل فرقة فهى تنتفى بما تسميها به الأخرى وتكفر من قال شيئًا من ذلك فصح أنه لا يكفر أحد إلّا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينفع أحد أن يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط وأما الأحاديث الواردة فى أن ترك الصلاة شرك فلا تصبح من طريق الإسناد وأما الأخبار التى فيها من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة فقد فات أحاديث أخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهى قوله عليه السلام : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله وأنى رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به[٢٠]» فهذا هو الذى لا إيمان لأحد بدونه .

قال أبو محمد : واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضى الله عنهم بقول الله عز وجل : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ إلى قوله لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ[٢١]» .

قال فكل من أغاظه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر .

---

(١٦) فى (أ) : سقطت (قد) .
(١٧) فى (أ) : (يلزم) .
(١٨) فى (أ) : (وطرده) .
(١٩) فى (أ) : (مستغنون) .
(٢٠) الحديث رواه البخارى فى باب الزكاة ، وفى استتابة المرتدين ، ورواه مسلم فى الإيمان : ٢١ ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . ورواه الترمذى فى الإيمان : ٢٦١٠ ، والنسائى فى الزكاة باب مانعى الزكاة ، ورواه أبو داود فى الجهاد . بابٌ على ما يقاتل المشركون : ٢٦٤٠ .
(٢١) سورة الفتح آية رقم ٢٩

قال أبو محمد : وقد أخطأ من حمل الآية على هذا لأن الله عز وجل لم يقل قط أن كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وإنما أخبر تعالى أنه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وأيضًا فإنه لا يشك أحُد ذو حس سليم فى أن عليًا قد غاظ معاوية وأن معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليًا وأن عمارًا[٢٢] قد أغاظ أبا العادية وكلهم أصحاب رسول الله ﷺ فقد غاظ بعضهم بعضًا فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشا لله من هذا .

قال أبو محمد : ونقول لمن كفّر إنسانًا بنفس مقاله دون أن تقوم عليه الحجه فيعاند رسول الله ﷺ ويجد فى نفسه الحرج مما أتى به أخبرنا هل ترك رسول الله ﷺ شيئًا من الإسلام الذى يكْفر من لم يقل[٢٣] به إلّا وقد بينه ودعا إليه الناس كافة فلابد من نعم ومن أنكر هذا فهو كافر بلا خلاف فإذا أقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبى ﷺ أنه لم يقبل إيمان أهل قرية أو أهل حله أو إنسان أتاه من حر أو عبد أو امرأه إلا حتى يقرأن الاستطاعة قبل الفعل أو مع الفعل أو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق أو أن الله تعالى يرى أو لا يرى أو أن له سمعًا وبصرًا وحياة أو غير ذلك من فضول المتكلمين التى أوقعها الشيطان منهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء فإن ادعى أن النبى ﷺ لم يدع أحدًا يسلم حتى يوقفه على هذه المعانى كان قد كذب بإجماع المسلمين من[٢٤] أهل الأرض وقال ما ندرى أنه فيه كاذب فادعىٰ أن جميع الصحابة رضى الله عنهم تواطؤا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع فى الطبيعة ثم فيه نسبة الكفر إليهم إذ كتموا ما لا يتم إسلام أحدٍ إلّا به وإن قالوا : إنه ﷺ لم يدع قط أحدًا إلى شىء من هذا ولكنه مودع فى القرآن وفى كلامه ﷺ قيل له صدقت وقد صح بهذا أنه لو كان جهل شيئًا من هذا كله كفرًا لما ضيع رسول الله ﷺ بيان ذلك للحر والعبد والحرة والأمة ومن جوّز هذا فقد قال إن رسول الله ﷺ لم يبلّغ كما أمر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة أن الجهل بكل ذلك لا يضر شيئًا وإنما يلزم الكلام فيها إذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عز وجل : « كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ[٢٥] ولقول الله عز وجل : لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاس وَلَا تَكْتُمُونَه[٢٦]» .

---

(٢٢) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى ، أبو اليقظان ، صحابى من الولاة الشجعان ذو الرأى ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان النبى يلقبه (الطيِّب المطيَّب) وفى الحديث : ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما ، وهو أول من بنى مسجدًا فى الإسلام وسماه (قباء) . ولاه عمر : الكوفة ، وشهد الجمل مع على ، وقتل فى صفين ، وعمره ثلاث وتسعون سنة ، له ٦٢ حديثا . (الأعلام) .

(٢٣) فى (أ) : سقطت كلمة (لم) حرف الجزم فاضطرب المعنى .

(٢٤) من (خ) سقطت كلمة (المسلمين من) .

(٢٥) سورة المائدة آية رقم ٨

(٢٦) سورة آل عمران ١٨٧

فمن عَنَدَ حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لأنه لم يحكّم رسول الله ﷺ ولا سلّم لما قضى به وقد صح عن رسول الله ﷺ أن رجلًا لم يعمل خيرًا قط فلما حضره الموت قال لأهله إذا مت فأحرقونى ثم ذروا رمادى فى يوم راح نصفه فى البحر ونصفه فى البر فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابًا لم يعذبه أحدًا من خلقه وإن الله عز وجل جمع رماده فأحياه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يا رب وان الله تعالى غفر له لهذا القول(٢٧).

قال أبو محمد : فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من حرف الكلم عن مواضعه إن معنى لئن قدر الله على إنما هو لئن ضيق الله على كما قال تعالى : « وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ(٢٨) » .

قال أبو محمد : وهذا تأويل باطل لا يمكن لأنه كان يكون معناه حينئذٍ لئن ضيّق الله على ليضيقن على وأيضًا فلو كان هذا لما كان لأمره بأن يحرق ويذرّ رماده معنى ولا شك فى أنه إنما أمر بذلك ليفلت من عذاب الله تعالى .

قال أبو محمد : وأبين(٢٩) شىء فى هذا قول الله تعالى : « إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ إلى قوله وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا(٣٠) » .

فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك إيمانهم وهذا لا مخلص منه وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبينهم لها .

قال أبو محمد : وبرهان ضرورى لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو أن كل من بدل آية من القرآن عامدًا وهو يدرى أنها فى المصاحف بخلاف ذلك أو أسقط كلمة عمدًا كذلك أو زاد فيها كلمة عامدًا فإنه كافر بإجماع الأمة كلها ثم إن المرء يخطىء فى التلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى ويبدل كلامه جاهلًا مقدرًا أنه مصيب ويكابر فى ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرًا ولا فاسقًا ولا آثمًا فإذا وقف

---

(٢٧) الحديث رواه البخارى فى التوحيد ٣٥ والأنبياء ٥٤ ، والرقاق ٣٥ ، ومسلم فى التوبة ٣٥ ، ٣٧ والنسائى فى الجنائز ١١٧ وابن ماجه فى الزهد ٣٠ ، والدارمى فى الرقاق ٦٣ ، وذكره صاحب الموطأ فى الجنائز ٥٢ ، وذكره احمد بن حنبل فى مسنده حـ ١ ، ٥ ، ٣٩٨ ، ٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٤

(٢٨) سورة الفجر آية رقم ١٦

(٢٩) فى (أ) : (وأبين من) .

(٣٠) سورة المائدة آية رقم ١١٢ ، ١١٣ جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : لأنه قال : وإذ بزيادة الواو .

على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فإن تمادىٰ على خطئه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محاله وهذا هو الحكم الجارى فى جميع الديانة .

قال أبو محمد : واحتج بعضهم بأن قال ، قال الله هو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محاله وهذا هو الحكم الجارى فى جميع الديانة .

قال أبو محمد : واحتج بعضهم بأن قال ، قال الله تعالى : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[٣١]» .

قال أبو محمد : آخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لأن الله عز وجل وصل قوله : يُحسِنُون صُنْعًا بقوله أُولَئِكَ الذين كَفَرُوا بَآيَاتِ رَبِّهِمْ ولِقَائِه فَحُبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُ هُمْ جَهَنَّمُ بما كَفَرُوا واتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا[٣٢]» .

فهذا يبين أن أول الآية فى الكفار المخالفين لديانة الإسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية فى المتأولين من جملة أهل الإسلام كما تزعمون لدخل فى جملتها كل متأول مخطىء فى تأويل فى فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضى الله عنهم لأنهم قد اختلفوا وبيقين ندرى أن كل امرىء منهم فقد يصيب ويخطىء ، بل يلزمه تكفير جميع الأمة لأنهم كلهم لابد من أن يصيب كل أمرىء منهم ويخطىء بل يلزمه تكفير نفسه لأنه لابد لكل من تكلم فى شىء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله إلى قول آخر تبين له أنه أصح إلّا أن يكون مقلدًا فهذه أسوأ لأن التقليد خطأ كله لا يصح ومن بلغ هاهنا فقد لاح عواد[٣٣] قوله وبالله تعالى التوفيق .

وقد أقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله ﷺ أنه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسّقه ولا أخبره أنه آثم بذلك لكن أغلظ له فى كثرة تكراره السؤال عنها فقط وكذلك أخطأ جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى حياة رسول الله ﷺ فى الفتيا فبلغه عليه السلام فما كفّر بذلك أحدًا منهم ولا فسّقه ولا جعله بذلك آثمًا لأنه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا أبى السنابل[٣٤] بن بعكك فى آخر الأجلين والذين أفتوا أن[٣٥] على الزانى غير المحصن الرجم وقد نقضنا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب : « الإحكام لأصول الأحكام » وأيضًا فإن الآية

(٣١) سورة الكهف آية رقم ١٠٤ وجاءت هذه محرفة فى الأصل حيث ذكرها (قل هل أنبئكم) بالهمزة .

(٣٢) سورة الكهف آية رقم ١٠٥ ، ١٠٦

(٣٣) فى (أ) : (غوامر) وهو تحريف .

(٣٤) هو : أبو السنابل بن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار بن قصى العبدرى ، أمه عمره بن أوس من بنى عذرة ابن سعد هذيم ، من مسلمة الفتح ، كان شاعرًا ، مات بمكة . روى عنه الأسود بن يزيد . قصته مع سبيعة الأسليمة (راجع هذه القصة فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ١٦٨٤/٤) .

(٣٥) سقطت (أن) من (أ) .

المذكورة لا تخرج على قول أحدٍ ممن خالفنا إلّا بحذف وذلك أنهم يقولون إن الذين فى قوله تعالى « الذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيا » هو خبر مبتدأ[٣٦] مضمر ولا يكون ذلك إلا بحذف الابتداء كأنه قال هم الذين ولا يجوز لأحد أن يقول فى القرآن حذف الا بنص آخر جلى يوجب ذلك أو إجماع على ذلك أو ضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل .

وأما نحن فإن لفظة الذين عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للآخرين ويكون خبر الابتداء وقوله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا » وكذلك قوله تعالى : « وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَىْءٍ أَلا إِنَّهُم هم الكَاذِبُون[٣٧]» .

فنعم هذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا فى أول الآية ورد الضمير إليهم وهم الكفار بنص أول الآية .

وقال قائلهم أيضًا فإذا عذرتم المجتهدين إذا أخطأوا فاعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فإنهم أيضًا مجتهدون قاصدون الخير .

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها الله عز وجل أحدًا دونه ولا يدخل الجنة والنار أحد[٣٨] أحدًا بل الله تعالى يدخلها من يشاء فنحن لا نسمى بالإيمان إلا من سماه الله تعالى به كل ذلك على لسان رسول الله ﷺ ولا يختلف اثنان من أهل الأرض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة فى أن رسول الله ﷺ قطع بالكفر على أهل كل[٣٩] ملة غير الإسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشا التى أتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك فقط[٤٠] ولا يختلف أيضًا إثنان فى أنه عليه السلام قطع باسم الإيمان على كل من اتبعه وصدّق بكل ما جاء به وتبرّأ من كل دين سوى ذلك فوقفنا أيضًا عند ذلك ولا مزيد فمن جاء نصٌّ فى إخراجه عن الإسلام بعد حصول اسم الإسلام له أخرجناه منه سواء أجمع على خروجه منه أو لم يجمع ، وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام فوجب اتباع الإجماع فى ذلك وأما من نص فى خروجه عن الإسلام بعد حصول الإسلام ولا إجماع فى خروجه أيضًا عنه فلا يجوز إخراجه عن ما قد صح يقينًا حصوله فيه وقد نص الله تعالى على ما قلنا فقال : « وَمَنْ يَبْتِغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين[٤١]» .

(٣٦) فى (أ) : (ابتداء) .
(٣٧) سورة المجادلة آية رقم ١٨
(٣٨) سقطت من (أ) (أحد) الأولى وهو الفاعل .
(٣٩) سقطت من (خ) (كل) .
(٤٠) سقطت من (أ) (فقط) .
(٤١) سورة آل عمران آية رقم ٨٥

وقال تعالى : « وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا[٤٢]» .

وقال تعالى : « قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِه وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ[٤٣]» .

فهؤلاء كلهم كفار بالنص وصح الإجماع على أن كل من جحد شيئًا صح عنده بالإجماع أن رسول الله ﷺ أتى به فقد كفر وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالىٰ ، أو بملك من الملائكة أو بنبى من الأنبياء عليهم السلام ، أو بآية من القرآن ، أو بفريضة من فرائض الدين ، فهى كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر ، ومن قال بنى بعد النبى عليه الصلاة والسلام ، أو جحد شيئًا صح عنده أو النبى ﷺ – قاله فهو كافر لأنه لم يحكم النبى – ﷺ – فيما شجر بينه وبين خصمه .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وقد شقق أصحاب الكلام فقالوا : ما تقولون : فيمن قال له النبى – ﷺ – قم صل فقال : لا أفعل ، أو قال له النبى – ﷺ – : ناولنى ذلك السيف أدفع به عن نفسى ، فقال : لا أفعل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا أمر قد كفوا وقوعه ، ولا فضول أعظم من فضول من اشتغل بشىء قد أيقن أنه لا يكون أبدًا ، ولكن الذى كان ووقع فإننا نتكلم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – قد أمر النبى – ﷺ – أفضل أهل الأرض – وهم أهل الحديبية بأن يحلقوا ، وينحروا[٤٥]، فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثًا ، وغضب عليه السلام ، وشكا ذلك إلى أم سلمة[٤٦] فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها ، وما قال مسلم قط ، أنهم كفروا بذلك لأنهم لم يعاندوه ، ولا كذبوه ، وقد قال سعد بن عبادة[٤٧]، والله يا رسول

---

(٤٢) سورة النساء آية رقم ١٥٠

(٤٣) سورة التوبة آية رقم ٦٥ ، ٦٦ وفى (أ) : (ورسله) وهو تحريف فى الآية .

(٤٤) فى (أ) : بأن .

(٤٥) فى (أ) : ويتحروا وهو تحريف .

(٤٦) هى زوج النبى ﷺ ، هند بنت أبى أمية المعروف بزاد الراكب ابن المغيرة ، كانت قبله عليه السلام عند أبى سلمة عبد الأسد ابن هلال بن مخزوم ، فولدت له عمر وسلمة ، ودرة وزينب ، يقال : إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ، شهدت غزوة خيبر (الاستيعاب : ١٩٣٩/٤) .

(٤٧) هو : سعد بن عبادة بن دليم بن أبى حليمة بن طريف بن الخزرج الأنصارى ، كان نقيبا ، شهد العقبة وبدرًا فى قول بعضهم ، وكانت راية الرسول ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة فلما مرَّ بها على أبى سفيان قال سعد إذ نظر إليه ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل المحرمة . فأقبل رسول الله ﷺ فقال له أبو سفيان : هل أمرت بقتل قومك ، فإنه زعم سعد ومن معه أنه قاتلنا ، فقال رسول الله لا يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، وأخذ الراية من سعد ، وأعطاها لابنه قيس . توفى عام ١٥ هـ بأرض الشام . (الاستيعاب : ٢ : ٥٩٤) .

الله لئن وجدت لكاعًا يتفخذها رجل أدعهما حتى آتى بأربعة شهداء .. ؟ قال : نعم قال : إذن والله يقضى إربه ، والله لا تحللهما بالسيف(٤٨). فلم يكن بذلك كافرًا ، إذ لم يكن معاندًا ولا مكذبًا ، بل أقر أنه يدرى أن الله تعالى أمر بخلاف ذلك ، وسألوا أيضًا عمن قال : أنا أدرى أن الحج إلى مكة فرض ، ولكن لا أدرى أهى بالحجاز .. ؟ أم بخرسان .. ؟ أم بالاندلس .. ؟ وأنا أدرى أن الخنزير حرام(٤٩) لا أدرى أهو هذا الموصوف الأقرن أم الذى يحرث به .. ؟

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وجوابنا هو أن من قال هذا ، فإن كان جاهلًا علم ، ولا شىء عليه ، فإن المشبيين لا يعرفون هذا إذا أسلموا حتى يعلموا ، وإن كان عالمًا فهو عابث مستهزىء بآيات الله تعالى ، فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ، ومن قذف عائشة رضى الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح(٥٠) وحمنة(٥١) ولم يكفرا لأنهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ، ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفرا ، وأما من سب أحدًا من الصحابة - رضى الله عنهم ، فإن كان جاهلًا فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق ، كمن زنى وسرق ، وإن عاند الله تعالى فى ذلك ورسوله - ﷺ - فهو كافر ، وقد قال عمر - رضى الله عنه بحضرة النبى - ﷺ عن حاطب - وحاطب(٥٢) مهاجر بدرى - دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبًا كافرًا بل كان مخطئًا متأولًا ، وقد قال رسول الله - ﷺ : آية المنافق بغض الأنصار(٥٣)» . وقال لعلى : لا يبغضك إلا منافق(٥٤)» .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - ومن أبغض الأنصار لأجل نصرتهم للنبى - ﷺ - فهو كافر لأنه وجد الحرج فى نفسه مما قضى الله تعالى ورسوله - ﷺ - من إظهار الإيمان بأيديهم ، ومن عادى عليًا لمثل ذلك فهو أيضًا كافر ، وكذلك من عادى من ينصر الإسلام لأجل

---

(٤٨) الحديث رواه البخارى فى تفسير سورة النور والطلاق ٤ والأحكام ١٨ ورواه مسلم فى اللعان ١ ، ١٤ ، وأبو داود فى الديات ١٢ والطلاق ٢٧ وابن ماجه فى الحدود ٣٤ والنسائى فى الطلاق ٧ وذكره صاحب الموطأ فى الطلاق ٣٤ ، وأحمد بن حنبل حـ ٥ ص ٣٣٦ .

(٤٩) فى (أ) : ولكن .

(٥٠) هو : مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى القرشى ، يكنى أبا عباد وأمه سلمى بنت صخر بن عامر ، وهى ابنة خالة أبى بكر الصديق ، خاض فى حديث الإفك فجلده رسول الله فيمن جلد وكان أبو بكر ينفق عليه ، فأقسم ألا ينفق فنزل قوله تعالى : « ولا يأمل أولو الفضل منكم والسعة . توفى سنة ٣٤ هـ وهو ابن ست وخمسين سنة (الاستيعاب : ١٤٧٢/٤) .

(٥١) هى : حمنة بنت جحش بن رباب الأسدية ، من بنى أسد بنى خزيمة أخت زينب بنت جحش ، كانت عند مصعب بن عمير ، وقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمدًا وعمران ، وكانت ممن خاض فى الإفك ، وجلدت فى ذلك ، روى عنها ابنها عمران ابن طلحة (الاستيعاب : ٤ : ١٨١٣) .

(٥٢) هو : حاطب بن أبى بلتعة اللخمى صحابى ، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من أشد الرماة فى الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، بعثه النبى ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . مات فى المدينة سنة ٣٠ هـ ، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية (الأعلام : للزركلى) .

(٥٣) رواه الإمام مسلم فى باب الإيمان : ١٢٧

(٥٤) رواه مسلم : فى الإيمان : ٧٨ ، باب الدليل على أن حبَّ الأنصار وعلى رضى الله عنهم من الإيمان . ورواه الترمذى : ٣٧٣١ فى المناقب باب على بن أبى طالب ، والنسائى رقم ١١٧ حـ ٨ فى الإيمان .

نصرة الإسلام لا لغير ذلك ، وقد فرق بعضهم بين الاختلاف فى الفتيا ، والاختلاف فى الاعتقاد بأن قال قد اختلف أصحاب رسول الله - ﷺ - فى الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضًا ولا فسق بعضهم بعضًا .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا ليس بشىء فقد حدث إنكار القدر فى أيامهم فما كفرهم أكثر الصحابة - رضى الله عنهم - وقد اختلفوا فى الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم فى تقديم بيعة على على النظر فى قتلة عثمان - رضى الله عنه - وقد قال ابن عباس - رضى الله عنه - من شاء باهلته عند الحجر الأسود ، أن الذى أحصى رمل عالج لم يجعل فى فريضة واحدة نصفًا ، ونصفًا وثلثًا .

وقال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهنا أقوال غريبة جدًا فاسدة ، منها أن أقوامًا من الخوارج قالوا : كل معصية فيها حد فليست كفرًا ، وكل معصية لا حد فيها فهى[٥٥] كفر .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - وهذا تحكم بلا برهان ، ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٥٦]» . فصح أن من لا برهان له على قوله فليس صادقًا فيه .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر ، ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ، ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجرًا واحدًا لطلبه الحق وقصده إليه ، مغفور له خطأوه إذ لم يعتمده لقول الله تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم به وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[٥٧]» .

وأن كان مصيبًا فله أجران ، أجر لاصابته ، وأجر آخر لطلبه إياه ، وإن كان قد قامت الحجه عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله ﷺ - فهو فاسق لجرأته [على الله تعالى باصراره على الأمر الحرام[٥٨]] فإن عند عن الحق معارضًا لله تعالى ولرسوله - ﷺ - فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق فى هذه الأحكام بين الخطأ فى الاعتقاد فى أى شىء كان من الشريعة وبين الخطأ فى الفتيا فى أى شىء كان على ما بينا قبل .

قال أبو محمد : - رضى الله عنه - ونحن نختصر هاهنا إن شاء الله تعالى ونوضح كل ما

(٥٥) سقطت من (أ) (فهى) .
(٥٦) سورة البقرة آية رقم ١١١
(٥٧) سورة الأحزاب آية رقم ٥
(٥٨) ما بين القوسين سقط من (خ) .

أطلنا فيه قال تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا[٥٩]» . وقال تعالى : « لأُنْذِرَكُمْ به ومَنْ بَلَغ[٦٠]» . وقال تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ممَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[٦١]» . فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح أنه لا يكفر أحد حتى يبلغه أمر النبى - ﷺ - فمن[٦٢] بلغه فلم يؤمن به فهو كافر ، فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء الله تعالى أن يعتقده فى نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء الله تعالى أن يعمله دون أن يبغله فى ذلك عن النبى - ﷺ - حكم بخلاف ما اعتقد أو ما قال أو عمل ، فلا شيء عليه أصلًا حتى يبلغه ، فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهدًا فيما لم يبين له وجه الحق فى ذلك فهو مخطيء معذور مأجور مرة واحدة[٦٣] كما قال عليه السلام : إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر[٦٤]. وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم فى ذلك الشيء وإن خالفه بعمله معاندًا للحق معتقدًا بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق ، وإن خالفه معاندًا بقوله ، أو قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك فى المعتقدات والفتيا للنصوص التى أوردناها وهو قول اسحاق ابن راهويه وغيره ، وبه نقول وبالله تعالى التوفيق .

---

(٥٩) سورة الاسراء آية رقم ١٥
(٦٠) سورة الأنعام آية رقم ١٩
(٦١) سورة النساء آية رقم ٦٥
(٦٢) فى (خ) : (فان) .
(٦٣) سقط من (خ) (واحدة) .
(٦٤) رواه الامام مسلم فى الأقضية ١٥ ، وأبو داود فى الأقضية ، والترمذى فى الأحكام ٣ ، والنسائى فى القضاء ٣ وابن ماجه فى الأحكام ٣ وأحمد بن حنبل ٣ ، ١٨٧ ، ٤ ، ١٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

الكلام فى تعبد الملائكة ، وتعبد الحور العين والخلق المستأنف وهل يعصى ملك أم لا ..

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى : « وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ[1] » . ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَه بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون » . إلى قوله : ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين[2] » . وقال تعالى : « ولله يَسْجُدَ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتُكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون[3] » .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – نص الله تعالى على أنهم مأمورون منهيون متوعدون مكرمون ، موعودون بايصال الكرامة أبدًا مصرفون فى كتاب الاعمال وقبض الأرواح ، وأداء الرسالة ، إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما فى العالم الأعلى والأدنى ، وغير ذلك ، مما خالقهم عز وجل به عليم ، وقوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين[5] » . فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع فى السموات أمين هنالك فصح أن هنالك أوامر وتدبير وأمانات وطاعة ، ومراتب ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله عز وجل : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » . وبقوله : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون[6] » . وبقوله : « فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون[7] » . فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون

---

(١) سورة النحل آية رقم ٥٠
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٦ – ٢٩
(٣) سورة النحل آية رقم ٥٩ – ٥٠
(٤) ف (أ) : (كما) .
(٥) سورة التكوير آية رقم ١٩ – ٢١
(٦) سورة الأنبياء آية رقم ٢٠
(٧) سورة فصلت آية رقم ٣٨

من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتًا ، ولا يستسحرون من ذلك ، وهذا خبر عن التأييد[٨] لا يستحيل أبدًا ، ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى : « قل من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين[٩]» . فكفر تعالى من عادى أحدًا منهم فإن قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول : ومن يقل منهم إنى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم[١٠]» .

قلنا : نعم ، هم متوعدون على المعاصى كما توعد رسول الله – ﷺ – إذ يقول له ربه : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين[١١]» . وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبدًا ، وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبدًا ، أنى إله من دون الله ، وكذلك قوله تعالى : يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين[١٢]» . وهو تعالى قد برأهن ، وعلم أنه لا يأتى أحد منهن بفاحشة أبدًا بقوله تعالى : والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون[١٣] لكن الله تعالى يقرر ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت ، وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى : لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين[١٤]» وكما قال : « لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء[١٥]» وكما قال تعالى « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[١٦]» . وكما قال تعالى « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولا[١٧]» . وكل هذا قد علم الله تعالى أنه لا يكون أبدًا وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : إن الملائكة مأمورون لا منهيون ، قلنا : هذا باطل لأن كل مأمور بشىء فهو منهى عن تركه وقوله تعالى : يخافون ربهم من فوقهم » . يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها ، وقال عز وجل : « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين[١٨]» .

---

(٨) فى (أ) : على التاييد .
(٩) سورة البقرة آية رقم ٩٨
(١٠) سورة الأنبياء آية رقم ٢٩
(١١) سورة الزمر آية رقم ٦٥
(١٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٠
(١٣) سورة النور آية رقم ٢٦
(١٤) سورة الأنبياء آية رقم ١٧
(١٥) سورة الزمر آية رقم ٤
(١٦) سورة الأنعام آية رقم ٢٨
(١٧) سورة الإسراء آية رقم ٩٥
(١٨) سورة الحجر آية رقم ٨ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) : بزيادة (واو) فى ما ننزل .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل ، وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل[١٩] هذه الصفة بما ذكرنا آنفا أنهم لا يعصون الله ، ما أمرهم[٢٠] ويفعلون ما يؤمرون وباخباره تعالى أنهم لا يسأمون ، ولا يفترون ، ولا يستسحرون عن طاعته عز وجل ، فوجب يقينا أنه ليس فى الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل : جاعل الملائكة رسلًا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع[٢١]» . فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن ، والرسل معصمون فصح أن هارون وماروت المذكورين فى القرآن لا يخلو أمرهما[٢٢] من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكونا جنين من أحياء الجن ، كما روينا عن خالد بن أبى عمران[٢٣] وغيره وموضعهما حينئذ فى النحو[٢٤] بدل من الشياطين كأنه قال : ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون قوله : ما أنزل على الملكين نعتًا بمعنى لم ينزل على الملكين[٢٥] ببابل ويتم الكلام هنا .

وإما أن يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفرًا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمهما وهى بعد كفر ، كأنه قال تعالى : ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى : وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق[٢٦]» .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – فقول الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر ، وأما الفتنة ، فقد تكون ضلالًا ، وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام أنه قال لربه : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتننك تضل بها من

---

(١٩) سقطت من (أ) (مثل) .
(٢٠) سقطت من (أ) (ما أمرهم) .
(٢١) سورة فاطر آية رقم ١
(٢٢) فى (خ) : (عن) .
(٢٣) هو : خالد بن أبى عمران التجيبى قاضى أفريقية ، قال ابن حبان واسم أبى عمران : زيد روى عن عبد الله بن عمر مرسلًا وعن عبد الله بن الحارث وغيرهم ، وعنه يحيى بن سعد الأنصارى وعبيد الله ابن أبى جعفر . قال ابن سعد ثقة وقال ابن يونس كان فيه أهل المغرب ومفتى أهل مصر والمغرب ، وكان مستجاب الدعوة توفى عام ١٢٥ هـ (تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ١١١) .
(٢٤) فى (أ) : فى الجو وهو تحريف .
(٢٥) فى (أ) : جاءت العبارة : ويكون الوقوف على قوله وبنقص ما بين القوسين .
(٢٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٢

تشاء[٢٧]» . فصدق الله عز وجل فى قوله ، وصح أن يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى : « أنما أموالكم وأولادكم فتنة[٢٨]» .

وليس كل أحد يضل بماله وولده ، فقد كان للنبى – ﷺ – أولاد ومال ، وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام ، وقال تعالى : وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا[٢٩]» . وقال تعالى : وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه[٣٠]» فهذه سقيا الماء التى هى جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة ، فصح أن من الفتنة خيرًا وهدى ، ومنها ضلالًا وكفرا ، والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع أمرهما فى أن لا يكفر ، ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى : فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » حق لأن أتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفته يؤمن الزوج فيفرق إيمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن ، وتؤمن هى فيفرق إيمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة ، وفى الولاية ، ثم رجع تعالى إلى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل : وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله[٣١]» وهذا حق ، لأن الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخة الله عز وجل وأبطله ضارون من أذن الله تعالى باستضراره به ، وهكذا إلى آخر الآية . وما قال عز وجل قط أن هاروت وماروت علما سحرًا ولا كفرًا ولا أنهما عصيا ، وإنما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة ، لا تصح عن[٣٢] طريق الإسناد أصلًا ، ولا هى أيضًا مع ذلك عن رسول الله – ﷺ – وإنما هى موقوفة على من دونه عليه السلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين .

وهذا التفسير الأخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة فى الآية ، ولا نقص منها ، بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينا وبالله تعالى التوفيق .

فإن قيل : كيف تصح هذه الترجمة أو الأخرى .. ؟ وأنتم تقولون : إن الملائكة لا يمكن أن يراهم إلا نبى ، وكذلك الشياطين ، ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس .. ؟ أو كيف تعلم الجن الناس .. ؟

---

(٢٧) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥
(٢٨) سورة الأنفال آية رقم ٢٨
(٢٩) سورة المدثر آية رقم ٣١
(٣٠) سورة الجن آية رقم ١٧
(٣١) سورة البقرة آية رقم ١٠٢
(٣٢) فى (خ) : (من) .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق - أما الملائكة فيعلمون من أرسلوا إليه من الأنبياء خاصة ، وينهونهم عن الكفر كما نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن .

وأما الشياطين : فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل أو يتمثل فى صورة إنسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك[٣٣] بن جعشم قال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله[٣٤] » .

وأما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لأولياء الله عزّ وجل ، عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة .

والجنة إذا دخلها أهلها المخلدون فليست دار معصية ، وكذلك أهل الجنة لا يعصون فيها أصلًا ، بل هم فى نعيم وحمد لله تعالى ، وذكر له والتذاذ بأكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف فى ذلك من أهل الإسلام إثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين .

وأما الولدان المخلدون فهم أولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبى - ﷺ - وقد صح عن رسول الله - ﷺ - أن الله تعالى يخلق خلقًا يملأ الجنة بهم[٣٥] فنحن نقر بهذا ولا ندرى أمتعبدون مطيعون أم مبتدئون فى الجنة ، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . وأما الجن فإن رسول الله - ﷺ - بعث إليهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة فكافرهم فى النار مع كافرنا ، وأما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال أبو حنيفة لا ثواب لهم ، وقال ابن أبى ليلى[٣٦] ، وأبو يوسف[٣٧] ، وجمهور الناس أنهم فى الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل « أعدت للمتقين[٣٨] » . ولقوله تعالى : حاكيًا عنهم ومصدقًا لمن قال ذلك منهم : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به[٣٩] » . وقوله تعالى حاكيًا عنهم : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن

(٣٣) هو : سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، الكنانى ، أبو سفيان صحابى له شعر ، كان ينزل قديدًا ، له ١٩ حديثا ، وكان فى الجاهلية قائفا ، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج مهاجرًا ، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ ، وتوفى عام ٢٤ هـ .

(٣٤) سورة الأنفال آية رقم ٤٨

(٣٥) راجع ص ٥٨٣ من هذا الجزء .

(٣٦) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى ، الكوفى ، البغدادى أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه ، كان فقيها علامة لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأى ، وولى القضاء ببغداد أيام المهدى والهادى والرشيد ، ومات فى خلافته ببغداد ، وهو على القضاء عام ١٨٢ هـ ، وهو أول من دعى (قاضى القضاة) وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه - من كتبه الخراج ، وأدب القاضى ، والرد على مالك بن أنس . (الأعلام) .

(٣٧) آل عمران : ١٣٣

(٣٨) سورة الجن : ١٣

(٣٩) سورة الجن : ١

فقالوا : إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد فآمنا به[٤٠]» . وقوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار[٤١]» . إلى آخر السورة ، وهذه صفة تعم الجن والإنس عمومًا لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلًا على الله ما لا يعلم ، وهذا حرام ، ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام ، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به ، ثم لا يبين ذلك لنا ، هذا هو ضد البيان الذى ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على أنهم آمنوا فوجب أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولابد .

قال أبو محمد : – رضى الله عنه – وإذًا الجن متعبدون فقد قال رسول الله – ﷺ – « فضلت على الأنبياء بست[٤٢]» . فذكر فيها أنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وكان من قبله من الأنبياء إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وقد نص عليه السلام على أنه بعث إلى الجن وقال عز وجل : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » . إلى قوله تعالى : وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حبطا[٤٣]» . وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبى من الإنس البتة قبل محمد – ﷺ – لأنه ليس الجن من قوم أنس وباليقين ندرى أنهم قد أنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم قال تعالى : يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم[٤٤]» .

وبالله تعالى التوفيق .

---

(٤٠) سورة البينة آية رقم ٧ – ٨ وقد جاءت الآية محرفة فى الأصل حيث حذف كلمة (عدن) .

(٤١) رواه البخارى : ٩٠/٦ فى الجهاد باب قول النبى : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وفى التعبير باب رؤيا الليل ، ورواه مسلم رقم ٥٢٣ فى المساجد فى فاتحته ، والترمذى رقم ١٥٥٣ فى السير ، باب ما جاء فى الغنيمة ، والنسائى ٦ – ٣ ، ٤ فى الجهاد باب وجوب الجهاد .

(٤٢) سورة الجن : ١٤ – ١٥

(٤٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣٠

فهرس الآيات القرانية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٦	ما ننسخ من آية أو ننسها نأتى بخير منها أو مثلها	البقرة	١٠٦	١٥
١٧	ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم	يونس	١٩	١٦
١٨	وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا لا مبدل لكلماته	الأنعام	١١٥	١٦
١٩	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم	ابراهيم	٤٠	١٦
٢٠	بلسان عربى مبين	الشعراء	١٩٥	١٦
٢١	بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم	آل عمران	٤٥	١٦
٢٢	حتى يسمع كلام الله	التوبة	٦	١٩
٢٣	فانما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	١٩
٢٤	منهم من كلم الله	البقرة	٢٥٣	١٩
٢٥	اخسئوا فيها ولا تكلمون	المؤمنون	١٠٨	١٩
٢٦	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى	ص	٧٥	١٩
٢٧	قال فأخرج منها فإنك رجيم	ص	٧٧	١٩
٢٨	إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .	آل عمران	٧٧	٢٠
٢٩	ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون	الأعراف	١٠٨	٢٠
٣٠	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات	البقرة	٢٥٣	٢٠
٣١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيوحى بإذنه ما يشاء	الشورى	٥١	٢٠
٣٢	من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة	القصص	٣٠	٢١
٣٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	المزمل	٢٠	٢١
٣٤	ومن أصدق من الله حديثا	النساء	٨٧	٢١
٣٥	نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن	يوسف	٣	٢١
٣٦	سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدرك ما سقر	المدثر	١٧-٢٤	٢٢
٣٧	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا	النساء	١١٥	٢٣
٣٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير	الاسراء	٨٨	٢٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٩	فأتوا بسورة من مثله	البقرة	٢٣	٢٦
٤٠	ولكم فى القصاص حياة	البقرة	١٧٩	٢٧
٤١	وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا	النساء	١٦٣	٢٨
٤٢	قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين	المدثر	٤٣ ، ٤٤	٢٩
٤٣	إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه صقر	المدثر	٢٤ ، ٢٦	٢٩
٤٤	لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلًا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولا .	الاسراء	٩٠-٩٣	٢٩
٤٥	إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر	١	٢٩
٤٦	قل فأتوا بسورة من مثله	البقرة	٢٣	٢٩
٤٧	على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله	الإسراء	٨٨	٢٩
٤٨	وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا	النساء	١٦٣	٢٩
٤٩	وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك	مريم	٦٤	٣١
٥٠	جزاء بما كانوا يعلمون	الأحقاف	١٤	٣٥
٥١	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	الصف	٢	٣٥
٥٢	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	الكهف	٣٠ ، ١٠٧	٣٥
٥٣	لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين	التكوير	٢٨ ، ٢٩	٣٥
٥٤	ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	البقرة	٢٨٦	٣٦
٥٥	كانوا لا يتناهون عن المنكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون	المائدة	٧٩	٣٦
٥٦	وفاكهة مما يتخيرون	الواقعة	٢٠	٣٦
٥٧	وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة	القصص	٦٨	٣٦
٥٨	ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا	آل عمران	٩٧	٣٧
٥٩	وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين	البقرة	١٨٤	٣٨
٦٠	فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا	المجادلة	٤	٣٨
٦١	وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون	التوبة	٤٢	٣٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٢	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن	١٦	٣٨
٦٣	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم	الأنفال	٦٠	٤١
٦٤	لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكافرون	التوبة	٤٢	٤٣
٦٥	ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا	آل عمران	٩٧	٤٣
٦٦	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا	النساء	٩٢	٤٣
٦٧	ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون	القلم	٤٢ ، ٤٣	٤٤
٦٨	وكانوا لا يستطيعون سمعًا	الكهف	١٠١	٤٥
٦٩	إنك لن تستطيع معى صبرًا	الكهف	٦٧	٤٥
٧٠	ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا	الكهف	٨٢	٤٥
٧١	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا	النساء	٨٢	٤٥
٧٢	ما جعل عليكم فى الدين من حرج	الحج	٧٨	٤٧
٧٣	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون	الأنبياء	٢٣	٤٧
٧٤	وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون	التوبة	٤٢	٥٤
٧٥	ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين	التوبة	٤٦	٥٤
٧٦	إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	٥٤
٧٧	من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا	الكهف	١٧	٥٤
٧٨	فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما	الكهف	٦٥	٥٥
٧٩	قال تعالى : وما فعلته عن أمرى	الكهف	٨٢	٥٥
٨٠	انك لن تستطيع معى صبرا	الكهف	٦٧ – ٧٢	٥٥
٨١	ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرا	الكهف	٦٩	٥٥
٨٢	وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا	الكهف	١٠٠، ١٠١	٥٦
٨٣	وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلًا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا	الفرقان	٨٠	٥٦
٨٤	وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله	يونس	١٠٠	٥٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٥	وإلا تصرف عن كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فصرف عنه كيدهن أنه هو السميع العليم	يوسف	٣٣ ، ٣٤	٥٦
٨٦	لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين	الأنعام	٧٣	٥٧
٨٧	واصبر وما صبرك إلا بالله	النحل	١٤٧	٥٧
٨٨	إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل	النحل	٣٧	٥٧
٨٩	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا	الاسراء	٤٥ ، ٤٦	٥٧
٩٠	وما يضل به الا الفاسقين	البقرة	٢٦	٥٧
٩١	وكذلك يطبع الله على قلـــوب الكافريـــن	الاعراف	١٠١	٥٧
٩٢	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا	الاسراء	٧٤	٥٨
٩٣	ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم	البقرة	٧	٥٨
٩٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا	النساء	٨٣	٥٩
٩٥	فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا	النساء	٨٨	٥٩
٩٦	ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن عباده	الأنعام	٨٨	٥٩
٩٧	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجا	الأنعام	١٢٥	٥٩
٩٨	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى	١١	٦٢
٩٩	وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى	فصلت	١٧	٦٣
١٠٠	إنا خلقنا الإنسان من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالًا وسعيرا .	الإنسان	٢ – ٤	٦٣
١٠١	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولًا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .	النمل	٣٦	٦٣
١٠٢	يضل به كثيرًا ويهدى به كثيرًا	البقرة	٣٦	٦٤
١٠٣	من يضلل الله فلا هادى له	الأعراف	١٨٦	٦٤
١٠٤	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء	الأنعام	١٢٥	٦٤
١٠٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا	النساء	٨٢	٦٤
١٠٦	إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفروا	الإنسان	٣	٦٥
١٠٧	ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين	البلد	٨ – ١٠	٦٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٨	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة	١٣	٦٥
١٠٩	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	٦٥
١١٠	إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا الا طريق جهنم	النساء	١٦٨	٦٥
١١١	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء	البقرة	٢٧٢	٦٦
١١٢	وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله	الشورى	٥٢ ، ٥٣	٦٦
١١٣	ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون	الأنفال	٢٣	٦٦
١١٤	وما أضلنا إلا المجرمون	الشعراء	٩٩	٦٩
١١٥	والله ربنا ما كنا مشركين	الأنعام	٢٣	٦٩
١١٦	انظروا كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	الأنعام	٢٤	٦٩
١١٧	رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرمن ولأغوينهم أجمعن	الحجر	٣٩	٦٩
١١٨	حسدًا من عند أنفسهم	البقرة	١٠٩	٧١
١١٩	وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون	التوبة	١١٥	٧١
١٢٠	وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى	يوسف	٥٣	٧٤
١٢١	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى	النازعات	٤٠ ، ٤١	٧٥
١٢٢	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	الاسراء	٢٣	٧٧
١٢٣	وقضينا إليه ذلك الأمر إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين	الحجر	٦٦	٧٧
١٢٤	وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا	الاسراء	٤	٧٧
١٢٥	إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون	آل عمران	٤٧	٧٧
١٢٦	وقدر فيها أقواتها	فصلت	١٠	٧٧
١٢٧	إنا كل شىء خلقناه بقدر	القمر	٤٩	٧٨
١٢٨	هل من خالق غير الله	فاطر	٣	٨٣
١٢٩	فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم	الروم	٣٠	٨٤
١٣٠	واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا	الفرقان	٣	٨٤
١٣١	أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون	النحل	١٧	٨٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٣٢	ولكل وجهه هو موليها فاستبقوا الخيرات	البقرة	١٤٨	٨٤
١٣٣	هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه	لقمان	١١	٨٥
١٣٤	أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الحلق عليهم قل الله خالق كل شيء	الرعد	١٦	٨٥
١٣٥	أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون	الصافات	٩٥ ، ٩٦	٨٦
١٣٦	الله الذى خلق السموات والأرض	السجدة	٤	٨٦
١٣٧	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العقله مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين	المؤمنون	١٢ – ١٤	٨٧
١٣٨	والسحاب المسخر بين السماء والأرض	البقرة	١٦٤	٨٧
١٣٩	خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	الملك	٢	٨٨
١٤٠	يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل	الرعد	٤	٨٨
١٤١	إنا كل شيء خلقناه بقدر	القمر	٤٩	٨٨
١٤٢	تدمر كل شيء بأمر ربها فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم	الاحقاف	٢٥	٨٨
١٤٣	وأوتيت من كل شيء	النمل	٢٣	٨٩
١٤٤	فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا	الأنعام	٤٤	٨٩
١٤٥	ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم	الحديد	٢٢ – ٢٣	٩٠
١٤٦	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا	البقرة	٧٩	٩١
١٤٧	لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو ٠ن عند الله وما هو من عند الله	آل عمران	٧٨	٩١
١٤٨	فتبارك الله أحسن الخالقين	المؤمنون	١٤	٩١
١٤٩	وتخلقون إفكًا	العنكبوت	١٧	٩١
١٥٠	صنع الله الذى أتقن كل شيء	النمل	٨٨	٩١
١٥١	الذى أحسن كل شيء خلقه	السجدة	٧	٩١
١٥٢	ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت	الملك	٣	٩١
١٥٣	ثم يقولون هذا من عند الله	البقرة	٧٩	٩٢
١٥٤	فتبارك الله أحسن الخالقين	المؤمنون	١٤	٩٣
١٥٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا	النساء	٨٢	٩٣
١٥٦	ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار	الرعد	١٦	٩٣

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٧	إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدا	الطارق	١٥ ــ ١٦	٩٣
١٥٨	ويوم يناديهم ابن شركائى قالوا أذناك ما منا من شهد	فصلت	٤٧	٩٤
١٥٩	ذق إنك أنت العزيز الكريم	الدخان	٤٩	٩٤
١٦٠	أفمن يخلق كمن لا يخلق	النحل	١٧	٩٤
١٦١	إنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا	آل عمران	٤٩	٩٤
١٦٢	واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون	الفرقان	٣	٩٥
١٦٣	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم	المائدة	١٧	٩٥
١٦٤	بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون	سبأ	٤١	٩٥
١٦٥	أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	الواقعة	٦٣ ، ٦٤	٩٦
١٦٦	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	٩٦
١٦٧	صنع الله الذى أتقن كل شيء	النمل	٨٨	٩٦
١٦٨	أحسن كل شيء خلقه	السجدة	٧	٩٧
١٦٩	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم	الاسراء	٧	٩٧
١٧٠	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	الرحمن	٦٠	٩٧
١٧١	ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير	الحديد	٢٢	٩٨
١٧٢	ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت	الملك	٣	٩٩
١٧٣	أو لحم خنزير فإنه رجس	الأنعام	٤٥	١٠١
١٧٤	ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها	الشمس	٨	١٠١
١٧٥	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	١٠٩
١٧٦	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم	الأنفال	١٧	١١٠
١٧٧	كذلك زينا لكل أمة عملهم	الأنعام	١٠٨	١١٠
١٧٨	فزين لهم الشيطان أعمالهم	النحل	٦٣	١١٠
١٧٩	إنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وابرىء الأكمه والابرص واحى الموتى باذن الله	آل عمران	٤٩	١١٠
١٨٠	واحلوا قومهم دار البوار	ابراهيم	٢٨	١١١
١٨١	لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم	ابراهيم	١	١١١
١٨٢	أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور	ابراهيم	٥	١١١
١٨٣	إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا	آل عمران	١٧٨	١١٢
١٨٤	وأملى لهم إن كيدى متين	القلم	٤٥	١١٢
١٨٥	الشيطان سول لهم وأملى لهم	محمد	٢٥	١١٢
١٨٦	أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	الواقعة	٦١ – ٦٤	١١٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٨٧	تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون	المؤمنون	١٠٤	١١٢
١٨٨	فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا	الرعد	١٧	١١٢
١٨٩	فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فمكث فى الأرض	الرعد	١٧	١١٣
١٩٠	والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس	البقرة	١٦٤	١١٣
١٩١	واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن اضللن كثيرًا من الناس فمن تبعنى فانه منى .	ابراهيم	٣٥	١١٣
١٩٢	تذروه الرياح	الكهف	٤٥	١١٣
١٩٣	والعمل المصالح يرفعه	فاطر	١٠	١١٣
١٩٤	وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم	فصلت	٢٣	١١٤
١٩٥	يحرفون الكلم عن مواضعه	المائدة	١٣	١١٥
١٩٦	وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد	الحديد	٢٥	١١٥
١٩٧	إنا كل شيء خلقناه بقدر	القمر	٤٩	١١٦
١٩٨	إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباكم ما أنزل الله بها من سلطان إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى	النجم	٢٣ ، ٢٤	١١٦
١٩٩	وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة	القصص	٦٨	١١٧
٢٠٠	قل كونوا حجارة أو حديدًا	الاسراء	٥٠	١١٩
٢٠١	من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ	الحج	١٥	١١٩
٢٠٢	وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب	فاطر	١١	١١٩
٢٠٣	ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد	ق	٢٩	١٢٠
٢٠٤	قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم	آل عمران	١٥٤	١٢٠
٢٠٥	قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل	الأحزاب	١٦	١٢٠
٢٠٦	أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة	النساء	٧٨	١٢٠
٢٠٧	الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين	آل عمران	١٦٨	١٢١
٢٠٨	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت	آل عمران	١٥٦	١٢١
٢٠٩	وما كان لنفس أن تؤمن الا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون	يونس	١٠٠	١٢١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢١٠	ثم قضى أجلًا وأجل مسمى عنده	الأنعام	٢	١٢١
٢١١	فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	الأعراف	٣٤	١٢١
٢١٢	ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها	المنافقون	١١	١٢١
٢١٣	وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابًا مؤجلا	آل عمران	١٤٥	١٢٢
٢١٤	الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم	الروم	٤٠	١٢٢
٢١٥	وخلقناكم أزواجًا	النبأ	٨	١٢٢
٢١٦	عذاب عظيم	النحل	٩٤	١٢٤
٢١٧	عذاب أليم	الشورى	٢١	١٢٤
٢١٨	ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر	السجدة	٢١	١٢٤
٢١٩	وجاءوا بسحر عظيم	الأعراف	١١٦	١٢٤
٢٢٠	وأنبتناها نباتًا حسنًا	آل عمران	٣٧	١٢٤
٢٢١	إن كيد الشيطان كان ضعيفا	النساء	٧٦	١٢٤
٢٢٢	ومكروا مكرًا كبارًا	نوح	٢٢	١٢٤
٢٢٣	إن كيدهن عظيم	يوسف	٢٨	١٢٤
٢٢٤	صفراء فاقع لونها	البقرة	٦٩	١٢٤
٢٢٥	قد بدت البغضاء من أفواههم	آل عمران	١١٨	١٢٤
٢٢٦	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	فاطر	١٠	١٢٤
٢٢٧	وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكمارداكم	فصلت	٢٣	١٢٤
٢٢٨	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله	محمد	٢٨	١٢٥
٢٢٩	فلما أضاءت ما حوله	البقرة	١٧	١٢٥
٢٣٠	تلفح وجوههم النار	المؤمنون	١٠٤	١٢٥
٢٣١	فأخذتهم الصاعقة	النساء	١٥٣	١٢٥
٢٣٢	مما تنبت الأرض	البقرة	٦١	١٢٥
٢٣٣	لما يتفجر منه الأنهار فيخرج منه الماء	البقرة	٧٤	١٢٥
٢٣٤	فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا	الرعد	١٧	١٢٥
٢٣٥	والفلك تجرى فى البحر ما ينفع الناس	البقرة	١٦٤	١٢٥
٢٣٦	وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع اثقالهم	العنكبوت	١٣	١٢٩
٢٣٧	إنى اريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار	المائدة	٢٩	١٢٩
٢٣٨	ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون	النمل	٢٥	١٢٩
٢٣٩	وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء	العنكبوت	١٢	١٢٩
٢٤٠	لا يضركم من ضل إذا اهتدتم	المائدة	١٠٥	١٣٠
٢٤١	ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك	النساء	٧٩	١٣١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٦٨	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم	ص	٢٤	١٦٠
٢٦٩	ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا	النبأ	٤٠	١٦٢
٢٧٠	قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين	البقرة	١١١	١٦٢
٢٧١	ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينه وأموالًا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، قال : قد أجيبت دعوتكما .	يونس	٨٨ ، ٨٩	١٦٤
٢٧٢	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات	البقرة	٢٥٣	١٦٥
٢٧٣	ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض	الاسراء	٥٥	١٦٥
٢٧٤	ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .	الاسراء	٧٠	١٦٥
٢٧٥	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم وما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون	الأنعام	٣٨	١٦٧
٢٧٦	وإذا الوحوش حشرت .	التكوير	٥	١٦٧
٢٧٧	لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى	الليل	١٥	١٦٧
٢٧٨	وإذا أحذر ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى	الأعراف	١٧٢	١٦٨
٢٧٩	فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله	الروم	٣٠	١٦٨
٢٨٠	وجعلنا من الماء كل شيء حى	الأنبياء	٣٠	١٦٩
٢٨١	خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش	يونس	٣	١٦٩
٢٨٢	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	الأعراف	١١	١٦٩
٢٨٣	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم	البقرة	٢٨	١٦٩
٢٨٤	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين	غافر	١١	١٦٩
٢٨٥	ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .	النمل	٨٧	١٧٠
٢٨٦	ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء .	الزمر	٦٨	١٧٠
٢٨٧	وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تثبت إليك	الأعراف	١٤٣	١٧٠
٢٨٨	واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم	الأعراف	١٧٢	١٧١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٨٩	وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم فله من الأولين وقليل من الآخرين	الواقعة	٧ – ١٤	١٧١
٢٩٠	فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم .	الواقعة	٨٨ – ٩٤	١٧١
٢٩١	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة	البلد	١٧ – ٢٠	١٧١
٢٩٢	فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم	الواقعة	٨٤	١٧٢
٢٩٣	النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب	غافر	٤٦	١٧٢
٢٩٤	يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	يس	٥٢	١٧٢
٢٩٥	ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .	النجم	١٣ – ١٥	١٧٢
٢٩٦	إن لبثتم الا عشرًا	طه	١٠٣	١٧٢
٢٩٧	فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرًا جميلا إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه	المعارج	٤ – ١١	١٧٢
٢٩٨	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون	السجدة	٥	١٧٢
٢٩٩	كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء	المدثر	٣١	١٧٤
٣٠٠	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	البقرة	٢٨٦	١٧٤
٣٠١	ولو شاء الله ما أشركو	الأنعام	١٠٧	١٧٥
٣٠٢	وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله	يونس	١٠٠	١٧٥
٣٠٣	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله	الأنعام	١١١	١٧٥
٣٠٤	كن فيكون	يس	٨٢	١٧٦
٣٠٥	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من خفت عليه الضلالة .	النحل	٣٦	١٧٦

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٢٦	ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله	الأنعام	١١١	١٨٣
٣٢٧	وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن	يوسف	٣٣	١٨٣
٣٢٨	وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرًا	الأنعام	٢٥	١٨٣
٣٢٩	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء	النحل	٩٣	١٨٤
٣٣٠	قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا	الأعراف	٨٩	١٨٤
٣٣١	فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا	البقرة	١٠	١٨٤
٣٣٢	ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد	البقرة	٢٥٣	١٨٤
٣٣٣	ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا	المائدة	٤١	١٨٥
٣٣٤	أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم	المائدة	٤١	١٨٥
٣٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	١٨٥
٣٣٦	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة	١٣	١٨٥
٣٣٧	من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم	الأنعام	٣٩	١٨٥
٣٣٨	لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين	الأنعام	٧٧	١٨٥
٣٣٩	ولو شاء الله ما أشركوا	الأنعام	١٠٧	١٨٥
٣٤٠	يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه	الأنعام	١١٢	١٨٥
٣٤١	وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه .	الأنعام	١٣٧	١٨٥
٣٤٢	ولو شاء الله لسلطهم عليكم	النساء	٩٠	١٨٥
٣٤٣	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء .	الأنعام	١٢٥	١٨٥
٣٤٤	واصبر وما صبرك إلا بالله .	النحل	١٢٧	١٨٥
٣٤٥	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .	هود	١١٩	١٨٥

رقم مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٦	تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير	آل عمران	٣٦	١٨٥
٣٤٧	بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا	الاسراء	٧	١٨٧
٣٤٨	ألم ترك إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك	التوبة	٤٦	١٨٧
٣٤٩	ولكن كره الله انبعاثهم فبسطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين	التوبة	٤٦	١٨٧
٣٥٠	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون	التوبة	٥٥	١٨٨
٣٥١	لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم	التوبة	٤٧	١٨٨
٣٥٢	الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون	الأعراف	٩٢	١٨٩
٣٥٣	فلبئس ما ثروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون	البقرة	١٠٢	١٨٩
٣٥٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	محمد	٢٤	١٨٩
٣٥٥	قرانًا عربيًا	يوسف	٢	١٨٩
٣٥٦	تبيانًا لكل شيء	النحل	٨٩	١٨٩
٣٥٧	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب تيلى عليهم	العنكبوت	٥١	١٨٩
٣٥٨	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم	ابراهيم	٤	١٨٩
٣٥٩	قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير	آل عمران	٢٦	١٨٩
٣٦٠	إن الله يفعل ما يشاء	الحج	١٨	١٩٠
٣٦١	يجتبى من رسله من يشاء	آل عمران	٧٩	١٩٠
٣٦٢	يرزق من يشاء	البقرة	٢١٢	١٩٠
٣٦٣	يختص برحمته من يشاء	البقرة	١٠٥	١٩٠
٣٦٤	فعال لما يريد	هود	١٠٧	١٩٠
٣٦٥	ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله	الكهف	٢٣	١٩٠
٣٦٦	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون	الزخرف	٢٠	١٩٠
٣٦٧	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	١٩١
٣٦٨	أم أتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على إمة وإنا على آثارهم مهتدون	الزخرف	٢١ ، ٢٢	١٩١
٣٦٩	وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين .	النحل	٣٥	١٩١

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٧٠	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .	النحل	٣٦	١٩١
٣٧١	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله	لقمان	٢٥	١٩١
٣٧٢	سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون .	الأنعام	١٤٨	١٩١
٣٧٣	قل فـلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين	الأنعام	١٤٩	١٩١
٣٧٤	كذلك كذب الذين من قبلهم	الأنعام	١٤٨	١٩١
٣٧٥	قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا	الأنعام	١٥٠	١٩٢
٣٧٦	اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا	الأنعام	١٠٥ ١٠٦	١٩٣
٣٧٧	أنطعم من لو يشاء الله أطعمه	يس	٤٧	١٩٣
٣٧٨	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	١٩٣
٣٧٩	لآمن من فى الأرض	يونس	٩٩	١٩٤
٣٨٠	يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا .	الأنعام	١٥٨	١٩٤
٣٨١	ويقولون متى هذا الفتح ، قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون	السجدة	٢٨ ، ٢٩	١٩٤
٣٨٢	الآن وقد عصيت قبل	يونس	٩١	١٩٤
٣٨٣	لجمعهم على الهدى	الأنعام	٣٥	٣٥٠
٣٨٤	فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين	يونس	٩٨	١٩٥
٣٨٥	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين	السجدة	١٣	١٩٦
٣٨٦	وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله	يونس	١٠٠	١٩٦
٣٨٧	من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا	الكهف	١٧	١٩٦
٣٨٨	إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء	القصص	٥٦	١٩٦
٣٨٩	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء	البقرة	٢٧٢	١٩٦
٣٩٠	ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين	يونس	٩٩	١٩٧

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٩١	لا إكراه فى الدين	البقرة	٢٥٦	١٩٧
٣٩٢	إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين	المائدة	٢٩	١٩٧
٣٩٣	ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما .	يونس	٨٨	١٩٧
٣٩٤	ولو شاء الله لسلطهم عليكم	النساء	٩٠	١٩٨
٣٩٥	وما النصر إلا من عند الله	آل عمران	١٢٦	١٩٨
٣٩٦	إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم	المائدة	١١	١٩٨
٣٩٧	وهو الذى كف أيديهم عندكم وأيديكم عنهم بعض مكة	الفتح	٢٤	١٩٨
٣٩٨	والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى	فصلت	٤٤	١٩٩
٣٩٩	يحرفون الكلم عن مواضعه	النساء	٤٦	١٩٩
٤٠٠	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا	التوبة	١١١	٢٠٠
٤٠١	ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء	البقرة	١٥٤	٢٠٠
٤٠٢	يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل	الأنعام	١٥٨	٢٠٢
٤٠٣	لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها	الأعراف	١٧٩	٢٠٢
٤٠٤	ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض	الشورى	٢٧	٢٠٦
٤٠٥	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة	الزخرف	٣٣	٢٠٦
٤٠٦	والله يعصمك من الناس	المائدة	٦٧	٢٠٨
٤٠٧	قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .	الناس	١ ، ٦	٢١٨
٤٠٨	إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء	الأعراف	١٥٥	٢١٩
٤٠٩	وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا	الجن	١٠	٢١٩
٤١٠	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس	الأعراف	١٧٩	٢١٩
٤١١	وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته	غافر	٩	٢١٩
٤١٢	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	السجدة	١٣	٢٢٠
٤١٣	ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا	يونس	٩٩	٢٢٠
٤١٤	وحبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلًا من الله ونعمة والله عليم حكيم .	الحجرات	٧	٢٢٠

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤١٥	وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد	الفجر	٩ – ١٢	٢٢٠
٤١٦	إن ربك لبالمرصاد	الفجر	١٤	٢٢٠
٤١٧	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين	البقرة	٢١٣	٢٢٠
٤١٨	وأملى لهم أن كيدى متين	الأعراف	١٨٣	٢٢١
٤١٩	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزادوا إثمًا ولهم عذاب مهين	آل عمران	١٧٨	٢٢١
٤٢٠	أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون	المؤمنون	٥٥ ، ٥٦	٢٢١
٤٢١	سنستدرجهم من حيث لا يعلمون	الأعراف	١٨٢	٢٢١
٤٢٢	وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا	الاسراء	١٦	٢٢١
٤٢٣	وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم	محمد	٣٨	٢٢١
٤٢٤	إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم	المعارج	٤٠ ، ٤١	٢٢٢
٤٢٥	عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن	التحريم	٥	٢٢٢
٤٢٦	فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر	النساء	٥٩	٢٢٤
٤٢٧	الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون	غافر	٦١	٢٢٤
٤٢٨	الذى جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم	غافر	٦٤	٢٢٤
٤٢٩	بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس المصير	ابراهيم	٢٨ ، ٢٩	٢٢٥
٤٣٠	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	الرعد	١١	٢٢٥
٤٣١	ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا	النساء	١٥٠ ، ١٥١	٢٢٩
٤٣٢	إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى	النجم	٢٣ ، ٢٤	٢٣٠
٤٣٣	وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا	البقرة	٣١ ، ٣٢	٢٣٢
٤٣٤	هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزادوا إيماناً مع إيمانهم	الفتح	٤	٢٣٢

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٣٥	فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا	التوبة	١٢٤	٢٣٣
٤٣٦	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً	آل عمران	١٧٣	٢٣٣
٤٣٧	وما كان الله ليضيع إيمانكم	البقرة	١٤٣	٢٣٣
٤٣٨	اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا	المائدة	٣	٢٣٤
٤٣٩	ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة	البينة	٥	٢٣٤
٤٤٠	إن الدين عند الله الإسلام	آل عمران	١٩	٢٣٤
٤٤١	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	آل عمران	٨٥	٢٣٤
٤٤٢	يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين	الحجرات	١٧	٢٣٤
٤٤٣	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	الذاريات	٣٥ ، ٣٦	٢٣٤
٤٤٤	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .	النساء	٦٥	٢٣٤
٤٤٥	ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً	النساء	١٥٠ ،	٢٣٤
٤٤٦	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوالك رجلا .	الكهف	٣٥ — ٤٢	٢٣٥
٤٤٧	أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه	البقرة	٨٥	٢٣٥
٤٤٨	فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون	الأنعام	٣٣	٢٣٧
٤٤٩	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	الزخرف	٨٧	٢٣٧
٤٥٠	رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون	الحجر	٣٦	٢٣٨
٤٥١	لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون	الحجر	٣٣	٢٣٨
٤٥٢	خلقتنى من نار وخلقته من طين	الأعراف	١٢	٢٣٨
٤٥٣	ما منعك أن تسجد	ص	٧٥	٢٣٨
٤٥٤	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون	القلم	٤٢	٢٣٨
٤٥٥	يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	البقرة	١٧٦	٢٣٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٧٢	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهم ولم تؤمن قلوبهم	المائدة	٤١	٢٤٨
٤٧٣	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم	الحجرات	١٤	٢٤٨
٤٧٤	إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً	الأنفال	٢ – ٤	٢٤٨
٤٧٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون	الحجرات	١٥	٢٤٨
٤٧٦	والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا	الأنفال	٧٢	٢٤٨
٤٧٧	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً	الأنفال	٧٤	٢٤٨
٤٧٨	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	٢٤٩
٤٧٩	إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً	النساء	١٤٠	٢٤٩
٤٨٠	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون	المنافقون	١	٢٤٩
٤٨١	إلا من شهد بالحق وهم يعلمون	الزخرف	٨٦	٢٥٠
٤٨٢	إلا من اكراه وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً	النحل	١٠٦	٢٥٠
٤٨٣	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون	الحجرات	١٥	٢٥٠
٤٨٤	فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع	الفتح	٢٩	٢٥٣
٤٨٥	كمثل غيث أعجب الكفار بناته	الحديد	٢٠	٢٥٣
٤٨٦	فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها	البقرة	٢٥٦	٢٥٣
٤٨٧	تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا	مريم	٩٠	٢٥٦
٤٨٨	هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون	النمل	٩٠	٢٥٦
٤٨٩	إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار	النساء	١٤٥	٢٥٦
٤٩٠	أدخلوا آل عمران أشد العذاب	غافر	٤٦	٢٥٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٩١	لئن أشركت ليحبطن عملك	الزمر	٦٥	٢٥٧
٤٩٢	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنت لا تشعرون	الحجرات	٢	٢٥٧
٤٩٣	إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا	النجم	٢٨	٢٥٩
٤٩٤	يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم	آل عمران	١٦٧	٢٦١
٤٩٥	ولتعرفنهم فى لحن القول	محمد	٣٠	٢٦١
٤٩٦	وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم	التوبة	١٠١	٢٦٢
٤٩٧	إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .	محمد	٢٥ – ٢٨	٢٦٢
٤٩٨	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون	الحجرات	٢	٢٦٢
٤٩٩	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما	النساء	٦٥	٢٦٣
٥٠٠	لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين	البينة	١	٢٦٤
٥٠١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً	التوبة	٣١	٢٦٤
٥٠٢	يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله	المائدة	١١٦	٢٦٥
٥٠٣	إن الله ثالث ثلاثة	المائدة	٧٣	٢٦٥
٥٠٤	إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا	النساء	١٤٠	٢٦٥
٥٠٥	من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين	البقرة	٩٨	٢٦٥
٥٠٦	فيها فاكهة ونخل ورمان	الرحمن	٦٨	٢٦٥
	لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى	الليل	١٥ – ١٦	٢٦٦
٥٠٧	وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم	الواقعة	٩٢ – ٩٤	٢٦٦

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٠٨	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب	التوبة	٢٩	٢٦٦
٥٠٩	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم	الحجرات	١٤	٢٦٩
٥١٠	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	الذاريات	٣٥ – ٣٦	٢٦٩
٥١١	يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين	الحجرات	١٧	٢٦٩
٥١٢	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	آل عمران	٨٥	٢٧٠
٥١٣	وأما بنعمة ربك فحدث	الضحى	١١	٢٧١
٥١٤	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون	البقرة	١٣٦	٢٧٢
٥١٥	ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون	المائدة	٤٤	٢٧٥
٥١٦	فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى	الليل	١٤	٢٧٥
٥١٧	أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون	القلم	٣٥	٢٧٦
٥١٨	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئاً	التوبة	١٠٢	٢٧٧
٥١٩	إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى	آل عمران	١٩٥	٢٧٧
٥٢٠	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت	غافر	١٧	٢٧٧
٥٢١	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره	الزلزلة	٧	٢٧٧
٥٢٢	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها	الأنعام	١٦٠	٢٧٧
٥٢٣	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين	الأنبياء	٤٧	٢٧٧
٥٢٤	لئن أشركت ليحبطن عملك	الزمر	٦٥	٢٧٨
٥٢٥	وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون	يونس	٣٣	٢٧٨
٥٢٦	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم	الحجرات	١٥	٢٧٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٤٢	لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها	البقرة	٢٥٦	٢٨٤
٥٤٣	ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم	التوبة	١٧	٢٨٤
٥٤٤	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين	التوبة	١٨	٢٨٤
٥٤٥	اليو يئس الذين كفروا من دينكم	المائدة	٣	٢٨٥
٥٤٦	ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	آل عمران	٨٥	٢٨٥
٥٤٧	المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	التوبة	٧١	٢٨٥
٥٤٨	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض	الأنفال	٧٣	٢٨٥
٥٤٩	ومن يتولهم منكم فإنه منهم	المائدة	٥١	٢٨٥
٥٥٠	هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير	التغابن	٢	٢٨٥
٥٥١	إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا	النساء	١٠٣	٢٨٥
٥٥٢	إنما يتقبل الله من المتقين	المائدة	٢٧	٢٨٥
٥٥٣	حقاً على المحسنين	البقرة	٢٣٦	٢٨٦
٥٥٤	حقاً على المتقين	البقرة	٢٤١	٢٨٦
٥٥٥	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	البقرة	١١١	٢٨٦
٥٥٦	وأشهدوا ذوى عدل منكم	الطلاق	٢	٢٨٧
٥٥٧	وصالح المؤمنين	التحريم	٤	٢٨٧
	فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين	التوبة	١١	٢٨٧
٥٥٨	مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء	النساء	١٤٣	٢٨٧
٥٥٩	ألم ترى إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم .	المجادلة	١٤	٢٨٧
٥٦٠	ومن يتولهم منكم فإنه منهم	المائدة	٥١	٢٨٧
٥٦١	ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم	التوبة	١٠١	٢٨٨
٥٦٢	كمثل غيث أعجب الكفار نباته	الحديد	٢٠	٢٨٨
٥٦٣	فلا تزكوا أنفسكم	النجم	٣٢	٢٨٨
٥٦٤	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين	الحجرات	٦	٢٨٩

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٥٨٤	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .	النساء	٦٥	٣٠٢
٥٨٥	ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٠	٣٠٣
٥٨٦	ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين	الأنبياء	٢٩	٣٠٣
٥٨٧	ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٩ – ٦٠	٣٠٣
٥٨٨	إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين	التكوير	١٩ – ٢١	٣٠٣
٥٨٩	عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وبقوله : ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون	الأنبياء	٢٠	٣٠٣
٥٩٠	فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون	فصلت	٣٨	٣٠٣
٥٩١	قل من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو الكافرين	البقرة	٩٨	٣٠٤
٥٩٢	ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم	الأنبياء	٢٩	٣٠٤
٥٩٣	لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين	الزمر	٦٥	٣٠٤
٥٩٤	يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين .	الاحزاب	٣٠	٣٠٤
٥٩٥	والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون .	النور	٢٦	٣٠٤
٥٩٦	لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين	الأنبياء	١٧	٣٠٤
٥٩٧	لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء	الزمر	٤	٣٠٤
٥٩٨	ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه .	الأنعام	٢٨	٣٠٤
٥٩٩	قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزل عليهم من السماء ملكاً رسولا .	الاسراء	٩٥	٣٠٤
٦٠٠	ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين .	الحجر	٨	٣٠٤
٦٠١	جاعل الملائكة رسلًا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع .	فاطر	١	٣٠٥
٦٠٢	وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أح إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم	البقرة	١٠٢	٣٠٥

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
	ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق .			
٦٠٣	أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنك تضل بها من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٣٠٥
٦٠٤	إنما أموالكم وأولادكم فتنة .	الأنفال	٢٨	٣٠٦
٦٠٥	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً .	المدثر	٣١	٣٠٦
٦٠٦	وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه .	الجن	١٧	٣٠٦
٦٠٧	وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله .	البقرة	١٠٢	٣٠٦
٦٠٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقديه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله .	الأنفال	٤٨	٣٠٧
٦٠٩	اعدت للمتقين .	آل عمران	١٣٣	٣٠٧
٦١٠	وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به .	الجن	١٣	٣٠٧
٦١١	إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به .	الجن	١	٣٠٧
٦١٢	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار .	البينة	٧–٨	٣٠٧
٦١٣	وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .	الجن	١٤–١٥	٣٠٨
٦١٤	يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم .	الأنعام	١٣٠	٣٠٨

فهرس الأحاديث النبوية

عدد مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩	وذكر أنه رأى ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام آدم فى سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فسأل عنها فأخبر أنه نسم بنيه ، وأن الذين عن يمينه أرواح أهل السعادة ، والذين عن يساره أرواح أهل الشفاء	١٧١
٢٠	ما من أحد ينجيه عمله ، أو يدخله الجنة عمله قيل ولا أنت يا رسول الله ..؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه	٢١٣
٢١	ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم منكن قلنا يا رسول الله وما نقصان ديننا ..؟ قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الأيام والليالى لا تصوم ولا تصلى فهذا نقصان دينها	٢٣٧
٢٢	اعتقها فإنها مؤمنة	٢٤٦
٢٣	قل كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل	٢٤٧
٢٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله ألا الله ويؤمنوا بما ارسلت به فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله	٢٤٧
٢٥	من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه	٢٤٧
٢٦	إنى لم أبعث لأشق عن قلوب الناس...........	٢٤٧ ، ٢٥٩
٢٧	أنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، إلى أدنى أدنى من ذلك	٢٦٣
٢٨	لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة	٢٧٠
٢٩	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٢٧٥
٣٠	لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينهب نهبة ذات شر وحين ينهبها وهو مؤمن	٢٧٥
٣١	لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم	٢٧٦
٣٢	لا تراجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض	٢٨١
٣٣	لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر لكم أن ترغبوا عن آبائكم	٢٨١
٣٤	آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان	٢٨٨
٣٥	إن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة	٢٩٢
٣٦	تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة فهى فى الجنة ...	٢٩٢
٣٧	من قال لأخيه يا كافر فقد باء بالكفر أحدهما	٢٩٢
٣٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإنى رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به	٢٩٤
٣٩	صح عن رسول الله أن رجلاً لم يعمل خيراً قط فلما حضره الموت قال لأهله إذا مت فأحرقونى ثم ذروا رمادى فى يوم راح نصفه فى البحر ونصفه فى البر فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذاباً لم يعذبه أحداً من خلقه . وإن الله عز وجل جمع رماده فأحياه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يا رب وإن الله تعالى غفر له لهذا القول	٢٩٦

فهـرس الفـرق والوقائـع

فهرس الأشعار

فهرس الأعــلام

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

رقم مسلسل	الاسم		الصفحات
	حرف الكنى		
١٢٤	أبو بكر الصديق – رضى الله عنه	:	١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢٦١
١٢٥	أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان	:	٣٤
١٢٦	أبو ريطه اليعقوبى	:	٢٠٧
١٢٧	أبو زياد الكلابى	:	٢٣٢
١٢٨	أبو سفيان بن الحارث	:	٢٠٨
١٢٩	أبو السنابل بن بعكك	:	٢٩٧
١٣٠	أبو كثير الطبرانى	:	٢٠٧
١٣١	أم سلمة زوج رسول الله – ﷺ	:	٢٩٩

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	البداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	دائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب لابن حجر	للإمام ابن حجر العسقلانى
٢٢	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٣	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٤	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٥	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٦	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٧	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٨	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٩	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٣٠	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣١	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣٢	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٣	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٤	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٥	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٦	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٧	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٨	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م أعلام العرب
٣٩	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٤٠	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤١	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٤٢	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٣	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٤	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ
٤٥	تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى	حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
٤٦	تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء اسماعيل ابن كثير	طبع دار احياء الكتب العربية
٤٧	التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى	المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ
٤٨	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى	دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان
٤٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل	للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ
٥٠	الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى	ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ
٥١	زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى	المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم
٥٢	فى ظلال القرآن	سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت
٥٣	تفسير القرآن الحكيم	محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى
٥٤	تفسير النسفى	للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ
٥٥	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ
٥٦	التفسير والمفسرون	د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ
٥٧	معترك الأقران فى أعجاز القرآن	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى
٥٨	تأويل مشكل القرآن	شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – دار التراث – القاهرة ١٣٩٣ هـ
٥٩	فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير	تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة

كتب العقيدة

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٦٠	المواقف	للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٥ هـ
٦١	المقاصد	سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام
٦٢	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٥٩ م
٦٣	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة – ١٣٨٠ هـ
٦٤	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٥	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٦	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر سنة١٩٧١ م .
٦٧	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية – الجزائر
٦٨	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه – تحقيق محمد حامد الفقى
٦٩	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى – استنابول – مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٧٠	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧١	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧٢	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة – دار النفائس
٧٣	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٤	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى – طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٥	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية – ١٩٦٦ م
٧٦	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٧	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٨	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٩	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٨٠	الفرق بين الفرق	للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد على صبيح – القاهرة
٨١	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨٢	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض
٨٣	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٨٤	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٥	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٦	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٧	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٨	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين
٨٩	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٩٠	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩١	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩٢	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٣	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٤	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٥	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٦	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٧	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٨	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٩	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
١٠٠	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠١	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

فهرس الموضوعات

